دير القديس أنبا مقار

المزامير

دراسة أكاديمية

دراسة وشرح وتفسير

المجلد الثاني

مِن المزمور الأول إلى المزمور الحادي والأربعين

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

المزامير

دراسة أكاديمية

دراسة وشرح وتفسير

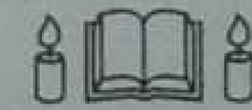
المجلد الثاني

من المزمور الأول إلى المزمور الحادي والأربعين

الأب متى المسكين

كتاب: المزامير دراسة وشرح وتفسير، المجلّد الثاني
من المزمور الأول حتى المزمور الحادي والأربعين
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأُولى: سنة ٢٠٠٣
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.
صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٣/١٥٠٧٥
رقم الإيداع الدولي: 5-197-240-977

الفهرس



أسلوب الدراسة والشرح والتفسير لسفر المزامير

أولاً: دراسة المزمور كله دراسة تحليلية لاستقراء شخصية مؤلفه وزمن تأليفه ومستواه الفني واللغوي ومدى صلته بالمزامير الأخرى.

ثانياً: دراسة آيات المزامير آية آية على مستوى التوراة جميعاً، بالرجوع إلى كافة الآيات المماثلة التي حدثت في أزمانها:

(أ) على الأساس التاريخي: مستخدماً جميع أسفار التوراة التاريخية.

(ب) على الأساس النبوي: مستخدماً جميع أسفار الأنبياء الكبار والصغار بدون استثناء.

(ج) على الأساس الناموسي: مستخدماً أسفار اللاويين والعدد والتثنية.

لنكتشف القيمة التعليمية لكل آية، وبالتالي قدرة صاحب المزمور على استيعاب كل تعاليم التوراة بصورة مذهلة للعقل. ومنها نفهم بكل يقين أن مستوى التعليم والفهم والحفظ كان بين الملهمين من كتّاب المزامير على درجة عالية جدًّا وشاملة، بالرغم من خلو إسرائيل من مدارس التعليم التقليدية وعدم وجود الكتب والأسفار بصورة متداولة وغياب الأوراق وأدوات الكتابة إلاَّ بحيازة اللاويين. مما يثير السؤال كيف تعلّم ودرس وحفظ أصحاب المزامير كل الأسفار التاريخية والنبوية وبقية المزامير؟

أمَّا القصد الواضح من دراسة المزامير بهذه الصورة الأكاديمية فلا يغيب عن الفكر، فدارس المزامير على هذه الطريقة سيتعرَّف في كل آية على كل الآيات المماثلة التي جاءت في التوراة، وبالتالي سيتسع إدراك القارئ ليستوعب كل المراحل التاريخية التي مرَّت عليها الأُمة الإسرائيلية، ويطّلع على كل المفهومات الخاصة بالناموس واستخداماته بصورة فعلية متتابعة.

أمَّا الحس النبوي المرهف في معظم المزامير فهو كفيل بأن يرتفع بمستوى ذهن القارئ لإدراك مدى قدسية هذه المزامير، بل قدسية محرريها على مختلف أسمائهم وشخصياتهم، وبالتالي هذه الأُمة التي اختارها الله وأيدها بالبر والقداسة والنبوَّة والعلم في تاريخها الطويل، إذا استثنينا انحرافاتها وتأدياتها المروِّعة.

أمَّا العائد الروحي الذي يعود علينا من هذه الدراسة الأكاديمية فهو الانبهار الذي يملأ صدورنا من قدرة الله على تعليم شعب لتترسَّخ في ذهنه وقلبه وفمه كل المعارف والإدراكات والتوصيات بلا كتابة

أو تسجيل أو أي من الطرق المتبعة الآن في التعليم، مما يوغر صدورنا لأننا نحن وقد تأيدنا بروح الله الذي هو على مستوى النبوَّة التي كانوا ينعمون بها، لا ندرس ولا نحفظ ولا نستوعب لا بالكتابة ولا بالتلقين.

المزامير كما سنراها بعد هذا الاستعراض الأكاديمي لأدق نقط التاريخ وأهم حوارات الناموس وتعاملات الله على مدى ألفيْ سنة، نراها مُلقنات سماوية تحمل بمحمل التراث العبري. من هنا نأتي إلى شهادة المسيح للمزامير: «لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب» (يو ١٥:٢٥؛ مز ٣٥:١٩، ٦٩:٤)، في مزامير محسوبة في نظر المسيح سفراً ناموسياً يخدم قضايا فرائض الله وتشريعاته ونبواته، إذ جعل أهم منجزاته أن يمهد للمسيَّا ويشير إليه. وقد جعلها المسيح أحد المراجع التي يمكن منها التعرُّف على رسالة المسيح ومفرداتها!!

وفي استعراض الآية تبدو في الأول غير مفهومة أو ناقصة، ولكن بعد إيراد شهادة من المزمور الآخر أو من الأنبياء أو التثنية تظهر الآية واضحة قوية وكأنها قائمة بذاتها ضمن ناموس الله، ويمتد الشرح ليشمل ما تعنيه الآية من ظاهرها وباطنها.

وقد يزداد الرجوع إلى الآيات الموضِّحة والشارحة للمعنى أو الموقف أو الكلمة أو الناموس لدرجة أننا نجد أنفسنا أمام بحث في موضوع الآية قلَّ إن وجد له مثيل لتشعُّبه وحصر كل معانيه.

هذا الشرح يعتمد أساساً على التقليد الثابت والراسخ للعهد القديم. فهو شرح نقلي علمي ملتزم بفكر التوراة بأجزائها الخمسة، وفكر الأنبياء الكبار والصغار عموماً، وفكر الأسفار التاريخية: القضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني والأخبار الأول والثاني، وفكر الأسفار الشعرية الرسمية: نشيد الأنشاد والجامعة. وباختصار فكر العهد القديم بجميع أسفاره.

ما معنى هذا؟ معناه أن المؤلِّف لدراسة وشرح وتفسير المزامير لا يقدِّم أي شرح بحسب تفكيره أو ظنه، ولا يستخدم أي شرح لمؤلف آخر يتكلَّم من عنده، فهو ملتزم أمام عظمة وهيبة سفر المزامير المحسوب بحد ذاته أنه سفر ناموسي لجأ إليه المسيح عدة مرَّات باعتباره ناموساً، ملتزم بما يشرحه السفر نفسه أي المزامير الأخرى وكل الأسفار في موقعها.

بهذا يُقدَّم هذا الشرح ولأول مرَّة، شرحاً تقليدياً توراتياً صافياً لا يدخله أي فكر خارج عن العهد القديم إلاَّ إذا كان موافقاً له تمام التوافق، وهنا تدخل بعض آيات العهد الجديد لتصيغ موافقة العهد الجديد لما يقوله العهد القديم.

لهذا يُحسب هذا الشرح أنه شرح أكاديمي، بمعنى أنه ملتزم بالتقليد وعلى المستوى العلمي الرفيع وأنه هو بحد ذاته دراسة عليا. وكلمة أكاديمي لا نضعها هنا للحذلقة، ولكنها كلمة ذات صفات ومحدودات غاية في الأهمية والدقة.

فكلمة دراسة أكاديمية أو شرح أكاديمي يعني أنه ملتزم بالفكر الرسمي ولا يدخله اختبار شخصي للمؤلِّف أو تجريب شخصي للمؤلِّف، وإن كان حتماً ستتعرَّض لاختبارات وتجارب لكاتب المزمور نفسه واختبار وتجارب شعب الله مع الله. ولكن القصد النهائي من تقديم هذا الشرح الأكاديمي الملتزم بتقليد التوراة هو دفع القارئ لاتخاذ الموقف الصحيح والأفضل في تعامله مع الله والآخرين، والموقف العملي والاختباري لحياته الداخلية.

بمعنى آخر نحن نقدِّم هنا شرحاً وتفسيراً وتحليلاً لكل مزمور على قاعدة العهد القديم بأجمعه، بل وربما الكلمة الواحدة في آية واحدة تستنفذ جهداً كبيراً من المؤلِّف في الرجوع إلى خمسة مراجع أو أكثر من مزامير أخرى وأنبياء وأسفار تاريخية لكي يتضح معناها في المفهوم التقليدي للعهد القديم دون أي إشارة من المؤلِّف لاختيار الأفضل، بل يترك للقارئ أن يتذوَّق المعنى في كل مواقعه ليزداد ويتَّسع إدراكه في مفهوم تعاملات الله مع الإنسان دون ملل!

وهنا يسهل على القارئ أن يدرك مدى صحة وفرادة هذا المنهج في شرح المزامير بنوع خاص جداً غير مناهج شرح أسفار العهد الجديد المفتوحة للإلهام والحدس وإعمال الفكر والرأي الشخصي من شارح لشارح. فشرح الإنجيل للقديس أثناسيوس غير شرح الإنجيل ليوحنا ذهبي الفم، فكل شارح يتدخَّل بثقله الروحي وإلهامه وفكره. ولكن شرح الآية الواحدة في أي مزمور يُرجَع فيها لما تقوله المزامير الأخرى ولما جاء في أسفار الأنبياء إشعياء وإرمياء وما جاء في سفر التثنية المعتبر السفر الأساسي للتعليم، وما يشرحه وما يكمِّله في سفر العدد وصموئيل النبي ويُعلِّق عليه سفر الأمثال. وهكذا يحاصر المؤلِّف الآية الواحدة بدائرة من أفكار ممثِّلي العهد القديم الرسميين دون أن يتدخَّل بكلمة واحدة من عنده، وذلك ليرسِّخ في ذهن القارئ المفهوم الكامل للآية في حدود التقليد الشامل للعهد القديم.

وسوف نجد أن من أهم الأُسس الروحية التي تقوم عليها العبادة في العهد القديم النافعة جداً لحياتنا في العهد الجديد وهي لا تزال تحتفظ بكونها الأساس في العبادة:

(أ) **مقدار توقير الله** بالوقار الفائق فهو المدعو بالقدير والعالي والجبَّار، فإن كان هو القدير فهو القادر على كل شيء، والدليل على ذلك ما عمله في مصر وفي البحر الأحمر وفي برية سيناء،

وفي حروب عماليق وفي كل حروب إسرائيل مع أعدائهم، وفي تأديبه لإسرائيل بالسبي ثمّ استرجاع إسرائيل من السبي وما عمله في الأعداء.

(ب) **وإن دُعي بالعالي** فهو أعلى من كل تصورات الإنسان من القوة والسلطان والجبروت في معاملاته مع الطبيعة أمام عيون شعب إسرائيل. النار قدامه تحرق الجبال فتدخن وتتزلزل الأرض وتفتح فاها لتبتلع المخالفين، ومظاهر الرعود والبروق والطوفان وحرق سدوم وعمورة بالكبريت والنار من السماء. وفي فلق البحر الأحمر وعبور شعب إسرائيل.

(ج) **ثمّ وصفه بالرحوم والرؤوف** وصاحب الإحسان والأمثلة كثيرة جدًّا جدًّا.

(د) **ثمّ وصف محبته ومودته وإحسانه ولطفه** وحفظه العهد والوعد وعنايته بالمسكين واليتيم والأرملة والضعيف والغريب والضيف، وصفحه عن الخطأ والسيئة والعصيان والذنب وعدم الحقد والغضب إلى الدهر.

فإذا خرجنا عن فلسفة الأسلوب الأكاديمي في الشرح المقدم لنراه بفكر عصرنا وكما رآه آباء كثيرون فسنجد في المزامير كل ما يعين، ويبني ويعزّي، كل الناس وكل الأوساط. الأطفال يجدون الغذاء البسيط، الصبيان يجدون تسبيح الله، الشباب تصحيحاً لطرقهم، وللرجال نموذج يُحتذى في الحياة، الشيوخ غذاء للصلاة، النساء مادة لرفع القلب لله، اليتامى يجدون عزاء روح أبوة الله، الأرامل يتخذن الله معيناً، الفقراء يجدون حماية، الغرباء حراسة، الحكام يجدون المخافة والرحمة. والمرضى يجدون ما هو أغلى من الصحة، والمجرَّبون بكل تجربة وخسارة يجدون ما هو أكثر من العزاء.

فالمزامير تعزي الحزانى، وتملأ الفراحى فرحاً حقيقياً، تهدئ الغضوب وتعزي الفقير وتحرِّك قلوب الأغنياء. تداوي الموجوعين، تشفي جروح الخطاة وتقودهم إلى التوبة الملكية المقدَّسة.

ولكن عودة إلى الدراسة والتفسير الأكاديمي: فهو فريد من نوعه وقد اعتمدنا فيه على دراسة العالِم كيرك باترك(1).

(1) A.F. Kirkpatrick, *The Book of Psalms*, Cambridge, 1957.

الكتاب الأول

من المزمور (١) إلى المزمور (٤١)

المزمور الأول

١– «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ.

٢– لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَاراً وَلَيْلاً.

٣– فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ.

٤– لَيْسَ كَذلِكَ الأَشْرَارُ، لكِنَّهُمْ كَالْعُصَافَةِ الَّتِي تُذَرِّيهَا الرِّيحُ.

٥– لِذلِكَ لاَ تَقُومُ الأَشْرَارُ فِي الدِّينِ، وَلاَ الْخُطَاةُ فِي جَمَاعَةِ الأَبْرَارِ.

٦– لأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الأَبْرَارِ، أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ».

دراسة:

هذا المزمور هو امتداد سواء في اللغة أو الشعر أو التصوُّر للفكر المتكرِّر في سفر الأمثال، حيث دائماً الخير يتبع البار والفساد يتبع الشرير. وهو يصلح ليكون مقدِّمة مناسبة لسفر المزامير. وهو يشرح حقيقة عامة، غير أنه لا يقصد أي شخصية ما أو حتى أي مناسبة. لذلك فتحديد تاريخه ومؤلفه سيبقى دائماً بغير تأكيد. ويعتقد الأسقف Perowne أنه لسليمان النبي وضعه ليكون مقدِّمة لمزامير أبيه داود. ويعتقد العالِم Cheyne أنه وُضِعَ بقصد دراسة الناموس في أيام عزرا.

ولكن، هناك اعتباران يمكن أن يحدِّدا زمن المزمور الأول:

الأول: أنه يلزم أن يكون من زمن قبل إرميا النبي لأنه قد شرحه وامتد به في الأصحاح (١٧: ٥–٨).

الثاني: أن العمل الموازي له في الفكر واللغة موجود في منتصف سفر الأمثال من (١٠–٢٤) والذي

تاريخه في زمن مبكر في تاريخ مملكة يهوذا أو ربما أيام حكم سليمان نفسه.

وتدلنا كلمة ''المستهزئ'' على ذلك إذ لا توجد تقريباً خارج سفر الأمثال، ثمَّ أن المقارنة بين البار والشرير وأن النجاح من نصيب البار، والبوار نصيب الشرير واضحة في منتصف سفر الأمثال.

وغياب عنوان للمزمور واضح أن هذا يخالف كل مزامير الكتاب الأول للمزامير، ويشير أنه قد أُخذ بالطبع من مصدر آخر، ويعتقد الكثيرون أنه دُوِّن أو اختير كمقدمة لمزامير داود النبي، أو أنه قد وُضِعَ هنا أخيراً بواسطة مَنْ جَمَعَ المزامير في سفر واحد.

والمزمور مكوَّن من قسمين متساويين:

القسم الأول: النجاح المثمر للبار (١-٣).

القسم الثاني: يقارن بنصيب الشرير الذي يخرب سريعاً (٤-٦).

ويلاحظ الصلة القريبة بين المزمور الأول والمزمور (٢٦) وبالأكثر مزمور (١١٢) الذي يحتفل ببركات البار، والذي يبتدئ وينتهي بنفس الكلمة التي يبدأ وينتهي بها المزمور الأول ''طوبى'' – ''يهلك''.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

النجاح المثمر للبار (١-٣):

١ – «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ»:

«طوبى»:

في السبعينية μακάριος (مكاريوس) وهي موجودة في مزامير (١:٤١، ١٢:٨٤، ١٢:٩٤، ١:١١٢، ٥:١٢٧، ١:١٢٨) وقد جاءت في إنجيل ق. متى (٥: ٣ إلخ). فالرجل البار يوصَف أولاً سلبياً فيما سار عليه سابقاً فكان كل حياته متمسِّكاً بالقول: ''ابتعد عن الشر'' كما جاء في مزمور (١٤:٣٤): «حد عن الشر واصنع الخير».

«الأشرار ungodly»:

وهي المقابل للبار righteous وقد جاءت بالعبرية rasha. وقد جاءت في سفر أيوب بمعنى المنافقين (أي ١٧:٣) وجاءت في سفر إشعياء (٥٧: ٢٠و٢١): «أمَّا الأشرار فكالبحر المضطرب ... ليس

سلام قال إلهي للأشرار».

وهي كلمة تشرح ماذا تصنع الخطية في طبيعة الإنسان، حيث تصيب العلاقة بين الإنسان والله والآخرين ونفسه.

«الخطاة sinners»:

وهم الذين فقدوا الهدف من الحياة فضلُّوا الطريق نحو الحق، وهي تشير إلى التأصُّل في الإساءة والتجنِّي وتكدير الآخرين (انظر: أم ١:١٠): «يا ابني إن تملَّقك الخطاة فلا ترض».

«المستهزئين scornful»:

هم المحتقِرُون scorners للآخرين والمزدرون بالناس وبأمور الدين، كما جاءت هكذا بهذا المعنى في سفر الأمثال. وجاءت في سفر إشعياء بنفس معنى الهزء:

+ «لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ...» (إش ١٤:٢٨)
+ «لأن العاتي قد باد وفني المستهزئ ...» (إش ٢٠:٢٩)
+ «يوم ملكنا يمرض الرؤساء من سَوْرَةِ الخمر، يبسط يده على المستهزئين.» (هو ٥:٧)

وهم المنحرفون المتهكمون الذين لا يؤمنون بصلاح البشر، المتهكمون على الناس، الساخرون بالعالم:

+ «المنتفخ المتكبِّر اسمه مستهزئ عامل بفيضان الكبرياء.» (أم ٢٤:٢١)

وهم ذوو الأفكار المتحرِّرة التي لا تؤمن بالأصول والواجب أو التقليد ويستحيل إصلاحهم. وعكس هؤلاء هم العقلاء الملتزمون. والمستهزئون هم دائماً كارهون مبغضون وفي وسط مسرَّة الناس يختفون في الوسط، يكرهون التوبيخ ولا يقبلون التعليم:

+ «الابن الحكيم يقبل تأديب أبيه، والمستهزئ لا يسمع انتهاراً.» (أم ١:١٣)
+ «المستهزئ لا يحب موبِّخه، إلى الحكماء لا يذهب.» (أم ١٢:١٥)

ومن العبث المحاجاة معهم:

+ «مَنْ يوبِّخ مستهزئاً يكسب لنفسه هواناً. ومَنْ ينذر شريراً يكسب عيباً. لا توبِّخ مستهزئاً لئلا يبغضك. وبِّخ حكيماً فيحبك.» (أم ٩: ٧و٨)

وهم مخزون لهم دينونة الله:

+ «كما أنه يستهزئ بالمستهزئين. هكذا يعطي (الله) نعمة للمتواضعين.» (أم ٣٤:٣)

ويُلاحَظ أن الأشرار والخطاة والمستهزئين محصورون في: يمشي – يقف – يجلس.

٢ – **«لكنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَاراً وَلَيْلاً»**:

«في ناموس الرب مسرَّته»:

هذا هو المبدأ الإيجابي ومنبع الحياة للرجل البار. فناموس الله هو قاعدة سلوكه، ولا يجد فيه أي مشقَّة تحدّه أو تحد من حريَّته، بل هو موضوع حبّه ودوام دراسته كما ينص عليه سفر التثنية:

+ «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقُصَّها على أولادك، وتكلَّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك.» (تث ٦: ٦–٩)

وتكون مسرَّته وسعادته ليست في الطرق التي يرسمها لنفسه، ولكن فيما يُعلن الله له من إرادته، لأن غرض الله من الناموس هو أن يجعل الناس سعداء كما يقول سفر التثنية:

+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب.» (تث ٣٣:٢٩)

«مسرَّته»:

كانت ديانة إسرائيل ليست مظاهر خارجية ولكن طاعة في القلب.:

+ «شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواته.» (مز ٣٧:٣١)
+ «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت، وشريعتك في وسط أحشائي» (مز ٤٠:٨)
+ «باركي يا نفسي الرب. **وكل ما في باطني** ليبارك اسمه القدوس.» (مز ١٠٣:١)
+ «هللويا. طوبى للرجل المتقي الرب. المسرور جدًّا بوصاياه.» (مز ١١٢:١)
+ «درِّبني في سبيل وصاياك، لأني به سررت.» (مز ١١٩:٣٥)
+ «كم أحببت شريعتك! اليوم كله هي لهجي.» (مز ١١٩:٩٧)

«ناموس الرب»:

الكلمة العبرية "توراة" لها دائرة أوسع في المعنى من كلمة ناموس، وهي تعني:

١ – تعليم، تهذيب في أمور الإنسان والله.

٢ – وصية أو ناموس.

٣ – مجموعة نواميس وبالأخص ناموس موسى. وهي تنتهي بالخمسة أسفار ولكن في اتساعها تعني كلمة الله.

+ «اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم. أصغوا إلى شريعة (توراة) إلهنا يا شعب عمورة.» (إش ١:١٠)
+ «وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلمَّ نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة (التوراة) ومن أُورشليم كلمة الرب.» (إش ٢:٣)

وهكذا ينبغي أن تؤخذ على أساس أنها تحوي الاستعلان الإلهي لقيادة الحياة.

«يلهج»:

الفعل العبري hgh. وداود النبي يعلِّمنا أنه كان يتأمَّل ويلهج في الله نفسه:

+ «إذا ذكرتك على فراشي، في السهد ألهج بك.» (مز ٦٣:٦)

سواء في أعماله أو في الطبيعة أو في التاريخ:

+ «وألهج بجميع أفعالك، وبصنائعك أُناجي.» (مز ٧٧:١٢)
+ «تذكرت أيام القدم. لهجت بكل أعمالك. بصنائع يديك أتأمَّل. بسطت إليك يديَّ. نفسي نحوك كأرض يابسة.» (مز ١٤٣: ٥و٦)

٣ – **«فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ»**:

هكذا فنجاح البار يصفه المزمور رمزياً كشجرة تغتذي بموارد مائية دائمة، التي بدونها تحترق تحت أشعة الشمس والجفاف. هكذا فنجاح الرجل الطوباني معقود على مدى ما تمدّه النعمة النابعة من الشركة الدائمة مع الله من جراء استعلاناته:

+ «أمَّا أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله. توكَّلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد.» (مز ٥٢:٨)
+ «الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو، مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يزهرون. أيضاً يثمرون في الشيبة يكونون دساماً وخضراً.» (مز ٩٢: ١٢–١٤)
+ «ما أحسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا إسرائيل. كأودية ممتدة، كجنات على نهر، كشجرات عود غرسها الرب. كأرزات على مياه. يجري ماءٌ من دلائه ويكون زرعه على مياه غزيرة.» (عد ٢٤: ٥–٧)

أمّا قوله: ''كل ما يصنع ينجح''، فقد كان يوسف في مصر مثلاً على ذلك:

+ «ورأى سيده أن الرب معه وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده.» (تك ٣٩:٣)

نصيب الشرير الذي يخرب سريعاً (٤-٦):

٤ - «لَيْسَ كَذلِكَ الأَشْرَارُ، لكِنَّهُمْ كَالْعُصَافَةِ الَّتِي تُذَرِّيهَا الرِّيحُ»:

في مقارنة واضحة للرجل الطوباني الذي ضرب جذوره في أعماق النعمة وأثمر ظاهراً، أعطى المزمور الأشرار صفة العصافة التي تذريها الريح في أرض الأجران لا قيمة لها ولا فيها. تجرّها الريح في كل مسار عند أول نسمة. هذه البعثرة للعصافة هي الصفة الدائمة في العهد القديم لما يلاقيه الشرير من خراب عاجل مفاجئ:

+ «ليكونوا مثل العصافة قدَّام الريح، وملاك الرب داحرهم.» (مز ٣٥:٥)

+ «أو يكونون كالتبن قدّام الريح وكالعصافة التي تسرقها الزوبعة.» (أي ٢١:١٨)

+ «ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق، وجمهور العتاة كالعصافة المارة، ويكون ذلك في لحظة بغتة.» (إش ٢٩:٥)

+ «لذلك يكونون كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكراً. كعصافة تُخطف من البيدر وكدخان من الكوة.» (هو ١٣:٣)

وهكذا تكون صفاتهم، وهكذا يكون نصيبهم. لهذا يلاحظ الرجل اللبيب أن موضع الجرن يكون دائماً مرتفعاً عن بقية الأرض لينتفع من نفخ الريح لكي بالتذرية ينفصل القمح عن التبن، فالقمح يقع على الأرض راسخاً فيُجمع باحتراس وتترك العصافة ليجرها الريح وتختفي من على وجه الأرض. هو إبداع في التوصيف:

+ «نزعاً أنزع الكل عن وجه الأرض يقول الرب. أنزع الإنسان والحيوان. أنزع طيور السماء وسمك البحر والمعاثر مع الأشرار. وأقطع الإنسان عن وجه الأرض يقول الرب.» (صف ١: ٢و٣)

٥ - «لِذلِكَ لاَ تَقُومُ الأَشْرَارُ فِي الدِّينِ، وَلاَ الْخُطَاةُ فِي جَمَاعَةِ الأَبْرَارِ»:

«لذلك»:

وصفات وأخلاق الأشرار ستظهر وتُستعلن في الدينونة. فهم بلا نفع، بلا جذر ولا ثمر. فالأشرار لا يقفون في الدينونة حيث يفصل يهوه القمح عن التبن:

+ «الذي رفشه في يده وسينقّي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن. وأمّا التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ.»

(مت ٣:١٢)

«لا يقوم» أو «لا يقف»:

+ «لا يقف المفتخرون قدّام عينيك. أبغضت كل فاعلي الإثم.» (مز ٥:٥)

+ «إن كنت تراقب الآثام يا رب، يا سيد، فمن يقف؟» (مز ١٣٠:٣)

+ «ومَنْ يحتمل يوم مجيئه ومَنْ يثبت عند ظهوره. لأنه مثل نار الممحّص. ومثل أشنان القصّار» (مل ٣:٢)

«في الدين»:

ليس هو أمام محكمة بشرية وليس مجرد قضاء، ولكن في قضاء يقيمه يهوه حيث يفصل بين الأبرار والأشرار ليتحقّق عدالة قضائه:

+ «اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ولا تمسوا شيئاً مما لهم لئلاً تهلكوا بجميع خطاياهم. فطلعوا من حوالي مسكن قورح وداثان وأبيرام. وخرج داثان وأبيرام ووقفا في باب خيمتهما مع نسائهما وبنيهما وأطفالهما ... فلمّا فرغ (موسى) من التكلّم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية. وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة.» (عد ١٦ ٢٦و٢٧ و٣١-٣٣)

+ «وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء، وتاركو الرب يفنون.» (إش ١:٢٨)

+ «فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظّم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع.» (إش ٢:١٢)

+ «وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين أجرة الأجير الأرملة واليتيم.» (مل ٣:٥)

+ «لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً.» (جا ١٢:١٤)

«في جماعة الأبرار»:

«جماعة إسرائيل»: هي جماعة يهوه التي في واقعها وغايتها هي جماعة الأبرار:

+ «هللويا. أحمد الرب بكل قلبي في مجلس المستقيمين وجماعتهم.» (مز ١١١:١)

وهكذا يُنقّي الرب جماعته أولاً بأول، وبالنهاية يفصل من هم الأبرار من الأشرار:

+ «فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار. هكذا يكون في انقضاء هذا العالم. يرسل ابن الإنسان

ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. مَنْ له أذنان للسمع فليسمع.» (مت ١٣: ٤٠-٤٣)

٦ ـ «لأنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الأَبْرَارِ، أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ»:

«لأن الرب يعلم»:

التعليم في هذا المزمور إنما يقوم على التعليم عن العناية الإلهية. هكذا فكل آية تحمل مثيلتها المضادة لها. فالرب يعرف طريق الأبرار وتحت عنايته يكون لهم طريق الحياة:

+ «تعرّفني سبل الحياة، أمامك شبع سرور. في يمينك نِعَم إلى الأبد.» (مز ١٦:١١)
+ «في سبيل البر حياة، وفي طريق مسلكه لا موت.» (أم ١٢:٢٨)
+ وهو يكون طريق سلام: «طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة. كل مَنْ يسير فيها لا يعرف سلاماً.» (إش ٥٩:٨)
+ وطريق أبدية: «وانظر إن كان فيَّ طريق باطل. واهدني طريقاً أبدياً.» (مز ١٣٩:٢٤)

وبالمثل هو يعرف طريق الأشرار، وبحسب قانون أحكامه فهذا الطريق يؤدّي فقط إلى الهلاك، فهو طريق الموت:

+ «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت.» (أم ١٤:١٢)

«يعرف»:

المعرفة الإلهية لا يمكن أن تكون مجرَّدة أو بلا فاعلية، فهي تحوي العناية والقيادة، كما لا تحمل تخلية قط. فطريق البار يقود إلى الله نفسه وهو لا يخيب أبداً حتى النهاية:

+ «صالح هو الرب حصن في يوم الضيق وهو يعرف المتوكِّلين عليه.» (نا ١:٧)
+ «ولكنَّ أساس الله الراسخ قد ثبت إذ له هذا الختم. يعلم الرب الذين هم له.» (٢تي ٢:١٩)

المزمور الثاني

١- «لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟

٢- قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ:

٣- لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا.

٤- السَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

٥- حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ.

٦- أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي.

٧- إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ.

٨- اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ.

٩- تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ.

١٠- فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ.

١١- اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ.

١٢- قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ».

دراسة:

هذا المزمور حاول بعض الشُّرَّاح نسبته إلى أحد ملوك إسرائيل، ولكن انتهى بهم المطاف ليروا فيه أنه نبوة أصيلة واضحة، وتنبُّؤ عن ثورة الأُمم وملوكها في عالم الغد في مقاومة مملكة المسيح، والنصرة النهائية لمملكة المسيح، وله تخضع كل الأُمم إذ قد أُعطيت له كميراث، وإن لم يكن لهم الخضوع الكامل يدخلون المحاكمة.

ولكن والأمر بالنهاية هو نبوَّة عن المسيح ومملكته، إلاَّ أنه وبالرغم من مقاومة بعض العلماء الشُّرَّاح هو بالضرورة مبني على أساس حدث يحتفظ به التاريخ.

فلكي نستوعب دراسة هذا المزمور:

١ - ينبغي أن ندخل في دراسة ما جاء في: (٢صم ٧) ومزامير: ٨٩ و٢١ و٤٥ و٧٢ و١١٠.

٢ ـ كذلك ينبغي دراسة ما جاء في سفر الأعمال (٤: ٢٣-٢٨) التي تحوي في آيتيها الأُولى والثانية ما يفيد التحالف في العداوة: اليهود مع الأُمم تجاه المسيح.

٣ ـ أمّا الآية السابعة من هذا المزمور فقد وردت على لسان بولس الرسول في أنطاكية، انظر (أع ٣٣:١٣):

+ «إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك».

التي تمّت بقيامة المسيح، انظر: (رو ٤:١):

+ «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات. يسوع المسيح ربنا».

وفي رسالة العبرانيين حيث يسرد ما يخص ماسيانيته في المزمور باعتباره وارداً، ويصف تفوُّق الابن فوق الملائكة، انظر: (عب ٥:١):

+ «لأنه لِمَنْ مِنْ الملائكة قال قط أنتَ ابني أنا اليومَ ولدتُكَ».

وإعلان بنوة المسيح الإلهية بالنسبة لأصل لاهوت كهنوته: انظر تكملة الآية السابقة:

+ «وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.»

٤ ـ يحتوي المزمور على حقيقة "ابني"، انظر: (مت ١٧:٣):

+ «وصوت من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت».

حيث "الابن" هو المسيَّا أي الرب يسوع، انظر: (لو ٢٦:٢):

+ «وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب».

الذي يصف طبيعة ووظيفة المسيا، قارن: (مت ١٦:١٦)، (يو ٣١:٢٠):

+ «فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي».

+ «وأمّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه».

٥ ـ نرى أن لغته واردة في سفر الرؤيا في رواية البطولة التي واجهها المسيح في نضاله وانتصار مملكته، وأنه يحكم الشعوب بقضيب من حديد، انظر: (رؤ ٥:١٢):

+ «فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأُمم بعصًا من حديد».

وأيضاً: (رؤ ١٥:١٩):

+ «ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأُمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد».

وهو يعطي نفس القوة لخدَّامه، انظر: (رؤ ٢: ٢٦:٢٧):

+ «مَنْ يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأُمم. فيرعاهم بقضيب من حديد».

وكلمة ملوك الأرض وردت ليس أقل من تسع مرات في كتاب سفر الرؤيا، انظر: (رؤ ٥:١ إلخ):

+ «ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض».

والجالس في السماء هو الشخصية الأساسية في سفر الرؤيا (انظر: رؤ ٢:٤):

+ «وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس».

هذه الاقتباسات تشرح جيداً اختيار المزمور الثاني كمزمور هام بين المزامير الخاصة بعيد القيامة. وقد وُجد في بعض المخطوطات العبرية أن المزمور الثاني معْتبر كالمزمور الأول لسفر المزامير، ويعتبر بمفرده كافتتاح للكتاب ككل. وفي بعض المخطوطات الأخرى وُجد أن المزمورين متحدان، ويقول أوريجانوس إنه قد رأى المزمورين متحدين في بعض المخطوطات(1). ويوجد قول قديم عبري يقول إن المزمور الأول (١:١) يبتدئ بالطوبى وينتهي بالطوبى (١٢:٢)، وهذا ينطبق على المزمورين معاً. وبعض النسخ السبعينية يظهر فيها المزموران الأول والثاني متصلين كمزمور واحد. وهذا معناه أن المزمور الأول والمزمور الثاني هما مزمور واحد كان يُفتتح بهما سفر المزامير. وهذا يوضِّحه غياب عنوان للمزمور الأول (بصفته تابع للمزمور الثاني ومتحد به).

والمزمور الثاني له رنَّة روائية حيث فيه تتغيَّر المناظر، والمتكلّمون فيه عدة أشخاص، وتكوين المزمور محدود وفني ويتكوّن من أربع وقفات كل منها (ما عدا الثانية) يتكون من سبعة سطور:

(أ) الشاعر يتأمَّل فيه باندهاش في ثورة الأُمم يقودها فكر خاطئ لمقاومة المخلّص لها (١-٣).

(ب) ولكن حينما ننظر من الأرض إلى السماء نرى يهوه يجلس متوَّجاً وهو يسخر من مجهوداتهم التافهة، فكان بمجرَّد أن يتكلَّم حتى تنشلّ حركتهم (٤-٦).

(ج) يتكلَّم الملك ويتلو أمره الملكي الذي به يؤكِّد أن يهوه قد اختاره ليكون ابنه ويعطيه الأُمم كميراثه بسلطان لكي يخضع كل المقاومات (٧-٩)

(1) أوريجانوس في شرح المزمور الثاني PG. 12, 1100.

(د) ويستمر الشاعر ينصح بتحذير الأُمم بأن يسلِّموا ويخضعوا عوض المقاومة التي ستكون لتحطيمهم (١٠-١٢).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟

٢ - قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ»:

«لماذا»:

يتأمَّل صاحب المزمور مندهشاً في هياج الأمم كمهيَّئين للحرب، هذا دَفَعَهُ لكي يسأل هذا السؤال الذي هو خليط من الاندهاش والسخط، وخروجهم على السلطة القائمة هو بلا سبب وبلا رجاء.

«ارتجت»:

هاجت واتحدت معاً.

«الأمم»:

بالعبرية: "جوييم"، وهو تعبير يفيد الشعوب التي ليست هي إسرائيل لتفريقها عن شعب إسرائيل وهي دائماً مقاومة لإسرائيل، ولها ترجمة أخرى تمثِّل حالتها الأدبية إذ تُدعى "الوثنيين".

«وتفكَّر»:

وتأتي بمعنى استعدوا ذهنيًّا للمقاومة.

«الشعوب»:

أي التعبير عن الناس عموماً.

«تآمر»:

يمثلون جريمتهم ويتدبرونها في حالة هياج وقلقلة مجتمعين بصورة أعداء.

«ملوك الأرض»:

بالتقابل مع "ملكي" التي جاءت في الآية (٦) وقد وردت في (إش ٢١:٢٤): «ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء في العُلاء وملوك الأرض على الأرض»، وتأتي هنا في موضع النقمة.

«على الرب»:

وهم لا ينكرون أنهم بقيامهم ضد إسرائيل فهم يقومون ضد إله إسرائيل كما وردت في (٢مل ٢٢:١٩): «مَنْ عيَّرت وجدَّفت وعلى مَنْ علَّيت صوتاً وقد رفعت إلى العُلاء عينيك، على قدوس إسرائيل». وهكذا صار كل مَنْ يُقاوم إسرائيل يقاوم الله. ولكنهم لم يعرفوا على مَنْ يتحدون.

٣ - «لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا».

هو الحديث الذي دار بين الملوك والرؤساء مشجِّعين بعضهم بعضاً أن يكسروا نير الخضوع، عصابات توافقت وتواثقت. وكان النير موضوعاً على رقابهم كما يصفها إرميا النبي: (٢:٢٧): «هكذا قال الرب لي اصنع لنفسك رُبطاً وأنياراً واجعلها على عنقك». التي بها يمكن جعل الحيوانات تحت الضبط والتوجيه كما يصفها هوشع النبي (٤:١١) والرب يتكلَّم على لسانه من جهة إسرائيل: «كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة، وكنت لهم كمَنْ يرفع النير عن أعناقهم».

٤ - «اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

٥ - حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ.

٦ - أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي»:

الشاعر الرائي يكشف الحجاب ويأمرنا أن ننظر من الأرض إلى السماء حيث الحاكم الأعلى للعالم يجلس متوجاً في جلاله، وباحتقار قضائي يحيط بهذه المؤامرات التافهة، وحينما تأتي الساعة يلاشيهم بكلمة.

«الساكن في السموات»:

متوَّجاً في مجده. انظر مزمور: (١:١٢٣):

+ «إليك رفعت عيني يا ساكناً في السموات».

ولكن يُلاحظ ويقود ويسوس مجرى الحوادث على الأرض. انظر مزمور (٤:١١):

+ «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه. عيناه تنظران. أجفانه تمتحن بني آدم».

وأيضاً مزمور (١٩:١٠٣):

+ «الرب في السموات ثبَّت كرسيه ومملكته على الكل تسود».

وأيضاً مزمور (٤:١١٣):

+ «الرب عالٍ فوق كل الأُمم. فوق السموات مجده».

انظر سفر الرؤيا (٥:١٣):

+ «وكل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر. كل ما فيها سمعتها قائلة للجالس على العرش وللخروف: البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين».

«يضحك – يستهزئ بهم»:

أي يضحك ويسخر منهم. انظر مزمور (١٣:٣٧):

+ «الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آتٍ».

وأيضاً مزمور (٨:٥٩):

+ «أمَّا أنت يا رب فتضحك بهم. تستهزئ بجميع الأمم».

«الرب»:

أدوناي يستهزئ بهم.

«حينئذ يتكلم عليهم بغضبه»:

فهو لا يبقى صامتاً أمام جنونهم، فإن هم تمادوا في هزئهم فهو حتماً يتكلَّم بغضبه. انظر سفر الخروج (٧:١٥):

+ «وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك. ترسل سخطك فيأكلهم كالقش».

«أمَّا أنا فقد مَسَحْتُ ملكي على صهيون جبل قدسي»:

والمعنى هو: لماذا هذا الهياج إذا كان أنا الذي مسحت ملكي (أقمت).

«ملكي»:

ملك أُقيم بواسطتي ليملك على شعبي كمثل لي. انظر سفر صموئيل الأول (١:١٦):

+ «فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل. املأ قرنك دهناً وتعالَ أُرسلك إلى يسَّى البيتلحمي لأني قد رأيت لي في بنيه ملكاً».

«صهيون جبل قدسي»:

صهيون اسم لتل محصَّن قوي الذي صار مدينة داود. انظر سفر صموئيل الثاني (٧:٥):

+ «وأخذ داود حصن صهيون هي مدينة داود».

وتقدَّست بوجود التابوت حتى بُني الهيكل، وهي الاسم النبوي لأُورشليم، وتوصف بالمدينة المقدَّسة، المكان الأرضي الذي صار سكنى ليهوه ومقرًّا لمملكته التي أقامها.

٧ – «إنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ.
٨ – اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ.
٩ – تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ»:

يهوه قد أعلن أن الملك يخصَّه لنفسه. والآن الملك يأخذ إعلان يهوه ويعلنه كقانون إلهي للنبوَّة والوعد بالسيادة على كل العالم باتساعه.

«قضاء الرب»: Decree of the Lord

"الدكريتو" مرسوم رسمي نافذ المفعول، أذيع كوعد أعطي لداود وبيته بواسطة النبي ناثان. انظر: (٢صم ٧: ١٢–١٤):

+ «متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأُثبت مملكته. هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أُثبِّت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً».

«قال لي ... أنا اليوم»:

اليوم الذي مُسح فيه ملكاً. فإذا كان ناثان صاحب سر سليمان فيكون هو الذي مرَّنه لكي يعرف ويعي علو دعوته. وبالنسبة لصادوق فهو الذي مسحه. انظر: (١مل ١:٣٤):

+ «وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على إسرائيل واضربوا بالبوق وقولوا ليحيى الملك سليمان».

فمن البديهي أن ناثان لم يقصر في تعريف سليمان عظمة معنى هذا الطقس.

«أنا اليوم ولدتك»:

كلمة "أنا" عليها التركيز الأعظم في الآية، فالبنوَّة الجديدة بالتبني مع وجود البنوَّة بالطبيعة، فالتعرُّف على بنوَّة المسيح الأزلية في القيامة إنما تعود إلى اختبار الملك في طقس المسحة. انظر (أع ١٣:٣٣):

+ «إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك.».

وأيضاً (رو ١: ٤و٥):

+ «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح ربنا، الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأُمم».

«اسألني»:

إن الميراث هو الحق الطبيعي للبنوَّة، ولكن حتى الابن يلزم أن يسأل الوعد ويطالب بكماله وتحقيقه. والسيادة على الأُمم لم تذكر في (٢صم ٧) ولكن في المزمور: انظر (مز ٨٩: ٢٧-٢٩، ٣٤-٣٦):

+ «أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض. إلى الدهر أحفظ له رحمتي وعهدي يثبُتُ له. وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السموات ... لا أنقض عهدي ولا أغيِّر ما خرج من شفتايَّ. مرَّة حلفت بقدسي أني لا أكذب لداود: نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي».

«اسألني فأعطيك الأُمم ميراثاً لك»:

هذا الوعد مثيل لما كان يُعطي لإسرائيل من أرض كنعان، انظر: (تك ١٧: ٨):

+ «وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم».

وأيضاً: (تث ٤: ٢١):

+ «وغضب الرب عليَّ بسببكم وأقسم إني لا أعبر الأُردن ولا أدخل الأرض الجيدة التي الرب إلهك يعطيك نصيباً.» (تث ٣٢: ٤٩)

+ «اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً».

والآن فالعالم كله سيكون له بهذا الحق المساوي، فيهوه ملك العالم وهو يقدِّم لمثله السيادة فوق العالم كله. انظر مزمور (٧٢: ٧-٩):

+ «يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب».

وأيضاً: (زك ٩:٩و١٠):

+ «ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أُورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان».

«تحطمهم بقضيب من حديد»:

تعبير عن حكم قاسٍ وقسوة في التأديب هي التي تنتظر الثائرين. انظر: (مز ٤٥: ٦):

+ «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك».

وهذا يوضحه قوله أنه يكسرهم كما جاءت في السبعينية بدلاً من تحطمهم. انظر: (رؤ ٢: ٢٧):

+ «فيرعاهم بقضيب من حديد كما تُكسَر آنية من خزف. كما أخذتُ أنا أيضاً من عند أبي».

وأيضاً: (رؤ ١٢: ٥):

+ «فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأُمم بعصاً من حديد».

وأيضاً: (رؤ ١٩: ١٥):

+ «من فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأُمم. وهو سيرعاهم بعصا من حديد».

«إناء خزَّاف»:

تعبير عن كسر سهل لا يُجبر وإلى أجزاء لا يمكن أن تتحد. انظر: (إر ١٩: ١١):

+ «وتقول لهم: هكذا قال رب الجنود. هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يُكسر وعاء الفخاري بحيث لا يمكن جبره بعد».

وأيضاً: (إش ٣٠: ١٤):

+ «ويكسر ككسر إناء الخزَّافين مسحوقاً بلا شفقة حتى لا يوجد في مسحوقه شقفة لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماء من الجب».

وأيضاً: (أم ٦: ١٥):

+ «لأجل ذلك بغتة تفاجئه بليته. في لحظة ينكسر ولا شفاء».

هذا تصوير للقسوة في التأديب الذي ينتظر الثائرين. أو كما يقول بعض الشرَّاح إن العصا هنا تفيد قضيب الحكم كما جاءت في مزمور (٤٥: ٦):

+ «قضيب استقامة. قضيب ملكك».

وتفيد حكماً قاسياً لا يقاوم حيث تجيء "تكسرهم" وتُقرأ مع تغيير الحروف الصامتة في العبرية لتعني يحكم (كراعي) كما جاءت في السبعينية. وبناءً عليها جاءت في سفر الرؤيا (٢:٢٧):

+ «فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف».

كما جاءت كذلك في السِّريانية وعند جيروم. وفي هذه الحالة تكون قضيب تعني عصا الراعي كما جاءت في (ميخا ٧:١٤):

+ «ارع بعصاك شعبك غنم ميراثك ...»

وحينئذ تصبح الجملة تحمل اجتماع لفظين متعارضين (oxymoron).

١٠ - «فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ»:

الشاعر يعتمد على ما فات من الحقائق، إذ يوجد هناك طريق أفضل وهو الخضوع لتجنُّب التحطيم، فقواد الأُمم هنا ينادي بهم ليتعقلوا في الوقت المناسب ويقبلوا السيادة المطلقة ليهوه عوضاً عن المقاومة حتى لا يتقد غضبه.

تأدَّبوا يا قضاة الأرض أي أيها القادة توقَّفوا عن الثورة يا حكَّام الأرض واستخدموا العدل يا ملوك الأرض. انظر مزمور: (١١:١٤٨):

+ «ملوك الأرض وكل الشعوب، الرؤساء وكل قضاة الأرض».

وأيضاً: (أم ٨:١٦):

+ «بي تترأس الرؤساء والشرفاء كل قضاة الأرض».

١١ - «اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ»:

«اعبدوا الرب بخوف»:

تفيد الخضوع ليهوه خضوع العبادة شخصياً أو لمن يمثلونه كما جاءت في مزمور (٤٣:١٨):

+ «شعب لم أعرفه يتعبَّد لي».

ولكن المعنى المتَّسع لا يصح إغفاله بمعنى يخاف، فالعبادة مع الخوف تُستخدم دائماً في المعنى الديني والخضوع السياسي لإسرائيل وهي دائماً تأتي في المعنى المسيَّاني مثل مزمور (٢٢: ٢٧و٢٨):

+ «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض. وتسجد قدَّامك كل قبائل الأُمم. لأن للرب الْمُلك

وهو المتسلِّط على الأُمم».

«واهتفوا برعدة»:

انظر مزمور (٩:٩٦):

+ «اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة. ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض».

وهي تعني افرحوا بسرور وخشوعٍ وتعجُّب، بما يناسب ما يقدَّم لمن له النقمة والخوف كما جاءت في مزمور (١:٩٧):

+ «الرب قد ملك فلتبتهج الأرض، ولتفرح الجزائر الكثيرة».

وأيضاً مزمور (١٨:٤٣):

+ «تنقذني من مخاصمات الشعب. تجعلني رأساً للأُمم. شعب لم أعرفه يتعبَّد لي».

وأيضاً مزمور (٧٢:١١):

+ «ويسجد له كل الملوك. كل الأُمم تتعبَّد له».

١٢ - «قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ»:

«قبِّلوا الابن»:

بناء على القول: «اعبدوا الرب بخوف» يتلوها النداء بأن يقدِّموا الطاعة لمن يمثله، لأنها قبلة الطاعة. انظر (١صم ١٠:١):

+ «فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصبَّ على رأسه وقبَّله وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً».

وأيضاً (١مل ١٩:١٨):

+ «وقد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجثُ للبعل وكل فم لم يقبِّله».

وأيضاً (أي ٣١: ٢٦-٢٨):

+ «إن كنت قد نظرت إلى النور حين ضاء أو إلى القمر يسير بالبهاء. وغوي قلبي سرًّا. ولثم يدي فمي. فهذا أيضاً إثم يعرض للقضاة لأني أكون قد جحدت الله».

وأيضاً (هو ١٣:٢):

+ «والآن يزدادون خطية ويصنعون لأنفسهم تماثيل مسبوكة من فضتهم أصناماً بحذاقتهم كلها

عمل الصناع عنها هم يقولون ذابحو الناس يقبِّلون العجول».

ولكن يؤخذ على هذا الشرح أنه يفترض أن المزمور استخدم كلمة "بار" بمعناها الأرامي الذي يعني "ابن" بدلاً من استخدام الكلمة العبرية "ابن". ومن النادر أن يلجأ الشاعر إلى ذلك إذ لم ترد كلمة بار بمعنى ابن في العهد القديم كله إلاَّ في (أم ٢:٣١):

+ «ماذا يا ابني ثمَّ ماذا يا ابن رَحِمِي ثمَّ ماذا يا ابن نذوري».

ولا يوجد في المخطوطات القديمة إلاَّ في السريانية ما يعطي هذا المعنى أي قبِّلوا "الابن". وأمَّا السبعينية وكذلك الترجوم فقد ترجمها: "اقبلوا التعليم". أمَّا ترجمة سيماخوس وجيروم فوضَّحتها هكذا: «اعبدوا بنقاوة». وكذلك ترجمة أكويلا أعطت: "قبِّلوا باختياركم"، والسريانية أعطت: "قبِّلوا الابن". ولكن جيروم في ترجمته اقتنع بأنها: "اعبدوا الابن" ولكنه عاد وحذفها لتشككه وجعلها: "اعبدوا بنقاوة". ولكن من الأسهل أن نجعلها "قبِّلوا الابن" بدلاً من معانٍ كثيرة غير مقبولة ولكن اختلاف المعاني لا يُخرج المزمور عن ماسيَّانيته.

«لئلاَّ يغضب»:

والفاعل هنا هو يهوه نفسه وفي كل المواضع التي ورد فيها هذا الفعل وُجِدَ "الله" هو الفاعل.

«فتبيدوا من الطريق»:

وهكذا ينتهي سعيهم إلى الخراب.

«لأنه عن قليل يتقد غضبه»:

والأفضل أن تُقرأ: "بسرعة" أو "بسهولة". وأمَّا اتقاد غضب الرب فهو مثل ما جاء في مزمور (١٤:٨٣):

+ «كنار تحرق الوعر كلهيب يشعل الجبال».

وأيضاً (إش ٢٧:٣٠):

+ «هوذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنارٍ آكلة».

«طوبى لجميع المتكلين عليه»:

والأفضل أن تُقال: "سعداء هم الذين يحتمون فيه". فالاتكال يحمل معنى الاحتماء. مثل مزمور

(١:٧):

+ «يا رب إلهي، عليك **توكَّلت**. خلِّصني من كل الذين يطردونني ونجِّني».

وأيضاً (قض ١٥:٩):

+ «فقال العوسج للأشجار: إن كنتم بالحق تمسحونني ملكاً فتعالوا **واحتموا** تحت ظلِّي».

وأيضاً مزمور (١:٥٧):

+ «ارحمني يا الله ارحمني، لأنه بكَ **احتمت** نفسي».

نعم نهنئ كل الذين يحتمون فيه، وحمايته في قبول تسلُّطه المطلق. ولكن المعنى الروحي وارد. مثل مزمور (٨:٣٤):

+ «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكِّل عليه».

وأيضاً ناحوم (٧:١):

+ «صالح هو الرب حصنٌ في يوم الضيق وهو يعرف المتوكِّلين عليه».

المزمور الثالث

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ حِينَمَا هَرَبَ مِنْ وَجْهِ أَبْشَالُومَ ابْنِهِ

١- «يَا رَبُّ، مَا أَكْثَرَ مُضَايِقِيَّ! كَثِيرُونَ قَائِمُونَ عَلَيَّ.
٢- كَثِيرُونَ يَقُولُونَ لِنَفْسِي: "لَيْسَ لَهُ خَلاَصٌ بِإِلهِهِ". سِلاَهْ.
٣- أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتُرْسٌ لِي. مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي.
٤- بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ فَيُجِيبُنِي مِنْ جَبَلِ قُدْسِهِ. سِلاَهْ.
٥- أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. اسْتَيْقَظْتُ لأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي.
٦- لاَ أَخَافُ مِنْ رِبْوَاتِ الشُّعُوبِ الْمُصْطَفِّينَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلِي.
٧- قُمْ يَا رَبُّ! خَلِّصْنِي يَا إِلهِي! لأَنَّكَ ضَرَبْتَ كُلَّ أَعْدَائِي عَلَى الْفَكِّ.
٨- هَشَّمْتَ أَسْنَانَ الأَشْرَارِ. لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ عَلَى شَعْبِكَ بَرَكَتُكَ. سِلاَهْ».

دراسة:

المزمور الثالث والمزمور الرابع متصلان معاً ويلزم دراستهما معاً. الأول تسبحة الصباح بعد ليل انقضى بهدوء في وسط المخاطر، والآخر مزمور المساء بعد أن تكون المخاطر ولو أنها قليلة ولكنها مرَّت سريعاً. وروح المزمورين وظروفهما واحدة، وهناك تشابه في اللغة والتركيب: قارن ما جاء في (مز ٣:١) "هؤلاء مضايقيَّ الذين يضايقونني" مع (مز ٤:١): «في الضيق»، و(مز ٣:٢) مع (مز ٤:٦): «كثيرون يقولون»، (مز ٣:٣) مع (مز ٤:٣)، (مز ٣:٥) مع (مز ٤:٨).

ومن تركيبهما يظهر أن المؤلِّف لهما واحد في نفس المناسبة، وأن المؤلِّف له وظيفة عالية (٣:٦) ويتكلَّم بنبرة آمر (٤:٢)، وقد هوجم بواسطة الأعداء. ويظهر أنهم ليسوا غرباء من (٣: ١و٦)، والهدف الذي يسعون إليه باطل، وبلا مبدأ (٤: ٢و٤و٥)، وتبدو حالته ميئوس منها (مز ٣:٢)، ولكن بإيمان غير مهتز يعود ويذكر نجاة سابقة، وبثقة كلية يرمي نفسه على يهوه للحماية والخلاص.

ونحن بدون صعوبة نقبل أن يكون المزمور الثالث لداود حينما هرب من أبشالوم ابنه، والمزمور الثالث يحمل مضمون الرابع معه. وبخصوص هذا الهروب بمفرده يوجد ما يشابهه في (٢صم ١٥-١٨)، ونتحقَّق من ذلك بقراءة هذين المزمورين في ضوء هذه الأصحاحات الخاصة بهروب داود من ابنه أبشالوم من حيث اللفظ والحيوية وتخريب موقفه وعدم العرفان من الناس. وحتى نقدِّر قوة إيمانه وكرم

مشاعره اللتين تظهران في هذين المزمورين. ولكن غياب أي إشارة إلى أبشالوم أمر طبيعي: قارن: (٢صم ١٨:٣٣):

+ «فانزعج الملك وصعد إلى علية الباب وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشَّى يا ابني أبشالوم يا ابني يا ابني أبشالوم، يا ليتني مُتُّ عوضاً عنك يا أبشالوم ابني يا ابني».

ويُقترح أن المزمور الثالث كان هو في الصباح بعد الليلة الأُولى بعد هروب داود من أُورشليم، أمَّا الليلة فقد أمضاها في عبور الأُردن بناءً على الرسالة العاجلة التي أتته من حوشاي سريعاً: (٢صم ١٧: ١٥-٢٢):

+ «وقال حوشاي لصادوق وأبياثار الكاهنين كذا وكذا أشار أخيتوفل على أبشالوم وعلى شيوخ إسرائيل وكذا وكذا أشرتُ أنا. والآن أرسلوا عاجلاً وأخبروا داود قائلين لا تَبت هذه الليلة في سهول البرية بل اعبر لئلاَّ يُبتَلَعَ الملِكُ وجميع الشعب الذي معه. وكان يوناثان وأخيمعص واقفين عند عين رُوجَلَ فانطلقت الجارية وأخبرتهما وهما ذهبا وأخبرا الملك داود. لأنهما لم يقدرا أن يُرَيَا داخلَيْن المدينة. فرآهما غُلامٌ وأخبر أبشالوم. فذهبا كلاهما عاجلاً ودخلا بيت رجُلٍ في بحوريم. وله بئرٌ في دارِه فنزلا إليها. فأخذت المرأة وفرشَت سَجْفاً على فمِ البئر وسَطَحَتْ عليه سميذاً فلم يُعلَم الأمر. فجاء عبيد أبشالوم إلى المرأة إلى البيتِ وقالوا أين أخيمعصُ ويوناثان. فقالت لهم المرأة قد عبرا قناة الماء. ولمَّا فتشوا ولم يجدوهما رجعوا إلى أُورشليم. وبعد ذهابهم خرجا من البئر وذهبا وأخبرا الملك داود وقالا لداود قوموا واعبروا سريعاً الماء لأن هكذا أشار عليكم أخيتوفل. فقام داود وجميع الشعب الذي معه وعبروا الأُردن وعند ضوء الصباح لم يبق أحدٌ لم يعبر الأُردن».

ونفكر أن الصباح بعد ليلة مشابهة بعد ذلك، ربما الليلة الثانية التي لها علامة تعب بالنسبة للانزعاجات الفجائية في الليلة الأُولى.

أمَّا المزمور الرابع فقد كُتب بعد ذلك بقليل عند توقُّف داود وقتاً ليتأمَّل في الأخلاق الحقيقية للثائر، ربما عند محنايم التي كانت مقر قيادته بعض الوقت (٢صم ٧:٢٤).

وبينما المزمور الثاني يصف مملكة الرب ومسيحه مهدَّدة بالأعداء من الخارج، فإن الثالث والرابع يذكران وقتاً عندما كان الخطر من العدو في الداخل. وكل المزامير الثلاثة ملهمة باقتناع أن الخطوط البشرية لا توقف الغرض الإلهي.

والمزمور ينقسم إلى أربع وقفات كل واحدة منتهية بـ"سلاه" ما عدا الثالثة:

١ ـ الحزن الحاضر (١و٢).

٢ ـ الله هو منبع الحماية والمعونة (٣و٤).

٣ ـ الثقة وسط المخاطر (٥و٦).

٤ ـ الصلاة للخلاص وبركة الشعب (٧و٨).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

الحزن الحاضر (١و٢):

١ ـ «يَا رَبُّ، مَا أَكْثَرَ مُضَايِقِيَّ! كَثِيرُونَ قَائِمُونَ عَلَيَّ.
٢ ـ كَثِيرُونَ يَقُولُونَ لِنَفْسِي: "لَيْسَ لَهُ خَلاَصٌ بِإِلهِهِ". سِلاَهْ.»:

داود يضع حاجته أمام يهوه، فهو مهدَّد بالثائرين الذين يجتمعون كل ساعة ويجمعون أعضاءً جدداً، وهو يضع مظلمته أمام الله وينطقها بفم يائس.

«يا رب ما أكثر مضايقيَّ»:

أُولئك الذين يضايقونني، أصحاب المصائب الذين يحزنونني يكثرون، كثيرون هم المتآمرون. وأقوياء، لأنهم يزيدون كل ساعة مع أبشالوم، وإذ برسالة جاءت سريعاً لداود تقول إن قلب شعب إسرائيل قد ذهب وراء أبشالوم وهم يزدادون. انظر: (٢صم ١٥: ١٢و١٣):

+ «وكانت الفتنة شديدة وكان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم. فأتى مخبر إلى داود قائلاً إن قلوب رجال إسرائيل صارت وراء أبشالوم».

«كثيرون قاموا عليَّ»:

الثائرون في زيادة مطلقة ويجمعون قوة. والجملة تفيد أنهم ضد الحكومة كما ورد في (٢صم ١٨: ٣١و٣٢):

+ «وإذا بكوشي قد أتى وقال كوشي لِيُبشَّر سيدي الملك لأن الرب قد انتقم لك اليوم من جميع القائمين عليك. فقال الملك لكوشي أسلام للفتى أبشالوم. فقال كوشي ليكن كالفتى أعداء سيدي الملك. وجميع الذين قاموا عليك للشر».

أمَّا الأصدقاء فقلبهم في إغماء إزاء الأعداء السفهاء مثل شمعي بن جيرا الذي تنبأ أن مصائب الملك هي تأديب من الله على سابق جرائمه. انظر: (٢صم ١٦:٨):

+ «قد ردَّ الرب عليك كل دماء بيت شاول الذي ملكت عوضاً عنه وقد دفع الرب المملكة ليد أبشالوم ابنك. وها أنتَ واقع بشرِّك لأنك رجل دماء».

«كثيرون يقولون لنفسي»:

النفس تمثِّل الإنسان باعتبارها حياته ذات تفكير وإحساس.

«ليس له خلاص بإلهه»:

بمعنى روحي تجاه الله وليس الناس، فكل المعونة الإلهية والبشرية لم تأتِهِ عند حاجته. ولكن داود يشرح ثقته الشخصية وتأكيده (٨) أو كأنه يطلب معونة (٤)، وهو يستخدم اسم يهوه وهو اسم الله المعلن لموسى عند إعطائه العهد (خر ٣: ١٤).

الله هو منبع الحماية والمعونة (٣و٤):

٤ ـ «أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتُرْسٌ لِي. مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي.
٥ ـ بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ فَيُجِيبُنِي مِنْ جَبَلِ قُدْسِهِ. سِلاَهْ.»:

الناس يقولون إن الله قد تركه، ولكنه يعرف أن هذا ليس صحيحاً.

«أمَّا أنت يا رب فترسٌ لي»:

والمعنى أنه ترس يحوطني مثل وعد الله لإبراهيم (تك ١٥: ١):

+ «صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام. أنا ترسٌ لك أجرك كثير جداً».

وأيضاً (تث ٣٣: ٢٩):

+ «طوباك يا إسرائيل مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك».

وأيضاً (مز ١٨: ٢):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي إلهي صخرتي به أحتمي ترسي وقرن خلاصي وملجإي».

«مجدي»:

إن كرامة ملك إسرائيل إنما هو يهوه الذي يمثِّله. انظر (مز ٢١: ٥):

+ «عظيم مجده بخلاصك جلالاً وبهاءً تضع عليه».

وأيضاً (مز ٧:٦٢):

+ «على الله خلاصي ومجدي صخرة قوتي محتماي في الله».

«ورافع رأسي»:

حقيقة معروفة وداود لا يزال يثق أن الله الذي رفعه من درجته الواطية إلى مجد الملوكية ونجّاه من أعماق أتعابه في الزمان الماضي، يقدر أيضاً الآن أن يخلّصه ويعيده إلى تاجه. (انظر ٢صم ٢٥:١٥):

+ «فقال الملك لصادوق: أرجع تابوت الله إلى المدينة. فإن وجدت نعمة في عيني الرب فإنه يرجعني ويريني إيّاه ومسكنه».

«بصوتي إلى الرب أصرخ فيجيبني»:

عودة إلى خبراته السابقة، كيف استجاب الله لصلواته: «عندما يدعوه» (مز ٣:٤) وتفيد التكرار أنه استجاب. انظر (مز ٧:٢٧):

+ «استمع يا رب. بصوتي أدعو فارحمني واستجب لي».

وأيضاً (مز ١٥:٩١):

+ «يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق أنقذه وأُمجّده».

«من جبل قدسه»:

انظر (مز ٦:٢):

+ «أمّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي».

صهيون مكان تابوت العهد الذي كان رمزاً لحضرة الله كمركز يدير منه كل مهامه الأرضية.

انظر (مز ٧:١٤):

+ «ليت من صهيون خلاص إسرائيل. عند رد الرب سبي شعبه، يهتف يعقوب ويفرح إسرائيل».

وأيضاً (مز ٢:٢٠):

+ «ليرسل لك عوناً من قدسه ومن صهيون ليعضدك».

ويُحتمل أن في هذا تلميح إلى أن عودة التابوت إلى أُورشليم بعيداً عن داود. انظر (٢صم ٢٥:١٥): هو الذي تسبَّب في عدم شجاعة أتباعه فهو يؤكّد لهم أن غيبته لا تقلّل من قوة يهوه للمعونة.

الثقة وسط المخاطر (٥و٦):

٥ – «أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. اسْتَيْقَظْتُ لأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي.

٦ – لاَ أَخَافُ مِنْ رِبْوَاتِ الشُّعُوبِ الْمُصْطَفِّينَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلِي»:

ليس فقط في السابق ولكن خبرة الحاضر تحقّق الثقة.

«أنا اضجعت ونمت»:

إن الهدوء الذي به يستريح في مواجهة المخاطر كان برهاناً عملياً لإيمانه.

«استيقظت لأن الرب يعضدني»:

الفعل هنا يكشف أنها عملية دائمة لعناية الله التي أقامته. انظر (مز ٣٧: ١٧و٢٤):

+ «لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب ... إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده».

وأيضاً مزمور (٦:٧١):

+ «عليك استندت من البطن وأنت مخرجي من أحشاء أُمي».

وأيضاً (مز ١٤:١٤٥):

+ «الرب عاضد كل الساقطين ومقوِّم كل المنحنين».

«لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفين عليَّ من حولي»:

انظر (مز ٣:٢٧):

+ «إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن».

هؤلاء مع أبشالوم، ولولا أن الرب أبطل مشورة أخيتوفل لكانوا قد طغوا على داود بلا جهد: (٢صم ١٧: ١–١٤) ولكنهم وقفوا و لم يأخذوا بمشورة أخيتوفل أن يضربوا الملك وتكف حرب الشعب.

الصلاة للخلاص وبركة الشعب (٧و٨):

٧ – «قُمْ يَا رَبُّ! خَلِّصْنِي يَا إِلهِي! لأَنَّكَ ضَرَبْتَ كُلَّ أَعْدَائِي عَلَى الْفَكِّ. هَشَّمْتَ أَسْنَانَ الأَشْرَارِ.

٨ – لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ عَلَى شَعْبِكَ بَرَكَتُكَ سِلاَهْ»:

ينتهي المزمور بصلاة للخلاص كما في الماضي ولبركة الشعب.

«قم يا رب»:

الافتتاحية التي يقولها الشعب في مارش لمسيرة إسرائيل، ولها ذكريات جميلة للخلاص والنصرة. انظر (عد ١٠:٣٥):

+ «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يا رب فلتتبدَّد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك».

وأيضاً (مز ١:٦٨):

+ «يقوم الله، يتبدَّد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه».

«لأنك ضربت كل أعدائي على الفك»:

ومرَّة أخرى تذكاراً للماضي كأساس للصلاة حيث وضع يهوه أعداءه في الخزي والفضيحة وحطم قوتهم، والضربة على الفك هي قمة التحقير. انظر: (مرا ٣:٣٠):

+ «يعطي خدَّه لضاربه، يشبع عاراً».

وأيضاً: (مي ١:٥):

+ «الآن تتجيَّشين يا بنت الجيوش. قد أقام علينا مترسة. يضربون قاضي إسرائيل بقضيب على خدِّه».

وتظهر أن كل قوة المقاومة قد ذهبت، كوحش هائج تحطَّمت قوَّته فجأة. انظر: (مز ٦:٥٨):

+ «اللهم كسِّر أسنانهم في أفواههم. اهشم أضراس الأشبال يا رب».

وهذه عادية من فم داود. انظر: (١صم ١٧: ٣٤و٣٥):

+ «فقال داود لشاول كان عبدك يرعى لأبيه غنماً فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع. فخرجت وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه ولمَّا قام عليَّ أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته».

«للرب الخلاص»:

الكلمة تعني أيضاً: "النصرة" ولكن في الصلاة تأتي "خلَّص". وأساسها الخلاص من الحالة الموروط فيها والمحاصر وأن يعطيه الله القوة للحركة، وهي تأتي من يهوه فقط كعلامة لرحمته.

«على شعبك بركتك»:

هذا الدعاء يكشف عن نبل داود كملك حقيقي الذي يفضِّل بركة شعبه أكثر من سلامته وهي تشمل المتورِّطين في الثورة ولكنهم ضُلِّلوا ليقفوا ضد ملكهم، لأن الثورة قد قادها جماعة قليلة وليس كل الشعب. انظر: (٢صم ٩:١٩):

+ «وكان جميع الشعب في خصام في جميع أسباط إسرائيل قائلين إن الملك قد أنقذنا من يد أعدائنا وهو نجَّانا من يد الفلسطينيين».

المزمور الرابع

في الترجمة العربية: لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى "ذَوَاتِ الأَوْتَارِ". مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ.

وفي الأصل العبري: لرئيس الموسيقيين على Neginoth. مزمور لداود.

ولكن العنوان يلزم أن يكون: لرئيس الموسيقيين على الآلات ذات الأوتار. مزمور لداود.

١- «عِنْدَ دُعَائِي اسْتَجِبْ لِي يَا إِلهَ بِرِّي. فِي الضِّيقِ رَحَّبْتَ لِي. تَرَاءَفْ عَلَيَّ وَاسْمَعْ صَلاَتِي.

٢- يَا بَنِي الْبَشَرِ، حَتَّى مَتَى يَكُونُ مَجْدِي عَاراً؟ حَتَّى مَتَى تُحِبُّونَ الْبَاطِلَ وَتَبْتَغُونَ الْكَذِبَ؟ سِلاَهْ.

٣- فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَيَّزَ تَقِيَّهُ. الرَّبُّ يَسْمَعُ عِنْدَمَا أَدْعُوهُ.

٤- ارْتَعِدُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. تَكَلَّمُوا فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى مَضَاجِعِكُمْ وَاسْكُتُوا. سِلاَهْ.

٥- اذْبَحُوا ذَبَائِحَ الْبِرِّ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ.

٦- كَثِيرُونَ يَقُولُونَ: "مَنْ يُرِينَا خَيْراً؟" ارْفَعْ عَلَيْنَا نُورَ وَجْهِكَ يَا رَبُّ.

٧- جَعَلْتَ سُرُوراً فِي قَلْبِي أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِهِمْ إِذْ كَثُرَتْ حِنْطَتُهُمْ وَخَمْرُهُمْ.

٨- بِسَلاَمَةٍ أَضْطَجِعُ بَلْ أَيْضاً أَنَامُ، لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ مُنْفَرِداً فِي طُمَأْنِينَةٍ تُسَكِّنُنِي».

دراسة:

يُظن أيضاً أنه لداود على حادثة أبشالوم ولكن بعدها بعدة أيام، وهي ذكرى تعمَّقها إحساسه متذكراً عمل الثائرين. والمزمور يفصح عن روح غضب إنسان بار يرتفع فوق مستوى التحقيق.

وكما في المزمور الثالث بالنسبة لوضع "سلاه" يقسِّم المزمور كالآتي:

١ ـ نداء إلى الله وتوبيخ الثوّار (١و٢).

٢ - أخلاق الثوار مكشوفة (٣و٤).

٣ - الطريق الأفضل موصوف (٥و٦).

٤ - تفوُّق الفرح للثقة الكاملة (٧و٨).

ومعظم الشُّرَّاح يقسِّمون المزمور كالآتي:

١ ـ نداء إلى الله (١).

٢ - توبيخ الأعداء (٢ـ٥).

٣ ـ تفوُّق الفرح الذي يعطيه الله (٦ ـ٨).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

نداء إلى الله (١):

١ - «عِنْدَ دُعَائِي اسْتَجِبْ لِي يَا إِلهَ بِرِّي. فِي الضِّيقِ رَحَّبْتَ لِي. تَرَاءَفْ عَلَيَّ وَاسْمَعْ صَلاَتِي»:

«استجب لي»:

جاءت في السبعينية: "عندما ناديتُ استجبت لي" وفيها زمن الفعل متناسب مع الجزء الثاني من الآية: «رحَّبت لي».

«يا إله برِّي»:

داود واثق من أصالة قلبه وعدالة قضيته، والله وحده هو الذي ينظر ويساعد لحقِّه وعدالة قضيته يكشفها علناً في نظر الناس عندما ينصر قضيته. انظر: (مز ٨:٧):

+ «الرب يدين الشعوب. اقض لي يا رب كحقي ومثل كمالي الذي فيَّ».

وأيضاً (١مل ٨:٣٢):

+ «فاسمع أنت في السماء واعمل واقضِ بين عبيدك إذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على رأسه وتبرِّر البار إذ تعطيه حسب برِّه».

«رحَّبت لي»: enlarged me

جعلتني في سعة. ولكن ربما تؤخذ الكلمات بمعنى: يا مَنْ سبق أن وسَّعت لي، أي يعطي سبباً آخر لدعاء الله اعتماداً على استجابته في الضيقة السالفة، وخاصة مع الصلة بما حدث في الأيام السالفة. وهذه الحقيقة في إخراجه من الضيقة ربما تعود إلى موقف الجيش الذي أُقحم بالأعداء في ضيق يصعب الفرار منه. انظر: (١صم ٢٣: ٢٦):

+ «فذهب شاول على جانب الجبل من هنا وداود ورجاله على جانب الجبل من هناك وكان داود يفر في الذهاب من أمام شاول. وكان شاول ورجاله يحاوطون داود ورجاله لكي يأخذوهم».

«تراءف عليَّ واسمع صلاتي»:

كلمة: «تراءف» توضِّح تدخُّل نعمة مجَّاناً وهي شيء آخر غير الغفران. انظر: (خر ٣٤: ٦):

+ «فاجتاز الرب قدَّامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء».

وأيضاً (مز ٨٦:١٥):

+ «أمَّا أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة والحق».

توبيخ الأعداء (٢-٥):

٢ - «يَا بَنِي الْبَشَرِ، حَتَّى مَتَى يَكُونُ مَجْدِي عَاراً؟ حَتَّى مَتَى تُحِبُّونَ الْبَاطِلَ وَتَبْتَغُونَ الْكَذِبَ؟ سِلاَهْ»:

«يا بني البشر، حتى متى يكون مجدي عاراً؟»:

الآن يلتفت لكي يوبِّخ الثائرين ويفصل القادة عن بقية الشعب فهو يستخدم bnê îsh أي: ”أناس ذوو درجة عالية“ بدلاً من bnê âdâm أي ”أُناس في درجة منخفضة“. كذلك قوله: «يا بني البشر» يأتي في مقارنة مع الله المدافع عن قضيته.

«مجدي»:

ويقصد مكانته في وسط الشعب، لأن الملك له كرامة يهوه.

«حتى متى تحبون الباطل»:

الثورة نفسها هي الباطل ومكتوب لها السقوط وتقابل في المزمور الثاني قيام الأُمم. انظر: (مز ٢:١):

+ «لماذا ارتجت الأُمم وتفكر الشعوب في الباطل؟».

وهي كذب لأنها قائمة على أساس مبدأ خاطئ وطمع، جامعة نفسها فوق الملك المختار، ومن جهة أخرى تصف مقاصد أبشالوم لإهانة الملك ولقلب رئاسته. انظر: (٢صم ١٥: ٢-٤):

+ «وكان أبشالوم يبكِّر ويقف بجانب طريق الباب وكل صاحب دعوى آت إلى الملك لأجل الحكم كان أبشالوم يدعوه إليه ويقول من أي مدينة أنت. فيقول من أحد أسباط إسرائيل عبدك. فيقول أبشالوم له: انظر أمورك صالحة ومستقيمة ولكن ليس مَنْ يسمع لك من قبل الملك».

والكلام يشير إلى الغاية التي يطلبونها.

٣- «فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَيَّزَ تَقِيَّهُ. الرَّبُّ يَسْمَعُ عِنْدَمَا أَدْعُوهُ.

٤ - ارْتَعِدُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. تَكَلَّمُوا فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى مَضَاجِعِكُمْ وَاسْكُتُوا. سِلاَهْ. (قبل أن يفوت الوقت)»:

«فاعلموا»:

وتفيد أن يفحصوا الأمر وينفصلوا: «قد ميَّز» انظر: (مز ١٧:٧):

+ «ميِّز مراحمك، يا مخلِّص المتكلين عليك بيمينك من المقاومين».

وأيضاً (مز ١٣٩:١٤):

+ «أحمدك من أجل أني امتزتُ عجباً».

«تقيه»:

الكلمة العبرية مشتقة من: hesed التي تعني بالإنجليزية: mercy أي: ”رحمة“. وتفيد إنساناً محباً لله وتابعاً له أو مرحوماً وموضوع محبة الله وتمييزه.

«ارتعدوا ولا تخطئوا»:

صوت الضمير يُسمع في الهدوء بالليل ويقنعكم بالحق.

«واسكتوا»:

توقَّفوا عن أفكاركم المجنونة.

٥ - «اذْبَحُوا ذَبَائِحَ الْبِرِّ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ»:

يخاطب الثوار بأن يسلكوا بحسب الروح والحق. انظر: (تث ٣٣: ٩و١٠):

+ «الذي قال عن أبيه وأُمه لم أرهما وبإخوته لم يعترف وأولاده لم يعرف. بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك. يعلِّمون يعقوب أحكامك وإسرائيل ناموسك. يضعون بخوراً في أنفك ومحرقات على مذبحك».

وأيضاً (مز ١٩:٥١):

+ «حينئذ تُسرُّ بذبائح البر، محرقة وتقدمة تامة، حينئذ يصعدون على مذبحك عجولاً».

ليقرِّبوا لله بالحق لمعالجة الشر الذي تورَّطوا فيه وليخضعوا لتدبير الله.

تفوُّق الفرح الذي يعطيه الله (٦–٨)

٦ – «كَثِيرُونَ يَقُولُونَ: "مَنْ يُرِينَا خَيْراً؟" ارْفَعْ عَلَيْنَا نُورَ وَجْهِكَ يَا رَبُّ»:

«كثيرون يقولون: مَنْ يُرينا خيراً؟»:

كثيرون من الثائرين حائرين يتمنَّوْنَ أن يعرفوا أين الحق.

«ارفع علينا نور وجهك يا رب»:

داود يدعو بالدعوة الهارونية لهم ولنفسه "علينا". وانظر: (مز ٨٠: ٣و٧و١٩):

+ «يا الله أرجعنا، وأنر بوجهك فنخلص ... يا إله الجنود أرجعنا. وأنر بوجهك فنخلص ... يا رب إله الجنود أرجعنا. أنر بوجهك فنخلص».

انظر: (مز ٣١: ١٦):

+ «أضيء بوجهك على عبدك. خلِّصني برحمتك».

هؤلاء هم الذين لم يأخذوا بعد أي جانب ينتمون إليه: جماعة لداود وجماعة لأبشالوم وهؤلاء حائرون.

٧ – «جَعَلْتَ سُرُوراً فِي قَلْبِي أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِهِمْ إِذْ كَثُرَتْ حِنْطَتُهُمْ وَخَمْرُهُمْ»:

هذا أعظم سرور عند الإسرائيليين – على الأرضيات – ولكن الفرح الأكثر وهو الأعمق بما يعطيه الرب في القلب لأنه عطية الروح. وداود اكتفى بالقليل من الأرضيات في محنايم. انظر: (٢صم ١٧: ٢٧–٢٩):

+ «وكان لمَّا جاء داود إلى محنايم أن شوبي بن ناحاش من ربة بني عمون وماكير بن عميئيل من لودبار وبرزلاي الجلعادي من روجليم قدَّموا فرشاً وطسوساً وآنية خزف وحنطة وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وفولاً وعدساً وحمصاً مشويا. وعسلاً وزبدة وضأناً وجبن بقر لداود وللشعب الذي معه ليأكلوا، لأنهم قالوا الشعب جوعان ومتعب وعطشان في البرية».

٨ – «بِسَلاَمَةٍ اضْطَجِعُ بَلْ أَيْضاً أَنَامُ، لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ مُنْفَرِداً فِي طُمَأْنِينَةٍ تُسَكِّنُنِي»:

بلا خوف ولا قلق يأتي الفرج سريعاً بثقة مطلقة. كثيرون يقولون إن الله تركه. ولكن ثقتي في الرب ودعائي ليهوه كمحامٍ في جانبي. وكلمة منفرداً تعني دون الجميع. انظر: (عد ٢٣: ٩):

+ «إني من رأس الصخور أراه. ومن الآكام أبصره. هوذا شعب يسكن وحده وبين الشعوب لا يُحسب».

وأيضاً: (تث ٣٣: ٢٨):

+ «فيسكن إسرائيل آمناً وحده».

المزمور الخامس

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى *Nehiloth* "ذَوَاتِ النَّفْخِ". مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ.

١- «لِكَلِمَاتِي أَصْغِ يَا رَبُّ. تَأَمَّلْ صُرَاخِي.

٢- اسْتَمِعْ لِصَوْتِ دُعَائِي يَا مَلِكِي وَإِلهِي، لأَنِّي إِلَيْكَ أُصَلِّي.

٣- يَا رَبُّ، بِالْغَدَاةِ تَسْمَعُ صَوْتِي. بِالْغَدَاةِ أُوَجِّهُ صَلاَتِي نَحْوَكَ وَأَنْتَظِرُ.

٤- لأَنَّكَ أَنْتَ لَسْتَ إِلهاً يُسَرُّ بِالشَّرِّ، لاَ يُسَاكِنُكَ الشِّرِّيرُ.

٥- لاَ يَقِفُ الْمُفْتَخِرُونَ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ. أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ.

٦- تُهْلِكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ. رَجُلُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ.

٧- أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ بِخَوْفِكَ.

٨- يَا رَبُّ، اهْدِنِي إِلَى بِرِّكَ بِسَبَبِ أَعْدَائِي. سَهِّلْ قُدَّامِي طَرِيقَكَ.

٩- لأَنَّهُ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهِمْ صِدْقٌ. جَوْفُهُمْ هُوَّةٌ. حَلْقُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. أَلْسِنَتُهُمْ صَقَلُوهَا.

١٠- دِنْهُمْ يَا اَللهُ! لِيَسْقُطُوا مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ. بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ طَوِّحْ بِهِمْ، لأَنَّهُمْ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ.

١١- وَيَفْرَحُ جَمِيعُ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ. إِلَى الأَبَدِ يَهْتِفُونَ وَتُظَلِّلُهُمْ. وَيَبْتَهِجُ بِكَ مُحِبُّو اسْمِكَ.

١٢- لأَنَّكَ أَنْتَ تُبَارِكُ الصِّدِّيقَ يَا رَبُّ. كَأَنَّهُ بِتُرْسٍ تُحِيطُهُ بِالرِّضَا».

دراسة:

صلاة أخرى للصباح يقولها واحد معرَّض للخطر من مكايد غير الأبرار وأعداء متكبِّرين. ويقول العنوان إنها لداود وربما يكون هو كاتبها عندما كان في عهد شاول، أو ربما قبل قيام أبشالوم بثورته بقليل. وفيها الآية (٧) تشير إلى وجود الهيكل وهذا يرجح أنها ليست لداود، ولكن هذا ليس بالتأكيد أنها هذا ليست لداود لأن كلمة بيت الرب لا تشكِّل صعوبة لأنها تستخدم لخيمة الرب والدليل على ذلك: (خر ٢٣:١٩):

+ «أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك».

وأيضاً: (خر ٣٤:٢٦):

+ «أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك».

وأيضاً: (تث ٢٣:١٨):

+ «لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر ما لأنهما كليهما رجس لدى الرب إلهك».

وربما تكون هي الخيمة التي ضربها داود ليضع فيها التابوت على جبل صهيون. انظر: (٢صم ١٢:٢٠):

+ «فقام داود عن الأرض واغتسل وادهن وبدَّل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد».

ولكن يظل السؤال: هل يمكن أن تلك الخيمة التي فيها التابوت تدعى هيكلاً؟ لأن الكلمة العبرية: heykal تفيد مبنىً متسعاً إمَّا هيكلاً أو قصراً. انظر: (مز ٤٥: ٨و١٥):

+ «كل ثيابك مرٌّ وعود وسليخة من قصور العاج سرَّتك الأوتار ... يحضرن بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر heykal الملك».

وربما لا تكون مبنى خاصاً، وهي تستخدم لهيكل شيلوه. انظر: (١صم ١:٩، ٣:٣):

+ «فقامت حنة بعدما أكلوا في شيلوه وبعدما شربوا. وعالي الكاهن جالس على كرسي عند قائمة هيكل الرب ... وقبل أن ينطفئ سراج الله وصموئيل مضطجع في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله».

فربما تكون لا تزال موجودة ويكني بها على خيمة التابوت أيام داود. لذلك يلزم أن نشير إلى المذكور في مزمور (٢٧: ٤و٦):

+ «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي. لكي أنظر إلى جمال الرب، وأتفرَّس في هيكله ... والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأُرنِّم للرب».

إن "بيت الرب" و"هيكله" و"خيمته" كلها تُستخدم بدون تدقيق. وربما على الوجه الأكثر أن في هذا المزمور تأتي مثل ما في مزمور (١١:٤):

+ «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه».

وأيضاً: (مز ١٨:٦):

+ «في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي».

وأيضاً: (مز ٢٩:٩):

+ «صوت الرب يولِّد الأيل، ويكشف الوعور. وفي هيكله الكل قائل مجد».

أي أن يكون بيت الله هو السماء مكان سكنى الله، الذي منه يكون الهيكل الأرضي رمزاً.

والمزمور يُفتتح بصرخة مستعجلة من أجل الاستماع (١-٣)، فيهوه لا يحتمل الشرير (٤-٦)، ولكن صاحب المزمور من خلال محبته الحانية سُمح له ليدخل الحضرة وهو يصلّي لكي يُحفظ من السقوط في مصايد عدوّه اللئيم (٧-٩)، وإن اتهامهم وعقوبتهم تأتي ببرهان من برِّ الله وبرّ حكمه وعقوبته التي تفرح عبيده (١٠-١٢).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «لِكَلِمَاتِي أَصْغِ يَا رَبُّ. تَأَمَّلْ صُرَاخِي.
٢ - اسْتَمِعْ لِصَوْتِ دُعَائِي يَا مَلِكِي وَإِلهِي، لأَنِّي إِلَيْكَ أُصَلِّي.
٣ - يَا رَبُّ، بِالْغَدَاةِ تَسْمَعُ صَوْتِي. بِالْغَدَاةِ أُوَجِّهُ صَلاَتِي نَحْوَكَ وَأَنْتَظِرُ»:

مقدِّمة توسُّل للاستماع جيداً.

«لكلماتي»:

جاءت في الترجمة "لتأملاتي" التي تُستخدم فقط في (مز ٣:٣٩):

+ «حمي قلبي في جوفي. عند لهجي اشتعلت النار. تكلَّمت بلساني».

هنا كلمة "لهجي" تفيد كلام غير مسموع أو صلاة من القلب أو بنغمة منخفضة لحزين كما وصفها جيروم murmur وجاءت في إشعياء «أهدر كحمامة» (إش ١٤:٣٨):

+ «كسنونة مزقزقة هكذا أصيح. أهدر كحمامة. قد ضعفت عيناي. ناظرة إلى العلاء».

«تأمَّل صراخي»:

وجاءت في الترجمة (my cry) وهي تليق بالله للمعونة. انظر (مز ٢٤:٢٢):

+ «لأنه لم يحتقر و لم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه. بل عند صراخه إليه استمع».

وأيضاً: (مز ٢:٢٨):

+ «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بكَ. وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك».

«ملكي وإلهي»:

انظر: (مز ٣:٨٤):

+ «العصفور أيضاً وجد بيتاً، والسنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها. مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي».

اللغة ممتازة إذا كان المؤلِّف هو داود، لأنه يتوسَّل إلى مَنْ يمثله شخصياً.

«يا رب بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجِّه صلاتي نحوك وأنتظر»:

وقد جاءت في السبعينية هكذا: «يا رب في الصباح تسمع صوتي. في الصباح أقف أمامك فتراني».

فكلمة الصباح جاءت مكرَّرة بتأكيد، بمعنى أنه كان أول تفكيري في الصباح هو الصلاة. انظر: (مز ١٧:٥٥):

+ «مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي».

والمزمور لداود أيضاً. وأيضاً: انظر: (مز ١٣:٨٨):

+ «أمَّا أنا فإليك يا رب صرخت، وفي الغداة صلاتي تتقدَّمك».

وأيضاً: (مز ١٦:٥٩):

+ «أمَّا أنا فأُغنِّي بقوتك. وأُرنِّم بالغداة برحمتك».

وأيضاً: (مز ٢:٩٢):

+ «أن يُخبر برحمتك في الغداة، وأمانتك كل ليلة».

وأيضاً: (مز ٨:٥٧):

+ «استيقظ يا مجدي. استيقظي يا رباب ويا عود! أنا أستيقظ سحراً».

٤ - «لأَنَّكَ أَنْتَ لَسْتَ إِلهاً يُسَرُّ بِالشَّرِّ، لاَ يُسَاكِنُكَ الشِّرِّيرُ»:

هنا أساس اعتماد صاحب المزمور على الاستجابة هو قداسة الله وأنه لا يحتمل أي شر.

«إلهاً»:

"إيل" وليست "ألوهيم"، فإذا كان المعنى الأساسي لكلمة "إيل" هو القوة، فاستخدامها هنا له

قيمة لأن القوة بدون صلاح لا تكون لله.

«لا يساكنك الشرير»:

القديس جيروم يصحّحها: "إن الرجل الشرير لا يترل عليك ضيفاً"

انظر (مز ١:١٥):

+ «يا رب مَنْ يترل في مسكنك، مَنْ يسكن في جبل قدسك».

وأيضاً: (مز ٤:٦١):

+ «لأسكنن في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك».

فيلقي حماية لأن القداسة الإلهية للخطاة نار حارقة لا يحتملها الخطاة. انظر: (إش ١٤:٣٣):

+ «ارتعب في صهيون الخطاة. أخذت الرعدة المنافقين. مَنْ منَّا يسكن في نار آكلة. مَنْ منَّا يسكن في وقائد أبدية».

٥ – «لاَ يَقِفُ الْمُفْتَخِرُونَ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ. أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ.

٦ – تُهْلِكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ. رَجُلُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ»:

درجات من صانعي الشر:

«لا يقف المفتخرون قدّام عينيك. أبغضت كل فاعلي الإثم»:

وقد جاءت في ترجمة أخرى الأحمق وهي تفيد المفتخر أو المبتهج. انظر: (مز ٤:٧٥):

+ «قلت للمفتخرين لا تفتخروا وللأشرار لا ترفعوا قرناً».

«تُهلك المتكلّمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب»:

والكاذب وسافك الدماء والماكر لا يقربون إلى الله ويدينهم ويكرههم. انظر: (مز ٣:٥٨):

+ «زاغ الأشرار من الرحم. ضلُّوا من البطن. متكلّمين كذباً».

وأيضاً مزمور (١٤:٧):

+ «هوذا يمخض بالإثم. حمل تعباً وولد كذباً».

٧ – «أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ بِخَوْفِكَ.

٨ – يَا رَبُّ، اهْدِنِي إِلَى بِرِّكَ بِسَبَبِ أَعْدَائِي. سَهِّلْ قُدَّامِي طَرِيقَكَ.

٩ – لأَنَّهُ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهِمْ صِدْقٌ. جَوْفُهُمْ هُوَّةٌ. حَلْقُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ. أَلْسِنَتُهُمْ صَقَلُوهَا»:

في مقارنة بين المطرودين من أمام الله يتقدَّم صاحب المزمور بحريَّة للدخول وهو يصلّي من أجل هداية في القيادة لإنسان محاط بأعداء أشرار.

«أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك»:

لأن **الأشرار محرومون** من حضرة يهوه بسبب رداءة أعمالهم، **أمَّا الرجال الصالحون** فيُصرّح لهم بنعمة يهوه.

«كثرة رحمتك»:

انظر: (مز ١٣:٦٩):

+ «أمَّا أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رِضًى يا الله، بكثرة رحمتك، استجب لي، بحق خلاصك».

وأيضاً: (مز ١٠٦: ٧و٤٥):

+ «آباؤنا في مصر لم يفهموا عجائبك. لم يذكروا كثرة مراحمك فتمرَّدوا عند البحر، عند بحر سوف ... وذكر لهم عهده، وندم حسب كثرة رحمته».

«أسجد في هيكل قدسك بخوفك»:

أي "بمخافة". انظر: (مز ١١:٢):

+ «اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة».

وأيضاً: (عب ١٢: ٢٨و٢٩):

+ «لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نار آكلة».

«يا رب اهدني إلى برك بسبب أعدائي. سهِّل قدّامي طريقك»:

الصلاة من أجل الهداية في الطريق الذي يُرضي الله، وهو أصل وسبب موضوع المزمور ويمثّل الفكر الرئيسي.

«اهدني إلى برك»:

لأن الله بار فهو يطلب الطريق الذي يقوده إلى البر وهو وعد العهد الذي يسعى إليه كل أبراره وقديسيه. انظر: (مز ١:٣١):

+ «عليك يا رب توكَّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك (أو برِّك) نجِّني».

وأيضاً: (مز ٧١:٢):

+ «بعدلك (ببرك) نجني وانقذني. أمل إليَّ أذنك وخلِّصني».

وأيضاً: (مز ١١٩:٤٠):

+ «هأنذا قد اشتهيت وصاياك. بعدلك (ببرك) أحيني».

وأيضاً: (مز ١٤٣: ١و١١):

+ «يا رب اسمع صلاتي، وأصغ إلى تضرُّعاتي. بأمانتك استجب لي بعدلك (ببرك) ...من أجل اسمك يا رب تحييني. بعدلك (ببرك) تُخرج من الضيق نفسي».

«بسبب أعدائي»:

وكأن أعداءه متربِّصون به كنمر وهو يطلب الحفظ. انظر: (مز ٢٧:١١):

+ «علِّمني يا رب طريقك. واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي».

وأيضاً: (مز ٥٤:٥):

+ «يرجع الشر على أعدائي. بحقك أفنهم».

وأيضاً: (مز ٥٩:١٠):

+ «إلهي رحمته تتقدَّمني. الله يريني بأعدائي».

وأيضاً: (مز ٥٦:٢):

+ «تهمَّمني أعدائي اليوم كله، لأن كثيرين يقاومونني بكبرياء».

«سهل قدَّامي طريقك»:

وهي حسب الترجمة الإنجليزية: «اجعل طريقي مستقيماً» لأن الكلمة تفيد طريقاً ممهَّداً ومستقيماً، لأن طريق الإنسان الذي الرب معينٌ له فلا يواجه خطورة السقوط أو التيه «لا تدخلنا في تجربة».

«لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوَّة حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقَّلوها»:

الحلق أو (الحنجرة) هي وسيلة الكلام. انظر: (مز ١١٥:٧):

+ «لها أيدٍ ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشي، ولا تنطق بحناجرها».

وأيضاً: (مز ١٤٩:٦):

+ «تنويهات الله في أفواههم (حناجرهم)، وسيف ذو حدَّين في يدهم».

هذا هو سبب طلبه الهداية والطريق المستقيم، لأن أخلاق أعدائه فيها خيانة، ولا يوجد عندهم استقامة فكر وضمير. وليس شيء يعتمد عليه في مسيرته، ففي عمق قلبهم نيَّة انكساره. فمهم مخيف مؤدِّي إلى الهلاك كقبر مفتوح. وكلامهم أنعم من الزيت.

١٠ – «دِنْهُمْ يَا اللهُ! لِيَسْقُطُوا مِنْ مُؤَامَرَاتِهِمْ. بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ طَوِّحْ بِهِمْ، لأَنَّهُمْ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ.

١١ – وَيَفْرَحُ جَمِيعُ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ. إِلَى الأَبَدِ يَهْتِفُونَ وَتُظَلِّلُهُمْ. وَيَبْتَهِجُ بِكَ مُحِبُّو اسْمِكَ.

١٢ – لأَنَّكَ أَنْتَ تُبَارِكُ الصِّدِّيقَ يَا رَبُّ. كَأَنَّهُ بِتُرْسٍ تُحِيطُهُ بِالرِّضَا»:

ينادي الله لكي ينتبه إلى مكرهم ورداءتهم، ولم يعد يخاف بعد، ولكنه ينطلق في الصلاة العاجلة حتى تحوق طلباته عليهم لأنهم مدانون بخيانة ضد الله نفسه، حتى بهذا يفرح جميع المتَّكلين عليه بالنصرة والحفظ.

«دنهم يا الله»:

أتت الترجمة الإنجليزية: "حطِّمهم يا الله أو امسكهم بجريمتهم وعاقبهم" لأنه بسقوطهم وخيبة أملهم يظهر شرُّهم ويُعرف.

«طوِّح بهم لأنهم تمرَّدوا عليك»:

وجاءت في الترجمة الإنجليزية: «ليت دهاؤهم يقع على رؤوسهم». فينتهي بهم إلى خراب ويسقطوا بمشورتهم ويُطردوا لأنهم لا يستحقون أن يعيشوا على الأرض. انظر: (مز ٦٤:٨):

+ «ويوقعون ألسنتهم على أنفسهم. يُنغض الرأس كل مَنْ ينظر إليهم».

لأنهم ثاروا عليك. انظر: (٢صم ١٥:٣١):

+ «وأُخبر داود وقيل له إن أخيتوفل بين الفاتنين مع أبشالوم. فقال داود حمِّق يا رب مشورة أخيتوفل».

لأن الثورة ضد الملك هي ثورة ضد الله لأنه يمثِّله.

«ويفرح جميع المتكلين عليك»:

ويهتفون دائماً بفرح عندما تحفظهم لأن ذلك يكشف عن صدق الله في مواعيده.

«محبُّو اسمك»:

أي مُحبُّو أقوالك وأعمالك ومواعيدك. انظر: (٦٩:٣٦):

+ «ونسل عبيده يملكونها، ومحبُّو اسمه يسكنون فيها».

وأيضاً: (مز ١١٩:١٣٢):

+ «التفت إليَّ وارحمني كحق محبِّي اسمك».

«لأنك أنت تبارك الصدِّيق يارب. كأنه بترس تحيطه بالرضا»:

كدرع واق يحوِّط الصديق من كل جانب. انظر: (مز ٣٥:٢):

+ «أمسك مجناً وترساً وانهض إلى معونتي».

وأيضاً: (مز ٩١:٤):

+ «بخوافيه يظلِّلك (كنسر) وتحت أجنحته تحتمي. ترس ومجن حقه».

وأيضاً: (١صم ١٧:٧):

+ «وقناة رمحه (حليات) كنول النسَّاجين وسنان رمحه ست مائة شاقل حديد وحامل الترس كان يمشي قدَّامه».

المزمور السادس

لرئيس الموسيقى. على الـ Neginoth (الآلات الوترية) بالشمينيث

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

العنوان يجب أن يُعدَّل إلى: لرئيس الموسيقى على الآلة الوترية. على الثمانية.

١– «يَا رَبُّ لاَ تُوَبِّخْنِي بِغَضَبِكَ، وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ.

٢– ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي ضَعِيفٌ. اشْفِنِي يَا رَبُّ لأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ.

٣– وَ نَفْسِي قَدِ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ فَحَتَّى مَتَى؟

٤– عُدْ يَا رَبُّ نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ.

٥– لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟

٦– تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي.

٧– سَاخَتْ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. شَاخَتْ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِيَّ.

٨– اُبْعُدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الإِثْمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ بُكَائِي.

٩– سَمِعَ الرَّبُّ تَضَرُّعِي. الرَّبُّ يَقْبَلُ صَلاَتِي.

١٠– جَمِيعُ أَعْدَائِي يُخْزَوْنَ وَيَرْتَاعُونَ جِدًّا. يَعُودُونَ وَيُخْزَوْنَ بَغْتَةً».

دراسة:

صاحب المزمور كان في شدَّة الألم المتواصل من جرَّاء مرض جعله على حافة القبر، فكانت أمرُّ تجربة له أنه كان يشعر أن ذلك علامة عدم مسرَّة الله، بالإضافة إلى أعداء ماكرين مقتحمين لآلامه بتعييره بأن الله قد تركه. كانت هذه هي النظرة الطبيعية لصاحب المزمور وحاله. وكثير من الشُّرَّاح أيضاً افتكروا أن مهاجمة الأعداء له كانت هي سبب كثرة شكواه، وأن هذا تسبَّب في أنه جلب عليه أيضاً الحيرة الذهنية التي تسببت في مرضه الحقيقي. ولكن واضح من الآيات (١–٣) أنه يتألَّم من جراء زيارة إلهية مباشرة كان من نتيجتها هذه الشكوى، وقد أُضيف عليها نوع من الاضطهاد، وتألُّمه هو نتيجة هذا الجهد، والتألُّم والضجة من سوء خطة اعتُبرت (كما هو في سفر أيوب) برهاناً أنه نتيجة إدانته. وحينئذ حينما يتألَّم البار يصير معيرة للمبتعدين عن الله، مثلما في مزمور (٤١).

ومن العنوان يظهر أن المزمور لداود، وهناك بعض تصورات خاطئة أن العداوة الحادثة من الأعداء هي أيضاً التي سببت الشكوى وتعود إلى زمن شاول واضطهاده له، ولكن آخرون يظنون أن هذا المزمور مع مزامير أخرى كانت نتيجة المرض الخطير الذي كان يتألّم منه في المدة بين خطيته مع بتشبع وأبشالوم وثورته. ويظهر جلياً أن المزمور هو تسجيل لخبرة شخصية وليس هناك ذكر لآلامه في هذه الضجة التي تصوِّر مريضاً واضطهاد متألّم. وعليك أن تقارن مزمور (٣٠) الذي يقدِّم شكوات مماثلة.

وهذا المزمور هو الأول لسبعة معروفة من زمن قديم في الكنيسة المسيحية ''كمزامير توبة'' وهي مزامير: ٦، ٣٢، ٣٨، ٥١، ١٠٢، ١٣٠، ١٤٣. وهي كلها موصوفة ليوم أربعاء الرماد (بدء الصوم الكبير في الكنيسة الغربية).

والمزمور يقع في ثلاثة أقسام:

١ ـ صراخ لأجل نجاة من عذاب (١-٣).

٢ ـ توسُّل بحرارة للنجاة (٤-٧).

٣ ـ نصرة التأكُّد من استجابة الصلاة والعودة إلى رعاية الله (٨-١٠).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ ـ «يَا رَبُّ لاَ تُوَبِّخْنِي بِغَضَبِكَ، وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ.

٢ ـ ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي ضَعِيفٌ. اشْفِنِي يَا رَبُّ لأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ،

٣ ـ وَنَفْسِي قَدِ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ فَحَتَّى مَتَى؟».

صاحب المزمور يرجو رحمة مسببة بشدة زيارة الله.

والآية الأُولى متركِّزة على ''ليس بغضبك'' و''لا بغيظك''. فهو يشرح أن آلامه الحالية تزيد على حدود تأديب المحبة. انظر: (أي ٥:١٧):

+ «هوذا طوبى لرجل يؤدِّبه الله. فلا ترفض تأديب القدير».

وأيضاً: (أم ٣: ١١و١٢):

+ «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تكره توبيخه، لأن الذي يحبه الرب يؤدِّبه، وكأب بابن يُسرُّ به».

وأيضاً: (إر ١٠: ٢٤):

+ «أدبني يا رب ولكن بالحق لا بغضبك لئلاّ تفنيني».

وأيضاً: (رؤ ٣: ١٩):

+ «إني كل مَنْ أُحبه أوبِّخه وأؤدِّبه. فكن غيوراً وتُب».

وهو يشرحها على أنها علامة على أن غضب الله قد رسى عليه ربما كأيوب، فهو لا يكتشف أي خطية يعزو إليها ما حدث. وعلى الأقل فإن المزمور لا يحتوي على أي اعتراف بخطية. وفي هذه الحالة يُعتبر مقارناً للمزمور (٣٨) المشابه له. والذي يفتتح الكلام بنفس الصيغة. انظر: (مز ٣٨: ١و٢):

+ «يا رب لا توبِّخني بسخطك ولا تؤدِّبني بغيظك، لأن سهامك قد انتشبت فيَّ ونزلت عليَّ يدك».

«ارحمني لأني ضعيف»:

الأفضل: كن كريماً معي فأنا قد ذبلت، لأن الكلمة المترجمة هنا ''ضعيف'' تأتي في مواضع أخرى بمعنى ''يذبل''. انظر: (نا ١: ٤):

+ «يذبل باشان والكرمل وزهر لبنان يذبل».

«اشفني»:

كما يصلّي إرميا النبي. (إر ١٧: ١٤):

+ «اشفني يا رب فأُشفى. خلّصني فَأُخَلَّصَ لأنك أنت تسبيحتي».

وانظر: (أي ٥: ١٨):

+ «لأنه هو يجرح ويعصب. يسحق ويداه تشفيان».

وأيضاً: (مز ٣٠: ٢):

+ «يا رب إلهي، استغثت بك فشفيتني».

وأيضاً: (مز ٤١: ٤):

+ «أنا قلت: يا رب ارحمني. اشفِ نفسي لأني قد أخطأت إليك».

وأيضاً: (مز ١٤٧: ٣):

+ «يشفي المنكسري القلوب ويجبر كسرهم».

«لأن عظامي قد رجفت»:

حتى عمود جسمي الذي عليه أقف قد ناخ وهو قريب من السقوط. انظر: (مز ٢٢:١٤):

+ «كالماء انسكبت. انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي».

علماً بأن العظام في المفهوم العبري تعني كل الجسم الحي للإنسان باعتباره الجزء الأساسي، فالعظام هي قاعدة الصحة وهي قاعدة الألم أيضاً. وقد تأتي بمعنى الإنسان كله. انظر (أم ١٦:٢٤):

+ «الكلام الحسن شهد عسل حلوٌ للنفس وشفاء للعظام».

وأيضاً: (مز ٣٥:١٠):

+ «جميع عظامي تقول: يا رب مَنْ مثلك المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه».

«نفسي قد ارتاعت جدًّا»:

جسمي داخله وخارجه قد انهار. والرب نفسه عبّر عن هذا في آلامه. انظر: (يو ١٢:٢٧):

+ «الآن نفسي قد اضطربت ...».

«حتى متى»:

انظر: (مز ٩٠:١٣):

+ «ارجع يا رب، حتى متى؟ وتراءف على عبيدك».

إلى متى تظل في غضبك إلى متى تُخبِّئ وجهك وترفض سماعي.

٤ - «عُدْ يَا رَبُّ نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ.

٥ - لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟

٦ - تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي.

٧ - سَاخَتْ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. شَاخَتْ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِيَّ».

يجدِّد صلاته ولكن بنبرة أهدأ مع تقديم الأسباب لله:

«عُد يا رب»:

لأن يهوه يبدو قد تركه. انظر: (مز ٢٢:١):

+ «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري؟».

«خلّصني من أجل رحمتك»:

الأصح من أجل لطف محبتك وإحسانك. انظر: (خر ٣٤:٧):

+ «حافظ الإحسان إلى ألوف ...».

وهي الصفة العظمى في سلوك الله مع بني الإنسان.

أمَّا في الآية الخامسة فإنه يبتهل أكثر ليقنع الله أنه «ليس في الموت مَنْ يذكرك» فلا يوجد أي ربح في موته، ويهوه هو الخاسر لأن الإنسان مخلوق ليسبِّح الله، والله يُسر بتسبيح الإنسان، فإن هو ذهب في طريقه إلى الموت فمَنْ بعد يُسبِّح الله على صلاحه ويقيم تسبحته؟ انظر (مز ١٤٥:٧):

+ «ذِكرَ كثرة صلاحك يُبدون. وبعدلك يرنِّمون».

وهنا كما هو في مزمور (٣٠:٩):

+ «ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة؟ هل يحمدك التراب؟ هل يخبر بحقك؟».

وأيضاً في: (مز ٨٨: ١٠-١٢):

+ «أفلعلك للأموات تصنع عجائب؟ أم الأخيلة تقوم تمجدك؟ سلاه. هل يحدَّث في القبر برحمتك. أو بحقك في الهلاك؟ هل تُعرف في الظلمة عجائبك وبرك في أرض النسيان».

وأيضاً في: (إش ٣٨:١٨):

+ «لأن الهاوية لا تحمدك. الموت لا يسبِّحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك».

وأيضاً في سفر أيوب نواجه نفس النظرة اليائسة للحياة بعد الموت. وفيها يشترك اليهود مع بقية العالم القديم. فلا ينظرون إلى الأمام أو إلى النهاية، ولكن الحالة حالمة في ظل الموت لا تستحق اسم الحياة. فالموتى يظنونهم قد قُطعوا من نشاط ومسرَّة، والأسوأ من الكل عدم الوجود في حضرة الله ولا في الشركة معه التي هي روح الحياة.

وإنه من الصعوبة لنا نحن الذين نعيش في نور قيامة المسيح. انظر: (٢تي ١:١٠): «وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلِّصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل». أن نتحقَّق من مقدار العبودية طول الحياة خوفاً من الموت. انظر: (عب ٢:١٥): «ويعتق أُولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية»، وما يقابله الإسرائيلي من معركة إيمانه ليكسر بشجاعة هذه الأغلال.

«في الهاوية»:

والأفضل الكلمة العبرية شاؤل shêôl لتعرِّف سكنى المنتقلين وتساوي في السبعينية hades التي جاءت في العهد الجديد أيضاً والتي نقولها نحن "الجحيم". وكان يُظن أنها هاوية تحت الأرض حيث يتجمع الكل، مكان الحزن والسكون ولكن بلا راحة وبلا سرور أيًا كانت لا مضرة ولا صلاح (أي ٣: ١٣-١٩). انظر: (إش ١٤: ٩):

+ «الهاوية من أسفل مهتزة لك لاستقبال قدومك».

«تعبت في تنهدي»:

تعبه وأنينه لا يهدأ كل ليلة.

«ساخت من الغم عيني، شاخت من كل مضايقي»:

منظر عينيَّ الذابلة تحكي بحق عن حال صحتي وعقلي وجسدي بسبب أُولئك الذين يضايقونني. انظر: (إر ٤٥: ٣):

+ «قد قلت ويل لي لأن الرب قد زاد حزناً على ألمي. قد غُشي عليَّ في تنهدي و لم أجد راحة».

وأيضاً: (مز ٦٩: ٣):

+ «تعبت من صراخي. يبس حلقي. كلَّت عيناي من انتظار إلهي».

٨ – «أُبْعُدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الإِثْمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ بُكَائِي.
٩ – سَمِعَ الرَّبُّ تَضَرُّعِي. الرَّبُّ يَقْبَلُ صَلاَتِي.
١٠ – جَمِيعُ أَعْدَائِي يُخْزَوْنَ وَيَرْتَاعُونَ جِدًّا. يَعُودُونَ وَيُخْزَوْنَ بَغْتَةً»:

«ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم»:

كلمات الرب في اليوم الأخير. انظر: (مت ٧: ٢٣):

+ «فحينئذ أُصرِّح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».

وفي آية (٩) مرَّة أخرى يحكي عن ثقته في إيمانه أن يهوه سمع صلاته وبنفس التأكيد أنه قبل صلاته بترحاب ولن يرفضه. انظر: (١يو ٥: ١٤و١٥):

+ «وهذه هي الثقة التي لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. وإن كنَّا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه».

أمَّا الآية (١٠) فيفضَّل أن تكون في حالة المستقبل: جميع أعدائي سيخزون وسيرتاعون جدًّا ويعودون إلى خلف بسرعة خازين.

والفزع والرعب الذي كان يشكو هو منه في الأول، فإنه في النهاية ينتقل إلى أعدائه حينما يعود الله إلى خادمه، ومهاجموه يرتدون مفضوحين: انظر: (مز ٣٥: ٤و٢٦):

+ «ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكِّرون بإساءتي ... ليخز وليخجل معاً الفرحون بمصيبتي، ليلبس الخزي والخجل المتعظمون عليَّ».

+ «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه».

وأيضاً: (مز ٨٣: ١٧):

+ «ليخزوا ويرتاعوا إلى الأبد وليخجلوا ويبيدوا.» (مز ٥٦: ٩)

المزمور السابع

شَجَوِيَّةٌ لِدَاوُدَ، غَنَّاهَا لِلرَّبِّ بِسَبَبِ كَلاَمِ كُوشَ الْبِنْيَامِينِيِّ

١ – «يَا رَبُّ إِلهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي وَنَجِّنِي،

٢ – لِئَلاَّ يَفْتَرِسَ كَأَسَدٍ نَفْسِي هَاشِماً إِيَّاهَا وَلاَ مُنْقِذَ

٣ – يَا رَبُّ إِلهِي، إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ هذَا. إِنْ وُجِدَ ظُلْمٌ فِي يَدَيَّ.

٤ – إِنْ كَافَأْتُ مُسَالِمِي شَرًّا، وَسَلَبْتُ مُضَايِقِي بِلاَ سَبَبٍ.

٥ – فَلْيُطَارِدْ عَدُوٌّ نَفْسِي وَلْيُدْرِكْهَا، وَلْيَدُسْ إِلَى الأَرْضِ حَيَاتِي، وَلْيَحُطَّ إِلَى التُّرَابِ مَجْدِي. سِلاَهْ.

٦ – قُمْ يَا رَبُّ بِغَضَبِكَ. ارْتَفِعْ عَلَى سَخَطِ مُضَايِقِيَّ وَانْتَبِهْ لِي بِالْحَقِّ أَوْصَيْتَ.

٧ – وَ مَجْمَعُ الْقَبَائِلِ يُحِيطُ بِكَ، فَعُدْ فَوْقَهَا إِلَى الْعُلَى.

٨ – الرَّبُّ يَدِينُ الشُّعُوبَ. اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ.

٩ – لِيَنْتَهِ شَرُّ الأَشْرَارِ وَثَبِّتِ الصِّدِّيقَ. فَإِنَّ فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ.

١٠ – تُرْسِي عِنْدَ اللهِ مُخَلِّصِ مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

١١ – اللهُ قَاضٍ عَادِلٌ، وَإِلهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ.

١٢ – إِنْ لَمْ يَرْجعْ يُحَدِّدْ سَيْفَهُ. مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا،

١٣ – وَ سَدَّدَ نَحْوَهُ آلَةَ الْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً.

١٤ – هُوَذَا يَمْخَضُ بِالإِثْمِ. حَمَلَ تَعَباً وَوَلَدَ كَذِباً.

١٥ – كَرَا جُبًّا. حَفَرَهُ، فَسَقَطَ فِي الْهُوَّةِ الَّتِي صَنَعَ.

١٦ – يَرْجِعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ.

١٧ – أَحْمَدُ الرَّبَّ حَسَبَ بِرِّهِ، وَأُرَنِّمُ لاِسْمِ الرَّبِّ الْعَلِيِّ».

دراسة:

صاحب المزمور هوجم من أعداء لا يرحمون يحاولون أن يقضوا على حياته، يتّهمونه بجرائم شنيعة وهو بحزن يحتج لأنه بريء تمام البراءة، ويدعو الله كقاضٍ أعلى أن يفحص قضيته.

وفي العنوان يشير إلى الحالة التي كُتب فيها المزمور وتسمَّى: شجايون لداود التي بها ترنَّم للرب

بخصوص الكلام الذي قاله كوش البنياميني. وكلمة شجايون قد تعني شعراً عاطفياً بحالة اختطاف كُتب تحت تأثير عاطفة شديدة تُظهر أصلها وكيانها. أمَّا كوش فلم يُذكر عنه أي شيء في أي موضع آخر في العهد القديم. ويظهر أنه كان رجلاً من سبط بنيامين قريباً جدًّا من شاول وأنه دسَّ قولاً لشاول أن داود يخطِّط لقتل الملك شاول، أقوالاً بلا أساس هيجت عليه عقله الملتهب. ومن هذه التهم يشتكي داود. انظر: (١صم ٢٤:٩):

+ «وقال داود لشاول لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيَّتك».

وأيضاً: (١صم ٢٦:١٩):

+ «فالآن فليسمع سيِّدي الملك كلام عبده. فإن كان الرب قد أهاجك ضدِّي فليشتمَّ تقدمة وإن كان بنو الناس فليكونوا ملعونين أمام الرب».

أمَّا كوش نفسه فلا نعرف عنه كما قلنا شيئاً ولا يجوز أن يكون كوشي أي أثيوبي كما يقول جيروم، وكون اسم كوش غير معروف فذلك يوضِّح أن المزمور ضارب في القِدَم.

فالمزمور إذن يرجع إلى هذه المدة التي كان شاول يحاول هو وجماعته أن يصطادوا داود من مكان إلى مكان. والمزمور يعرض مشاعر داود الخاصة جدًّا ويعكس حال تلك المدة كما ذكرنا في سفر صموئيل الأول سابقاً.

والاضطهاد المؤذي الموصوف في المزمور في الأعداد (١و٢) يقابله في (١صم ٢٠: ١و٣١):

+ «فهرب داود من نايوت في الرامة وجاء وقال قدَّام يوناثان. ماذا عملت وما هو إثمي وما هي خطيتي أمام أبيك حتى يطلب نفسي ... لأنه مادام ابن يسَّى حيًّا على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك. والآن أرسل وأْتِ به إليَّ لأنه ابن الموت هو».

وأيضاً في: (١صم ٢٤: ١و١١و١٧):

+ «ولمَّا رجع شاول من وراء الفلسطينيين أخبروه قائلين هوذا داود في برية عين جدي ... فانظر يا أبي انظر أيضاً طرف جبتك بيدي. فمن قطعي طرف جبتك وعدم قتلي إيَّاك اعلم وانظر أنه ليس في يدي شر ولا جرم ولم أخطئ إليك وأنت تصيد نفسي لتأخذها ... ثمَّ قال (شاول) لداود أنت أبرُّ مني لأنك جازيتني خيراً وأنا جازيتك شرًّا».

وأيضاً في: (١صم ٢٦: ١٨و٢٣و٢٤):

+ «ثم قال لماذا سيدي يسعى وراء عبده لأني ماذا عملت وأي شرٍّ بيدي ... والرب يرد على كل

واحد برّه وأمانته لأنه قد دفعك الرب اليوم ليدي ولم أشأ أن أمد يَدي إلى مسيح الرب، وهوذا كما كانت نفسك عظيمة اليوم في عينيَّ، كذلك لتعظم نفسي في عَيْنَي الرب فينقذني من كل ضيق».

والتوسُّل لله كقاضٍ في الأعداد (٦و٨) نجده في (١صم ٢٤: ١٢و١٥):

+ «يقضي الرب بيني وبينك وينتقم لي الرب منك. ولكن يدي لا تكون عليك ... فيكون الرب الديَّان ويقضي بيني وبينك ويرى ويحاكم محاكمتي وينقذني من يدك».

والنشاط والقوة في المزمور تأتي من الظروف الضاغطة للخطر والإحساس بالظلم، وقوة الإيمان في قضاء بر الله هي التي تعطيها الحركة الملهمة.

وفي التقليد اليهودي القديم يُقال هذا المزمور في عيد البيوريم.
والمزمور يقع في قسمين رئيسيين الأول شخصي أساساً والثاني عام.

١ ـ صلاة داود إلى الله ليتدخل لنصرته (١ـ١٠):

بعد توسُّل يقدِّم الاستعجال بسبب الحاجة (١و٢)، واحتجاج حزين لبراءته من الجرائم التي وُضعت ضدَّه (٣ـ٥)، داود يصلِّي لله أن يظهر كقاضٍ وعلناً ليصنع له عدلاً (٦ـ٨)، ثمَّ صلاة للنصرة للبار وعبارة واضحة في الثقة في الله (٩و١٠) ثمَّ ختام للجزء الأول وتكوين الانتقال للجزء الثاني.

٢ ـ تدخُّل الله القضائي (١١ـ١٧):

الرب يُظهر غضبه على الشرير (١١ـ١٣)، والأعمال الدنيئة لها عقابها (١٤ـ١٦)، ويختم بإعطاء المديح ليهوه لإظهار برِّه (١٧).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ ـ «يَا رَبُّ إِلهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي وَنَجِّنِي،
٢ ـ لِئَلاَّ يَفْتَرِسَ كَأَسَدٍ نَفْسِي هَاشِماً إِيَّاهَا وَلاَ مُنْقِذَ»:

صاحب المزمور يصرخ للمعونة، متوكِّلاً على علاقته بيهوه:

«عليك توكَّلت»:

ترجمتها: ‘‘عليك أنا احتميت‘‘. انظر افتتاحية كل من المزامير ١١ و١٦ و٣١ و٥٧ و٧١ و١٤١: ٨. وقد وضع داود نفسه تحت حماية يهوه ويدعوه إليه على أساس العهد بينهما، وكلمة: ‘‘عليك‘‘ ذات معنى خطير.

«كل الذين يطردونني»:

ترجمتها كل الذين يتعقبونني (شاول وكل أتباعه). انظر: (١صم ٢٣: ٢٨):

+ «فرجع شاول عن اتباع داود وذهب للقاء الفلسطينيين».

وأيضاً: (١صم ٢٤: ١٤):

+ «وراء مَنْ خرج ملك إسرائيل. وراء مَنْ أنت مطارد. وراء كلب ميت. وراء برغوث واحد».

وأيضاً: (١صم ٢٥: ٢٩):

+ «وقد قام رجل ليطاردك ويطلب نفسك ولكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك».

وأيضاً: (١صم ٢٦: ١٨):

+ «ثم قال لماذا سيدي يسعى وراء عبده لأني ماذا عملت وأي شرٍّ بيدي».

وفي العدد (٢) يظهر أن أعداءه كثيرون ولكن واحداً بينهم خطير فوق الجميع بسبب عداوته القاسية جدًّا. ربما كوش أو شاول نفسه. انظر: (١صم ٢٠: ١):

+ «فهرب داود من نايوت في الرامة وجاء وقال قدَّام يوناثان ماذا عملت وما هو إثمي وما هي خطيتي أمام أبيك حتى يطلب نفسي».

وأيضاً: (مز ١٠: ٩):

+ «يكمن في المختفى كأسدٍ في عرِّيسه. يكمن ليخطف المسكين».

وأيضاً: (مز ١٧: ١٢):

+ «مثله مثل الأسد القَرِمِ إلى الافتراس، وكالشبل الكامن في عرِّيسه».

وأيضاً: (مز ٢٢: ١٣و٢١):

+ «فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر ... خلِّصني من فم الأسد. ومن قرون بقر الوحش

استجب لي».

٣ – «يَا رَبُّ إِلهي، إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ هذَا. إِنْ وُجِدَ ظُلْمٌ فِي يَدَيَّ.
٤ – إِنْ كَافَأْتُ مُسَالِمِي شَرًّا، وَسَلَبْتُ مُضَايِقِي بِلاَ سَبَبٍ.
٥ – فَلْيُطَارِدْ عَدُوٌّ نَفْسِي وَلْيُدْرِكْهَا، وَلْيَدُسْ إِلَى الأَرْضِ حَيَاتِي، وَلْيَحُطَّ إِلَى التُّرَابِ مَجْدِي. سِلاَهْ»:

نداء المعونة يسنده احتجاج حزين لبراءته. فإن كان هو مجرماً فعلاً لجرائم وُضِعَت عليه فهو مستعد للخضوع والاستسلام حتى ولأعنف أعدائه.

«إن كنت قد فعلت هذا»:

كلمة: ''هذا'' تشير للجرائم التي اتُّهم بها غشًّا بواسطة كوش.

«إن وُجِدَ ظلم في يديَّ»:

هذه وشاية خطأ وموجودة في (١صم ١١:٢٤):

+ «اعلم وانظر أنه ليس في يديَّ شر ولا جرم ولم أخطئ إليك».

وأيضاً: (١صم ١٨:٢٦):

+ «لأني ماذا عملت وأيّ شرٍّ بيدي».

«إن كافأت مسالمي شرًّا»:

إن كنت مخطئاً في كوني سخطت على مَنْ يُسالمني كالذي صنعه شاول ضدِّي. انظر: (١صم ١٧:٢٤):

+ «ثم قال (شاول) لداود أنت أبرُّ مني لأنك جازيتني خيراً وأنا جازيتك شرًّا».

هذا في الحقيقة حق ولكن هناك معنى آخر أيضاً: «إن كنت ظلمت مَنْ يُكافئني شرًّا»، أي أخذت ثأري بيدي. وداود يتبرأ من هذا في (١صم ١٢:٢٤):

+ «يقضي الرب بيني وبينك وينتقم لي الرب منك. ولكن يدي لا تكون عليك».

«وسلبت مضايقي بلا سبب»:

وصحتها في الترجمة ذلك الذي بلا سبب كان سبب مصيبتي، أي عكس ما نُسب إليه. وهو بعيد عن أن يصطنع سخطاً في هياج بل هو أنقذ حياة عدوِّه بالرغم من أن عداوة عدوِّه كانت بلا سبب (والكلام هنا عن ما حدث داخل المغارة مع شاول وفي المعسكر عندما منع داود أتباعه من أن يؤذوا

شاول) (١صم ٢٤: ٤ إلخ، ١صم ٢٦: ٨ إلخ).

وتركيب الكلام محبوك ولكن في سياق المزمور، مع احتجاجه العاطفي للبراءة ويضيف عليه إمكانيته أنه كان قادراً أن ينكِّل بذلك الذي كان بلا سبب يعاديه.

«فليطارد عدوٌّ نفسي وليدركها، وليدس إلى الأرض حياتي، وليحط إلى التراب مجدي»:

الأصح في الترجمة: ليتعقَّب نفسي عدوي ويأخذها، نعم ويدوس حياتي في الأرض أي للموت. انظر: (مز ١٥:٢٢):

+ «يبست مثل شقفة قوتي. ولصق لساني بحنكي وإلى تراب الموت تضعني».

٦ – «قُمْ يَا رَبُّ بِغَضَبِكَ. ارْتَفِعْ عَلَى سَخَطِ مُضَايِقِيَّ وَانْتَبِهْ لِي بِالْحَقِّ أَوْصَيْتَ.
٧ – وَ مَجْمَعُ الْقَبَائِلِ يُحِيطُ بِكَ، فَعُدْ فَوْقَهَا إِلَى الْعُلَى.
٨ – الرَّبُّ يَدِينُ الشُّعُوبَ. اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ»:

يعود يستشعر ببراءته فينادي داود يهوه كقاضي المسكونة أن يمسك بهم ويُعلن حقَّه.

«قم يا رب»:

وكأن الله يمكن أن يكون مناظراً أو يتغافل أو ينام، انظر: (مز ٧:٣):

+ «قم يا رب! خلِّصني يا إلهي! لأنك ضربت كل أعدائي على الفك».

وأيضاً: (مز ١٩:٩):

+ «قم يا رب لا يعتز الإنسان. لتحاكم الأُمم قدامك».

وأيضاً: (مز ٢٣:٤٤):

+ «استيقظ! لماذا تتغافى؟ انتبه! لا ترفض إلى الأبد».

وأيضاً: (مز ٢:٩٤):

+ «ارتفع يا ديَّان الأرض. جاز صنيع المستكبرين».

لكن حارس إسرائيل لا ينعس ولا ينام، انظر: (مز ١٢١: ٣و٤):

+ «لا يدع رجلك تزل. لا ينعس حافظك. إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل».

«بغضبك»:

انظر: مز (٦:١):

+ «يا رب لا توبِّخني بغضبك ولا تؤدِّبني بغيظك».

فالعدل والقداسة حتماً تُنشئ في غيظها غضباً كمحاكم للخطية والخطأ. يجعل الطريق مستقيماً أمام وجه داود، باعتبار أن طريق الرجل الصالح معروف لدى الله حتى لا يكون في خطر أو يفقد طريقه الصحيح. «لا تُدخلنا في تجربة».

«ومجمع القبائل يحيط بك، فعد فوقها إلى العلى»:

منظر القضاء. صاحب المزمور يدعو الشعوب أن تجتمع حول المحكمة ولا فارق بين إسرائيل والأمم، ولكن الله يمارس قضاءه فوق الجميع. ثم يرتفع فوق السموات ويختفي في الأعالي.

«الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقِّي ومثل كمالي الذي فيَّ»:

وهو يتحدَّى ليكون القرار حسب برِّه وحسب أصالة نفسه، لا كونه يدَّعي البر أو الكمال ولكنه يحمل ضميراً خالياً من أي مساس بالله أو تجاه البشر، الأمور التي رفعوها ضدَّه بالخيانة. انظر: (١صم ٢٣:٢٦):

+ «والرب يرد على كل واحد برَّه وأمانته لأنه قد دفعك الرب اليوم ليدي ولم أشأ أن أمد يدي إلى مسيح الرب».

٩ - «لِيَنْتَهِ شَرُّ الأَشْرَارِ وَثَبِّتِ الصِّدِّيقَ. فَإِنَّ فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ.
١٠ - تُرْسِي عِنْدَ اللهِ مُخَلِّصِ مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ»:

وكل طلبه هو جزء قليل من قضيته وهو يصلِّي بالأكثر بالرجاء لتحطيم الشر عموماً ونصرة البر.

وترجمة الآية (٩) الصحيحة: يا ليت الشر والإنسان الأحمق ينتهي من الوجود وليت الصديق يتقوَّم لأن فاحص القلوب والكلى هو الله البار.

وهنا الصلاة تقوم على أساس أن الله بار وفاحص القلوب والكلى فلا شك في إرادته وقدرته على التمييز بين البار والشرير فلا يأتي بحكم جزئي.

«فاحص القلوب والكُلى»:

فكر محبوب من أفكار إرميا النبي، انظر: (إر ٢٠:١١):

+ «فيارب الجنود القاضي العدل فاحص الكلى والقلب دعني أرى انتقامك منهم لأني لك كشفت دعواي».

وأيضاً: (إر ١٠:١٧):

+ «أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله».

وأيضاً: (إر ١٢:٢٠):

+ «فيارب الجنود مختبر الصديق ناظر الكلى والقلب دعني أرى نقمتك منهم لأني لك كشفت دعواي».

والقلب في الفكر اليهودي هو أداة التفكير والإرادة وعليه تتقرر أخلاق الرجل وأخلاقه الدينية أمَّا الكلى فهي قاعدة العواطف. والله يفرِّق بين البار والشرير. انظر: (١صم ٧:١٦):

+ «فقال الرب لصموئيل لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأني قد رفضته. لأنه ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأمَّا الرب فإنه ينظر إلى القلب».

وأيضاً: (إش ١١: ٣):

+ «ولذَّته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه».

«ترسي عند الله. مخلِّص مستقيمي القلوب»:

قد ارتضى أن الله يدافع عنه، انظر: (مز ٧:٦٣):

+ «لأنك كنت عوناً لي، وبظل جناحيك أبتهج».

١١ - «اللهُ قَاضٍ عَادِلٌ، وَإِلهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ.
١٢ - إِنْ لَمْ يَرْجِعْ يُحَدِّدْ سَيْفَهُ. مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا،
١٣ - وَ سَدَّدَ نَحْوَهُ آلَةَ الْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً»:

يقصد حكم الله البار بكل تأكيد. وصحتها «ألوهيم قاضٍ بار. نعم وإيل يسخط كل يوم». ومهما تفكر الإنسان فإن ألوهيم (الله) حكمه بالغضب ضد الشرير لا يستريح قط. فإذا لم يحد الإنسان عن الشر الذي يعمله ويندم، فالله يسن سيفه. نعم وقد أعدَّ قوسه وجعله جاهزاً أن يطلق سهم العقوبة. وهكذا يُوصف الله تحت منظر محارب مجهَّز بسيف ورمح ليُخرج غضبه على الشرير، انظر: (تث ٣٢: ٤١-٤٣):

+ «إذا سننت سيفي البارق وأمسَكَتْ بالقضاء يدي أرد نقمة على أضدادي وأجازي مبغضيَّ أُسكرُ سهامي بدمٍ ويأكل سيفي لحماً بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدو. هلّلوا أيها الأُمم».

وكأن محاكمة الله هي بمثابة الإعداد لتقع على المعتدي.

«وسدَّد نحوه آلة الموت. يجعل سهامه ملتهبة»:

الأصعب من هذا مشاعر الله، لأن الله لا يحب الموت.

١٤ – «هُوَذَا يَمْخَضُ بِالإِثْمِ. حَمَلَ تَعَباً وَوَلَدَ كَذِباً.
١٥ – كَرَا جُبًّا. حَفَرَهُ، فَسَقَطَ فِي الْهُوَّةِ الَّتِي صَنَعَ.
١٦ – يَرْجِعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ»:

هنا وصف لعمل الشرير أنه هو الذي يحصد بالتعب والوجع ولا يؤذي إلاَّ نفسه. انظر: (أي ٣٥:١٥):

+ «حبل شقاوة وولد إثماً وبطنه أنشأ غشًّا».

وأيضاً: (إش ١١:٣٣):

+ «تحبلون بحشيش تلدون قشيشاً نفسكم نار تأكلكم».

وأيضاً: (إش ٤:٥٩):

+ «ليس مَنْ يدعو بالعدل وليس مَنْ يُحاكم بالحق. يتكلَّمون على الباطل ويتكلَّمون بالكذب. قد حبلوا بتعب وولدوا إثماً».

«كرا جباً حفره، فسقطوا في الهوة التي صنع»:

ويمكن أن تُترجم بأكثر صحة: حفر حفرة وعمَّقها ووقع في الحفرة التي صنع.

تصوير أكثر قسوة ووضوحاً فهو يرتب الفخ لاصطياد غيره فيسقط هو في الفخ الذي صنع، انظر: (مز ١٦:٩):

+ «معروف هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يَعْلَقُ بعمل يديه».

وأيضاً: (مز ٦:٥٧):

+ «حفروا قدَّامي حُفرة. سقطوا في وسطها. سلاه».

وأيضاً: (حز ٤:١٩):

+ «فلمَّا سَمِعَتْ به الأُمم (شِبْل) أُخذ في حفرتهم فأتوا به بخزائم ...».

وهكذا تصور الشرير هلاك الآخرين ولكنه يرتد على رأسه قبل أن يكمل مشورته.

١٧ – «أَحْمَدُ الرَّبَّ حَسَبَ بِرِّهِ، وَأُرَنِّمُ لاِسْمِ الرَّبِّ الْعَلِيِّ»:

تسبحة الختام.

أي أسبح لظهور بر الرب وعمله وتحقيقه في قضائه ضد الشرير. وأُرنِّم لاسم الرب العلي لأنه بحكمه البار العادل استعلن اسمه كقاضي المسكونة.

المزمور الثامن

لرئيس الموسيقى على Gittith. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى «الْجَتِّيَّةِ» مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١- «أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ.

٢- مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْداً بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ.

٣- إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا،

٤- فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟

٥- وَ تَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ.

٦- تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

٧- الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ جَمِيعاً، وَبَهَائِمَ الْبَرِّ أَيْضاً.

٨- وَ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَسَمَكَ الْبَحْرِ السَّالِكَ فِي سُبُلِ الْمِيَاهِ.

٩- أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ».

دراسة:

إنه عجب اختيار الانسان من قِبَلِ الرب، ليكون رئيساً يستعلن الرب ومن يمثله على الأرض، هذا هو مقصد المزمور. فلو أن مجد الرب ظاهر ومنطبع على السموات لما جعل الأطفال يسبحونه عنه (١و٢). ورغم اتساع السموات جُعلت خليقة صغيرة مثل الإنسان واقعة تحت ملاحظة اختيار الله (٣و٤)، وقد صنعه على صورته وعيَّنه نائباً له فوق المخلوقات (٥و٦) في جميع أشكال الحياة (٧و٨). فالإنسان ـ وليست الطبيعة ـ هو الذي يُعتبر مركز تفكير الله وذلك في فكر صاحب المزمور.

وفي الحقيقة رغم تأمُّلات السموات بكل غناها وأسرارها وروعتها فقد حوَّل نظرته إلى الإنسان، فالطبيعة رائدة وعجيبة وتعكس عظمة الله، ولكن الإنسان لا يزال أكثر عجباً. ما هو؟ هو ذرة مجرَّدة إن قورن بالأعماق وما تضيفه الأبحاث العلمية الحديثة من خوارق. فالإنسان لا يزال في نظر صاحب المزمور أكثر سراً وأكثر عجباً من هؤلاء وهؤلاء. لأنه هو بالطبيعة أقل من الله، ولكنه تعيَّن ليكون نائباً

له في العالم. فمجد الإنسان هو حقــاً أعجوبة العالم.

وصاحب المزمور ينظر إلى كرامة الإنسان كما كانت في الغرض الأول لله قبل السقوط، بعيداً عن الخطية وعما أضافته على الجنس البشري من حزن، وألم يكن محقاً في ذلك؟

فصورة الله التي تمجد بها الإنسان مُسخت ولكنها لم تتحطَّم، انظر: (١كو ١١: ٧ ؛يع ٣: ٧):

+ «فإن الرجل لا ينبغي أن يغطِّي رأسه لكونه صورة الله ومجده».

+ «لأن كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يُذلَّل وقد تذلل للطبع البشري».

إن عظمة سيادته لم تُنسخ أبداً ... انظر: (تك ٩: ٢):

+ «ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء. مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعتُ إلى أيديكم».

ولكن بتغيُّر الظروف عُدِّلت. فكل الأنبياء والرسل قد رأت بثبات الإيمان أن العودة للإنسان قد تعيَّنت في علاقته بالله والخليقة، انظر: (إش ١١: ٦-٩):

+ «فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمَّن معاً وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان. تربض أولادهما معاً والأسد كالبقر يأكل تبناً. ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان. لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطِّي المياه البحر».

وأيضاً: (رو ٨: ١٨-٢٢):

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا. لأن انتظار الخليقة يتوقَّع استعلان أبناء الله، إذ أُخضعت الخليقة للبطل. ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخَّض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا».

فأغراض الله لم تتوقف أو تتجمَّد بخطية الإنسان. والمزمور في الحقيقة هو نبوَّة ويجد تكميله في الخليقة الجديدة.

وكاتب الرسالة إلى العبرانيين (٢: ٦-٨) ينقل من المزمور الآيات (٤-٦) ثمَّ يعود سفر العبرانيين

يقارن بين سقوط الإنسان مع هذه الرفعة المنتظرة: «على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له ...»، ولكن يستمر ويقول مستخدماً كلمات المزمور من جهة تراكم الخليقة: «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد». ابن الإنسان ممثل الجنس البشري كله استلم كجزاء لطاعته حتى الموت المجد الذي أُعدَّ للإنسان. وفي تمجيده وارتفاعه نرى كما يقول العالِم وستكوت[١] الضمان إن المشورة الإلهية المحبة لن تسقط عن التكميل في المسيح كمكمِّل لها.

كذلك فإن القديس بولس يقتبس النصف الثاني من الآية (٦) كتأكيد لغلبة المسيح النهائية، انظر: (١كو ١٥:٢٧):

+ «لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه ...». وأيضاً: (أف ١:٢٢):
+ «وأخضع كل شيءٍ تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كل شيءٍ للكنيسة».

فإذا كان كل شيء قد أُخضع لآدم الأول الذي سقط خلال الخطية، فكم بالحري يكون خضوعها لآدم الثاني الذي انتصر خلال طاعته وأكمل غاية ونهاية الجنس البشري.

والعنوان الذي أُعطي للمزمور: مزمور لداود وهذا ربما حقيقي، على أن كاتب سفر أيوب قد سجَّل منه الآية (٤)، انظر: (أي ٧:١٧):

+ «ما هو الإنسان حتى تعتبره وحتى تضع عليه قلبك».

ويُعتبر هذا توثيق لدقة العنوان - وداود ألَّف المزمور وهو راعي في ربوع بيت لحم، بكل عمق معانيه وهو يحتوي نضجاً وبساطة.

واستخدام هذا المزمور في الكنيسة في عيد الصعود واضح، لأن في صعود المسيح نرى الإنسان في من أكمل تمثيله وقد تُوِّج بالمجد والكرامة!!

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ»:

(1) Westcott, *Christus Consummator*, p. 21.

الفكر الرئيسي للمزمور ولو أنه يبتدئ بالسموات ولكنه يركِّز على علاقة يهوه بالإنسان ومجده في الأرض.

«أيها الرب سيدنا»:

ويقصد بها مناداة يهوه باسم الرب. وهي في العبرية تأتي "يهوه" و"أدوناي" وتعني بالعبرية: "الرب حاكمنا"، وجعلها جيروم: "*Domine Dominator noster*".

وهكذا يُفتتح المزمور بقوة وإحكام عظيم إذ ينادي يهوه بأنه صاحب السيادة، التي بها ومنها أعطى للإنسان أن يكون وهو نائبه على الأرض صاحب السيادة على الخلائق. وهكذا ولأول مرَّة في سفر المزامير كله يجعل صاحب المزمور الآخرين ينضمون له في مناداة يهوه = أيها الرب ربنا! فهو هنا يتكلَّم بفم الناس أي كل البشرية، انظر: (نح ٨:١٠):

+ «فقال لهم اذهبوا كلوا السمين واشربوا الحلو وابعثوا أنصبة لِمَنْ لم يُعد له لأن اليوم إنما هو مقدَّس لسيدنا، ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم». وأيضاً: (نح ١٠:٢٩):
+ «... ودخلوا في قسم وحلف أن يسيروا في شريعة الله التي أُعطيت عن يد موسى عبد الله وأن يحفظوا ويعملوا جميع وصايا الرب سيدنا وأحكامه وفرائضه». وأيضاً: (مز ١٣٥:٥):
+ «لأني أنا قد عرفت أن الرب عظيم. وربنا فوق جميع الآلهة». وأيضاً: (مز ١٤٧:٥):
+ «عظيم هو ربنا، وعظيم القوة. لفهمه لا إحصاء». وأيضاً: (إش ٢٦:١٣):
+ «أيها الرب إلهنا قد استولى علينا سادة سواك، بك وحدك نذكر اسمك».

«ما أمجد»:

وهي قريبة من الكرامة والعظمة، انظر: (مز ١٠٤:١):

+ «باركي يا نفسي الرب. يا رب إلهي قد عظمت جدًّا. مجداً وجلالاً لبست». وأيضاً: (مز ٧٦:٤):
+ «أبهى أنت. أمجد من جبال السَّلب». "جبال السلب" = جبال الأزل - بالإنجليزية.

وأيضاً: (مز ٩٣:٤):

+ «من أصوات مياه كثيرة، من غمار أمواج البحر، الرب في العُلى أقدر».

«اسمك»:

وهي تعني ذاتك المتعلِّقة بأعمال الخليقة والعناية التي بها أُدركت أخلاق الله، انظر: (مز ٥:١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلّلهم. ويبتهج بك محبّو اسمك».

«حيث جعلت»:

والقريب منها (حب ٣:٣):

+ «جلاله غطّى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه».

«جلاله فوق السموات»:

كلمة: "جلاله" تتضح في (عد ٢٧:٢٠) وذلك حينما اختار الرب يشوع بعد موسى وهكذا قدّمه:

+ «واجعل من هيبتك عليه ...». وأيضاً: (١أي ٢٩:٢٥):
+ «وعظَّم الرب سليمان جدًّا في أعين جميع إسرائيل. وجعل عليه جلالاً ملكياً لم يكن على ملك قبله في إسرائيل». وأيضاً: (مز ٢١:٥):
+ «عظيم مجده بخلاصك، جلالاً وبهاءً تضع عليه». وأيضاً: (دا ١١:٢١):
+ «فيقوم مكانه محتقر لم يجعلوا عليه فخر (جلال) المملكة ويأتي بغتة ويمسك المملكة بالتملقات».

٢ – «مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْداً بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ»:

ويحلو للشارح أن يضم الآية (١) السابقة مع هذه الآية ليضع المقابلة الهائلة بين أعلى وأعظم المخلوقات وهي السموات تمجد الله، وأصغر المخلوقات وهي الأطفال والرضع تقدِّم تسبيحاً ومجداً. وهذا الدوبلكت (المجوز) سيأتي على أساسه آية (٣) مع آية (٤)!

وهذه الآية مذكورة في إنجيل ق. متى (٢١:١٦):

+ «وقالوا له أتسمع ما يقول هؤلاء؟ فقال لهم يسوع: نعم. أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضَّع هيأت تسبيحاً».

وهكذا فهؤلاء المستضعفون جدًّا في بني البشر صيَّرهم الله أعظم من الجبابرة ليُسكتوا ويُخرسوا الذين يقاومون مملكته وينكرون صلاحه.

وهنا يحلو للشارح أن يقارن بين سر الإنسان المخلوق على صورة الله ليعرف الله بأنه هو أعظم من سر السموات بعظمتها واتساعها، وهكذا يكون ما هو روحاني ولا نهائي لهو أعظم من المادي والزمني.

فالإنسان، بل أصغر من في الإنسان الأطفال والرضع هم شهود ناطقون لوجود الله وجلاله. وتسبيح الله بفم الأطفال ليس بواسطة أشعار موزونة متقنة ولكن بلغلغة الطفولة غير المفهومة تأتي منهم

الشهادة لخالقهم محمولة على براءة طفولتهم. هذه كلها قامت في "أوصنا" التي حيّوا بها الرب في دخوله الظافر لأُورشليم بينما كان رؤساء الكهنة والكتبة العلماء محمّدين في وقفتهم الحائرة وعداوتهم المبيتة، انظر: (مت ٢١:١٥):

+ «فلمَّا رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التي صنع والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون أُوصنّا لابن داود غضبوا».

ويأتي شرح ما قدّمه الأطفال والرضع كضعفاء ومستصغري المؤمنين، عندما يصفها بولس الرسول جيداً في (١كو ١: ٢٥–٢٨):

+ «لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس. فانظروا دعوتكم أيها الإخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء. بل اختار الله جُهَّال العالم ليخزي الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود».

نعم وكأن القديس بولس يعلّق على تسبيح الأطفال والرضع!

٣ – «إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا،
٤ – فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟»:

التأمُّل في السموات وجلال قوتها وصاحب المزمور يتعجَّب أن يختار الله الإنسان كموضوع حفظه وعنايته.

«سماواتك»:

السموات المخلوقة بيد الله بكل عظمتها وجلالها تعلن مجد الله. انظر: (مز ٨٩:١١):

+ «لك السماوات، لك أيضاً الأرض. المسكونة وملؤها أنت أسَّستهما». وأيضاً: (أي ٣٨:٣٣):
+ «هل عرفت سُنن السماوات أو جعلت تسلُّطها على الأرض». وأيضاً: (إش ٤٠:٢٦):
+ «ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا مَنْ خلَقَ هذه. مَنْ الذي يخرج بعدد جندها يدعو كلها بأسماءٍ. لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقد أحد».

كل هذا جعل صاحب المزمور يتعجَّب أن الله بحبه هذا يختار الإنسان غير الظاهر على وجه الأرض ويجعله موضوع اهتمامه واعتباره من أن السماوات تعلن مجد الله.

«عمل أصابعك»:

هنا يتأمَّل صاحب المزمور في يد الله كفنَّان، خرجت السموات بجلالها، نجومها وقمرها وشمسها وطبقاتها وسحبها من تحت أصابعه كصنعة صانع حكيم، قدَّم بها نموذجاً لعمله. انظر: (مز ١٩: ١و٢):

+ «السموات تحدِّث بمجد الله، والفلك يُخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يُبدي علماً».

ثمَّ في مزمور آخر يقارن مجد السموات الفاني بمجد الله الباقي. انظر: (مز ١٠٢: ٢٥-٢٧):

+ «من قدَم أسست الأرض، والسماوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيِّرهن فتتغيَّر. وأنت هو وسنوك لن تنتهي».

«فمن هو الإنسان»:

والترجمة الحديثة جعلتها: «مَنْ هو الإنسان المستضعف». اختاره صاحب المزمور في منتهى ضعفه ليقارن به مجد السموات كما صنع أيوب (٤: ١٧-٢٠): وكان الصوت الآتي من الله هكذا:

+ «أ الإنسان أبرّ من الله أم الرجل أطهر من خالقه. هوذا عبيده لا يأتمنهم وإلى ملائكته ينسب حماقة. فكم بالحري سكان بيوت من طين الذين أساسهم في التراب ويسحقون مثل العث. بين الصباح والمساء يحطَّمون. بدون منتبه إليهم إلى الأبد يبيدون».

ولكن نفس أيوب يعود فيعطي الإنسان كرامة بالله هكذا: (أي ١٠: ١٢):

+ «منحتني حياة ورحمة وحَفِظَت عنايتك روحي».

وهوذا الله فعلاً يعتني بالإنسان ويزوره زيارة النعم والافتقاد ويحرس روحه كما يقول أيوب. ويردِّد هذا مزمور آخر متعجِّباً. انظر: (مز ١٤٤: ٣):

+ «يا رب، أي شيء هو الإنسان حتى تعرفه، أو ابن الإنسان حتى تفتكر به». وأيضاً: (إر ١٥: ١٥و١٦):

+ «أنت يا رب عرفت. اذكرني وتعهَّدني وانتقم لي من مضطهديَّ. بطول أناتك لا تأخذني. اعرف احتمالي العار لأجلك. وُجِدَ كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي لأني دُعيت باسمك يا رب إله الجنود».

فكيف يكون الإنسان بهذا الاهتمام منك يا رب.

٥ - «وَ تَنْقُصهُ قليلاً عَنِ الْمَلائكة، وَبمَجْد وَبَهاء تُكَلِّلُهُ.
٦ - تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحت قَدَمَيْهِ»:

يعود صاحب المزمور منذهلاً ويتفكر في خلقة الإنسان كيف منحه الله من مواهب ومركز وسلطان بين كل الخلائق. والتمييز الواضح جداً في خلقة الإنسان أن جعل له صورة الله ومثاله وهذا لم يؤته الملائكة. فالإنسان تُوِّج حقاً وفعلاً ملكاً على الخليقة تلك الملوكية التي استردها له المسيح.

أمَّا الآية (٦) فهنا أيضاً عودة إلى الخلقة. انظر: (تك ١: ٢٦و٢٨):

+ «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلَّطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض. وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ... وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلَّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض».

أمَّا «جعلت كل شيء تحت قدميه» فهي كناية عن الحكم والسلطة، وهذه فقدها الإنسان بخطيته واستردها له المسيح أيضاً بصعوده. وليلاحظ القارئ كيف أن المسيح استردها عملياً ومظهرياً، فلمَّا قام المسيح من الأموات ارتفع إلى أعلا السماوات بالصعود الظاهر، فكانت رجلاه فوق الخليقة كلها مكلَّلاً بالمجد والكرامة وقد استردها كلها للإنسان. «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل.» (أف ٤: ١٠)

٧ - «الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ جَميعاً، وَبَهَائمَ الْبَرِّ أَيْضاً.
٨ - وَ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَسَمَكَ الْبَحْرِ السَّالِكَ في سُبُلِ الْمِيَاهِ»:

كل متعلقات الإنسان كما ذُكر أنه كان سيداً عليها سواء الحيوانات الأليفة أو حتى الحيوانات المتوحشة التي تحوم حول الأرض، ثمَّ طيور السماء، ثمَّ أسماك البحار وكل ما فيها في الأعماق السريَّة للمحيطات. انظر: (تك ١: ٢١):

+ «فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحيَّة الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها». وأيضاً: (تك ٩: ١و٢):

+ «وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء. مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دُفعت إلى أيديكم».

وكل المخلوقات الحيَّة هنا إنما ذُكرت على سبيل المثال «لكل شيء» لسيادة الإنسان على الطبيعة التي كانت فعلاً وبجدارة، فأخضعها الإنسان ومارس سلطانه على كل الخليقة سواء التي استؤنست أو التي اصطيدت وصارت في خدمته. وكما يقول داروِن العالِم المشهور: [حتى وفي حالته البدائية كانت سيادة الإنسان على كل الحيوانات التي ظهرت على الأرض]. وفي أيامنا هذه بعد بحوث كثيرة بحسب القوانين العليا التي للطبيعة وباستخدام القوى الطبيعية العظمى أثبت الإنسان وامتد بسيادته وسلطانه على الجميع.

٩ – «أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ»:

نعم وكيف يختم صاحب هذه المزامير كلامه وتأملاته البديعة إلاّ وبنفس عبارات الاستفهام الوقورة والعجيبة، وبنفس الكلمات التي ابتدأ بها وهي مكرَّرة بتعظيم أكثر بعد أن مرَّ على كل الحقائق التي هي بذاتها تعلن فعلاً أمجاد الله الفائقة.

المزموران التاسع والعاشر

المزمور التاسع	المزمور العاشر
لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «مَوْتِ الابْنِ». مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ	بدون عنوان. مزمور لاحق للمزمور التاسع
١- «أَحْمَدُ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي. أُحَدِّثُ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ.	١- «يَا رَبُّ، لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيداً؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ؟
٢- أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرَنِّمُ لاِسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ.	٢- فِي كِبْرِيَاءِ **الشِّرِّيرِ** يَحْتَرِقُ **الْمِسْكِينُ**. يُؤْخَذُونَ بِالْمُؤَامَرَةِ الَّتِي فَكَّرُوا بِهَا.
٣- عِنْدَ رُجُوعِ **أَعْدَائِي** إِلَى خَلْفٍ، يَسْقُطُونَ وَيَهْلِكُونَ مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ،	٣- لأَنَّ **الشِّرِّيرَ** يَفْتَخِرُ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ، وَالْخَاطِفُ يُجَدِّفُ. يُهِينُ الرَّبَّ.
٤- لأَنَّكَ أَقَمْتَ حَقِّي وَدَعْوَايَ. جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قَاضِياً عَادِلاً.	٤- الشِّرِّيرُ حَسَبَ تَشَامُخِ أَنْفِهِ يَقُولُ: «لاَ يُطَالِبُ». كُلُّ أَفْكَارِهِ أَنَّهُ لاَ إِلهَ.
٥- انْتَهَرْتَ **الأُمَمَ**. أَهْلَكْتَ الشِّرِّيرَ. مَحَوْتَ اسْمَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ.	٥- تَثْبُتُ سُبُلُهُ فِي كُلِّ حِينٍ. عَالِيَةٌ **أَحْكَامُكَ فَوْقَهُ. كُلُّ أَعْدَائِهِ** يَنْفُثُ فِيهِمْ.
٦- **الْعَدُوُّ** تَمَّ خَرَابُهُ إِلَى الأَبَدِ. وَهَدَمْتَ مُدُناً. بَادَ ذِكْرُهُ نَفْسُهُ.	٦- قَالَ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَتَزَعْزَعُ. مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ بِلاَ سُوءٍ».
٧- أَمَّا الرَّبُّ فَإِلَى الدَّهْرِ **يَجْلِسُ. ثَبَّتَ لِلْقَضَاءِ كُرْسِيَّهُ**،	٧- فَمُهُ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَغِشّاً وَظُلْماً. تَحْتَ لِسَانِهِ مَشَقَّةٌ وَإِثْمٌ.
٨- وَهُوَ يَقْضِي لِلْمَسْكُونَةِ بِالْعَدْلِ. يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ.	٨- يَجْلِسُ فِي مَكْمَنِ الدِّيَارِ، فِي الْمُخْتَفَيَاتِ يَقْتُلُ الْبَرِيَّ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ **الْمِسْكِينَ**.
٩- وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُنْسَحِقِ. مَلْجَأً فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ.	٩- يَكْمُنُ فِي الْمُخْتَفَى كَأَسَدٍ فِي عِرِّيسِهِ. يَكْمُنُ لِيَخْطَفَ **الْمِسْكِينَ**. يَخْطَفُ **الْمِسْكِينَ** بِجَذْبِهِ فِي شَبَكَتِهِ
١٠- وَيَتَّكِلُ عَلَيْكَ الْعَارِفُونَ اسْمَكَ، لأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ طَالِبِيكَ يَا رَبُّ.	١٠- فَتَنْسَحِقُ وَتَنْحَنِي وَتَسْقُطُ **الْمَسَاكِينُ** بِبَرَاثِنِهِ.
	١١- قَالَ فِي قَلْبِهِ: «إِنَّ اللهَ قَدْ نَسِيَ. حَجَبَ وَجْهَهُ. لاَ

المزمور التاسع	**المزمور العاشر**
لِإمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «مَوْتِ الابْنِ». مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ	**بدون عنوان. مزمور لاحق للمزمور التاسع**
١١- رَنِّمُوا لِلرَّبِّ السَّاكِنِ فِي صِهْيَوْنَ، أَخْبِرُوا بَيْنَ الشُّعُوبِ بِأَفْعَالِه. ١٢- لأَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالدِّمَاءِ ذَكَرَهُمْ. لَمْ يَنْسَ صُرَاخَ الْمَسَاكِينِ. ١٣- ارْحَمْنِي يَا رَبُّ. انْظُرْ مَذَلَّتِي مِنْ مُبْغِضِيَّ، يَا رَافِعِي مِنْ أَبْوَابِ الْمَوْتِ، ١٤- لِكَيْ أُحَدِّثَ بِكُلِّ تَسَابِيحِكَ فِي أَبْوَابِ ابْنَةِ صِهْيَوْنَ، مُبْتَهِجاً بِخَلاَصِكَ. ١٥- تَوَرَّطَتِ **الأُمَمُ** فِي الْحُفْرَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا. فِي الشَّبَكَةِ الَّتِي أَخْفَوْهَا انْتَشَبَتْ أَرْجُلُهُمْ. ١٦- مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. ضَرْبُ الأَوْتَارِ. سِلاَهْ. ١٧- الأَشْرَارُ يَرْجِعُونَ إِلَى الْهَاوِيَةِ، **كُلُّ الأُمَمِ** النَّاسِينَ اللهِ. ١٨- لأَنَّهُ لاَ يُنْسَى الْمِسْكِينُ إِلَى الأَبَدِ. رَجَاءُ الْبَائِسِينَ لاَ يَخِيبُ إِلَى الدَّهْرِ. ١٩- قُمْ يَا رَبُّ. لاَ يَعْتَزَّ الإِنْسَانُ. لِتُحَاكَمِ **الأُمَمُ** قُدَّامَكَ. ٢٠- يَا رَبُّ اجْعَلْ عَلَيْهِمْ رُعْباً لِيَعْلَمَ **الأُمَمُ** أَنَّهُمْ بَشَرٌ. سِلاَهْ».	يَرَى إِلَى الأَبَدِ». ١٢- **قُمْ يَا رَبُّ**. يَا اللهُ ارْفَعْ يَدَكَ. لاَ تَنْسَ **الْمَسَاكِينَ**. ١٣- لِمَاذَا أَهَانَ الشِّرِّيرُ اللهَ؟ لِمَاذَا قَالَ فِي قَلْبِهِ: «لاَ تُطَالِبُ»؟ ١٤- قَدْ رَأَيْتَ. لأَنَّكَ تُبْصِرُ الْمَشَقَّةَ وَالْغَمَّ **لِتُجَازِيَ** بِيَدِكَ. إِلَيْكَ يُسَلِّمُ الْمِسْكِينُ أَمْرَهُ. أَنْتَ صِرْتَ مُعِينَ الْيَتِيمِ. ١٥- احْطِمْ ذِرَاعَ الْفَاجِرِ. **وَالشِّرِّيرُ** تَطْلُبُ شَرَّهُ وَلاَ تَجِدُهُ. ١٦- **الرَّبُّ مَلِكٌ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ**. بَادَتِ الأُمَمُ مِنْ أَرْضِه. ١٧- تَأَوُّهَ الْوُدَعَاءِ قَدْ سَمِعْتَ يَا رَبُّ. تُثَبِّتُ قُلُوبَهُمْ. تُمِيلُ أُذُنَكَ. ١٨- لِحَقِّ الْيَتِيمِ وَالْمُنْسَحِقِ، لِكَيْ لاَ يَعُودَ أَيْضاً يَرْعَبُهُمْ إِنْسَانٌ مِنَ الأَرْضِ».

ملاحظات هامة

ملاحظات المزمور التاسع	**ملاحظات المزمور العاشر**
[أ] المزمور يختص بالأعداء: الأمم. [ب] مثبت للقضـــاء كرسيه لمحاكمة الأمم (٧). [ج] **قم يا رب** لا يعتز الإنسان للإرعاب في الأمم (١٩). [د] عند رجوع أعدائي إلى خلف يسقطون ويهلكون (٣). والعدو تمّ خرابه إلى الأبد (٦). عدوه الخاص هو هو الأُمم عدو الشعب. [هـ] صلاة لاقتلاع الأمم.	[أ] المزمر يختص بأشرار ومساكين إسرائيل. [ب] الرب قد ملك إلى الدهر والأبد. على إسرائيل للحكم (١٦). [ج] **قم يا رب** يا الله ارفع يدك للبركة ونجاة المساكين (١٢). [د] أحكامك فوقه كل أعدائه ينفث فيهم (٥). لتجازي بيدك (١٤) إليك يسلّم المسكين أمره. أنت صرت معين اليتيم، عداوة داخل الأُمة يجازيها الله. [هـ] صلاة: لا تنسى المساكين.

دراسة:

توجد بالتحقيق علاقة وثيقة بين المزمور التاسع والمزمور العاشر خاصة في الفولجاتا والسبعينية وعند جيروم في النسخة اللاتينية معتبرين أنهما مزمور واحد. وغياب عنوان المزمور العاشر بعكس ما هو معتبر قاعدة في الكتاب الأول للمزامير يوضح أن في الأصل العبري كانا مجموعين في المزمور التاسع. وهما متصلان بواسطة: الشكل واللغة:

١ ـ **الشكل**: حيث تبتدئ الأرباع حروف الألف باء على التوالي، ففي المزمور التاسع نجد أن كل اثنين من الأبيات يبتدئان بأحد الحروف الهجائية ما عدا أن الحرف الرابع "دالت" غائب والحرف الخامس "Hê" مطموس والحرف الحادي عشر "Kaph" موجود على هيئة "Qôph"، وبه ينتهي المزمور التاسع.

أمَّا المزمور العاشر فيبدأ بالحرف الثاني عشر (Lamed) ثمّ تتوقف بعد ذلك الحروف الهجائية المرتبة مع ستة حروف ناقصة، وعند البيت (١٢) نجد أن تركيب المزمور التاسع يظهر من جديد في الأبيات ١٢و١٤و١٥و١٧ إذ تبتدئ بالأربع

حروف الأخيرة للألف باء بحسب الترتيب.

٢ ـ **اللغة**: في أوقات الضيق (مز ٩:٩)، (مز ١:١٠) توجد جملة غريبة، فعوض متضايق توجد في أزمنة الضيق، أو المنسحق (مداس تحت الأقدام) في (مز ٩:٩)، (مز ١٨:١٠) وتوجد في غير ذلك فقط في (مز ٢١:٧٤)، وكلمة إلى الدهر والأبد (مز ٥:٩)، (مز ١٦:١٠)، والاستدعاء أن يقوم: (مز ١٩:٩)، (مز ١٢:١٠).

ولكن بينما التشابه في التركيب واللغة ظاهر جدًّا، ولكن الفرق في النبرة والموضوع واضح بالمثل، وفرادة المؤلف الواضحة جدًّا في (مز ٩: ١ـ٤و١٣و١٤) تختفي في المزمور العاشر، ثمَّ إن المزمور التاسع هو مزمور نصرة شاكرة تتخللها صلاة (١٣و١٩) وغرضها استعلان سيادة الله البار في هزيمة وتحطيم أعداء الدولة، بينما المزمور العاشر صلاة تصف السلوك الهمجي للأشخاص المرفوضين من الله داخل الأُمة وينادي الله حتى لا يتأخر لكي يُثبت برَّه ويظهر نفسه مدافعاً عن الذي بلا دفاع.

والمزموران يقدِّمان صعوبة حرفية ليس لها حل، فربما وَصْف الرجل الشرير (مز ١٠: ٣ـ١١) يكون مأخوذاً من مصدر آخر لأنه يحتوي على صفات خاصة بجوار غيبة ترتيب حروف الألف باء من أرباعه، فلا نعرف هل الأبيات التي تبدأ بالحروف الناقصة ضائعة أو أن الأرباع تغيَّرت لكي تفسح المجال لهذا الوصف أو أنها هكذا من الأول.

والمزمور العاشر يظهر كأنه كامل ونجد أنه من الأفضل أن نعتبره وكأنه ملتصق بسابقه كمرافق. والائتلاف في الفكر واضح، فصاحب المزمور يلاحظ التضارب بين الصالح والشرير في ميدانين في العالم بين إسرائيل والأُمم الوثنية، فإسرائيل بين الذين بلا إله والمفترسين للضعيف وفرائسهم البريئة. فهو يرى سلطان الله واضحاً ومبرهناً في العالم بخذلان أعداء إسرائيل ـ ولكن حينما يعود وينظر إلى التطاحن داخل الأُمة يظهر أن المخطئ هو المنتصر، لذلك يصلِّي لكي يكون هناك مساواة واضحة في عمل سلطان الله داخل الأُمة بعقاب الشرير الذي يتنكَّر لإرادة الله.

هذان المزموران يرجعان لأزمنة متباعدة ولكن التقليد في كونها من أيام داود ربما يكون صحيحاً، **فكاتب المزمور التاسع يتكلَّم بصفته نائباً عن الأُمة بلغة طبيعية كما لملك**. حيث أعداء الأُمة كانوا أعداءه (آية ٣) وقضية الأُمة هي قضيته الشخصية (٤).

هذا المزمور على العموم يحتفل بنصرات داود. انظر: (٢صم ٨). والآية ١٦ من مزمور ١٠ تشير على وجه الخصوص لطرد الفلسطينيين الذين احتلوا الشمال في فلسطين إلى زمن بعد مصيبة جلبوع (١صم ٧:٣١) حيث تمَّ إخضاع اليبوسيين.

وليس من الصعوبة أن نعرف لماذا يشكو من الشرور الموجودة كالتي وُصفت في المزمور العاشر بدون أن يقدر على تصحيحها: فإخفاقات شاول بعد ذلك واعتراض ايشبوشت على داود تركت ارتباكات مدنية خطيرة (١صم ٢٢: ١و٢)، (٢صم ٣: ١و٢٢)، (٢صم ٢٠:٤). وتوجد أدلة أن داود لم يكن في موضع يؤهله ليضبط قوته ويمارس العدالة (٢صم ٣٩:٣، ٢:١٥ إلخ).

والمزمور التاسع هو مؤكد لداود بسبب اتصاله مع المزمور السابع، لأن الكلمات الختامية في مزمور (٧) مأخوذة ومكبرة في مزمور (٩: ١و٢). والمزموران ملهمان بواسطة إلهام حساس بعدالة وبر الله: (مز ٧: ٦ـ١١)، (مز ٩: ٤و٧و٨و١٦و١٩)، وفي المزمورين يوجد ذكر لمؤامرة شريرة مُدبَّرة حول الكاتب (مز ١٤:٧ إلخ)، (مز ١٥:٩ إلخ).

كما يلزم ملاحظة الاتصالات بين (مز ١١:٥، ١٧:٧، ٨: ١و٩، ٩: ١و١٠). وبالأكثر أن في مزمور (١٠) انتصار عدم العدالة يعتبر بنظرة بسيطة أنه خطأ يستدعي التصحيح وليس كما في مزمور (٣٧) أنه أساس عدم الرضا أو كما في مزمور (٧٣) أنه محنة للإيمان.

المزمور التاسع:

نجد أن صاحب المزمور يدور لكي يحيي مديح يهوه للنصر الذي كسب بمعونته (١ـ٤)، وهو يقارن بين انشغال الأُمم في شرها مع السلطان الأبدي للقاضي الحق البار (٥ـ٨)، الذي لم يخفق أبداً في الدفاع عن الإنسان الصالح (٩و١٠)، ثمَّ تجديد للمديح (١١و١٢) متبوعاً بصلاة للمعونة في ساعة الاحتياج (١٣و١٤)، واستعلان قضاء يهوه البار في اندحار الوثنيين يعاد مرة أخرى وينادي به (١٥و١٦). وبعد فصلة موسيقية يستمر المزمور باستدراك يقين القضاء والخلاص (١٧و١٨) وصلاة لكي يتعلَّم الأُمم تفاهة وعدم قدرة إمكانياتهم.

المزمور العاشر:

بعد الصراع الكائن بين إسرائيل والأُمم الذي فيه تنتصر سيادة وسلطان الله، يعود صاحب المزمور إلى تغلُّب الجور والبأس على الحق في إسرائيل نفسها. وهو يعود ويوضح أن يهوه يبدي عدم اهتمام (١و٢) ويصوِّر صورة للإلحاد وبأسه وعدم شفقة الرجل الشرير (٣ـ١١) واستصراخ يهوه أن يتدخل

ويصحح صرخات الخطأ، يتلوها تعبير واثق بأن ليس هناك عدم ملاحظة أو عدم اهتمام من الله (١٢-١٤)، وصلاة من أجل اقتلاع الشر لكي يكمّله يهوه بسلطانه واقتلاع الوثنية من أرضه (١٥و١٦)، وصلاة بإيمان لا يمكن أن تبقى بلا استجابة وحماية السماء ستكون حتماً منتصرة فوق كل قوة أرضية (١٧و١٨).

والعنوان للمزمورين يتحتّم أن يكون: لرئيس الموسيقى على "موت الابن" وهي مقدّمة للحن معروف، والمزمور كان ينبغي أن يُزمَّر له. و"موت الابن" تعني موت الابن ومعروف أنه عدو الأُمة ربما أبشالوم هو المقصود أو ربما جليات كما يقول الترجوم.

وربما يكون قد حدث إفساد للنص وأنه كان أصلاً Alamoth (على الموت) كما هو عنوان لمزمور (٤٦).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

في الأعداد (١-٤) غرض المزمِّر أن يمدح يهوه لإظهار بره حديثاً في كسر **أعدائه**.

ويلاحظ في النص العبري أنه توجد حروف أبجدية تنظم المزمور، فالأربعة السطور الأُولى لها علامة حرف أ א والأربعة أسطر تجمع عددين (١و٢) فقط.

٩: ١ - «أَحْمَدُ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي. أُحَدِّثُ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ.
٩: ٢ - أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرَنِّمُ لاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ»:

«أحمد الرب»:

وصحتها سأعطي الشكر للرب من كل قلبي أي بالقلب وليس بالشفاه، ومن كل القلب معترفاً أن كل الكرامة هي واجبة ليهوه. انظر: (تث ٦:٥):

+ «فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك».

هذه هي الشروط الواجبة للعبادة الحقيقية إذ تقابل الصفات الإلهية أنه كلي المعرفة وأنه إله غيور. انظر: (خر ٣٤:١٤):

+ «فإنك لا تسجد لإله آخر. لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو».

«أحدّث بجميع عجائبك»:

هو اصطلاح خاص لوصف أعمال الله الفريدة من نوعها والعجيبة، سواء في الطبيعة أو في معاملاته مع شعبه. انظر: (خر ٣:٢٠):

+ «فأمد يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم».

خاصة في الضيقات العظمى في تاريخ شعبه. انظر: (مز ٧٨:٤):

+ «لا نخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخِر، مخبرين بتسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنع».

التي تعلن قوته ومحبته وترفع في قلوبهم العجب والتعجُّب لكل مَنْ يراها. والكلمة تشمل المعجزات التي تخص أعمال الله العجيبة ولكن بصورة متسعة. وذكر وتذكار الأعمال العجيبة هو واجب ومسرة قديسي الله.

«أفرح وأبتهج بك»:

وفي الترجمة الإنجليزية R.V. جاءت I exult = أتهلل.

٩: ٣ - «عِنْدَ رُجُوعِ أَعْدَائِي إِلَى خَلْفٍ، يَسْقُطُونَ وَيَهْلِكُونَ مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ،
٩: ٤ - لأَنَّكَ أَقَمْتَ حَقِّي وَدَعْوَايَ. جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِيِّ قَاضِياً عَادِلاً»:

هنا وقفة وتوضع العلامة العبرية بحرف Beth ב التي ترقم أربعة سطور ثانية بعد الأربعة الأُولى.

«من قدام وجهك»:

وجه الرب أو حضرته، وهذا يعني نصرة نقمة الله. انظر: (مز ٣٤:١٦):

+ «وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم».

وفي رجعة العدو إلى الوراء يسقط ويُداس ويُقضى عليه.

في آية (٤) يرى في كسرة أعدائه تدخُّلاً لله في صفِّه وكأن الله قد أصدر الاتهام لصالحه وحكم بالحق. وجلوس الله على الكرسي أو العرش للحكم والقضاء وذلك استجابة لدعائه.

٩: ٥ - «انْتَهَرْتَ الأُمَمَ. أَهْلَكْتَ الشِّرِّيرَ. مَحَوْتَ اسْمَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ.
٩: ٦ - الْعَدُوُّ تَمَّ خَرَابُهُ إِلَى الأَبَدِ. وَهَدَمْتَ مُدُناً. بَادَ ذِكْرُهُ نَفْسُهُ»:

الآية هنا تبدأ بحرف وقفة للعلامة Gimel ג والآية (٦) تبدأ بحرف هت ח

الهلاك الكلي للأعداء الأمم، ويلاحظ القارئ أن أعداء إسرائيل هم أنفسهم أعداء صاحب المزمور وهنا يأتي الحبك أن صاحب المزمور هو داود.

وانتهار وهلاك الأمم الشريرة، حيث الانتهار عند الله معناه إثارة غضب الله لإرسال النقمة والهلاك. ومحو اسمهم إلى الدهر يعني إلغاء الوجود إلى الأبد.

«العدو تمَّ خرابه إلى الأبد»:

وكأنه يخاطب العدو، ولكن الكلام موجَّه لله يهوه مكمِّلاً حكمه لعدو إسرائيل. وهنا الكلام ورد تماماً على عماليق في: (خر ١٧:١٤):

+ «فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب وضعه في مسامع يشوع. فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء».

ملاحظة هامة: وهنا يقترح العالم Delitzsch أنه يمكن وضع حرف واحد متحرِّك في آخر الآية تجعلها ملتصقة بالآية التي بعدها، وحينئذ يظهر المعنى: أمَّا أنت يا الله فباقٍ إلى الأبد.

(٧-١٠) هنا وقفة صغيرة للحرف Wau ו

ويُلاحظ هنا أن محو ذكر الأعداء وتحطيم مدنهم يأتي بعدها في المقابل: «أما الرب فإلى الدهر يجلس».

٩: ٧ - «أَمَّا الرَّبُّ فَإِلَى الدَّهْرِ يَجْلِسُ. ثَبَّتَ لِلْقَضَاءِ كُرْسِيَّهُ،
٩: ٨ - وَهُوَ يَقْضِي لِلْمَسْكُونَةِ بِالْعَدْلِ. يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ»:

والمقارنة جيدة بعد أن يُفني الله أعداء شعبه يجلس قاضياً. انظر: (مز ٢٩:١٠):

+ «الرب بالطوفان جلس، ويجلس الرب ملكاً إلى الأبد».

هنا كما يقول المزمور لأن الله يحكم بالبر فلابد أن يثبِّت كرسيه للقضاء ويقضي للمسكونة οἰκουμένη وسكانها.

٩: ٩ - «وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُنْسَحِقِ. مَلْجَأً فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ.
٩: ١٠ - وَيَتَّكِلُ عَلَيْكَ الْعَارِفُونَ اسْمَكَ، لأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ طَالِبِيكَ يَا رَبُّ»:

يهوه برج حصين عالٍ للمنسحق في أوقات منتهى الضيق، وليت الذين يعرفون اسمه يثقون فيه. وهذه الأعداد (٩و١٠) تبين نتيجة حكم يهوه لخلاص الذين انسحقوا أو ديسوا. انظر: (مز ١٠:١٧و١٨):

+ «قد سمعت يا رب. تُثبِّت قلوبهم. تميل أذنك لحق اليتيم والمنسحق لكي لا يعود أيضاً يرعبهم إنسان من الأرض».

«ملجأ»:

برج عالٍ حصين وهو كناية عن حفظ الله العالي المكين. انظر: (مز ١٨:٢):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجأي».

«أزمنة الضيق»:

كلمة موجودة في (مز ١٠:١):

+ «يا رب لماذا تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في **أزمنة الضيق**؟».

أي في وقت يبدو أن كل رجاء للنجاة قد انقطع. حيث التقهقر أمام المتعقبين.

«العارفون اسمك»:

الذين يدركون صفات الله التي تنكشف من عنايته.

٩: ١١ - «رَنِّمُوا لِلرَّبِّ السَّاكِنِ فِي صِهْيَوْنَ، أَخْبِرُوا بَيْنَ الشُّعُوبِ بِأَفْعَالِهِ.
٩: ١٢ - لأَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالدِّمَاءِ. ذَكَرَهُمْ. لَمْ يَنْسَ صُرَاخَ الْمَسَاكِينِ»:

علامة zayin ז دعوة للمديح.

«الساكن في صهيون»:

السكن الخاص ليهوه منذ أن صار التابوت هناك، وهو رمز وجوده منذ أيام وضع التابوت هناك، انظر: (مز ٧٦:٢):

+ «كانت في ساليم مظلته ومسكنه في صهيون».

وأيضاً: (مز ١٣٢:١٣):

+ «لأن الرب اختار صهيون اشتهاها مسكناً له».

والشاروبيم الذي ظلّل التابوت حيث كرسي أو عرش مجده، انظر: (مز ٨٠:١):

+ «يا راعي إسرائيل اصغ، يا قائد يوسف كالضأن. يا جالساً على الشاروبيم أشرق».

إذ كان له على الأرض ما يشابه السماء، انظر: (مز ٢:٤):

+ «الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم».

ومن هناك أظهر معونته لشعبه، انظر: (مز ٣:٤):

+ «بصوتي إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه».

وأيضاً: (مز ٢٠:٢):

+ «ليرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون ليعضدك».

«الشعوب»:

ليست إسرائيل ولكن الشعوب حولها، يخبرونهم بأعمال يهوه وبقوة عمله مع شعبه إسرائيل، وذلك كخطوة أُولى لتغييرهم، انظر: (مز ١٨:٤٩):

+ «لذلك أحمدك يا رب في الأمم وأُرنّم لاسمك».

وأيضاً: (إش ١٢: ٤و٥):

+ «وتقولون في ذلك اليوم احمدوا الرب ادعوا باسمه عرّفوا بين الشعوب بأفعاله ذكّروا بأن اسمه قد تعالى ... ليكن هذا معروفاً في كل الأرض».

وفي الآية (١٢) هنا أساس الشكر والترنُّم قائم على أساس خبرة محدَّدة: «ذكر ... لم ينسَ». يهوه هو الله المقتص من سافك الدماء، الذي يفحص كل التعديات ضد هبته المقدَّسة أي حياة الإنسان ويسأل عن سلامتهم ورضاهم. وأي صراخ نحو الله للنقمة يجعله ينتقم عن جرائم الاغتصاب والعنف التي تفقد الإنسان استخدام حياته على الوجه الأمثل.

«ذَكَرَهُم»:

الذين يطلبون يهوه وهم المساكين.

«صراخ المساكين»:

وهم بالعبري anavim أو aniyyim بمعنى المنحنين، وهم المتواضعون والودعاء الذين أحفاهم الفقر والعوز أو الضيق أو الاضطهاد. والودعاء والمتواضعون يقابلوننا في المزامير كثيراً وفي الأنبياء، وهم

الذين أحوالهم تحتاج إلى عناية وحفظ من الله ومن الحكام الأبرار، وهم يمثّلون هؤلاء الناس أمام الله، انظر: (مز ٧٢: ٢و٤و١٢-١٤):

+ «يدين (الملك) شعبك بالعدل ومساكينك بالحق ... يقضي لمساكين الشعب، يخلّص بني البائسين ويسحق الظالم ... لأنه ينجّي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس، ويخلّص أنفس الفقراء، من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويُكرم دمهم في عينيه».

هنا يتحدَّث عن الملك الصالح المنتخب من الله.

٩: ١٣ – «ارْحَمْنِي يَا رَبُّ. انْظُرْ مَذَلَّتِي مِنْ مُبْغِضِيَّ، يَا رَافِعِي مِنْ أَبْوَابِ الْمَوْتِ،
٩: ١٤ – لِكَيْ أُحَدِّثَ بِكُلِّ تَسَابِيحِكَ فِي أَبْوَابِ ابْنَةِ صِهْيَوْنَ، مُبْتَهِجاً بِخَلاَصِكَ»:

الحرف heth ה

ما سبق هذه الآيات يخبر عن كيفية إنقاذه التي منحها له الله بالنصرة. ولكن السؤال لماذا إذاً هذه الصلاة فجأة للخلاص؟ إذا اعتبرناها كصرخة لإنسان مصاب في الماضي تبدو غير متوافقة مع قوة اتجاه المزمور. لذلك من الأفضل أن نعتقد أن تذكار المخاطر التي لا تزال تهدده هي التي فجَّرت الصلاة حتى وفي حالة الانتصار. ولكن نجد أنه من المحتمل أنه بتغيير خفيف في النطق يمكن أن تُقرأ الأفعال باعتبارها في الزمن الماضي التام أي أفعال كاملة ومنتهية بدل الأمر مثل: «فهو كان رحيماً معي لأنه نظر مذلتي فرفعني ... إلخ» لذلك نجد أن النسخة اليونانية في أكويلا وأيضاً نسخة جيروم الفولجاتا بحسب القراءة الجديدة قد ترجمتها كذلك.

«ارحمني»:

كن منعماً عليَّ.

«انظر مذلتي من مبغضيَّ»:

انظر إلى المحنة التي أعانيها من مبغضي الذين يكرهونني، انظر: (مز ٣١:٧):

+ «أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتي وعرفت في الشدائد نفسي».

«يا رافعي من أبواب الموت»:

لأنه كان قد نزل وسُحب كأنه داخل إلى مكان سرِّي عرف منه أنه لا إمكانية للرجوع، والأبواب قد انفتحت لإدخاله وليس من مخرج، انظر: (مز ١٠٧: ١٨-٢٠):

+ «كرهت أنفسهم كل طعام واقتربوا إلى أبواب الموت. فصرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلّصهم من شدائدهم. أرسل كلمته فشفاهم ونجّاهم من تهلكاتهم».

وأيضاً: (مت ١٨:١٦):

+ «وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

ولكن ما أكثر الاختلاف عن ذلك في نظرة المسيحيين للقبر وأبواب الموت لأنها ممر إلى قيامة مفرحة!!

«في أبواب ابنة صهيون»:

بكل العمومية، انظر: (مز ١٤:١١٦):

+ «أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه».

لأن أبواب المدينة هي المكان العام للتداول والأعمال التي مثل السوق: "أجورا" في اليونان وروما. والمقابلة بين الطريق المفرح للناس والمدخل المشئوم إلى العالم السفلي واضحة. ويلزم وضع فاصلة بعد تسابيحك.

«ابنة صهيون»:

وهي تصوير شعري بتشخيص المواطنين في المدينة كأفراد، لأنه في الأصل اعتُقد أن صهيون كأم والمواطنين كجماعة كائنة لها. ولكن لتشابه اصطلاح الأرض والناس يمكن بسهولة تبادلهما. وهذا الاصطلاح صار يستخدم للمدينة نفسها، انظر: (إش ٨:١):

+ «فبقيت ابنة صهيون كمظلة في كرم كخيمة في مقثأة كمدينة محاصرة».

و«ابنة صهيون» تقع من آن لآخر في سفر المزامير كابنة صور أو ابنة بابل، انظر: (مز ٨:١٣٧):

+ «يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا».

وبنت أُورشليم وبنت شعبي بكثرة في إشعياء، وإرميا، وميخا، وصفنيا، وزكريا وبخاصة في المراثي.

٩: ١٥ - «تَوَرَّطَتِ الأُمَمُ فِي الْحُفْرَةِ الَّتِي عَمِلُوهَا. فِي الشَّبَكَةِ الَّتِي أَخْفَوْهَا انْتَشَبَتْ أَرْجُلُهُمْ.

٩: ١٦ - مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. ضَرْبُ الأَوْتَارِ. سِلاَهْ»:

وقفة وحرف teth ט

يعود ويصف محاكمة الأشرار.

الأُمم هم الوثنيون، والصورة المعطاة مستعارة من استخدام الحفرة والشبكة في الصيد.

وفي الآية (١٦) قد جعل يهوه نفسه معروفاً بأنه هو الذي أخرج القضاء باصطياد الشرير في عمله الذي صنعته يداه. أمّا إظهار يهوه في القضاء فانظر: (مز ٣:٤٨):

+ «الله في قصورها يُعرف ملجأ (في قلاعها)».

«ضرب الأوتار. سلاه»:

وبالعبري هيجايون higgaion وهو اصطلاح موسيقي أحيانا "حزين" مثل: (مز ٣:٩٢):

+ «على ذات عشرة أوتار وعلى الرباب على عزف العود».

وتأتي معها سلاه كتقدمة للتهليل لإظهار نصرة بر الله.

٩: ١٧ - «الأَشْرَارُ يَرْجِعُونَ إِلَى الْهَاوِيَةِ، كُلُّ الأُمَمِ النَّاسِينَ اللهَ.

٩: ١٨ - لأَنَّهُ لاَ يُنْسَى الْمِسْكِينُ إِلَى الأَبَدِ. رَجَاءُ الْبَائِسِينَ لاَ يَخِيبُ إِلَى الدَّهْرِ»:

وقفة لحرف yod י

نظرة واثقة إلى المستقبل قائمة طبيعياً نتيجة التأمل في يهوه في حكمه الحديث.

«الهاوية»:

شاؤول وهي ليست جهنم كمكان للتعذيب، ولكن المقصود أن الشرير في هذا العالم سينقطع عمره بسرعة بحكم الله، انظر: (مز ١٥:٥٥):

+ «ليبغتهم الموت. لينحدروا إلى الهاوية أحياء لأن في مساكنهم في وسطهم شروراً».

ولكن لماذا العودة (الرجوع):

الإنسان يلزم أن يعود إلى الأرض التي منها أُخذ، إلى التراب الذي منه صُنع إلى ذراته الأُولى، انظر: (تك ١٩:٣):

+ «بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود».

وأيضاً: (مز ٢٩:١٠٤):

+ «تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود».

وأيضاً: (أي ٣٠: ٢٢و٢٣):

+ «حملتني أركبتني الريح وذوبتني تشوها. لأني أعلم أنك إلى الموت تعيدني وإلى بيت ميعاد كل حي».

إن الوجود الظلّي في شاؤل أي الهاوية التي يمر عليها الإنسان عند الموت يُشبَّه بعدم الوجود الذي منه دُعي ليولد، انظر: (أي ١: ٢١):

+ «وقال عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً».

حيث هناك لا يجد أيوب قوة ليصنع شرًّا ولا مسرة لحياة.

«الناسين الله»:

انظر: (مز ٥٠: ٢٢):

+ «افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلاً أفترسكم ولا مُنقذ».

لاحِظ أنه الله وليس يهوه، فالأمم لا يقدرون أن يعرفوه بصفاته التي ليهوه، التي بالاستعلان، ولكن حتى هم لم يترك نفسه بينهم بلا شاهد، انظر: (أع ١٤: ١٧):

+ «مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد».

ولكن أظهر لهم ما يمكن أن يعرفوه عنه، انظر: (رو ١: ١٩-٢٣):

+ «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر. لأنهم لمّا عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء. وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات».

والشر الذي يُعمل بحرية في مقابل شعب الله المختار يشمل أيضاً نسيان الله.

«لأنه لا ينسى المسكين إلى الأبد. رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر»:

الحرف כ

الإنسان ينسى الله ولكن الله لا ينسى الإنسان.

«رجاء»:

الرجاء بفارغ الصبر للذي **ينتظر** الله في الإيمان. انظر قيمة **انتظار الله** في مزمور (٢٥: ٥و٣و٢١):

٥: «دربني في حقك وعلمني. لأنك أنت إله خلاصي. إياك انتظرت اليوم كله».

٣: «أيضاً كل منتظريك لا يخزوا. ليخز الغادرون بلا سبب».

٢١: «يحفظني الكمال والاستقامة لأني انتظرتك».

وأيضاً: (مز ٢٧: ١٤):

+ «انتظر الرب. ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب».

وأيضاً: (مز ٣٧: ٩):

+ «لأن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض».

وأيضاً: (مز ٤٠: ١):

+ «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليَّ وسمع صراخي».

وأيضاً: (مز ١٣٠: ٥):

+ «انتظرتك يا رب. انتظرت نفسي وبكلامه رجوت».

وأيضاً: (إش ٢٥: ٩):

+ «ويُقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه».

وأيضاً: (إش ٢٦: ٨و٩):

+ «ففي طريق أحكامك يا رب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس. بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر».

وأيضاً: (إش ٤٩: ٢٣):

+ «فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه».

«المسكين»:

تُقرأ بحسب التقليد اليهودي: "aniyyim" مهموم ومتضايق، ولو أنها بحسب النص المكتوب:

"anâvîm" أي الوديع.

٩: ١٩ – «قُمْ يَا رَبُّ. لاَ يَعْتَزَّ الإِنْسَانُ. لِتُحَاكَمِ الأُمَمُ قُدَّامَكَ.
٩: ٢٠ – يَا رَبُّ اجْعَلْ عَلَيْهِمْ رُعْباً لِيَعْلَمَ الأُمَمُ أَنَّهُمْ بَشَرٌ. سِلاَهْ»:

العلامة: kaph כ (لكن جاء بدلاً منها q Qoph)

صلاة من أجل اكتمال الحكم والقضاء على الأُمم ليتعلَّموا مقدار ضعفهم البشري.

هنا كلمة الإنسان بالعبرية (enôsh) وتعني الإنسان في ضعفه بالنسبة لله، انظر (٢أي ١٤:١١):

+ «ودعا آسا الرب إلهه وقال: أيها الرب ليس فرقاً عندك أن تساعد الكثيرين ومن ليس لهم قوة. فساعدنا أيها الرب إلهنا لأننا عليك اتكلنا وباسمك قَدِمْنا على هذا الجيش. أيها الرب أنت إلهنا. **لا يقو عليك إنسان**».

فالقوة هي لله، انظر: (مز ٦٢:١١):

+ «مرَّة واحدة تكلَّم الرب وهاتين الاثنتين سمعت أن العزة لله (القوة لله. ترجمة صحيحة)»

ولو أن البشر والأُمم مجرَّبون بأن يفتكروا أن العزة فطرية في أنفسهم، انظر: (مز ٥٢:٧):

+ «هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه بل اتكل على كثرة غناه واعتز بفساده».

لذلك فإن صاحب المزمور يصلّي إزاء هذا التضارب في الكبرياء بين الأُمم أن يتلقَّنوا درساً سلامياً، أن يجتمعوا إلى يهوه وفي حضرته وهناك يحاكمون.

«اجعل عليهم رعباً»:

بإظهار قوته المعجزية ليتأمَّلوها كعجائب الخروج.

شرح وتفسير المزمور العاشر على مستوى كل التوراة

١٠: ١ – «يَا رَبُّ، لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيداً؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ؟
١٠: ٢ – فِي كِبْرِيَاءِ الشِّرِّيرِ يَحْتَرِقُ الْمِسْكِينُ. يُؤْخَذُونَ بِالْمُؤَامَرَةِ الَّتِي فَكَّرُوا بِهَا»:

وقفة وحرف Lamed ל وهنا تتابع للحروف العبرية مع حروف مزمور (٩).

«لماذا تقف بعيدا؟»:

كمتفرج سيان عنده الأمور، غير مبال أو متراخ، انظر: (مز ٣٨:١١):

+ «أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي. وأقاربي وقفوا بعيداً».

وأيضاً: (مز ٢٢:١):

+ «إلهي إلهي لماذا تركتني؟ بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري».

وأيضاً: (إش ٥٩:١٤):

+ «وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً. لأن الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول».

وباقي الصلاة في مزمور (٢٢: ١١و١٩):

+ «لا تتباعد عني لأن الضيق قريب. لأنه لا معين».

+ «أمَّا أنت يا رب فلا تبعد، يا قوتي أسرع إلى نصرتي».

وأيضاً: (مز ٣٥:٢٢):

+ «قد رأيت يا رب. لا تسكت يا سيد لا تبتعد عني».

وأيضاً: (مز ٣٨:٢١):

+ «لا تتركني يا رب. يا إلهي لا تبعد عني».

وأيضاً: (مز ٧١:١٢):

+ «يا الله لا تبعد عني، يا إلهي إلى معونتي أسرع».

وفي مزمور (٧٥:١) نرى عكس ذلك فيُقال إن الله قريب حينما يُظهر قوته:

+ «نحمدك يا الله نحمدك واسمك قريب. يحدِّثون بعجائبك».

«لماذا تختفي في أزمنة الضيق»:

وكأن عينك لا ترى، انظر: (إش ١:١٥):

+ «فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم. وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً».

ونحن في منتهى الضيق وذلك من الخوف والقلق واليأس.

١٠: ٣ – «لأَنَّ الشِّرِّيرَ يَفْتَخِرُ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ، وَالْخَاطِفُ يُجَدِّفُ. يُهِينُ الرَّبَّ»:

وكأن الشرير لا يخجل بل يفتخر بأطماعه الأنانية دون أن يفكر في أن يداري نفسه بل يفتخر بأنه حصل على كل ما تصبو إليه نفسه دون أن يُتعب نفسه بخصوص الله.

«والخاطف يُجدِّف. يهين الرب»:

يمتلك بالقوة وبدون عدل، وحينما يتعدَّى على الفقير فهو في الحقيقة يجدِّف على يهوه، بل وأكثر من ذلك تُحسب محاولة جادة منه لاحتقار الله وإهانته، انظر: (إش ١:٤):

+ «ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مفسدون، تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل. ارتدوا إلى الوراء».

وأيضاً: (إش ٥:٢٤):

+ «لذلك كما يأكل لهيب النار القش ويهبط الحشيش الملتهب يكون أصلهم كالعفونة ويصعد زهرهم كالغبار، لأنهم رذلوا شريعة رب الجنود استهانوا بكلام قدوس إسرائيل».

١٠: ٤ – «الشِّرِّيرُ حَسَبَ تَشَامُخِ أَنْفِهِ يَقُولُ: «لاَ يُطَالِبُ». كُلُّ أَفْكَارِهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ»:

تركيب الجملة هنا غير سلس وعنيف، ويمكن تبسيطها بأن وجه الشرير المحتقر المتشامخ ينم عن أخلاقه، وكل مشاريعه قائمة على أنه لا يطالب بأعماله على أساس أنه ليس إله وأن الله لا يهتم ولا يعاقب، وهي على نمط (مز ٩:١٢):

+ «لأنه مطالب بالدماء. ذَكَرَهُمْ. لم ينسَ صراخ المساكين».

انظر: (مز ١٤:١):

+ «قال الجاهل في قلبه ليس إله. فسدوا ورجسوا بأفعالهم. ليس مَنْ يعمل صلاحاً».

١٠: ٥ – «تَثْبُتُ سُبُلُهُ فِي كُلِّ حِينٍ. عَالِيَةٌ أَحْكَامُكَ فَوْقَهُ. كُلُّ أَعْدَائِهِ يَنْفُثُ فِيهِمْ.
١٠: ٦ – قَالَ فِي قَلْبِهِ: "لاَ أَتَزَعْزَعُ. مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ بِلاَ سُوءٍ"»:

ينجح في كل خططه ولا يعثره الخطر أبداً، انظر: (مز ٥٥:١٩):

+ «الذين ليس لهم تغيُّر ولا يخافون الله».

وأيضاً: (مز ٧٣: ٣-٥):

+ «لأني غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار. لأنه ليست في موتهم شدائد وجسمهم سمين، ليسوا في تعب الناس. ومع البشر لا يصابون».

وأيضاً: (إر ١٢: ١و٢):

+ «أبرٌّ أنت يا رب من أن أخاصمك لكن أكلِّمك من جهة أحكامك. لماذا تنجح طريق الأشرار، اطمأن كل الغادرين غدراً. غرستهم فأصَّلوا، نموا وأثمروا ثمراً. أنت قريب في فمهم وبعيد من كُلاهم».

«عالية أحكامك فوقه»:

يفكر أن الله بعيد هناك في السماء حتى يتدخَّل، ولا يُدخل في حساباته أنه يوجد جزاء من صنف العمل أو يعكر مزاجه، انظر: (أي ٢٢: ٩-١٢).

+ «الأرامل أرْسَلْتَ خاليات وذراع اليتامى انسحقت. لأجل ذلك حواليك فخاخ ويريعك رعب بغتة ... هوذا الله في علوِّ السموات».

«كل أعدائه ينفث فيهم»:

تصحيح أعداء تكون "مصائب". يظهر إزاءهم علامات الاحتقار والمقت بفمه.

«قال في قلبه»:

يقول كلاماً من كلام الأبرار في الاعتماد على الله (كذباً).

«لا اتزعزع من دور إلى دور بلا سوء»:

وحتى إلى كل الأجيال لن أكون في ضيقة. فهو ينتظر أنه يعيش إلى الأبد وينظر إلى الأمام وكأن

النحاح حليفه، انظر: (مز ٤٩: ١١):

+ «باطنهم أن بيوتهم (معيشتهم) إلى الأبد، مساكنهم إلى دور فدور».

١٠: ٧ – «فَمُهُ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَغِشًّا وَظُلْمًا. تَحْتَ لِسَانِهِ مَشَقَّةٌ وَإِثْمٌ»:

«فمه مملوء لعنة وغشًّا»:

انظر: (أي ٣١: ٣٠):

+ «بل لم أدع حنكي يخطئ في طلب نفسه بلعنة».

وأيضاً: (مز ٥٩: ١٢):

+ «خطية أفواههم هي كلام شفاههم ...».

وأيضاً: (مز ٣٨: ١٢):

+ «وطالبو نفسي نصبوا شركاً والملتمسون لي الشر تكلّموا بالمفاسد واليوم كله يلهجون بالغش».

«تحت لسانه مشقّة وإثم»:

تحت لسانه أي في تمام الاستعداد في الحال، فهو مخزن للغش والإثم والتزييف، انظر: (مز ٧: ١٤):

+ «هوذا يمخض بالإثم. حمل تعباً وولد كذباً».

وشرح آخر للعالِم دافيدسن يعتبر أن لسانه مملوء بالشر يحتفظ به تحت لسانه للمسرة، فهو يعتبر اللسان يتكلّم بالشر ويتلذذ بالشر كأنه حلوى تحت لسانه، انظر: (أم ١٩: ٢٨):

+ «الشاهد اللئيم يستهزئ بالحق وفم الأشرار يبلع الإثم».

وكأن الاثم للشرير طعام ممتاز شهي، انظر: (أي ١٥: ١٦):

+ «فبالحري مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء».

ويُلاحَظ أن نصف الآية الأُولى أخذه بولس الرسول وجدل منه فساد الإنسان في (رو ٣: ١٣–١٨):

+ «حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سم الأصلال تحت شفاههم. وفمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. في طرقهم اغتصاب وسحق. وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدّام عيونهم».

١٠: ٨ – «يَجْلِسُ فِي مَكْمَنِ الدِّيَارِ، فِي الْمُخْتَفَيَاتِ يَقْتُلُ الْبَرِيءَ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الْمِسْكِينَ.

١٠: ٩ – يَكْمُنُ فِي الْمُخْتَفَى كَأَسَدٍ فِي عِرِّيسِهِ. يَكْمُنُ لِيَخْطَفَ الْمِسْكِينَ. يَخْطَفُ الْمِسْكِينَ بِجَذْبِهِ فِي شَبَكَتِهِ.

١٠: ١٠ – فَتَنْسَحِقُ وَتَنْحَنِي وَتَسْقُطُ الْمَسَاكِينُ بِبَرَاثِنِهِ.

١٠: ١١ – قَالَ فِي قَلْبِهِ: "إِنَّ اللهَ قَدْ نَسِيَ. حَجَبَ وَجْهَهُ. لاَ يَرَى إِلَى الأَبَدِ"»:

جرائم الشرير، يصفه كشبح مضر قتّال يختفي فعلاً كالأسد ليقتنص، وضحاياه أبرياء بلا دفاع لأنهم فقراء . يجتمع الأشرار جماعات للقنص والسلب وفي غياب نظام للبوليس ينتشرون في الشرق، ولم تخلُ البلاد في إسرائيل منهم في أي وقت وفي أوقات غياب الملكية يتكاثرون بسرعة، انظر: (قض ١١: ٣):

+ «فهرب يفتاح من وجه إخوته وأقام في أرض طوب. فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه».

وأيضاً: (١صم ٢٢: ٢):

+ «واجتمع إليه كل رجل متضايق وكل مَنْ كان عليه دين وكل رجل مُر النفس وكان عليهم رئيساً وكان معه نحو أربع مئة رجل».

أمّا (أم ١: ١٠–١٨) فينبغي دراسته لأنه هام جدًّا بالنسبة لدراسة هذا المزمور:

+ «يا ابني إن تملقك الخطاة فلا ترض. إن قالوا هلم معنا لنكمن للدم لنختفِ للبريء باطلاً، لنبتلعهم أحياء كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب، فنجد كل قنية فاخرة نملأ بيوتنا غنيمة. تُلقي قُرعتك وسطنا. يكون لنا جميعاً كيس واحدٌ. يا ابني لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم، لأن أرجلهم تجري إلى الشر وتُسرع إلى سفك الدم. لأنه باطلاً تنصب الشبكة في عيني كل ذي جناح (الطيور تراهم من فوق). أمّا هم فيكمنون لدم أنفسهم. يختفون لأنفسهم».

بهذا الوصف تنكشف نوع الحياة المنحلة قديماً في زمان عدم الانضباط وكانت تجذب الشباب، انظر: (مي ٢: ١–١٠):

+ «ويلٌ للمفتكرين بالبطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم. فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه. لذلك هكذا قال الرب هأنذا أفتكر على هذه العشيرة بشر لا تزيلون منه أعناقكم ولا

تسلكون بالتشامخ لأنه زمانٌ رديءٌ. في ذلك اليوم يُنطق عليكم بهجو ويُرثى بمرثاة ويُقال خربنا خراباً، بدل نصيب شعبي. كيف يترعه عني، يقسم للمرتد حقولنا. لذلك لا يكون لك من يُلقي حبلاً في نصيب بين جماعة الرب (أي يقسم نصيب).

يتنبَّأون قائلين لا تتنبأوا. لا يتنبأون عن هذه الأمور لا يزول العار.

أيها المسمَّى بيت يعقوب هل قَصُرَتْ روح الرب، أهذه أفعاله. أليست أقوالي صالحة نحو من يسلك بالاستقامة. ولكن بالأمس قام شعبي كعدو. تنزعون الرداء عن الثوب من المجتازين بالطمأنينة (من طلب رداءك فاخلع له الثوب أيضاً) ومن الراجعين من القتال. تطردون نساء شعبي من بيت تنعمهنَّ، تأخذون عن أطفالهنَّ زينتي إلى الأبد. قوموا واذهبوا لأنه ليست هذه هي الراحة. من أجل نجاسة تُهلك والهلاك شديد. لو كان أحد وهو سالك بالريح والكذب يكذب قائلاً أتنبَّأ لك عن الخمر والمسكر لكان هو نبي هذا الشعب».

أليست هذه حالة بلاد كثيرة نهبها الإرهابيون وذبحوا رجالها ونساءها في ختام القرن العشرين. ولكن هذه التي يقولها صاحب المزمور ليست جديدة علينا وكانت حالة الشعب في أيَّامه فعلاً.

أمَّا بالنسبة للآية (٩) فكانت في أيامهم القرى بلا أسوار فكان النهب والسلب والسرقة في النهار وكان الاختباء للإيقاع بالمساكين سهلاً. ووصف الإرهابيون في القديم بالأسد المختفي في عرينه لينقض على فرائسه، أمر فظيع كالوحوش تأكل بعضها بعضاً، ويقبضون على المساكين ويعرّونهم ويأخذون أموالهم ويبيعونهم.

وفي آية (١٠) يصف سقوط المسكين الضعيف على الأرض بعد أن يحنوا ظهره تماماً كما يصيد الأسد الغزال.

أمَّا الآية (١١) فالخطورة في هذا الفكر قوله إنه لا يرى إلى الأبد. ولكن الحقيقة بالعكس، فهو يرى ويجازي في حين لا يعرفه.

١٠: ١٢ – «قُمْ يَا رَبُّ. يَا اللهُ ارْفَعْ يَدَكَ. لاَ تَنْسَ الْمَسَاكِينَ.
١٠: ١٣ – لِمَاذَا أَهَانَ الشِّرِّيرُ اللهَ؟ لِمَاذَا قَالَ فِي قَلْبِهِ: "لاَ تُطَالِبُ"؟»:

فاصل وحرف عبري Qoph ק

«قُم»:

هي دعوة للحركة، انظر: (مز ٧:٣):

+ «قم يا رب خلّصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي على الفك. هشَّمت أسنان الأشرار».

وأيضاً: (مز ٧:٦):

+ «قم يا رب بغضبك. ارتفع على سخط مضايقيَّ وانتبه لي، بالحق أوصيت».

وأيضاً: (مز ٩:١٩):

+ «قم يا رب. لا يعتز الإنسان. لتُحاكَم الأُمم قدامك».

«ارفع يدك»:

طلب التحرُّك من الله مثل (مز ١٣٨:٧):

+ «إن سلكت في وسط الضيق تحييني. على غضب أعدائي تمد يدك، وتخلّصني يمينك».

وأيضاً: (خر ٧:٥):

+ «فيعرف المصريون أني أنا الرب حينما أمد يدي على مصر وأخرج بني إسرائيل من بينهم».

وأيضاً: (مي ٥:٩):

+ «لترتفع يدك على مبغضيك وينقرض كل أعدائك».

وأيضاً: (مز ٧٤:١١):

+ «لماذا ترد يدك ويمينك، أخرجها من وسطِ حضنك. أفن».

«لا تنس المساكين»:

حمَّق افكار الأشرار، يكفي ما لاقاه المساكين من مآسي. هي كفيلة أن تتوسَّل إليك.

«لماذا أهان الشرير الله»:

وكأن الله بعدم التحرُّك والاستجابة يجعل نفسه غير معروف.

١٠: ١٤ – «قَدْ رَأَيْتَ. لأَنَّكَ تُبْصِرُ الْمَشَقَّةَ وَالْغَمَّ لِتُجَازِيَ بِيَدِكَ. إِلَيْكَ يُسَلِّمُ الْمِسْكِينُ أَمْرَهُ. أَنْتَ صِرْتَ مُعِينَ الْيَتِيمِ»:

وقفة لحرف Resh ר

وهي عدد واحد مطول وربما كانت عددين.

«قد رأيت»:

مهما ظن الشرير أنه غير مَرئي متكلّماً من خبرته الخاصة الفاسدة، فالإيمان ينتصر فوق المظاهر، لأن الإيمان يقف على قاعدة صفات الله التي لا تتغير، الذي لا يمكن أن لا يرى أو لا يلاحظ كل ما يجري على الأرض، انظر: (مز ٣٣:١٣):

+ «من السموات نظر الرب. رأى جميع بني البشر».

وأيضاً: (مز ٣٥:٢٢):

+ «قد رأيت يا رب، لا تسكت يا سيد لا تبتعد عني».

وأيضاً: (مز ٩٤:٩):

+ «الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يُبصر؟».

«لتجازي بيدك»:

فبعد أن يرى الله يستلم الأمر بيده ولا يخيب من أن يجازي ويكون معيناً للذي بلا معين (اليتيم)، انظر: (ملا ٣:٥):

+ «وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين أجرة الأجير الأرملة واليتيم ومن يصد الغريب ولا يخشاني، قال رب الجنود».

١٠: ١٥ - «احْطِمْ ذِرَاعَ الْفَاجِرِ. وَالشِّرِّيرُ تَطْلُبُ شَرَّهُ وَلاَ تَجِدُهُ.
١٠: ١٦ - الرَّبُّ مَلِكٌ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. بَادَتِ الأُمَمُ مِنْ أَرْضِهِ»:

هنا وقفة للحرف العبري Shin ש

شل حركته وقوته حتى لا يصنع أذيَّة، انظر: (مز ٣٧:١٧):

+ «لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب».

«والشرير تطلب شره ولا تجده»:

كلمة "تطلب" هي التي استعملت في: (مز ٩:١٢):

+ «لأنه مطالب بالدماء. ذكرهم. لم ينس صراخ المساكين».

فصاحب المزمور ينظر مستقبلاً إلى زمن حينما يكون الشرير بلا قوة حتى لا يصنع ضرراً. وحينما يصنع الله حكماً يقف للقضاء، لن يجد جريمة يعاقب عليها، انظر: (مز ١٧:٣):

+ «جرَّبت قلبي تعهدته ليلاً. محَّصتني. لا تجد فيَّ ذموماً. لا يتعدَّى فمي».

وتأتي الجملة: «يطلب ولا يجد» للشيء الذي اختفى كليًّا. انظر: (مز ٣٧:٣٦):

+ «عبر فإذا هو ليس بموجود. والتمسته (الشرير) فلم يوجد».

«الرب قد ملك إلى الدهر والأبد»:

شُرحَت إمَّا: ١ - للماضي، ٢ - للمستقبل كنبوَّة.

١ - فإذا كان للماضي فصاحب المزمور يجد تأميناً لتكميل صلواته ورجائه معتمداً على ما تمَّ من استئصال الكنعانيين أو فيما يختص بالأمم، لأن الأُمم يساقون أمام وجه الرب. وهكذا فالشرير يستسلم نهائياً ويعطي مكانه للبار. وهكذا أرض يهوه تصير حقيقة حسب اسمها: الأرض المقدَّسة.

٢ - أو للمستقبل تكون تأكيداً واثقاً كأنها تحقَّقت بالفعل لتحطيم الغرباء المضطهدين لإسرائيل وكل الذين لا يؤمنون بيهوه.

والشرح إذا كان في الماضي يناسب الشرح العام للمزمور (أفضل)، فالشكوى والصلاة هي ضد الأشرار والمضطهد داخل إسرائيل وهذا ما تحققنا منه بالمقارنة بين المزمورين. ولكن العودة إلى التاريخ هو في الحقيقة أساس المستقبل.

«أرضه»:

انظر: (لا ٢٥:٢٣):

+ «والأرض لا تباع البتة. لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي».

١٠: ١٧ - «تَأَوُّهَ الْوُدَعَاءِ قَدْ سَمِعْتَ يَا رَبُّ. تُثَبِّتُ قُلُوبَهُمْ. تُمِيلُ أُذُنَكَ
١٠: ١٨ - لِحَقِّ الْيَتِيمِ وَالْمُنْسَحِقِ، لِكَيْ لاَ يَعُودَ أَيْضاً يَرْعَبُهُمْ إِنْسَانٌ مِنَ الأَرْضِ»:

وقفة حرف Tav ת

الرب أيضاً سمع وصلاة الإيمان لا يمكن أن تبقى بلا استجابة. وهنا رغبة الودعاء تقارن برغبة

الشرير التي نهايتها خيبة. انظر: (مز ١١٢: ١٠):

+ «الشرير يرى فيغضب. يحرّق أسنانه ويذوب. شهوة الشرير تبيد».

والجزء الثاني من الآية يأتي كشرح بين قوسين (أنت تسوق قلوباً للصلاة وتثبت أذنك بالمثل لسماعهم!)، انظر: (١صم ٧: ٣):

+ «وكلّم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلاً: إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب ... أعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين».

ولم يعدوا قلوبهم حتى الآن! لذلك فالفلسطينيون فوق رؤوسهم! لا يزالون ثلاثة آلاف سنة وداخلة الرابعة.

وفي الآية (١٨): لذلك فالظلم يرتفع عن اليتيم ولا يُسحق ولا يُداس والإنسان إنسان الأرض الميت لن يهين الله بعد ولا يمارس العنف. انظر: (مز ٣٧: ٣٥و٣٦):

+ «قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة. عبر فإذا هو ليس بموجود، والتمسته فلم يوجد».

المزمور الحادي عشر

لرئيس الموسيقيين

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ

١ – «عَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ. كَيْفَ تَقُولُونَ لِنَفْسِي: "اهْرُبُوا إِلَى جِبَالِكُمْ كَعُصْفُورٍ؟

٢ – لأَنَّهُ هُوَذَا الأَشْرَارُ يَمُدُّونَ الْقَوْسَ. فَوَّقُوا السَّهْمَ فِي الْوَتَرِ لِيَرْمُوا فِي الدُّجَى مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

٣ – إِذَا انْقَلَبَتِ الأَعْمِدَةُ، فَالصِّدِّيقُ مَاذَا يَفْعَلُ؟"

٤ – الرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ.

٥ – الرَّبُّ يَمْتَحِنُ الصِّدِّيقَ، أَمَّا الشِّرِّيرُ وَمُحِبُّ الظُّلْمِ فَتُبْغِضُهُ نَفْسُهُ.

٦ – يُمْطِرُ عَلَى الأَشْرَارِ فِخَاخاً، نَاراً وَكِبْرِيتاً، وَرِيحَ السَّمُومِ نَصِيبَ كَأْسِهِمْ.

٧ – لأَنَّ الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ. الْمُسْتَقِيمُ يُبْصِرُ وَجْهَهُ».

دراسة:

في هذا المزمور يقف صاحبه في موقف يائس، فحياته في خطر، والأصدقاء المشيرون أعطوا الهرب كمشورة، والأشرار في الصاعد وفي موقف لا يُقاوم. وهو يذم تصوراتهم بسخط وحقد ويهوه له حافظ، فلو هو بحث عن ملجأ آخر سيكون ذلك عملاً خارجاً عن الإيمان ويدل على الجبانة، فهو يفتخر بإيمانه كمنتصر أن يهوه هو ضابط المسكونة كلها بالبر وهو قادر أن يحطم الشرير ويرحّب بالبار في حضرته.

والنقاط التي تربط هذا المزمور بمزامير ٥و٧و١٠و١٧ ينبغي أن تدخل جيداً في الاعتبار والحفظ لأنها لداود. هذا ترجيح عالٍ، وهذا المزمور موافق أشد التوافق للمناسبة التي دخلت فيها حياته في حكومة شاول، وينبغي أن يرجع إلى هذه المدة أكثر من أيام أبشالوم وعصيانه عليه. فداود كان في موقف المسئول، انظر: (١صم ١٨: ١٢و١٣و١٦و٣٠):

+ «وكان شاول يخاف داود لأن الرب كان معه وقد فارق شاول. فأبعده شاول عنه وجعله له رئيس ألف فكان يخرج ويدخل أمام الشعب – وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبُّون داود لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم – وخرج أقطاب الفلسطينيين ومن حين خروجهم كان داود يفلح أكثر من عبيد شاول فتوقَّر اسمه جداً».

وبلا شك كان معظم مقاوميه في حكومة شاول وكانوا في أشد الاستعداد أن يغتالوه. وكان قائدٌ محبوبٌ كهذا لا يمكن أن يُغتال علانية. فكان عليهم أن ينتظروا الفرصة ليصطادوه سرًّا، ولهذا في ذلك الوقت كان أصدقاؤه ينصحونه أن يحتفظ بحياته ويهرب، وكانوا يحاجونه بأن الأمر ميئوس منه أن يستمر في هذه المعركة غير المتوازنة، حيث انقلب الحق بواسطة فعلة الرئيس المسئول في الدولة، ولكن زمن الهروب لم يأتِ بعد، وصمَّم داود بعزم أن يواجه الخطر في ثقة أكيدة أن يهوه سيحافظ عليه ويحميه.

والمزمور يحتوي على وقفتين متساويتين لكل منهما ثلاث آيات مع آية ختام:

١ ـ تصورات أصدقاء ذاب قلبهم (١ـ٣).

٢ ـ أساس الثقة الثابت الحقيقي (٤ـ٦).

٣ ـ نظرة نحو الإيمان (٧).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ ـ «عَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ. كَيْفَ تَقُولُونَ لِنَفْسِي: اهْرُبُوا إِلَى جِبَالِكُمْ كَعُصْفُورٍ؟

٢ ـ لأَنَّهُ هُوَذَا الأَشْرَارُ يَمُدُّونَ الْقَوْسَ. فَوَّقُوا السَّهْمَ فِي الْوَتَرِ لِيَرْمُوا فِي الدُّجَى مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

٣ ـ إِذَا انْقَلَبَتِ الأَعْمِدَةُ، فَالصِّدِّيقُ مَاذَا يَفْعَلُ؟»:

«على الرب توكَّلت»:

الأصح أنا أخذت ملجأي الله، انظر: (مز ١:٧):

+ «يا رب إلهي عليك توكلت».

لذلك يكون عملاً منافياً للإيمان، وجباناً أن أبحث عن جهة أمان في الجبل.

«كيف تقولون لنفسي»:

وكأن حياتي في خطر، انظر: (مز ٢:٣):

+ «كثيرون يقولون لنفسي، ليس له خلاص بإلهه».

«اهربوا ... كعصفور»:

هنا الدعوة لداود وجماعته، نصحوهم أن يهربوا إلى مكانهم المعتاد كملجأ في الجبال، ولكن الضمير في "جبالكم" هنا زيادة. والعصافير والطيور الأخرى التي لا دفاع لها هي صورة ومثال لفرائس معرَّضة للملاحقة وليس لها معين إلاّ الطيران، انظر: (١صم ٢٠:٢٦):

+ «والآن لا يسقط دمي إلى الأرض أمام وجه الرب. لأن ملك إسرائيل (شاول) قد خرج ليفتش على برغوث واحد. كما يُتبع الحجل في الجبال».

والجبال أو بلاد التلال بمغائرها كانت هي المكان الطبيعي للتوحد وللراحة، انظر: (١صم ٢٢:١٤):

+ «وسمع جميع رجال إسرائيل الذين اختبأوا في جبل أفرايم أن الفلسطينيين هربوا فشدوا هم أيضاً وراءهم في الحرب».

ربما "يهرب إلى الجبل" كان مثلاً يُقال كآخر ملجإ في حالات الخوف من الهلاك المؤكَّد.

وفي الآية (٢) هذا الكلام لأصدقاء قد وقع قلبهم من الهلع فاستمروا في وصف الخطر وهم يحقِّقون نصيحتهم بالهرب بوضع الخونة وكأنهم في حالة حرب. ونفس هذه اللغة نسمعها في مزمور (٦٤: ٣و٤):

+ «الذين صقلوا ألسنتهم كالسيف. فوَّقوا سهمهم كلاماً مراً ليرموا الكامل في المختفى بغتة».

ولكن في هذا المزمور الكلام كلام قتل، انظر: (١صم ١٩: ١و٢):

+ «وكلَّم شاول يوناثان وجميع عبيده أن يقتلوا داود. وأمَّا يوناثان بن شاول فسُرَّ بداود جدًّا. فأخبر يوناثان داود قائلاً شاول أبي ملتمس قتلك والآن فاحتفظ على نفسك إلى الصباح وأقم في خفية واختبئ».

«إذا انقلبت الأعمدة فالصديق ماذا يفعل؟»:

هنا الحال أو المجتمع يشبه بناء قائماً على أعمدة، والفكرة الأساسية أن أعمدة المجتمع وأساسه هو القانون أو العدالة. والمنظر قد يصوِّر الرجال العظماء أو رؤساء الناس المسئولين. وتجدها في (إش ١٠:١٩):

+ «وتكون عمدها مسحوقة، وكل العاملين بالأجرة مكتئبي النفس».

انظر بصورة أوضح (مز ٣:٧٥):

+ «ذابت الأرض وكل سكانها. أنا وزنت أعمدتها. سلاه».

وأيضاً: (مز ٨٢:٥):

+ «لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشَّوْن. تتزعزع كل أُسس الأرض».

وأيضاً: (حز ٣٠:٤):

+ «ويأتي سيف على مصر ويكون في كوش خوف شديد عند سقوط القتلى في مصر ويأخذون ثروتها. وتهدم أُسسها».

حينما نتأمَّل في هذه الأُسس والمبادئ ونرى كيف انقلبت فماذا يسأل الشخص اليائس، وهل يمكن هنا للبار أن يعمل شيئاً. ولذلك نجد أن تركيب المزمور في الأصل يظهر أنه مقصود به أن لا يكون له حلٌّ. كما يظهر أن أصل هذا البيت هو لأن الأساسات قد انقلبت فماذا يعمل البار، فإمكانية البار صارت بلا قيمة بالنسبة للفوضى، وماذا بقي له من رجاء يبقى في وسط تهديد الموت؟

٤ – «الرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ.

٥ – عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ. الرَّبُّ يَمْتَحِنُ الصِّدِّيقَ، أَمَّا الشِّرِّيرُ وَمُحِبُّ الظُّلْمِ فَتُبْغِضُهُ نَفْسُهُ.

٦ – يُمْطِرُ عَلَى الأَشْرَارِ فِخَاخاً، نَاراً وَكِبْرِيتاً، وَرِيحَ السَّمُومِ نَصِيبَ كَأْسِهِمْ»:

بدأ جواب داود ليبرِّر رفضه لنصيحة أصدقائه لأنهم ينظرون إلى الأرض فقط، ولكنه هو ينظر إلى السماء، ويحكمون بحكم مظهر الدقيقة التي يعيشونها ولكن إيمانه يرى ضابط الأبرار يمارس سلطانه. ففي الأرض يمكن أن يكون العدل مغلوباً أو متوقفاً ولكن الحاكم الأبدي لا يغادر عرشه في السماء.

يُلاحَظ هنا قوله: "الرب في هيكل قدسه" هي هي "الرب في السماء كرسيه"، انظر: (مز ١٨:٦):

+ «في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت. فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدَّامه دخل أذنيه».

فيهوه يجلس على عرشه، في مجده وجلاله كملك وقاضٍ، انظر: (مز ٩: ٤و٧و٨):

+ «لأنك أقمت حقِّي ودعواي، جلست على الكرسيِّ قاضياً عادلاً. أمَّا الرب فإلى الدهر يجلس ثبَّت للقضاء كرسيَّهُ. وهو يقضي للمسكونة بالعدل».

وأيضاً: (مز ١٠:١٤):

+ «قد رأيت لأنك تبصر المشقة والغم، لتجازي بيدك، إليك يُسلِّم المسكين أمره. أنت صرت معين اليتيم».

وأيضاً: (مز ١٤:٢):

+ «الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله».

وأيضاً: (مز ١٠٢: ١٩و٢٠):

+ «لأنه أشرف من علو قدسه. الرب من السماء إلى الأرض نظر. ليسمع أنين الأسير ليطلق بني الموت».

«عيناه تنظران»:

كلمة تنظر تجيء في العبرية بمعنى الفحص والفهم والاختراق بنظرة نافذة وهي تعتبر المسكين كما جاءت في السبعينية: «عيناه تنظران المسكين».

«أجفانه تمتحن بني آدم»:

حينما يريد الإنسان أن يفحص شيئاً فحصاً دقيقاً بعينيه تجده يضغط على أجفانه لتساعده على الرؤيا الفاحصة، وتجيء هنا بمعنى أن عين الله تميِّز بنظرة واحدة وتفرِّق بين الغث والثمين، انظر (مز ٧:٩):

+ «فإن فاحص القلوب والكلى الله البار».

«الرب يمتحن الصديق، أمَّا الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه»:

كل نصف من الآية يأخذ من الآخر. فالرب يمتحن ويوافق البار وفي نفس الوقت يمتحن ويرفض الشرير. وكلمة "يمتحن" الصديق تعني يختبره ويستحسنه كما جاءت في (رو ١٤:٢٢):

+ «ألك إيمان. فليكن لك بنفسك أمام الله. طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه».

وأيضاً: (١تس ٢:٤):

+ «بل كما استُحسِنَّا من الله أن نؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلَّم لا كأننا نرضي الناس بل الله الذي يختبر قلوبنا».

«فتبغضه نفسه»:

انظر: (إش ١٤:١):

+ «رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً. مللت حملها».

وقوله "نفس الله" يُعتبر اصطلاحاً جريئاً للتعبير عن أعماق الله في جوهر طبيعته التي لا يمكن إلاّ وأن تكره الإنسان الشرير لأنه يختار الشر بدل الصلاح الذي هو من طبيعة الله، انظر: (مي ٣: ٢و٣):

+ «المبغضين الخير والمحبين الشر. النازعين جلودهم عنهم ولحمهم عن عظامهم (أي يأكلون لحم المسكين وينزعون جلده أيضاً) والذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم».

وأيضاً: (رو ٣٢:١):

+ «الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضاً يُسرون بالذين يعملون».

«يمطر على الأشرار فخاخاً، ناراً وكبريتاً. وريح السموم نصيب كأسهم»:

وصحتها: ليته يمطر فخاخاً على الشرير. نار وكبريت والريح المحرقة في كأسهم. فأحياناً تأتي الجملة في الصيغة الإخبارية بينما يكون المقصود منها هو التمنِّي بالصيغة الرجائية، انظر: (مز ٣:١٢):

+ «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلّم بالعظائم».

والمعنى: "ليت الشرير يأخذ نصيب سدوم"، وتُقال دائماً عن الخطايا الثقيلة. وهنا تكون اللغة مأخوذة من (تك ٢٤:١٩):

+ «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء».

وأيضاً: (تث ٢٣:٢٩):

+ «كبريت وملح كل أرضها حريق لا تُزرع ولا تنبت ولا يطلع فيها عشب مَّا، كانقلاب سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم التي قلبها الرب بغضبه وسخطه».

وأيضاً: (حز ٢٢:٣٨):

+ «وأعاقبه بالوبأ وبالدم وأُمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة بَرَد عظيمة وناراً وكبريتاً».

هذا على جوج وماجوج الآتي على إسرائيل في الأيام الأخيرة! أمَّا الفخاخ فلكي تعرقل مسيرهم فلا يستطيعون الهروب من النار التي تلتهمهم والأبخرة المسمومة التي تخنق من يستنشقها، انظر: (مز ١٢:١٨):

+ «من الشعاع قدَّامه عبرت سحبه. بَرَدٌ وجمر نار».

وأيضاً: (مز ١٠:١٤٠):

+ «ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا».

٧ - «لأَنَّ الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ. الْمُسْتَقِيمُ يُبْصِرُ وَجْهَهُ»:

وصحتها الرب بار ويحب أعمال البر. واضح أن صفات يهوه الفائقة هي أساس حكمه. وجزاء الرجل البار المستقيم يُقارن هنا بجزاء الشرير الذي سبق وصفه. وأعمال البر هي في حقيقتها استعلان لصفة الله البار، انظر: (١صم ٧:١٢):

+ «فالآن امثلوا فأحاكمكم أمام الرب بجميع حقوق الرب التي صنعها معكم ومع آبائكم».

كذلك أعمال بر الإنسان: انظر: (إش ٥:٣٣):

+ «تعالى الرب لأنه ساكن في العلاء. ملأ صهيون حقـًّا وعدلاً».

فبينما الشرير يختفي ويُنفي ويُحطم، ولكن البار والمستقيم فإنه يُسمح له بالدخول إلى حضرة يهوه كعبد أمام سيده، انظر: (مز ٥: ٤-٧):

+ «لأنك أنت لست إلهاً يُسر بالشر. لا يساكنك الشرير. لا يقف المفتخرون قدام عينيك أبغضت كل فاعلي الإثم. تُهلك المتكلّمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب. أمَّا أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك».

وأيضا: (مز ١٥: ١و٢):

+ «يا رب من ينزل في مسكنك؟ مَنْ يسكن في جبل قدسك؟ السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلّم بالصدق في قلبه».

وأيضاً: (مز ١٣:١٤٠):

+ «إنما الصدِّيقون يحمدون اسمك. المستقيمون يجلسون في حضرتك».

ويتفرسون في وجه الرب الذي هو منبع النور والفرح والخلاص.

هي مقولات ذهبية في سفر المزامير تحققت بالاستعلان في الإنجيل، انظر: (مت ٥:٨):

+ «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

وأيضاً: (١يو ٣:٢):

+ «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله. ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو».

المزمور الثاني عشر

لرئيس الموسيقيين على الشمينيث (القرار) مزمور لداود

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى "الْقَرَارِ". مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ – «خَلِّصْ يَا رَبُّ. لأَنَّهُ قَدِ انْقَرَضَ التَّقِيُّ، لأَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الأُمَنَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ.

٢ – يَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ صَاحِبِهِ، بِشِفَاهٍ مَلِقَةٍ، بِقَلْبٍ فَقَلْبٍ يَتَكَلَّمُونَ.

٣ – يَقْطَعُ الرَّبُّ جَمِيعَ الشِّفَاهِ الْمَلِقَةِ وَاللِّسَانَ الْمُتَكَلِّمَ بِالْعَظَائِمِ،

٤ – الَّذِينَ قَالُوا: "بِأَلْسِنَتِنَا نَتَجَبَّرُ، شِفَاهُنَا مَعَنَا. مَنْ هُوَ سَيِّدٌ عَلَيْنَا؟"

٥ – "مِنِ اغْتِصَابِ الْمَسَاكِينِ، مِنْ صَرْخَةِ الْبَائِسِينَ، الآنَ أَقُومُ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْعَلُ فِي وُسْعٍ الَّذِي يُنْفَثُ فِيهِ".

٦ – كَلاَمُ الرَّبِّ كَلاَمٌ نَقِيٌّ، كَفِضَّةٍ مُصَفَّاةٍ فِي بُوطَةٍ فِي الأَرْضِ، مَمْحُوصَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

٧ – أَنْتَ يَا رَبُّ تَحْفَظُهُمْ تَحْرُسُهُمْ مِنْ هذَا الْجِيلِ إِلَى الدَّهْرِ.

٨ – الأَشْرَارُ يَتَمَشَّوْنَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الأَرْذَالِ بَيْنَ النَّاسِ».

دراسة:

صلاة للمعونة في زمن يظهر فيه الكبرياء عامة، رياء، نفاق، عدم صدق. والعنوان يقول إنه لداود الذي ربما يكون قد كتبه بينما كان في حكومة شاول أو ربما في حياته التي كانت خارج القانون، فرجل مثل دواغ الأدومي الذي كان في مركز السلطة وأعداءٌ سفلة المبادئ كانوا يسمّمون فكر شاول من جهة داود، انظر: (١صم ٢٦:١٩):

+ «فالآن فليسمع سيدي كلام عبده، فإن كان الرب قد أهاجك ضدّي فليَشتَمّ تقدمة. وإن كان بنو الناس فليكونوا ملعونين أمام الرب لأنهم قد طردوني اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب قائلين اذهب اعبد آلهة أخرى».

ومواطنون في قعيلة كانوا مستعدين أن يخونوا الذي خلّصهم من يد الفلسطينيين، انظر: (١صم ٢٣:١١):

+ «فهل يسلّمني أهل قعيلة ليده. هل ينزل شاول كما سمع عبدك، يا رب إله إسرائيل أخبر عبدك.

فقال الرب ينزل. فقال داود هل يسلمني أهل قعيلة مع رجالي ليد شاول فقال الرب يسلّمون».

والزيفيون مجّاناً تفكّروا في الخيانة، انظر (١صم ٢٣:١٩و٢٠):

+ «فصعد الزيفيون إلى شاول إلى جبعة قائلين أليس داود مختبأ عندنا في حصون في الغاب في تل حخيلة التي إلى يمين القفر. فالآن حسب كل شهوة نفسك أيها الملك في النزول انزل وعلينا أن نسلّمه ليد الملك».

وهكذا كان موقف صاحب المزمور مشابهاً تماماً للمذكور في مزمور (٥: ٥و٦و٩و١٠) وهو لداود:

مز ٥: ٥: «لا يقف المفتخرون قدّام عينك. أبغضت كل فاعلي الإثم.

٦: تهلك المتكلّمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب.

٩: لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها.

١٠: دِنْهم يا الله! ليسقطوا من مؤامراتهم. بكثرة ذنوبهم طوِّح بهم. لأنهم تمرّدوا عليك».

والعدد (٥) في مزمور (١٢) يمكن مقارنته بما جاء في مزمور (١٨:٩):

+ «لأنه لا يُنسَى المسكين إلى الأبد. رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر».

وأيضاً: (مز ٥:١٠):

+ «تثبت سبله في كل حين. عالية أحكامك فوقه. كل أعدائه ينفث فيهم».

وعبارة: "الآن أقوم يقول الرب" هي استجابة لصلاة جاءت في مزمور (٧:٣)، (مز ٦:٧)، (١٩:٩)، (١٢:١٠) وهم كالآتي بالترتيب:

+ «قم يا رب، خلّصني يا إلهي، لأنك ضربت كل أعدائي على الفك، هشّمت أسنان الأشرار».

+ «قم يا رب، بغضبك ارتفع على سخط مضايقيَّ وانتبه لي. بالحق أوصيت».

+ «قم يا رب، لا يعتز الإنسان، لتحاكم الأمم قدّامك».

+ «قم يا رب، يا الله ارفع يدك لا تنسى المساكين».

ولكن هنا في مزمور (١٢) نجد أن اللغة عامة والمزمور قد يكون تابعاً لأي زمن.

ويوجد شكاوي مشابهة في هوشع وإشعياء وميخا وإرميا. وفي كل عصور الكنيسة كان يوجد رجال صالحون اعتزلوا من أصحابهم واضطُهِدوا من أعدائهم ليقولوا مع إيليا النبي «فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي.» (١مل ١٤:١٩)

في هذا المزمور تلتحم النبوّة مع المزمور، وصاحب المزمور يتكلّم إلى الله والله يجيب من خلال صاحب المزمور كالعدد (٥)، وهو نفسه يسمع الله متكلّماً ويخرج كلمته كأمر ورسالة، انظر مزمور (٢: ٦و٧):

+ «أمّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. إني أخبر من جهة قضاء الرب: قال لي أنت ابني. أنا اليوم ولدتك».

وأيضاً: (مز ٥٠: ١-٣):

+ «إله الآلهة الرب تكلّم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها. من صهيون كمال الجمال الله أشرق. يأتي إلهنا ولا يصمت».

وأيضاً: (مز ٦٠: ٦و٨):

+ «الله قد تكلّم بقدسه. أبتهج أقسم شكيم وأقيس وادي سكوت. لي جلعاد ولي منسى وإفرايم خوذة رأسي. يهوذا صولجاني. موآب مرحضتي. على أدوم أطرح نعلي. يا فلسطين اهتفي عليَّ».

وأيضاً: (مز ٨١: ٦-٨):

+ «أبعدت من الحمل كتفه ... في الضيق دعوتَ فنجيتك استجبتك في ستر الرعد ... اسمع يا شعبي فأحذرك ...».

وأيضاً: (مز ٨٢: ٢-٦):

+ «حتى متى تقضون جَوْراً وترفعون وجوه الأشرار، سلاه. اقضوا للذّليل ولليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجُّوا المسكين. من يد الأشرار أنقذوا. ... أنا قلت إنكم آلهة وبني العلي كلكم».

وأيضاً: (مز ٩١: ١٤-١٦):

+ «لأنه تعلّق بي أنجيه، أُرَفِّعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق. أنقذه وأمجده. من طول الأيام أُشبعه وأريه خلاصي».

وهذا المزمور يقع في قسمين متساويين كل واحد يتكون من وقفتين:

الأول: صلاة من أجل المعونة وسط عدم إيمان (١و٢)، السفهاء (٣و٤).

الثاني: وعد يهوه بالمعونة. صفاء كلمة الله ونقاوتها وغناها (٥و٦)، رجاء صاحب المزمور في حفظ الله وعنايته وسط أشرار لا ينضبطون (٧و٨).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ – «خَلِّصْ يَا رَبُّ. لأَنَّهُ قَدِ انْقَرَضَ التَّقِيُّ، لأَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الأُمَنَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ»:

«خلّص»:

أي اجعل الأمر أماناً مثل (مز ٣:٧):

+ «قم يا رب. خلّصني يا إلهي. لأنك ضربت كل أعدائي ...»

وأيضاً: (مز ٦:٤):

+ «عد يا رب نج نفسي. خلّصني من أجل رحمتك».

وأيضاً: (مز ٧:١):

+ «يا رب إلهي عليك توكّلت. خلّصني من كل الذين يطردونني ونجني».

«لأنه قد انقرض التقي»:

أو الناس الطيبون لم يعد لهم وجود، لقد سقط الأمناء بين أبناء الشر. الرحمة والحق والإحسان والصداقة صارت نادرة. انطفأوا. ومثل هذه التوجعات موجودة عند الأنبياء بكثرة، انظر: (هو ٤:١):

+ «اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل. إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض».

وأيضاً: (مي ٧:٢):

+ «قد باد التقي من الأرض وليس مستقيم بين الناس. جميعهم يكمنون للدماء يصطادون بعضهم بعضاً بشبكة».

وأيضاً: (إش ٥٧:١):

+ «باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه ورجال الإحسان يُضَمُّونَ وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يُضمُّ الصديق».

وأيضاً: (إش ٥٩: ١٤و١٥):

+ «وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً. لأن الصِدْقَ سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول، وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر يُسلَب. فرأى الرب وساء في عينيه

أنه ليس عدل!».

وأيضاً: (إر ٥:١):

+ «طوفوا في شوارع أُورشليم وانظروا واعرفوا وفتّشوا في ساحاتها هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها!»

وأيضاً: (إر ٧:٢٨):

+ «فتقول لهم هذه هي الأُمة التي لم تسمع لصوت الرب إلهها ولم تقبل تأديباً. باد الحق وقُطع عن أفواههم».

وأيضاً: (إر ٩: ٢و٣):

+ «يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين، يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب. لا للحق قووا في الأرض. لأنهم خرجوا من شر إلى شر وإيّاي لم يعرفوا يقول الرب».

«التقي»:

Godly وهي تعني هنا إنساناً يمارس الإحسان نحو زملائه كواجب ديني.

٢ – «يَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ صَاحِبِهِ، بِشِفَاهٍ مَلِقَةٍ، بِقَلْبٍ فَقَلْبٍ يَتَكَلَّمُونَ»:

النفاق والازدواجية عامة وكَلام الناس هراء باطل. فالصوت غير حقيقي وتملقاتهم جاءت من ازدواجية القلب والتي عبَّر عنها "بقلب فقلب": قلب معك وقلب ضدَّك. وهو في قلبه شيء ويتكلَّم بشيء آخر، ومعناه ليس في استقامة، كذلك له ليس كلام واحد إذ يتكلَّم اليوم بشيء وباكر بغيره وينفي أنه وعد، انظر: (أم ٢٦: ٢٣-٢٧):

+ «فضة زغل (مغشوشة) تغشي شقفة (يعني شقفة فخار قذرة مطلية فضة مصرية) هكذا الشفتان المتوقدتان والقلب الشرير. بشفتيه يتنكَّر المبغض وفي جوفه يضع غشاً. إذا حسَّن صوته فلا تأتمنه لأن في قلبه سبع رجاسات. من يغطّي بُغضة بمكر يكشف خبثه بين الجماعة، من يحفر حفرة يسقط فيها».

٣ – «يَقْطَعُ الرَّبُّ جَمِيعَ الشِّفَاهِ الْمَلِقَةِ وَاللِّسَانَ الْمُتَكَلِّمَ بِالْعَظَائِمِ،

٤ – الَّذِينَ قَالُوا: «بِأَلْسِنَتِنَا نَتَجَبَّرُ، شِفَاهُنَا مَعَنَا. مَنْ هُوَ سَيِّدٌ عَلَيْنَا؟»»:

انتهت الصلاة من أجل المعونة، وهنا ابتدأت الصلاة من أجل النقمة من هذه السفاهة والرياء الكاذب، انظر: (مز ٣١: ١٧و١٨):

+ «يا رب لا تدعني أخزى لأني دعوتك. ليخز الأشرار. ليسكتوا في الهاوية. لتبكم شفاه الكذب المتكلِّمة على الصدِّيق بوقاحة بكبرياء واستهانة».

وفي الآية (٤) يقصد بها أصحاب الشفاه الملقة وفم التعاظم وبشفاهنا نكون أقوياء ومن هو الله علينا؟ لا يستطيع أحد أن يتحكَّم في أقوالنا. يقصد الندماء السفلة المبادئ والجلساء المستهزئين الذين يستولون على كل شيء بطرقهم السافلة بواسطة التملُّق والخيانة والشهادة الزور.

٥ – «مِنِ اغْتِصَابِ الْمَسَاكِينِ، مِنْ صَرْخَةِ الْبَائِسِينَ، الآنَ أَقُومُ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْعَلُ فِي وُسْعٍ الَّذِي يُنْفَثُ[١] فيه.

٦ – كَلاَمُ الرَّبِّ كَلاَمٌ نَقِيٌّ، كَفِضَّةٍ مُصَفَّاةٍ فِي بُوطَةٍ فِي الأَرْضِ، مَمْحُوصَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ»:

هنا يتسمَّع صاحب المزمور قول الرب كاستجابة ويثبت حقيقة صدقه.

ففي الآية (٥) "البائسين" هنا تعني المحتاجين والذين ليس لهم، انظر: (خر ٢: ٢٣و٢٤):

+ «وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا. فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم فتذكَّر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب».

وهكذا الفريسة المحتقرة توضع بعيداً عن يد المعذبين في المكان الآمن، بعيداً عن متابعة أسنانهم كالوحوش، انظر: (مز ٥٦: ١و٢):

+ «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمَّمني (يضغط عليَّ. يدوسني) واليوم كله محارباً يضايقني. تهممني أعدائي اليوم كله لأن كثيرين يقاومونني بكبرياء».

«كلام الرب كلام نقي، كفضة مصفَّاة في بوطة في الأرض، ممحوصة سبع مرات»:

في مقابل كلام الأعداء، هذا كلام الحق الصافي المصفَّى النقي. كلام الله بلا عيب. حيث الفضة هي رمز طبيعي للنقاوة والقيمة العالية، انظر: (مز ١٨: ٣٠):

+ «الله طريقه كامل. قول الرب نقي، ترس هو لجميع المحتمين به».

(١) ينفث فيه = تهدداً وقتلاً.

وأيضاً: (مز ١١٩: ١٤٠):

+ «كلمتك ممحصَّة جداً وعبدك أحبها».

«في الأرض»:

الفضة تُنقَّى في بوتقة تحمى على الأرض لتخرج تلمع ببريق ويعاد صهرها سبع مرَّات لتصبح نقية ١٠٠%.

«سبع مرَّات»:

انظر: (مز ٧٩: ١٢):

+ «ورُد على جيراننا سبعة أضعاف في أحضانهم العار الذي عيَّروك به يا رب».

٧ – «أَنْتَ يَا رَبُّ تَحْفَظُهُمْ تَحْرُسُهُمْ مِنْ هذَا الْجِيلِ إِلَى الدَّهْرِ.

٨ – الأَشْرَارُ يَتَمَشَّوْنَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الأَرْذَالِ بَيْنَ النَّاسِ»:

تجمع اصطلاحات الثقة في الله وحماية يهوه التي تظل الحاجة إليها شديدة للغاية حينما يسود الأشرار في كل مكان ولا أحد يردّهم:

+ «احفظني يا رب لأني عليك توكَّلت.» (مز ١٦: ١)

وهو يشير هنا في الآية (٧) إلى الفقراء والمحتاجين المذكورين في الآية (٥) حيث كل واحد من هؤلاء الفرائس له عناية خاصة من الله.

«هذا الجيل»:

هم رجال كل جيل الذين لهم أخلاق خاصة، انظر: (مز ١٤: ٥و٦):

+ «هناك خافوا خوفاً لأن الله في الجيل البار. رأي المسكين ناقضتم لأن الرب ملجأه».

وأيضاً: (مت ١٧: ١٧و١٨):

+ «فأجاب يسوع وقال أيها الجيل غير المؤمن الملتوي إلى متى أكون معكم. إلى متى أحتملكم قدِّموه إليَّ ههنا. فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشُفي الغلام من تلك الساعة».

في الآية (٨) يهوه سيحفظ البار حتى ولو كان الشر مرتفعاً بين الناس وتعالى هلافيت الناس إلى درجة الرئاسة وعصى الأشرار لا يضبطها ضابط، انظر: (مز ١١: ١-٣):

+ «على الرب توكَّلت، كيف تقولون لنفسي اهربوا إلى جبالكم كالعصفور؟ لأنه هوذا الأشرار

يمدون القوس، فوَّقوا السهم في الوتر ليرموا في الدُّجَى مستقيمي القلوب. إذا انقلبت الأعمدة فالصديق ماذا يفعل».

فصاحب المزمور يرجع إلى الشر الذي ساد الذي بدأ به الكلام.

المزمور الثالث عشر

لرئيس الموسيقيين. مزمور لداود

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ - «إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ النِّسْيَانِ؟ إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟

٢ - إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُوماً فِي نَفْسِي وَحُزْناً فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ؟ إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟

٣ - انْظُرْ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلهِي. أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلاَّ أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ،

٤ - لِئَلاَّ يَقُولَ عَدُوِّي: «قَدْ قَوِيتُ عَلَيْهِ». لِئَلاَّ يَهْتِفَ مُضَايِقِيَّ بِأَنِّي تَزَعْزَعْتُ.

٥ - أَمَّا أَنَا فَعَلَى رَحْمَتِكَ تَوَكَّلْتُ. يَبْتَهِجُ قَلْبِي بِخَلاَصِكَ.

٦ - أُغَنِّي لِلرَّبِّ لأَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ».

دراسة:

من ظلمة اليأس في (١و٢) يربح صاحب المزمور طريقه خلال الصلاة (٣و٤) نحو فرح الرجاء للخلاص النهائي (٥و٦). لقد صار احتماله وقوة ثباته قريبة من الاضمحلال، ويهوه يبدو أنه قد نسيه أو تركه، لذلك اضمحلت ينابيعه. فإذا لم يأتِ يهوه إلى معونته فحتماً سينتصر عدوّه. ولكن سابق الاعتماد على يهوه لم يكن بلا فائدة وانتهى بكل تأكيد إلى أنه سيحيا ليسبّحه لخلاص جديد.

هذه ربما تكون أحاسيس داود عندما كان في حالة مطاردة إلى وقت ما، انظر: (١صم ٢٧:١):

+ «وقال داود في قلبه إني سأهلك يوماً بيد شاول فلا شيء خير لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين، فييأس شاول مني فلا يفتش عليَّ بعد في تخوم إسرائيل، فأنجو من يده».

ولغته هنا عامة، ولكن عدوًّا واحداً بالذات يقف قباله (٢و٤) فوق كل مصائبه إذ هو قوي ولا يهدأ، انظر (١صم ١٨:٢٩):

+ «وعاد شاول يخاف داود بعد وصار شاول عدوًّا لداود كل الأيام».

وأيضاً: (١صم ٢٤:٤):

+ «فقال رجال داود له هوذا اليوم الذي قال لك عنه الرب هأنذا أدفع عدوك ليدك فتفعل به ما يحسن في عينيك. فقام داود وقطع طرف جبَّة شاول سرًّا (وهو نائم في المغارة)».

وأيضاً: (١صم ٢٦: ٨و٩):

+ «فقال إبيشاي لداود قد حبس الله اليوم عدوّك في يدك. فدعني الآن أضربه بالرمح إلى الأرض دفعة واحدة ولا أثني عليه. فقال داود لإبيشاي لا تهلكه فمن الذي يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ».

وهذا المزمور إذا كان لداود فهو يلزم أن يكون في تاريخ متأخر عن المزمور الثاني.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ – **«إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ النِّسْيَانِ؟ إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟»**:

الآية فيها إحساس متضارب فهو مُحارَب بأن ينكر الإيمان، انظر: (مز ٩: ١٨):

+ «لأنه لا يُنسى المسكين إلى الأبد. رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر».

ويخرج من هذا المأزق ليدخل في شبكة الذي لا إله له. انظر: (مز ١٠: ١١):

+ «قال في قلبه إن الله قد نسي. حجب وجهه لا يرى إلى الأبد».

وهو على استعداد أن يقول لله أتنساني إلى الأبد؟ ولكن يثوب إلى رشده ويقطع التفكير بقوله وإلى متى؟ وبها ينتهي الفكر. كقول أحدهم (الرجاء ييأس ولكن اليأس يرجو)، انظر: (مز ٧٩: ٥):

+ «إلى متى يا رب تغضب كل الغضب وتتّقد كالنار غيرتك».

وأيضاً: (مز ٨٩: ٤٦و٤٧):

+ «حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء. حتى متى يتقد كالنار غضبك. اذكر كيف أنا زائل».

«إلى متى تحجب وجهك عني»:

هذا يكون إمّا عن غضب أو عن عدم اهتمام، انظر: (مز ١٠: ١):

+ «يا رب لماذا تقف بعيداً. لماذا تختفي في أزمنة الضيق».

وقارن: (مز ٤: ٦):

+ «كثيرون يقولون من يرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب».

وأيضاً: (مز ١١: ٧):

+ «لأن الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يبصر وجهه».

٢ – **«إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُوماً فِي نَفْسِي وَحُزْناً فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ؟ إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟»**:

والمعنى العميق: إلى متى أجعل مشورات كثيرة في نفسي واحدة وراء الأخرى باطلاً.
"كل يوم" أصلها العبري في النهار في مقابل مزمور (٢٢: ٢): "في الليل".

«إلى متى يرتفع عدوّي عليّ»:

ومفهومها إلى متى تجعل عدوي في الرئاسة عليَّ وله اليد العليا عليَّ، انظر: (مز ١٢: ٨):

+ «الأشرار يتمشون من كل ناحية عند ارتفاع الأرذال بين الناس».

والكلام واضح أنه على جماعة شاول وتسلطهم.

٣ – **«انْظُرْ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلَهِي. أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلاَّ أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ،**
٤ – **لِئَلاَّ يَقُولَ عَدُوِّي: "قَدْ قَوِيتُ عَلَيْهِ". لِئَلاَّ يَهْتِفَ مُضَايِقِيَّ بِأَنِّي تَزَعْزَعْتُ»**:

«انظر»:

في مقابل: «تحجب وجهك».

«استجب لي»:

في مقابل: «تنساني كل النسيان».

«أنر عيني»:

تعني أحيني، فالعين هي دليل الحيوية، مقابل: «أنام نوم الموت».

والعين تظلم بالمرض وتفقد نورها بالحزن، انظر: (مز ٦: ٧):

+ «ساخت من الغم عيني. شاخت من كل مضايقيَّ».

وأيضاً: (مز ٣٨: ١٠):

+ «قلبي خافق قوتي فارقتني. ونور عيني أيضاً ليس معي».

فالعينان تستنيران حينما تكون القوة والروح قد استُردت، (انظر ١صم ١٤: ٢٧و٢٩):

+ «وأمّا يوناثان فلم يسمع عندما استحلف أبوه الشعب (أن لا يأكل من العسل البري) فمد طرف النشابة التي بيده وغمسه في قطر العسل ورد يده إلى فيه فاستنارت عيناه ... فقال يوناثان قد

كدَّر أبي الأرض انظروا كيف استنارت عيناي لأني ذقت قليلاً من هذا العسل».

وأيضاً: (عز ٩:٨):

+ «والآن كلحيظة كانت رأفة من لدن الرب إلهنا ليبقي لنا نجاة ويعطينا وتداً في مكان قدسه لينير إلهنا أعيننا ويعطينا حياة قليلة في عبوديتنا».

إنه نور وجه الله ولمعان حبه وإحسانه الذي هو ينبوع الحياة، انظر: (مز ٤:٦):

+ «كثيرون يقولون: مَنْ يُرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب».

وأيضاً: (مز ١٦:٣١):

+ «أضئ بوجهك على عبدك. خلّصني برحمتك».

وأيضاً: (مز ٩:٣٦):

+ «لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً».

«لئلا يهتف مضايقيَّ بأني تزعزعت»:

انظر: (مز ١٦:٣٨):

+ «لأني قلت لئلا يشمتوا بي. عندما زلت قدمي تعظموا عليَّ».

وإن هم انتصروا فإن كرامة الله ستعاني خذلاناً.

٥ – «أَمَّا أَنَا فَعَلَى رَحْمَتِكَ تَوَكَّلْتُ. يَبْتَهِجُ قَلْبِي بِخَلاَصِكَ.

٦ – أُغَنِّي لِلرَّبِّ لأَنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ»:

في الآية (٥) فرحة النجاة. وأمَّا أنا ففي إحسانك أثق. يبتهج قلبي بخلاصك.

«أغني للرب»:

سأغني! والأفضل أن تكون الترجمة «ليت قلبي يبتهج وليتني أغني». هنا الإيمان قد انتصر أخيراً. فهو ينظر إلى الأمام بثقة، ولكن اتضاعه جعله يحوِّل تشكراته إلى صلاة.

«لأنه أحسن إليَّ»:

لأنه عاملني بسخاء إحسانه. فهو ينظر الآن من خلال الخلاص الذي أخذ.

المزمور الرابع عشر

لرئيس الموسيقيين. مزمور لداود

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ

١ – «قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: "لَيْسَ إِلهٌ". فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً.

٢ – الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟

٣ – الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعاً، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ.

٤ – أَلَمْ يَعْلَمْ كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ الْخُبْزَ، وَالرَّبَّ لَمْ يَدْعُوا.

٥ – هُنَاكَ خَافُوا خَوْفاً، لأَنَّ اللهَ فِي الْجِيلِ الْبَارِّ.

٦ – رَأْيَ الْمِسْكِينِ نَاقَضْتُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ مَلْجَأُهُ.

٧ – لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ الرَّبِّ سَبْيَ شَعْبِهِ، يَهْتِفُ يَعْقُوبُ، وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ».

دراسة:

هذا المزمور شبه مكرر في مزمور (٥٣) في مجموعة مزامير الإلوهست أي المختصة بذكر اسم الله "إلوهيم" بدل يهوه (مز ٤٢–٨٣).

إن الفساد تعمق وصار عاماً بالنسبة للإنسان وقد تعقبه صاحب المزمور إلى منبعه فوجده في الإخفاق في البحث عن الله (١–٣). هذا الفساد يتوضح بواسطة المعاملة القاسية التي يعامَل بها "شعب الله" والذي تعرَّض لها (٤)، ولكن الله يثبت ويبرهن على ذاته كمدافع عنهم (٥و٦). ويختم المزمور بصلاة أنه سيفرح إسرائيل بخلاص كامل (٧).

وقد اتجه الرأي عامة إلى أن صاحب هذا المزمور يصف الحرمان الذي يعانيه جيله وشعبه، ولكن على الأقل نجد أن الآيات (١–٣) تتجه نحو البشرية على العموم «أبناء البشر» (العدد ٢). وكلماته تشابه الأمثلة الكبرى للفساد في العالم الأول في أيام ما قبل الطوفان في بابل، وفي سدوم.

والمقصود من (٤–٦) أقل وضوحاً، وهو يعتمد على المعنى الذي ينطبق على "شعبي" في العدد (٤):

(أ) "شعبي" ربما تعني الأمناء القلائل في إسرائيل، الفقراء الأتقياء الذين كانوا يعانون من مضايقات بلا رحمة، وفي هذه الحالة فإن عدد (٥و٦) يلزم أن يشير إلى المستقبل وبالنبوَّة يعبِّر

عن القضاء الذي سيقع على هؤلاء الطغاة بلا رحمة.

(ب) فإن كان "شعبي" يعني الأمة الإسرائيلية فالأعداء (٤-٦) إما تعود لضيقات في الحاضر بواسطة أعداء غرباء مع ما يلازمهم من قلائل، أو إلى مَثَل أصيل للمضايقين والخلاص في الماضي مثل ما عانى بنو إسرائيل في مصر.

فإذا صحَّ تصورنا أن (١-٣) تعود إلى التاريخ البدائي للبشرية يكون الشرح الأخير أصح.

وصاحب المزمور يمر طبيعياً على مضايقات إسرائيل في مصر كَمَثَل كبير للذين يقاومون يهوه، وآية (٥و٦) يكون شرحهما كإشارة تاريخية إلى الهلاك الكبير للمصريين على البحر الأحمر. وتذكُّر نجاة الأمة يقود إلى الصلاة الختامية (٧).

وهذا المزمور يتكرَّر في الكتاب الثاني من سفر المزامير في المزمور (٥٣) مع بعض التغييرات. وكلمة إلوهيم في: (مز ٥٣) تغيَّرت إلى كلمة يهوه الرب في: (مز ١٤) بالاتفاق مع الاستخدام العام للمؤلف لهذا الكتاب. والآية (٥) في: (مز ٥٣) تختلف كثيراً عن (مز ١٤: ٥و٦) وهذا الاختلاف يعود إمَّا إلى تشويه للنسخة أو إلى تغيُّر مقصود، والتشابه الغريب للحروف في صف النسخة الأصلية (٥٣:٥) لاسترجاع الصفات التي تحوَّرت جزئياً، ولكن يحتمل أن يكون المؤلِّف للمجموعة قد غيَّر النسخة عن قصد لكي يُدخل إشارة تاريخية جديدة ليلقي سنحاريب أرضاً.

وتركيب هذا المزمور يشابه مزمور (١١). فهناك وقفتان متساويتان من ثلاث آيات مع آية ختامية.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

الحرمان العام للبشرية وأسبابها (١-٣):

١ - «قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلهٌ». فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً»:

«الجاهل»: nâbâl

نوع من البشر وليس شخصاً معيناً. وكلمة نابال العبرية تعني الغبي وتعني سيء الأخلاق فهي ليست مجرد جهالة أو ضعف عقل (فالغباء - الجهالة - عكس الحكمة)، وفي أعلى معناها ربما تصف نسيان الله أو وقاحة المقاومة لإرادة الله، انظر: (تث ٣٢: ٦و٢١):

+ «ألرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم ... فأنا أُغيرُهم بما ليس شعباً. بأُمَّة غبية أغيظهم».

وأيضاً: (مز ٧٤: ١٨و٢٢):

+ «اذكر هذا أن العدو قد عيَّر الرب وشعباً جاهلاً قد أهان اسمك ... قم يا الله. أقم دعواك. اذكر تعيير الجاهل إيَّاك اليوم كله».

والجهالة قد تكون إهانة عظمى أخلاقية، انظر: (٢صم ١٣: ١٢و١٣):

«فقالت له لا يا أخي لا تذلني. لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل. لا تعمل هذه **القباحة**. أمَّا أنا فأين أذهب بعاري وأمَّا أنت فتكون كواحد من **السفهاء** في إسرائيل».

وأيضاً قد تعني الأحمق، انظر: (١صم ٢٥:٢٥):

+ «لا يَضَعَنَّ سيدي قلبه على الرجل اللئيم هذا على نابال لأن كاسمه هكذا هو. نابال اسمه والحماقة عنده».

أما في وصف الأحمق والحماقة، انظر: (إش ٣٢: ٥و٦):

+ «ولا يُدعى اللئيم بعد كريماً، ولا الماكر يُقال له نبيل. لأن اللئيم يتكلَّم باللؤم وقلبه يعمل إثماً ليصنع نفاقاً ويتكلَّم على الرب بافتراء».

«قال ... في قلبه»:

هو تقرير حرّ داخل القلب على أساسه يعيش ويعمل، انظر: (مز ١٠:٦):

+ «قال في قلبه لا أتزعزع من دور إلى دور بلا سوء».

وأيضاً: (مز ١٠:١١):

+ «قال في قلبه إن الله قد نسي حجب وجهه لا يرى إلى الأبد».

«ليس إله»:

انظر: (مز ١٠:٤):

+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله».

وهذا أمر لا يُقبل إلاَّ بصعوبة أن يكون نتيجة تفكراته الخاصة إنكار وجود الله بدون دوافع شريرة أخرى بسبب أخلاقه وتصرُّفاته، انظر: (مز ٧٣:١١):

+ «وقالوا كيف يعلم الله وهل عند العليِّ معرفة».

وأيضاً: (إر ١٢:٥):

+ «جحدوا الرب وقالوا ليس هو ولا يأتي علينا شر ولا نرى سيفاً ولا جوعاً».

وأيضاً: (صف ١٣:١):

+ «فتكون ثروتهم غنيمة وبيوتهم خراباً ويبنون بيوتاً ولا يسكنونها».

هذه نتيجة قولهم. كما في (صف ١٢:١):

+ «ويكون في ذلك الوقت أني أفتش أورشليم بالسرج وأعاقب الرجال الجامدين على دُرْدِيِّهم القائلين في قلوبهم إن الرب لا يُحسن ولا يسيء».

«**فسدوا**»:

والأصح أفسدوا أعمالهم وجعلوها لا تُطاق ولا يعملون شيئاً حسناً. والإنسان عموماً هو عُرضة لكي يترك الاعتقاد بالله فهم يقلبون طبيعتهم ويلقون أنفسهم في أعمال يفزع منها الله، انظر: (مز ٦:٥):

+ «تهلك المتكلِّمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب».

وكلمة فاسد تصف مناقص طبيعتهم **التي كانت جيدة** وصاروا ذوي أخلاق كريهة وسلوك مكروه لدى الله. وهكذا كانت الأحوال قبل الطوفان، (تك ٦: ١١و١٢):

+ «وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلماً، ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض».

«**ليس مَنْ يعمل صلاحاً**»:

انظر: (تك ٦:٥و٦):

+ «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ... فحزن الرب».

وهي تعني العمومية، وفي السبعينية زيدت «ليس ولا واحد». ومزمور (١:٥٣) يصف عمل الرذيلة أي الرجس:

+ «قال الجاهل في قلبه ليس إله. فسدوا ورجسوا رجاسة. ليس مَنْ يعمل صلاحاً».

٢ - «الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ، لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟»:

وكأن الله يتابع نمو الفساد وأخيراً نظر، انظر: (مز ٣٣: ١٣و١٤):

+ «من السموات نظر الرب. رأى جميع بني البشر. من مكان سكناه تطلَّع إلى جميع سكان الأرض».

وحسب لغة التوراة: «الرب نزل ليتطلَّع» أشرار بابل وسدوم، انظر: (تك ٥:١١):

+ «فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما».

وأيضاً: (تك ٢١:١٨):

+ «أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليَّ وإلاَّ فأعلم».

انتبه هنا للاصطلاح الذي كان سائداً: «أنزل وأنظر». ولكن في موضع آخر مثل (تك ١٦:١٨):

+ «ثم قام الرجال من هناك وتطلَّعوا نحو سدوم. وكان إبراهيم ماشياً معهم (الثلاثة رجال يمثِّلون الله)».

ثمَّ أليست هذه هي صورة الفساد التامة للبشرية التي في ذاكرة صاحب المزمور؟ ثمَّ قارن مع كلام المزمور (١٤: ٢و٣):

+ «الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله، الكل قد زاغوا معاً. فسدوا. ليس مَنْ يعمل صلاحاً **ليس ولا واحد!**».

ولاحظ ما يقصده المزمور من "**العمل**" يوضِّح القصد لهذا جاءت عبارة "**فاهم طالب الله!**". وهي موجودة في (مز ١٠:٩):

+ «ويتكل عليك العارفون اسمك. لأنك لم تترك طالبيك يا رب».

وهنا استخدام الله بدل يهوه هام جداً.

لهذا يظهر أن صاحب المزمور يقصد الإنسان عموماً وليس إسرائيل. والله جعل نفسه معروفاً من خلال صوت الضمير وفي أعمال الخليقة ولكن البشر لم يتبعوا النور الذي في الضمير و لم يقرأوا كتاب الطبيعة، انظر: (أع ١٧:١٤):

+ «مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً».

وأيضاً: (أع ٢٧:١٧):

+ «لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً».

وانظر: (رو ١: ١٩و٢٠).

+ «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر».

٣ – «الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعاً، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ»:

وهذه هي النتيجة التي وصل إليها الله. الكل خرج خارج حدود الطريق الحق، انظر: (خر ٨:٣٢):

+ «زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له. وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر».

وأيضاً: (أي ١٦:١٥):

+ «فبالحري مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء».

والقديس بولس عبَّر عن إحدى هذه المفاسد هكذا في: (رو ٣: ١٠–١٣):

+ «كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد، ... حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا، سم الأصلال تحت شفاههم».

كل هذا لتوضيح الفساد والفجور والانحراف والفسق الذي وصلت إليه البشرية، انظر: (مز ٩:٥):

+ «لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها».

وأيضاً: (مز ٣:١٤٠):

+ «سَنُّوا ألسنتهم كحيَّة، حُمَةُ الأفعوان تحت شفاههم».

وأيضاً: (مز ٧:١٠):

+ «فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقَّة وإثم».

وأيضاً: (إش ٥٩: ٧و٨):

+ «أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الذكي. أفكارهم أفكار إثم. في طرقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجَّة. كل مَنْ يسير فيها لا يعرف سلاماً».

وأيضاً: (مز ١:٣٦):

+ «نأمة معصية الشرير في داخل قلبي أن ليس خوف الله أمام عينيه».

فساد الناس صار مَثَلاً في شدة ضغطه على شعب يهوه وصورة العقاب الذي في محله (٤–٦):

٤ – «أَلَمْ يَعْلَمْ كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ شَعْبِي كَمَا يَأْكُلُونَ الْخُبْزَ، وَالرَّبَّ لَمْ يَدْعُوا»:

هل وصل بهم الحد أن لا يعرفون الفارق بين الحق والباطل؟ انظر: (مز ٥:٨٢):

+ «لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشَّون. تتزعزع كل أسس الأرض».

والمعنى: ألم يتعلَّموا بخبراتهم الطويلة في الشر أن هذا خطأ وباطل. وبعدها يأتي عدد (٥) كرد على هذا الاستفهام.

«الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز»:

وكأن صاحب المزمور يقول إنهم يعيشون على إيذاء شعبي، وطبعاً مَنْ الذين أكلوه وآذوه إلاَّ القلائل من شعب يهوه الأتقياء الذين يستحقون اسم يهوه، انظر: (مي ٩:٢):

+ «تطردون نساء شعبي من بيت تنعمهن. تأخذون عن أطفالهن زينتي إلى الأبد».

وأيضاً: (مي ٣:٣):

+ «والذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم ويشققون كما في القدر وكاللحم في وسط المقلى».

وهذه هي لغة الأنبياء في التشبيه. وإذا كان المأكولون هم شعب إسرائيل فيكون الآكلون هم الغرباء المضطهدون. وإذا رجعنا إلى التاريخ القديم يكون المثل مثل مصر. والقارئ يلاحظ أن استخدام المزمور لكلمة "شعبي" يماثل سفر الخروج (٥: ١و٢):

+ «وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون: هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية. فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه».

٥ – «هُنَاكَ خَافُوا خَوْفاً، لأَنَّ اللهَ فِي الْجِيلِ الْبَارِّ»:

هذه الآية ترمي إلى المستقبل فالعقوبة والحكم أكيد، انظر: (مز ١٢:٣٦):

+ «هناك سقط فاعلو الإثم. دُحروا فلم يستطيعوا القيام».

فهذا وعيد لن ينجو منه الأشرار.

«لأن الله في الجيل البار»:

ليحمي الأبرار. الله في الجيل البار أي وسط شعبه، انظر: (مز ١١٨: ١٥):

+ «صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين. يمين الرب صانعة ببأس».

٦ – **«رَأْيَ الْمِسْكِينِ نَاقَضْتُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ مَلْجَأُهُ»:**

يقفون بالمرصاد ضد المساكين، يقاومون آراءهم ويخيبونها ويحبطون مشاريعهم. لأن الرب ملجأهم، حسداً وغيرة مرّة.

والمساكين هنا هم المصابون من الأبرار، ومزمور (٥٣) يشرحها:

+ «ألم يعلم فاعلو الإثم الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز والله لم يدعوا. هناك خافوا خوفاً ولم يكن خوف لأن الله قد بدّد عظام محاصرك. أخزيتهم لأن الله قد رفضهم».

وهنا يبدو الكلام على أنه حدث في الماضي في تاريخ سابق، ويصف القوة الإعجازية في إفناء الأعداء مثل سنحاريب بجيشه الضخم، وهكذا لا تُقاس قوة الأشرار والأعداء بقوة يهوه الانتقامية.

وبهذه القراءة يبدو الكلام عن الشعب والأمة وليس عن الأعداء من الخارج: (حز ٦: ٤–٧):

+ «فتخرب مذابحكم وتتكسر شمساتكم. وأطرح قتلاكم قدّام أصنامكم. وأضع جثث بني إسرائيل قدّام أصنامهم وأذري عظامكم حول مذابحكم. في كل مساكنكم تقفر المدن وتخرب المرتفعات لكي تقفر وتخرب مذابحكم وتنكسر وتزول أصنامكم وتقطع شمساتكم وتمحى أعمالكم. وتسقط القتلى في وسطكم فتعلمون أني أنا الرب».

٧ – **«لَيْتَ مِنْ صِهْيَوْنَ خَلاَصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ الرَّبِّ سَبْيَ شَعْبِهِ، يَهْتِفُ يَعْقُوبُ، وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ»:**

«عند ردي الرب سبي شعبه»:

من أول نظرة نستطيع أن نحدد زمن المزمور أنه في زمن السبي، انظر: (مز ١٢٦: ١–٣):

+ «عندما رد الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين ... حينئذ قالوا بين الأمم إن الرب قد عظّم العمل مع هؤلاء. عظّم الرب العمل معنا وصرنا فرحين»

وبخصوص الاتجاه نحو صهيون (أورشليم) وانتظار الخلاص منها، انظر: (دا ٦: ١٠):

+ «فلمّا علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكواه مفتوحة في عليته **نحو أورشليم** فجثا على

ركبتيه ثلاث مرّات في اليوم وصلّى وحمد قدّام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك».

وأيضاً: (١مل ٨: ٤٤و٤٥):

+ «إذا خرج شعبك لمحاربة عدوّه في الطريق الذي ترسلهم فيه وصلّوا إلى الرب نحو المدينة التي اخترتها والبيت الذي بنيته لاسمك، فاسمع من السماء صلاتهم وتضرُّعهم واقض قضاءهم».

وهكذا دائماً يهوه يُرجع شعبه من أسره، انظر: (عا ٩: ١٤):

+ «وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً ويشربون خمرها ويصنعون جنّات (حدائق) ويأكلون أثمارها».

وأيضاً: (هو ٦: ١١):

+ «وأنت أيضاً يا يهوذا قد أُعدّ لك حصادٌ عندما أرد سبي شعبي».

وهذه النبوات قيلت قبل سبي بابل أول سبي كان عاماً للشعب بمدة زمنية كبيرة.

«عند رد الرب سبي شعبه يهتف يعقوب. ويفرح إسرائيل»:

تحسب هذه الآية أنها أُضيفت أخيراً للاستخدام الليتورجي، وهي لا تلتحم مع بقية المزمور. وقد أُضيفت لتكون آخر للمزمور. لأن المزمور لا يمكن أن ينتهي فجأة.

ويعقوب وإسرائيل يفرح ويتهلّل هذا رجاء أو يعتبر كصلاة، انظر: (مز ١٣: ٥و٦):

+ «أمّا أنا فعلى رحمتك توكّلت. يبتهج قلبي بخلاصك. أُغنّي للرب لأنه أحسن إليّ».

المزمور الخامس عشر

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ – «يَا رَبُّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلِ قُدْسِكَ؟

٢ – السَّالِكُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ.

٣ – الَّذِي لاَ يَشِي بِلِسَانِهِ، وَلاَ يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ، وَلاَ يَحْمِلُ تَعْيِيراً عَلَى قَرِيبِهِ.

٤ – وَالرَّذِيلُ مُحْتَقَرٌ فِي عَيْنَيْهِ، وَيُكْرِمُ خَائِفِي الرَّبِّ. يَحْلِفُ لِلضَّرَرِ وَلاَ يُغَيِّرُ.

٥ – فِضَّتُهُ لاَ يُعْطِيهَا بِالرِّبَا، وَلاَ يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ عَلَى الْبَرِيءِ. الَّذِي يَصْنَعُ هذَا لاَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ».

دراسة:

مَنْ ذا الذي يليق أن يكون مواطناً في صهيون، الساكن في حضرة يهوه الآنيّة، ليتمتع بعنايته وبركاته؟ (١). هذا سؤال تأتي الآية الثانية إجابة له في معنى عام، ليس إلاّ إنساناً أصيلاً عادلاً صادقاً (٢) – ثمّ الآية (٣–٥) أمثلة خاصة لتوضّح الطريق للذي يكون سلوكه قد انضبط بهذه المبادئ. وينتهي المزمور بوعد البركة. وإيفاء القريب حقه الواجب هو أول الشروط للشركة مع الله. بهذا الكمال والاستقامة يُختبر ويصير مشهوداً له، انظر: (مت ١٩: ١٦و١٧):

+ «وإذا واحد تقدّم وقال له أيها المعلّم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالح إلاّ واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ...».

وأيضاً: (رو ١٣: ٨–١٠):

+ «لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاّ بأن يحب بعضكم بعضاً. لأن مَنْ أحب غيره فقد أكمل الناموس. لأن: لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته، وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شرًّا للقريب. فالمحبة هي تكميل الناموس».

وأيضاً: (١يو ٤: ٢٠و٢١):

+ «إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن مَنْ لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره. ولنا هذه الوصية منه أن مَنْ يحب الله يحب أخاه أيضاً».

هذا المزمور شديد الصلة بمزمور (٢٤) الذي يُظن أنه كُتب عند انتقال التابوت إلى الخيمة التي أعدها داود له في صهيون، انظر: (٢صم ٦:١٧):

+ «فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه في مكانه في وسط الخيمة التي نصبها له داود. وأصعد داود محرقات أمام الرب وذبائح سلامة».

فربما ينتسب المزمور إلى هذه المدة.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ – «يَا رَبُّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلِ قُدْسِكَ؟»:

مَنْ ذا الذي يستحق أن يُستقبل كضيف يهوه ليسعد بحمايته وسخائه ويسكن في المكان الذي كرّسه لحضرته، انظر: (مز ٥:٤):

+ «لأنك أنت لست إلهاً يُسرّ بالشر. لا يساكنك الشرير».

إنه ليس مجرد كلام هذا الذي يخاطب به المزمور يهوه، فهو بآن واحد يضع نفسه وقرّاءه في علاقة آنية بيهوه. فالسؤال موجّه ليهوه والجواب كأنه في حضرته.

«مسكنك»:

جبلك المقدّس. هكذا يُنظر إلى الخيمة التي نصبها داود للتابوت على جبل صهيون، انظر: (مز ٢٧: ٥و٦):

+ «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني. والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أُغني وأُرنّم للرب».

وأيضاً: (مز ٦١:٤):

+ «لأسكنن في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك. سلاه».

الفكر الأساسي هنا هو الحماية والعناية التي يلقاها النزيل في المسكن. والكلام عن كل الساكنين في أُورشليم الذين غالباً ما يميلون لاعتبار أن حضرة الله هي في وسطهم، وهي عربون أمامهم أكثر مما يعتبرون أن جوار الله يحتاج إلى قداسة من ناحيتهم! انظر: (مي ٣: ١١و١٢):

+ «رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلّمون بالأجرة وأنبياؤها يَعْرِفُونَ بالفضة وهم يتوكلون

على الرب قائلين أليس الرب في وسطنا. لا يأتي علينا شر!»

اسمع الباقي:

+ «لذلك بسببكم تفلَحُ صهيون كحقل وتصير أُورشليم خرباً وجبل البيت شوامخ وعر».

تماماً كما حدث مع تيطس والرومان.

أمَّا الشرح الروحي فهو قائم على أساس الذي يقترب إلى الله بقلبه!

٢ – «السَّالِكُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ»:

الشروط المطلوبة للدخول والتقدُّم إلى الله:

«السالك بالكمال»:

فطهارة اليدين أي النزاهة والاستقامة هي القاعدة والقانون الذي يتعامل فيه مع الله ومع الناس. والكلمة العبرية tamim تعني: ١ – الكمال، ٢ – بلا لوم التي تُطلب في تقديم الذبائح، بالإحساس الأخلاقي تمام التمام صادق. كما تحوي عبادة من كل القلب أمام الله، أمَّا مع الآخرين فمطلوب نفس الصفات التي يحيا بها أمام الله، من طهارة اليدين والنزاهة والاستقامة Integrity، انظر: (تك ١:١٧):

+ «ولمَّا كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً tamim».

وأيضاً: (تث ١٣:١٨):

+ «تكون كاملاً = blameless = tamim لدى الرب إلهك».

وأيضاً: (مز ٢٣:١٨):

+ «وأكون كاملاً tamim معه وأتحفَّظ من إثمي».

وأيضاً: (مز ١٠١: ٢و٦):

+ «أتعقَّل في طريق كامل tamim متى تأتي إليَّ أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي ... عيناي على أمناء الأرض لكي أُجلسهم معي. السالك طريقاً كاملاً tamim هو يخدمني».

وأيضاً: (مز ١:١١٩):

+ «طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب».

وأيضاً: (مز ٨:٧):

+ «اقضِ يا رب كحقي، ومثل كمالي الذي فيَّ ...».

وأيضاً (مز ٢٦: ١و١١):

+ «اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكَّلت بلا تقلقل ... أمَّا أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني».

وأيضاً: (مت ٤٨:٥):

+ «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل».

وبالإضافة لذلك، انظر: (أف ٤:١):

+ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين **وبلا** لوم قدَّامه في المحبة».

وأيضاً: (كو ٢٢:١):

+ «في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين **وبلا** لوم **ولا** شكوى أمامه».

«العامل بالحق»:

انظر: (أع ٣٥:١٠):

+ «بل في كل أُمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده».

وأيضاً: (١يو ٧:٣):

+ «أيها الأولاد لا يضلكم أحد. مَنْ يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار».

«والمتكلِّم بالصدق في قلبه»:

وهكذا يكون الصدق هو مادة تفكيره أو الأساس الذي يفكر عليه. ويكون الأفضل لو تُترجم: المتكلِّم الصدق بقلبه. فيتكلَّم الصدق ويكون كل قلبه سائراً معه، ضد الذي هو بقلبين منافق، انظر: (مز ٢:١٢):

+ «يتكلَّمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلَّمون».

٣ - **«الَّذِي لاَ يَشِي بِلِسَانِهِ، وَلاَ يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ، وَلاَ يَحْمِلُ تَعْيِيراً عَلَى قَرِيبِهِ»:**

هنا استخدام الفعل المنتهي ليصف سلوكه كيف هو منضبط بمبادئ الحق والعدل.

«الذي لا يشي بلسانه»:

ترجمتها افتراء.

وهنا كلمة قريب تعني بالمفهوم الاجتماعي الإنسان الذي يعايش الإنسان ويرافقه في الحياة.

والمعنى هو أن لا يجعل في نفسه أخطاء أو تعييراً لأخطاء أو أي انتقاص لأعماله أو معايرة، انظر: (مز ٦٩: ٢٠):

+ «العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رِقَّة فلم تكن ومعزّين فلم أجد».

وأيضاً: (مز ٦٩: ٧):

+ «لأني من أجلك احتملت العار. غطّى الخجل وجهي».

٤ - **«وَالرَّذِيلُ مُحْتَقَرٌ فِي عَيْنَيْهِ، وَيُكْرِمُ خَائِفِي الرَّبِّ. يَحْلِفُ لِلضَّرَرِ وَلاَ يُغَيِّرُ»:**

وهكذا فالصدق في أخلاقه جعله قادراً على تقدير الآخرين تقديراً يقبله الحق. ومعروف في الفكر المسيَّاني أن التقدير الكاذب للآخرين والأشرار سوف يختفي في أيام المسيَّا، انظر: (إش ٣٢: ٥):

+ «ولا يُدعى اللئيم بعد كريماً ولا الماكر يُقال له نبيل».

«الرذيل»:

تترجم الشخص **المعاب**، انظر: (إر ٦: ٣٠):

+ «فضة مرفوضة يُدعَون. لأن الرب قد رفضهم».

«ويكرم خائفي الرب»:

هنا قدرة التقدير الحق واضحة ـ وبعكس الإنسان المعاب ـ إذ يعطيه حقه في الكرامة من أجل الله. والخائف الرب يظهر بتواضعه، وصغره في عيني نفسه، انظر: (٢صم ٦: ٢٢):

+ «وإني أتصاغر دون ذلك (المتكلِّم هو الملك داود يلعب أمام التابوت في تحرُّكه) وأكون وضيعاً في عيني نفسي وأمَّا عند الإماء التي ذكرتِ فأتمجَّد».

ولكن التصحيح هو لا أن يكون محتقراً في عيني نفسه فقط بل وأن يحتقر ويشمئز ويكره ويبغض

الواطي المصاب ويكرم الأفاضل، انظر: (مز ١٦: ٣):

+ «القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرتي بهم».

وأيضاً: (١صم ٢: ٣٠):

+ «والآن يقول الرب حاشا لي: فإني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون».

«يحلف للضرر ولا يغير»:

الترجمة الصحيحة: يحلف حسب قلبه ولا يحنث ويتمم حلفانه بدون تعديل. حتى ولو كان حلفانه لضرره هو لا يرجع عن حلفانه، يعترف ويعتذر ويقدِّم ذبيحة، انظر: (لا ٥: ٤و٥):

+ «أو إذا حلف أحد مفترطاً بشفتيه للإساءة أو للإحسان من جميع ما يفترط به الإنسان في اليمين وأُخفيَ عنه ثم علم فهو مذنب في شيء من ذلك. فإن كان يذنب في شيء من هذه يقر بما قد أخطأ به».

٥ - **«فِضَّتُهُ لاَ يُعْطِيهَا بِالرِّبَا، وَلاَ يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ عَلَى الْبَرِيءِ. الَّذِي يَصْنَعُ هذَا لاَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ»:**

اثنان من أكثر مذمَّات الانحراف عن العدالة، انظر: (إش ٣٣: ١٥):

+ «السالك بالحق والمتكلِّم بالاستقامة الراذل مكسب المظالم النافض يديه من قبض الرشوة، الذي يسد أذنيه عن سمع الدماء ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر».

وأيضاً: (حز ٢٢: ١٢):

+ «فيكِ أخذوا الرشوة لسفك الدم، أخذتِ الربا والمرابحة وسلبتِ أقرباءك بالظلم ونسيتني يقول السيد الرب».

ومعروف أن أخذ الربح ممنوع بالناموس في معاملة المواطن الإسرائيلي كعمل ليس أخوياً، انظر: (لا ٢٥: ٣٦و٣٧):

+ «لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل اخش إلهك فيعيش أخوك معك. فضتك لا تعطِه بالربا وطعامك لا تُعطِ بالمرابحة».

وأيضاً: (خر ٢٢: ٢٥):

+ «إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي. لا تضعوا عليه ربا».

وأيضاً: (حز ١٨: ١٧):

+ «ورفع يده عن الفقير ولم يأخذ ربا ولا مرابحة بل أجري أحكامي وسلك في فرائضي. فإنه لا يموت بإثم أبيه. حياة يحيا».

ولكن في نفس الوقت سُمح بها على الغرباء، انظر: (تث ٢٣: ١٩و٢٠):

+ «لا تقرض أخاك بربا. ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها».

وأيضاً: (مز ٣٧:٢٦):

+ «اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة».

وأيضاً: (مز ١١٢:٥):

+ «سعيد هو الرجل الذي يترأف ويقرض. يدبِّر أموره بالحق».

ولكن يلاحظ أن المستويات الحديثة في إسرائيل قد هجرت هذه التوصيات واعتبرتها مبتذلة وأصابهم ما أصابهم. ولكن ظل المبدأ حتمياً.

أمَّا الرشوة فهي لعنة البلاد الشرقية كلها وإسرائيل أيضاً، انظر: (تث ٢٧:٢٥):

+ «ملعون مَنْ يأخذ رشوة لكي يقتل نفس دم بريء. ويقول جميع الشعب. آمين».

وأيضاً: (خر ٢٣:٨):

+ «ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوِّج كلام الأبرار».

وأيضاً: (تث ١٦:١٩):

+ «لا تحرِّف القضاء ولا تنظر إلى الوجوه ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي أعين الحكماء وتعوِّج كلام الصديقين».

«لا يتزعزع»:

مثل هذا الإنسان الذي أعطى أوصافه، فبالإضافة أنه يكون في حمى يهوه وتحت حفظه فهو يستمتع بحياة خصبة ولا ويتقلقل.

المزمور السادس عشر

مختام لداود

مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ

١ – «احْفَظْنِي يَا اللهُ لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ.

٢ – قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لاَ شَيْءَ غَيْرُكَ».

٣ – الْقِدِّيسُونَ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ وَالأَفَاضِلُ كُلُّ مَسَرَّتِي بِهِمْ.

٤ – تَكْثُرُ أَوْجَاعُهُمُ الَّذِينَ أَسْرَعُوا وَرَاءَ ("إله" حسب النص الإنجليزي) آخَرَ. لاَ أَسْكُبُ سَكَائِبَهُمْ مِنْ دَمٍ، وَلاَ أَذْكُرُ أَسْمَاءَهُمْ بِشَفَتَيَّ.

٥ – الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي وَكَأْسِي. أَنْتَ قَابِضُ قُرْعَتِي.

٦ – حِبَالٌ وَقَعَتْ لِي فِي النُّعَمَاءِ، فَالْمِيرَاثُ حَسَنٌ عِنْدِي.

٧ – أُبَارِكُ الرَّبَّ الَّذِي نَصَحَنِي، وَأَيْضاً بِاللَّيْلِ تُنْذِرُنِي كُلْيَتَايَ.

٨ – جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ.

٩ – لِذلِكَ فَرِحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجَتْ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضاً يَسْكُنُ مُطْمَئِنّاً.

١٠ – لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً.

١١ – تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ».

دراسة:

هذا المزمور هو اعتراف بسرور عن إيمان ورجاء نابعين من إحساس بقرب الحياة مع يهوه. أمَّا الخطر، إن كان هناك خطر والذي يعكر الصلاة (١) فيقع تماماً في خلفية المزمور. فصاحب المزمور بكل نفسه يتقد بفكر أن يهوه هو حياته الأفضل.

ويُعتقد أن المزمور هو لداود أثناء ما كانت حياته متغرِّبة عن القانون، فهو قد تغرَّب ودُفع بعيداً عن ميراثه ليهوه وتعرَّض للخطر كمطرود، انظر: (١صم ١٩:٢٦):

+ «والآن فليسمع سيدي الملك كلام عبده. فإن كان الرب قد أهاجك ضدِّي فليشتمَّ تقدمة. وإن كان بنو الناس فليكونوا ملعونين أمام الرب لأنهم قد طردوني اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب قائلين اذهب اعبد آلهة أخرى».

وفي ساعة التجربة هذه انتصر بفكره أن يهوه نفسه هو نصيبه «نصيبي هو الرب قالت نفسي» وهو النصيب الأفضل عن حقول وكروم (٥و٦) وهو يجحد بحماس أن يخضع إلى إغراء أن يعبد إله آخر.

ويوجد في المزمور وصلات كثيرة بين هذا المزمور ومزمور (١٧)، لهذا ربما بكل احتمال يعود للزمن الذي كان فيه داود مطارداً (مع مزمور ١٧) بواسطة شاول وأنهما من كتابة داود. فإذا كان هذا الافتراض صحيحاً فيعتقد غالباً أن (١٦: ٩-١١)، (١٥:١٧) يعلنان اعتقاد صاحب المزمور في القيامة وحياة مستقبلية مباركة في مقارنة قاطعة مع مزمور (٥:٦) ومزمور (٩:٣٠) ومزمور (٨٨: ١٠-١٢). فهذه المزامير يمكن بصعوبة أن توضع قبل السبي بقليل.

والعالِم Delitzsch بينما هو يوافق أن نظرية القيامة لم تظهر قبل السبي كحقيقة مستعلنة، فكيف تظهر في مزامير داود كعقيدة شجاعة؟ ولكن العالم Cheyne يقول إن التناقض عند داود هو ليس بين هذا العالم والآخر بل بين الحياة مع الله والحياة بدون الله.

والمزمور يقع في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أساسيات صلاته للحفظ في علاقته مع يهوه المنبع الوحيد لسعادته ومسرته في جماعة الأمناء. ومع الخارجين عن الإيمان ليس له زمالة (١ - ٤).

القسم الثاني: فكر أن يهوه هو صلاحه الوحيد منبع كل فلاحه. مشغول به باستمرار (٥ - ٨).

القسم الثالث: وإذ هو واثق بإيمانه يمضي حياة بأمانة حقيقية في شركة غير منقطعة بيهوه (٩ - ١١).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - **«احْفَظْنِي يَا اللهُ لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ»:**

ليس هو في خطر ولكن يطلب حفظه، انظر: (مز ٨:١٧):

+ «احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني».

حتى يبقى الجسد والنفس في أمان وهنا الله هو ''إيل'' كما هو في مزمور (٦:١٧):

+ «أنا دعوتك لأنك تستجيب لي يا الله (إيل)».

«لأني عليك توكلت»:

الترجمة الصحيحة: ''لأني فيك أخذت ملجاي''. فالله مسئول عن حمايته.

٢ - **«قُلْتُ لِلرَّبِّ: "أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لاَ شَيْءَ غَيْرُكَ"»:**

النسخة الماسورية كتبته: ''أنت قلت'' وكأن الحديث مع نفسه وهو يخاطب نفسه كما في مزمور (٥:٤٢):

+ «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي ولماذا تئنين فيَّ».

والسبعينية جعلتها مثل الترجمة العربية: ''أنا قلت'' وكذلك السريانية وجيروم، انظر: (مز ١٤:٣١):

+ «أمَّا أنا فعليك توكَّلت يا رب. قلتُ إلهي أنت».

«أنت سيدي»: My Lord

هنا اعتراف بأنه خادم يهوه، انظر: (مز ٢٢:٣٥):

+ «قد رأيتَ يا رب. لا تسكت يا سيد لا تبتعد عني».

«خيري لا شيء غيرك»:

والترجمة الصحيحة: أنا لا أمتلك خيراً بدونك. ويشرحها العالم روبرتسن سميث هكذا: [ليس أن الله فقط هو ينبوع كل غناه بل وكل شيء يراه خيراً حقيقياً يكون الله قد احتواه]، انظر: (مز ٢٥:٧٣):

+ «مَنْ لي في السماء. ومعك لا أُريد شيئاً في الأرض».

٣ - **«الْقِدِّيسُونَ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ وَالأَفَاضِلُ كُلُّ مَسَرَّتِي بِهِمْ.**

٤ - **تَكْثُرُ أَوْجَاعُهُمُ الَّذِينَ أَسْرَعُوا وَرَاءَ (''إله'' حسب النص الإنجليزي) آخَرَ. لاَ أَسْكُبُ سَكَائِبَهُمْ مِنْ دَمٍ، وَلاَ أَذْكُرُ أَسْمَاءَهُمْ بِشَفَتَيَّ»:**

هذه تحكي عن عالم داود الذي يعاشره.

«القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرتي بهم»:

وتصححها النسخة ''الماسورية'' بشيء من التعديل فتكون: ''القديسون الذين في الأرض هم الأفاضل الذين فيهم كل مسرَّتي''.

وهكذا من الله في السماء يتحوَّل إلى الناس على الأرض. والأفاضل الذين يُسرّ بهم ليسوا هم الأغنياء ولا الأقوياء الذين يحوزون على تقدير العالم، ولكن القديسين الذين فيهم دُعيت إسرائيل أُمة مقدَّسة، انظر: (خر ٦:١٩):

+ «وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدَّسة. هذه هي الكلمات التي تُكلِّم بها بني إسرائيل».

وهؤلاء يقارن بهم الخارجين المبعدين الذين ليس لهم معه علاقة.

«تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء "إله" آخر. لا أسكب سكائبهم من دم، ولا أذكر أسماءهم بشفتي»:

«تكثر أوجاعهم»:

انظر: (مز ١٠:٣٢):

+ «كثيرة هي نكبات الشرير. أمَّا المتوكل على الرب فالرحمة تحيط به».

انظر: (١تي ١٠:٦):

+ «لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة».

«الذين أسرعوا وراء "إله" آخر»:

انظر: (مز ١٩:١٠٦):

+ «صنعوا عجلاً في حوريب وسجدوا لتمثال مسبوك».

وأيضاً: (إر ١١:٢):

+ «هل بَدَلَتْ أُمة آلهة وهي ليست آلهة. أمَّا شعبي فقد بَدَلَ مجده بما لا ينفع».

«لا أسكب سكائبهم من دم»:

في طقس تقديم الذبائح عند الوثنيين يقدِّمون تقدمة السكائب ليس من خمر وزيت بل من الدماء، ويُقدِّم البخور مع الدماء التي تلطَّخت بها أيديهم وبذلك هي كريهة، انظر: (إش ١٥:١):

+ «فحين تبسطون أيديكم أستر عينيَّ عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع، أيديكم ملآنة دماً».

وأيضاً: (إش ٣:٥٩):

+ «لأن أيديكم قد تنجَّست بالدم وأصابعكم بالإثم. شفاهكم تكلَّمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر».

وأيضاً: (إش ٣:٦٦):

+ «مَنْ يذبح ثوراً فهو قاتل إنسان، مَنْ يذبح شاة فهو ناحر كلب، مَنْ يُصعد تقدمة يُصعد دم خنزير. مَنْ أحرق لباناً فهو مُبارِك وثناً».

«ولا أذكر أسماءهم بشفتي»:

هؤلاء عابدو الوثن لا أذكر أسماءهم ولا أذكر آلهتهم، انظر: (خر ١٣:٢٣):

+ «وكل ما قلت لكم احتفظوا به. ولا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يُسمع من فمك».

وقد حدا باليهود المتعصبين أنه إذا بدأ ابن لهم يتعلَّم المسيحية ويذكر اسم المسيح لأول مرَّة دون دراية يبادره أبوه بقلم صاعق على فمه قائلاً لا أسمع منك هذا الاسم مرَّة أخرى! نعم بصفة أن المسيح آلهة أخرى. هكذا انعمى هذا الشعب عمَّا هو حق وما هو باطل مع أنها أعظم هبة يعطيها الله للإنسان، انظر: (هو ١٧:٢):

+ «وأنزع أسماء البعليم من فمها فلا تُذكر أيضاً بأسمائها».

وأيضاً: (زك ٢:١٣):

+ «ويكون في ذلك اليوم يقول رب الجنود أني أقطع أسماء الأصنام من الأرض فلا تُذكر بعد. وأزيل الأنبياء أيضاً والروح النجس من الأرض».

٥ – **«الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي وَكَأْسِي. أَنْتَ قَابِضُ قُرْعَتِي.**

٦ – **حِبَالٌ وَقَعَتْ لِي فِي النُّعَمَاءِ، فَالْمِيرَاثُ حَسَنٌ عِنْدِي».**

يهوه نصيب صاحب المزمور.

«الرب نصيب قسمتي وكأسي»:

يعني أن الرب هو الذي عيَّن قسمتي وكأسي. وكلمة قسمتي تعني الجزء الذي تخصَّص وتحدَّد بالاسم سواء أرض أو طعام أو أي ملكية وهو الجزء الذي يصير ميراثاً. وكأن يهوه حضر القسمة الأرضية وهو الذي حدَّد نصيبه، أمَّا الكأس فيُقترح أنها النصيب من الطعام، ولكن في ظننا أن الكلمة تعني الحوادث والوقائع وما يصيب الإنسان، انظر: (يو ٣٥:٦):

+ «فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة. مَنْ يُقبل إليَّ فلا يجوع ومَنْ يؤمن بي فلا يعطش أبداً».

وأيضاً: (مز ٦:١١):

+ «يمطر على الأشرار فخاخاً ناراً وكبريتاً وريح السموم نصيب كأسهم».

«أنت قابض قرعتي»:

أي أنت الماسك بقوة قرعتي، بمعنى أن رزقي في يدك فلا أحد يسرق من يدك، وآخرون يشرحونها

على حال أقوى قائلين: إنك **أنت هو نصيبي**، انظر: (إر ٢٣:٦):

+ «في أيّامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً. وهذا هو اسمه الذي يدعونه به. الرب برّنا».

وأيضاً: (إر ٣٣:١٦):

+ «في تلك الأيام يخلص يهوذا وتسكن أُورشليم آمنة. وهذا ما تتسمَّى به الرب برنا».

وحياة الرفقة مع يهوه تضمن الأمان الخارجي وتضمن الفرح الداخلي.

واللغة هنا تذكرنا باللاويين الذين ليس لهم قسمة ولا ميراث لأن يهوه نفسه هو قسمتهم، انظر: (عد ١٨:٢٠):

+ «وقال الرب لهارون لا تنال نصيباً في أرضهم ولا يكون لك قسم في وسطهم، أنا قسمك ونصيبك في وسط بني إسرائيل».

وأيضاً: (تث ١٠:٩):

+ «لأجل ذلك لم يكن للاوي قسم ولا نصيب مع إخوته. الرب هو نصيبه كما كلَّمه الرب إلهك».

وأيضاً: (تث ١٨: ١و٢):

+ «لا يكون للكهنة اللاويين كل سبط لاوي قسم ولا نصيب مع إسرائيل. يأكلون وقائد الرب ونصيبه. فلا يكون له نصيب في وسط إخوته. الرب هو نصيبه كما قال له».

لأن إسرائيل كانت أُمة كهنة، انظر: (خر ١٩:٦):

+ «وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأُمة مقدَّسة. هذه هي الكلمات التي تُكلِّم بها بني إسرائيل».

وعلى المستوى الروحي كان يهوه هو نصيب إسرائيل، انظر: (إر ١٠:١٦):

+ «ليس كهذه نصيب يعقوب (إسرائيل). لأنه مُصوِّر الجميع وإسرائيل قضيب ميراثه. رب الجنود اسمه».

أمَّا الإسرائيلي الفرد، فانظر: (مز ٧٣:٢٦):

+ «قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر».

وأيضاً: (مز ١١٩:٥٧):

+ «نصيبي الرب قلت لحفظ كلامك».

وأيضاً: (مز ١٤٢:٥):

+ «صرخت إليك يا رب. قلتُ أنت ملجأي نصيبي في أرض الأحياء».

«حبال وقعت لي في النعماء»:

تقسم الأنصبة في الأرض بحبال المساحة ثمَّ توزَّع بالقرعة، ولكن لا تزال اللغة تصويرية فالمعنى أن يهوه بالنسبة له كأحسن وأخيرُ مُلك في أحسن أرض، انظر: (مز ٢٧:٤):

+ «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكله».

وأيضاً: (مز ٩٠:١٧):

+ «ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا وعمل أيدينا ثبِّت علينا. وعمل أيدينا ثبِّته».

وأيضاً: (إر ٣:١٩):

+ «وأنا قلت كيف أضعك بين البنين وأعطيك أرضاً شهية ميراث مجد أمجاد الأمم».

الله يكلِّم أُمَّة إسرائيل في الشتات، انظر: (إر ٣:١٨):

+ «في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل ويأتيان معاً من أرض الشمال إلى الأرض التي ملَّكت آباءكم إيَّاها». (آمين يا رب).

«فالميراث حسن عندي»:

لا يزال يستحسن ميراثه، وميراثه هو يهوه وسيظهر في الآية القادمة.

٧ - «أُبَارِكُ الرَّبَّ الَّذِي نَصَحَنِي، وَأَيْضاً بِاللَّيْلِ تُنْذِرُنِي كُلْيَتَايَ.
٨ - جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ»:

«أبارك الرب الذي نصحني»:

علَّمه كيف يختاره وكيف يتبعه، انظر: (مز ٣٢:٨):

+ «أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك».

وأيضاً: (مز ٧٣:٢٤):

+ «برأيك تهديني. وبَعدُ إلى مجد تأخذني».

«بالليل تنذرني كليتاي»:

لا يزال مع يهوه، في أيام الليالي السوداء كليتاي تعلّمني لأبعد عن الخطأ. كذلك تعني أن في هدوء الليل ينذرني وينجيني ويعلّمني من خلال صوت الضمير، انظر: (مز ٤:٤):

+ «ارتعدوا ولا تخطئوا. تكلّموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا».

وأيضاً: (مز ١٧:٣):

+ «جرَّبت قلبي تعهَّدته ليلاً. محّصتني. لا تجد فيَّ ذموماً. لا يتعدَّى فمي».

ومعروف أن الكلى أعضاء العواطف والأحاسيس وفكر الضمير "القلب والكلى" تعني كل مداخل النفس فكراً وإرادة، انظر: (مز ٧:٩):

+ «لينته شر الأشرار وثبِّت الصديق. فإن فاحص القلوب والكلى الله البار».

«جعلت الرب أمامي في كل حين»:

انظر: (مز ١١٩:٣٠):

+ «اخترت طريق الحق. جعلت أحكامك قدّامي».

وأيضاً: (مز ١٨:٢١):

+ «لأني حفظت طريق الرب ولم أعصِ إلهي».

ورأيت الرب دائماً أمام وجهي.

«عن يميني»:

كمحام، انظر: (مز ١٠٩:٣١):

+ «لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلّصه من القاضين على نفسه».

أو عن يمينه كجبار، انظر (مز ١١٠:٥):

+ «الرب عن يمينك يحطّم في يوم رجزه ملوكاً».

وأيضاً: (مز ١٢١:٥):

+ «الرب حافظك. الرب ظل لك عن يدك اليمنى».

والمحارب الذي يدافع عن آخر فإنه بالطبع يقف عن يمينه.

٩ - «لذلكَ فَرِحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجَتْ رُوحِي. جَسَدي أَيْضاً يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا.

١٠ - لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً.

١١ - تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ»:

السعادة التي تنشأ من المسيرة مع يهوه بالفرح والثقة والتقدُّم.

هنا ينتقل من أتعاب الأرض والحماية من الأعداء إلى الراحة العليا التي كشفت عنها فرحته القلبية التي ملأت نفسه سلاماً. فنظر وتطلّع مقدّماً فرأى كيف سينجيه من الهاوية مسكن الراقدين دون فساد، وعرَّفه سرًّا طريق الحياة الأخرى وكيف أن المسرَّة فيها الشبع.

«جسدي أيضاً يسكن مطمئناً»:

هذه الآية متكرِّرة وتفيد التعبير عن الحياة غير المضطربة في أمان في أرض الميعاد. وهي تؤخذ على أرض الميعاد الزمني لإبراهيم وهي فلسطين، وأرض الميعاد للمواعيد العظمى والثمينة وهي ملكوت الله.

«لأنك لن تترك نفسي في الهاوية»:

والمعنى أن يهوه لن يتخلّى عنه ويسلّمه للعالم غير المنظور (ما بعد الموت) الذي يشبه وحشاً هائل يقبض على فريسته. وهو يتوسّل كأحد أحبّاء (hasid) يهوه وذلك ضمن إحساناته.

«لن تدع تقيك يرى فساداً»:

وقد قرأها العهد الجديد "قديسك". والفساد بالعبري كلمة حيَّرت العلماء فهي shachath وحاولوا حديثاً ترجمتها إلى قبر أو حفرة. ولكن في الحقيقة هي لا تعبِّر عن مكان بل تعبِّر عن حالة. والكلمة العبرية قريبة من الشيخوخة وفسادها وليس الحفرة ولا القبر. والمعنى الذي توصَّلوا إليه أنه لن يمارس الموت ولكن الأصح فساد الموت.

«تعرفني سبيل الحياة»:

أي تعرفني طريق الحياة، وليس فقط أن تحفظني من فساد الموت بل تقودني إلى أعلى في رفقتك وحينئذ تُدعى الحياة حياة، انظر: (أم ١٠:١٧):

+ «حافظ التعليم هو في طريق الحياة ورافض التأديب ضال».

وأيضاً: (أم ١٥:٢٤):

+ «طريق الحياة للفطن إلى فوق للحيدان عن الهاوية من تحت».

وأيضاً: (مت ١٤:٧):

+ «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدِّي إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه».

وأيضاً: (يو ٣:١٧):

+ «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».

وطريق الحياة ليس يؤدِّي فقط إلى الحياة ولكنه فيه الحياة فهو طريق البر، انظر: (أم ٢٨:١٢):

+ «في سبيل البر حياة وفي طريق مسلكه لا موت».

وطريق الحياة في سفر الأمثال هو المقارن الضد للطريق الذي يؤدِّي للهاوية والموت، انظر أيضاً: (تث ١٥:٣٠):

+ «انظر. قد جعلت اليوم قدَّامك الحياة والخير والموت والشر».

طريق الحياة يقود إلى فوق في نور حضرة الله وفي حضور الله ملء الفرح، انظر: (مز ١٥:١٧):

+ «أمَّا أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع (سعادة) إذا استيقظت بشبهك».

وأيضاً: (مز ٦:٢١):

+ «لأنك جعلته بركات إلى الأبد. تفرِّحه ابتهاجاً أمامك».

وأيضاً: (مز ٤: ٦و٧):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يُرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب. جعلت سروراً في قلبي أعظم من سرورهم إذ كثرت حنطتهم وخمرهم».

وأيضاً: (أم ٢٣:١٩):

+ «مخافة الرب للحياة. يبيت شبعانَ لا يتعهَّده شر».

«في يمينك نِعَم إلى الأبد»:

فيهوه الوحيد الذي يصنع الخير، انظر: (أم ١٦:٣)، حيث يكني عن الله بالحكمة:

+ «في يمينها (الحكمة) طول أيام وفي يسارها الغِنى والمجد».

سرور العالم يذبل ويزول أمَّا مسرة الله هي وحدها أبدية. يقول أحد الحكماء المدعو Hooker: [نصير سعداء حينما نستمتع تماماً بالله كموضوع فيه كل قوى أنفسنا ورضاها ومسرَّة وفرح أبدي لا ينتهي. فبالرغم من أننا نظل بشراً كما نحن ولكن حينما نكون مع الله متحدين نحيا حياة الله].

شرح إنجيلي للآيات (٨-١١):

١ - شرحها القديس بطرس في يوم الخمسين (أع ٢: ٢٥-٢٨) هكذا:

+ «لأن داود يقول فيه كنت أرى الرب أمامي في كل حين. أنه عن يميني لكي لا أتزعزع، لذلك سُرَّ قلبي وتهلَّل لساني، حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً. عرَّفتني سبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك».

وأيضاً: (أع ٢: ٣٠و٣١):

+ «(وداود) إذ كان نبيًّا وعلم أن الله حلف له بقسمٍ أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه. سبق فرأى وتكلَّم عن قيامة المسيح إنه لم تُترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً».

إذن داود كان يتكلَّم بالنبوَّة ليس عن نفسه، ولكنه إذ كان نبيًّا تنبَّأ عن المسيح.

٢ - وكذلك شرحها القديس بولس في أنطاكية بيسيدية (أع ١٣: ٣٥و٣٦):

+ «ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر لن تدع قدوسك يرى فساداً. لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه ورأى فساداً».

إذن كانت هذه الأعداد من المزمور نبوة عن قيامة المسيح. والنص في أعمال الرسل أخذ من النسخة السبعينية وهي ترجمة حرَّة وليست حرفية عن العبرية.

فالقديس بطرس يُظهر أن داود قد أعطى كلمات وهَّاجة بالإيمان والرجاء، وهو نفس الحال والمستوى الذي تكلَّم به داود في المزمور. وكلمات المزمور لم تتحقَّق في كاتبه لأنه لم يستطع بالنهاية أن يهرب من الموت وجسده رأى فساداً. فهل كانت كلماته كلمات حلم خامل؟ طبعاً لا ولا. ولكن كاتب المزمور كان مقوداً بالروح القدس ورأى أمامه المسيح الذي بعلاقته بالله التي كانت كاملة غير ملومة أن الموت لم يقوَ عليه ولم يَسُدْهُ، وفي قيامته تحقَّقت الكلمات المحكمة وكملت. ولكن صفته النبوية لا تستثني عودتها مبدئياً على صاحب المزمور خاصة من جهة إيمانه ورجائه.

ولكن لا يزال سؤال: ما معنى الكلمات التي قالها صاحب المزمور كما يراها لنفسه؟

هل كان يتكلَّم عن مسيرته مع الله في هذا الدهر فقط، أو هو كان ينظر ويأمل ويرى ويخترق

الحجاب الساتر بين عالمنا الأرضي والعالم الآخر، وتحقَّق من صدق وواقع استمرار الحياة في إحساس المسيرة مع الله هناك، حتى وإلى مستوى القيامة للأجساد!؟

إنه من الصعب أن نحرِّف الكلمات ونجرِّدها، التي تعبِّر عن الارتباط بما قبلها وبعدها، التي اجتمعت معها وتُوازن جزئياً نفس المعنى الأصلي. فمن جهة إنه مؤكد أن نفس اللغة استخدمت في أمكنة أخرى تفيد الانفكاك من الموت الحاضر والاستمتاع بزمالة الله في هذه الحياة. ومن جهة أخرى واضح أن هذه الكلمات تسمح للتدليل على عدم نهاية الحياة في زمالة أو المسيرة مع الله.

وعلى كل حال فإن قوة الإحساس الفائق القوة للسعادة في الوجود مع الله يجعل الموت يتلاشى تماماً من ناظرة صاحب المزمور.

واضح أن الحياة في المستقبل موجودة فعلاً في إيمان صاحب المزمور فهو يؤسس رجاءه على الخلاص بسبب علاقته القوية جداً والصادقة جداً بيهوه. وهذه الصلة الحياتية لا يمكن أن يقطعها الموت، انظر: (مت ٢٢: ٣٢):

+ «أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ليس الله إله أموات بل إله أحياء».

هذه الحقائق يمكن إدراكها تدريجياً وخلال مصارعة النفس مع الواقع والإيمان والرجاء ثمَّ تتحقَّق بالكامل حينما نعلم أن المسيح ألغى الموت وأبطله وأنار الحياة والخلود وجعل الحياة وعدم الفساد تنير وتضيء بالإنجيل (٢تي ١: ١٠).

ومن جهة أنفسنا كلمات هذا المزمور يتحتَّم أن تحمل لنا المعنى الكامل في القيامة التي قامها المسيح وأنار حقيقتها. ونحن يلزم أن نقول بالحياة الأبدية التي بدأت معنا الآن وهنا وسوف تكمل وتبلغ النهاية والمجد هناك، انظر: (يو ٦: ٤٧و٥٤، ١٤: ١٩).

المزمور السابع عشر

صَلاَةٌ لِدَاوُدَ

١ – «اِسْمَعْ يَا رَبُّ لِلْحَقِّ. أَنْصِتْ إِلَى صُرَاخِي. أَصْغِ إِلَى صَلاَتِي مِنْ شَفَتَيْنِ بِلاَ غِشٍّ.

٢ – مِنْ قُدَّامِكَ يَخْرُجُ قَضَائِي. عَيْنَاكَ تَنْظُرَانِ الْمُسْتَقِيمَاتِ.

٣ – جَرَّبْتَ قَلْبِي. تَعَهَّدْتَهُ لَيْلاً. مَحَّصْتَنِي. لاَ تَجِدُ فِيَّ ذُمُوماً. لاَ يَتَعَدَّى فَمِي.

٤ – مِنْ جِهَةِ أَعْمَالِ النَّاسِ فَبِكَلاَمِ شَفَتَيْكَ أَنَا تَحَفَّظْتُ مِنْ طُرُقِ الْمُعْتَنِفِ.

٥ – تَمَسَّكَتْ خُطُوَاتِي بِآثَارِكَ فَمَا زَلَّتْ قَدَمَايَ.

٦ – أَنَا دَعَوْتُكَ لأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِي يَا اللهُ. أَمِلْ أُذُنَيْكَ إِلَيَّ. اسْمَعْ كَلاَمِي.

٧ – مَيِّزْ مَرَاحِمَكَ، يَا مُخَلِّصَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ، بِيَمِينِكَ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ.

٨ – احْفَظْنِي مِثْلَ حَدَقَةِ الْعَيْنِ. بِظِلِّ جَنَاحَيْكَ اسْتُرْنِي

٩ – مِنْ وَجْهِ الأَشْرَارِ الَّذِينَ يُخْرِبُونَنِي، أَعْدَائِي بِالنَّفْسِ الَّذِينَ يَكْتَنِفُونَنِي.

١٠ – قَلْبَهُمُ السَّمِينَ قَدْ أَغْلَقُوا. بِأَفْوَاهِهِمْ قَدْ تَكَلَّمُوا بِالْكِبْرِيَاءِ.

١١ – فِي خُطُوَاتِنَا الآنَ قَدْ أَحَاطُوا بِنَا. نَصَبُوا أَعْيُنَهُمْ لِيُزْلِقُونَا إِلَى الأَرْضِ.

١٢ – مَثَلُهُ مَثَلُ الأَسَدِ الْقَرِمِ إِلَى الافْتِرَاسِ، وَكَالشِّبْلِ الْكَامِنِ فِي عِرِّيسِهِ.

١٣ – قُمْ يَا رَبُّ تَقَدَّمْهُ. اصْرَعْهُ. نَجِّ نَفْسِي مِنَ الشِّرِّيرِ بِسَيْفِكَ،

١٤ – مِنَ النَّاسِ بِيَدِكَ يَا رَبُّ، مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا نَصِيبُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ. بِذَخَائِرِكَ تَمْلأُ بُطُونَهُمْ. يَشْبَعُونَ أَوْلاَداً وَيَتْرُكُونَ فُضَالَتَهُمْ لأَطْفَالِهِمْ.

١٥ – أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ».

دراسة:

صاحب المزمور وزملاؤه (١١) محاطون بالرجال المتكبرين وبأعداء لا يشفقون، وانتحوا لهلاكهم. واحد بينهم ظاهر مشهور بعداوته (١٢). مثل هذه المناسبة في حياة داود موصوفة بدقة في (١صم ٢٣: ٢٥و٢٦):

+ «وذهب شاول ورجاله للتفتيش فأخبروا داود فنزل إلى الصخر وأقام في برية معون. فلما سمع شاول تبع داود إلى برية معون. فذهب شاول عن جانب الجبل من هنا وداود ورجاله عن

جانب الجبل من هناك. وكان داود يفر في الذهاب من أمام شاول وكان شاول ورجاله يحاوطون داود ورجاله لكي يأخذوهم».

فأفكار ولغة المزامير موجود نظيرها في مزامير داود. خاصة مزامير (٧)، (١١). لكن كثيراً من النقاد يرجعون هذا المزمور مع مزمور (١٦) إلى زمن متأخر (خطأ) في السبي (اتجاه خاطئ).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «اسْمَعْ يَا رَبُّ لِلْحَقِّ. أَنْصِتْ إِلَى صُرَاخِي. أَصْغِ إِلَى صَلاَتِي مِنْ شَفَتَيْنِ بِلاَ غِشٍّ»:

«الحق»:

ترجمت البر أو العدل - بسبب البر ودعاء الحق يظهر صاحب المزمور أمام القاضي البار، وبسبب الثقة في صحة وأصالة دوافعه نحو الله ونحو البشر صار له ضمير جيد، وهذا لا يجارى كشرط للصلاة الحارة.

«صراخي»:

الكلمة تُظهر نوعاً من الصلاة، فهي مجلجلة، دوافعها شرور جعلت التوسُّل واثقاً، فهي صلاة نافذة خارقة المفاصل، تعبِّر عن عواطف مترعجة، انظر: (مز ١:٦١):

+ «اسمع يا الله صراخي واصغ إلى صلاتي».

وأيضاً: (إر ١٦:٧):

+ «وأنت فلا تصلِّ لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء (في العبري: صراخاً) ولا صلاة ولا تلح عليَّ لأني لا أسمعك».

«من شفتين بلا غش»:

أطلقتها بدون قصد غاش فلا يوجد فيها رياء، انظر: (مز ٧:١٠):

+ «فمه مملوء لعنة وغشًّا وظلماً. تحت لسانه مشقّة وإثم».

٢ - «مِنْ قُدَّامِكَ يَخْرُجُ قَضَائِي. عَيْنَاكَ تَنْظُرَانِ الْمُسْتَقِيمَاتِ»:

انظر: (مز ٦:٣٧):

+ «ويخرج مثل النور برّك وحقّك مثل الظهيرة».

وأيضاً: (إش ٤٢: ١و٣و٤):

+ «هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرّت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأُمم... قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يُطفئ. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته».

وأيضاً: (حب ٤:١):

+ «لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم بتة لأن الشرير يحيط بالصديق فلذلك يخرج الحكم معوجاً».

أخرج القضية لحقي أعطها قوة وحقق وبرهن العدل في قضيتي.

«عيناك تنظران المستقيمات»:

الأفضل في الترجمة: "ليت عينيك تنظران بالعدل والإنصاف".

٣ - «جَرَّبْتَ قَلْبِي. تَعَهَّدْتَهُ لَيْلاً. مَحَّصْتَنِي. لاَ تَجِدُ فِيَّ ذُمُوماً. لاَ يَتَعَدَّى فَمِي.

٤ - مِنْ جِهَةِ أَعْمَالِ النَّاسِ فَبِكَلاَمِ شَفَتَيْكَ أَنَا تَحَفَّظْتُ مِنْ طُرُقِ الْمُعْتَنِفِ.

٥ - تَمَسَّكَتْ خُطُوَاتِي بِآثَارِكَ فَمَا زَلَّتْ قَدَمَايَ»:

اللغة الجريئة للضمير الصالح.

«جرَّبت قلبي تعهدته»:

انظر: (مز ٤:١١):

+ «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه. عيناه تنظران، أجفانه تمتحن بني آدم».

وأيضاً: (مز ٥:١١):

+ «الرب يمتحن الصديق. أمَّا الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه».

«ليلاً»:

حينما يهدأ الإنسان ويرى نفسه رؤية صحيحة بلا تحيُّز، انظر: (مز ٤:٣٦):

+ «يتفكَّر بالإثم على مضجعه».

«محصتني لا تجد فيَّ ذموماً»:

انظر: (مز ٦٦:١٠):

+ «لأنك جرَّبتنا يا الله. محَّصتنا كمحص الفضة».

لا يوجد فيَّ ما يصيب غرضي وسلوكي.

«لا يتعدَّى فمي»:

لا بفكر ولا بعمل ولا بشيء يخاف من فحص الله.

«من جهة أعمال الناس فبكلام شفتيك أنا تحفَّظت من طرق المعتنف»:

كإنسان بين الآخرين أطاع كل أقوال الله وعيَّن طريق العنف والعنفاء وامتنع من السير فيه ممتنعاً عن اجتماعاتهم ومثلهم. ووصايا الله كانت هي ما يحفظه، وكانت تعطيه النظام والقوة لسلوكه وطريق العنفاء هو ضد طريق الحياة، انظر: (مز ١٦:١١):

+ «تعرِّفني سبيل الحياة ...».

انظر: (أم ١:١٩):

+ «هكذا طرق كل مولع بكسب. يأخذ نفس مقتنيه».

وأيضاً: (أم ٢:١٣):

+ «التاركين سبل الاستقامة للسلوك في مسالك الظلمة».

«المعتنف»:

السرقة بعنف تُذكر أنها المثل الأكثر شيوعاً للأعمال الشريرة الخاطئة للقريب، انظر: (إر ٧:١١):

+ «هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم. هأنذا أيضاً قد رأيت يقول الرب».

وأيضاً: (حز ١٨:١٠):

+ «فإن ولد ابناً معتنفاً سفَّاك دم ففعل شيئاً من هذه».

ولكي نرى المثل الصحيح من حياة داود، انظر: (١صم ٢٥: ٣٢-٣٤):

+ «فقال داود لأبيجايل. مبارك الرب إله إسرائيل الذي أرسلكِ هذا اليوم لاستقبالي. ومبارك عقلكِ ومباركة أنتِ لأنكِ منعتني اليوم من إتيان الدماء وانتقام يدي لنفسي. ولكن حي هو

الرب إله إسرائيل الذي منعني عن أذيتكِ إنك لو لم تبادري وتأتي لاستقبالي لما أُبقي لنابال إلى ضوء الصباح بائل بحائط».

وأيضاً: (١صم ٢٤: ١٠-١١):

+ «هوذا قد رأت عيناك اليوم هذا كيف دفعك الرب اليوم ليدي في الكهف، وقيل لي أن أقتلك، ولكنني أشفقت عليك وقلت لا أمد يدي إلى سيدي لأنه مسيح الرب هو. فانظر يا أبي انظر أيضاً طرف جبتك بيدي، فمن قطعي طرف جبتك وعدم قتلي إيَّاك اعلم وانظر أنه ليس في يدي شر ولا جرم ولم أخطئ إليك، وأنت تصيد نفسي لتأخذها».

ومجمل الآية (٤): لأن أعمال الناس عملت ضد كلمات شفتيك فهي لا تطاق.

«تمسَّكت خطواتي بآثارك. فما زلَّت قدماي»:

«آثارك»:

أي طرقك الممهَّدة بالنعمة.

«زلَّت»:

أخفقت.

٦ – «أَنَا دَعَوْتُكَ لأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِي يَا اَللهُ. أَمِلْ أُذُنَيْكَ إِلَيَّ. اسْمَعْ كَلاَمِي.

٧ – مَيِّزْ مَرَاحِمَكَ، يَا مُخَلِّصَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ، بِيَمِينِكَ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ.

٨ – احْفَظْنِي مِثْلَ حَدَقَةِ الْعَيْنِ. بِظِلِّ جَنَاحَيْكَ اسْتُرْنِي

٩ – مِنْ وَجْهِ الأَشْرَارِ الَّذِينَ يُخْرِبُونَنِي، أَعْدَائِي بِالنَّفْسِ الَّذِينَ يَكْتَنِفُونَنِي»:

بعد أن عرض أعمال كماله، رجع إلى صلاته.

«أنا دعوتك لأنك تستجيب لي»:

تصدُّر كلمة "أنا" في الجملة تشديد على شخصيته. دعوتك وفي ملء الثقة أنك ستستجيب لي.

«يا الله»:

يقصد "إيل" استمع صلاتي.

«ميِّز مراحمك»:

أظهر إحساناتك العجيبة، انظر: (مز ٢١:٣١):

+ «مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً رحمته لي في مدينة محصَّنة».

وكلمة "ميِّز" تشير إلى حسن تداخله في شئون الله. لأن الحاجة ألزمته فهي شديدة ولكن في اعتقاده الله أقوى. وهناك آيات مشابهة لكلماته: «يا مخلِّص المتكلين عليك بيمينك».

انظر: (مز ٥:٦٠):

+ «لكي ينجو أحباؤك. خلِّص بيمينك واستجب لي».

وأيضاً: (مز ٦:٢٠):

+ «الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه».

«احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني»:

«مثل حدقة العين»:

اصطلاح يحمل أرق وأعز وصف للحماية بغيرة وعناية فائقة، انظر: (تث ١٠:٣٢):

+ «وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه».

وأيضاً: (أم ٢:٧):

+ «احفظ وصاياي فتحيا. وشريعتي كحدقة عينك».

وأيضاً: (زك ٨:٢):

+ «لأنه هكذا قال رب الجنود. بعد المجد أرسلني إلى الأمم الذين سلبوكم. لأنه من يمسكم يمس حدقة عينه».

«بظل جناحيك استرني»:

صورة محببة مأخوذة من عناية الأم للطائر بأولادها، انظر: (مت ٣٧:٢٣):

+ «يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرَّة أردت أن أجمع أولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها و لم تريدوا».

على أنه لم يكن في إسرائيل مباشرة في استئناس الطيور، انظر: (مز ٦:٣٦):

+ «عدلك مثل جبال الله. وأحكامك لجة عظيمة. الناس والبهائم تخلِّص يا رب (لم يذكر الطيور)».

انظر: (مز ١:٥٧):

+ «ارحمني يا الله ارحمني، لأنه بك احتمت نفسي وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب».

وأيضاً: (مز ٧:٦٣):

+ «لأنك كنت عوناً لي وبظل جناحيك أبتهج».

وأيضاً: (مز ٤:٩١):

+ «بخوافيه يظلِّلك وتحت أجنحته تحتمي. ترس ومجن حقه».

وهذه الصورة تتبع صورة النسر لأن يهوه كان يرعى ويقود شعبه كالنسر وأولاده الصغار.

«الذين يكتنفونني»:

وتعني الذين يضغطون عليَّ لتخريب حياتي. انظر: (مز ٥:١٢):

+ «من اغتصاب المساكين من صرخة البائسين الآن أقوم يقول الرب».

«أعدائي بالنفس»:

أعدائي للموت فليس يرضيهم إلاَّ أخذ نفسي، انظر: (اصم ١١:٢٤):

+ «وأنت تصيد نفسي لتأخذها».

فالمعنى الحقيقي لكلمة "بالنفس" هو قصد الموت، انظر: (مز ١٢:٢٧):

+ «لا تسلِّمني إلى مرام مضايقيَّ. لأنه قد قام عليَّ شهود زور ونافث ظلم».

١٠ - «قَلْبُهُم السَّمِينَ قَدْ أَغْلَقُوا. بِأَفْوَاهِهِمْ قَدْ تَكَلَّمُوا بِالْكِبْرِيَاءِ.
١١ - فِي خُطُوَاتِنَا الآنَ قَدْ أَحَاطُوا بِنَا. نَصَبُوا أَعْيُنَهُمْ لِيُزْلِقُونَا إِلَى الأَرْضِ.
١٢ - مَثَلُهُ مَثَلُ الأَسَدِ الْقَرِمِ إِلَى الافْتِرَاسِ، وَكَالشِّبْلِ الْكَامِنِ فِي عِرِّيسِهِ».

في هذه الآيات بيَّن أخلاق أعدائه.

إن الخصب والنجاح أنتج اعتداداً بالذات وشعوراً باحتقار الآخرين. انظر: (مز ٧٣: ٧و٨):

+ «جحظت عيونهم من الشحم. جاوزوا تصورات القلب. يستهزئون ويتكلَّمون بالشر ظلماً من العلاء يتكلَّمون».

وأيضاً: (أي ٢٧:١٥):

+ «لأنه قد كسا وجهه سمناً وربَّى شحماً على كليتيه».

وقد أغلقوا قلوبهم ضد كل التأثيرات وكل رحمة، انظر: (١يو ٣:١٧):

+ «وأمَّا مَنْ كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه».

«قد تكلّموا بالكبرياء»:

انظر: (مز ١٢:٣):

+ «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلّم بالعظائم».

وأيضاً: (مز ٣١:١٨):

+ «لتبكم شفاه الكذب المتكلّمة على الصديق بوقاحة بكبرياء واستهانة».

وأيضاً: (مز ٧٣:٦):

+ «لذلك تقلدوا الكبرياء لبسوا كثوب ظلمهم».

وفي الآية (١١) يتضح أنهم قد أدركوا صاحب المزمور وأحاطوا به وابتدأوا يلاحظونه بكل دقة ليجدوا فرصة ليردوه أرضاً، انظر: (مز ٣٧:٣٢):

+ «الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته».

«مثل الأسد القرم»:

الأسد العجوز المتدرِّب على القنص والقتل، انظر: (مز ٢٢:١٣):

+ «فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر».

وكان هذا واحداً من أعدائه (لو صحَّ أن المتكلّم داود فيكون هو شاول وهو ماهر في القسوة والمكر والحيلة)، انظر: (مز ٧:٢):

+ «لئلا يفترس كأسد نفسي هاشماً إيَّاها ولا منقذ».

١٣ – **«قُمْ يَا رَبُّ تَقَدَّمْهُ. اصْرَعْهُ. نَجِّ نَفْسِي مِنَ الشِّرِّيرِ بِسَيْفِكَ»:**

يطلب المعونة: قابله وجهاً لوجه، إذا هو استعد ليقفز أحنه أرضاً **اجثم فوقه** وأرغمه على الخضوع. انظر: (مز ١٨:٣٩):

+ «تمنطقني بقوة للقتال تصرع تحتي القائمين عليَّ»

هذا مثل الأسد في راحته (تك ٤٩:٩):

+ «يهوذا جرو أسد (شبل). من فريسة صعدت يا ابني، **جثا** وربض كأسد وكلبوة. مَنْ يُنهضه؟».

١٤ – **«مِنَ النَّاسِ بِيَدِكَ يَا رَبُّ، مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا نَصِيبُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ. بِذَخَائِرِكَ تَمْلأُ بُطُونَهُمْ. يَشْبَعُونَ أَوْلاَداً وَيَتْرُكُونَ فُضَالَتَهُمْ لأَطْفَالِهِمْ»:**

من الأشرار استخدم سيفك ولكن من الناس استخدم يدك، انظر: (مز ٧:١٢):

+ «إن لم يرجع يحدِّد سيفه. مدَّ قوسه وهيأها».

«من أهل الدنيا»:

المحبوبون للعالم وما فيه الذين يذهبون بذهابه، انظر: (يو ١٥:١٩):

+ «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم ...»

نصيبهم في هذا العالم فقط. ولكن يهوه هو نفسه نصيب الأتقياء، انظر: (مز ١٦:٥):

+ «الرب نصيب قسمتي وكأسي. أنت قابض قرعتي».

هؤلاء الناس الذين من العالم قانعون بقسمة مادية زائلة من الأشياء، انظر: (مز ٤٩:٦):

+ «الذين يتكلون على ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون».

وأيضاً: (٧٣:٣):

+ «لأني غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار».

لذلك يعاملهم الله بمقتضى شهوة قلوبهم فينعمون فقط بشهواتهم السفلى، انظر: (في ٣:١٩):

+ «الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأرضيات».

والذي يشرق شمسه على الأشرار والصالحين يملأ بطونهم من مخازنه ويعتني بالناحية الحيوانية لطبيعتهم، انظر: (أي ٢٢:١٨):

+ «وهو قد ملأ بيوتهم خيراً. لتبعد عني مشورة الأشرار».

ويتركهم يخلفون أولاداً كما يشاؤون ونجاحهم يستمر ويمتلكون ما يشاءون ويتركون هذا كله لأولادهم وعائلاتهم.

١٥ – **«أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ»:**

ويعمل صاحب المزمور مقارنته بين ما يطلبه الأشرار ويأخذونه مع مطالبه الروحية وإلهاماته، فهو لا يمانع ولا يشكو من نجاحهم وفلاحهم، فهي لا تمثل له تجربة لصبره ولا معثرة لأخلاقه كما هي في (مز ٣٧: ١و٣):

+ « لا تغر من الأشرار ولا تحسد عُمَّال الإثم ... اتكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة».

وأيضاً: (مز ٧٣:١٢):

+ «هوذا هؤلاء هم الأشرار، ومستريحين إلى الدهر يكثرون ثروة».

فبركاتهم ليست ولا إلى لحظة تقارن بما أعطاه الله «أن يرى وجه يهوه» ويستمتع بشركة معه، وكل البركات التي تنبع منه فهي حقيقة داخلية التي توازي وتتصل بكيف يتراءى أمامه في هيكله، انظر: (مز ١٦:١١):

+ «تُعرِّفني سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نِعَم إلى الأبد».

والبر هو شرط رؤياه والتفرس فيه، لأن الخطية وحدها هي التي تفصل الإنسان عن الله، انظر: (مت ٥:٨):

+ «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

وأيضاً: (عب ١٢:١٤):

+ «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب».

ويختم بصلاة جريئة حتى يسمح له إلى هذه الدرجة العليا، إلى هذا الامتياز الذي تنعّم به موسى ويشبع بشبه يهوه، انظر (عد ١٢: ٦-٨):

+ «فقال: اسمعا كلامي (الرب يتكلَّم) إن كان منكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكلمه، أمَّا عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي، فماً إلى فم وعياناً أتكلَّم معه لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين».

نتكلَّم عالمياً حين نقول إن الإنسان يكون مسروراً وشبعاناً حينما يرى نفسه منعكسة على أولاده، ليس أقل من هذا يكون منظر الرب في شكل الله ليشبع داود، انظر: (مز ١٦:١١):

+ «تعرِّفني سبيل الحياة أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد».

ولكن ما معنى حينما أستيقظ، أليس بعد انتهاء أتعاب الليل يكون المعنى، ولكنه يقصد:

١ - التجديد اليومي لهذه الشركة. انظر: (مز ١٣٩: ١٧و١٨):

+ «ما أكرم أفكارك يا الله عندي ما أكثر جملتها. إن أحصها فهي أكثر من الرمل. **استيقظت وأنا بعد معك**».

٢ - وعلى المستوى الروحي العالي يكون معنى الاستيقاظ هو القيام من الموت ليرى وجه الله في العالم الآخر والموت يكنى عنه بالنوم، انظر: (مز ١٣:٣):

+ «انظر واستجب لي يا رب إلهي. أنر عينيَّ لئلاَّ **أنام** نوم الموت».

والقيامة هي اليقظة الحقيقية، انظر: (إش ٢٦:١٩):

+ «تحيا أمواتك تقوم الجثث، استيقظوا ترنَّموا يا سكان التراب».

وأيضاً: (دا ١٢:٢):

+ «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي».

وواضح أن عقيدة الحياة الأبدية ظاهرة في الكلام لأنه من غير المعقول أبداً أن يكون لداود شركة مع الله يومياً(١) وتتجدد باستمرار ويحدث أن تنقطع فجأة وتنتهي بالموت، لأن الشركة مع الله تعني الحياة الأبدية، وإن كانت كسبق معاينة. فداود كان له صدى من الرجاء الكبير، ولكن، وكيف ومن أين استقاه فهذا لم ينكشف، ويكفي أن يعبِّر عن السماء أنها موضعه!

ومن الصعب والمستحيل أن نقرأ كلمات هذا النبي ولا نصلها بالإنجيل. فداود إرهاصة إنجيلية، هذا تحقَّقه ق. بولس، انظر: (رو ١:١٧):

+ «كما هو مكتوب أمَّا البار فبالإيمان يحيا [مأخوذة من حبقوق ٢:٤]».

ومنظر وشكل الآب هو الابن المتجسِّد الذي لم يوجد فقط منذ العهد الجديد بل كان قائماً عاملاً

(١) يقول العالم Delitzsch: المقارنة هنا ليست بين الحياة الحاضرة والمستقبلة ولكن بين العالم والله. فنحن هنا نواجه أعماق العهد القديم ومعتقداته، فكل البركة والمجد للحياة المستقبلية التي رأيناها ومارسناها في العهد الجديد هي انكشاف واستعلان ما هو عند يهوه للعهد الجديد. فيهوه هو أعلا الصلاح الذي ارتفع فوق الأرض والسماء، الموت والحياة، ليخضع الكل صاغراً له دون أن ينكشف بالمعرفة مستقبل الحياة والسعادة القادمة إلاَّ في ميعادها، حيث ظهر فيه ملء الحياة بالرغم من صورة الموت التي كان يعاينها العهد القديم.

في كل أحداث العهد القديم، وتجلّيه حقيقة دهرية، انظر: (٢كو ٣:١٨):
+ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ...».

أمّا موسى فكان يلزم له أن يضع برقعاً. أمّا داود فبالرؤيا. ويلزم أن نلاحظ أن كل العهد القديم لم يتكلّم صراحة عن القيامة والحياة الأخرى ولكن بالتلميح غير الصريح الذي يُفهم منه ذلك. فمثلاً الترجوم وأكويلا وسيماخوس وجيروم كلها أعطت نسخاً حرفية والسبعينية قالت: "سأكون سعيداً حينما يظهر مجدك"، والسُريانية تقول: "حينما تظهر أمانتك" وثيئودوتيون يقول: "حينما تظهر يدك اليمنى". هكذا اختلفت الألفاظ ولكن المعنى الضمني واحد، فكلمة: "مجدك" التي جاءت في رسالة كورنثوس جاءت شكلك في السبعينية كما هي في سفر العدد (٨:١٢): «فماً إلى فم وعياناً أتكلّم معه لا بالألغاز. وشبه الرب يعاين». هذه تكشف عن إمكانية رؤية شبه الرب في العهد القديم.

المزمور الثامن عشر

لرئيس الموسيقيين. مزمور لداود خادم الرب الذي كلّم الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول. فقال:

١- «أُحبُّكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي.
٢- الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي. إِلهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي وَمَلْجَإِي.
٣- أَدْعُو الرَّبَّ الْحَمِيدَ، فَأَتَخَلَّصُ مِنْ أَعْدَائِي.
٤- اكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي.
٥- حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي.
٦- فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي. وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ.
٧- فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ.
٨- صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ.
٩- طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ.
١٠- رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ.
١١- جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ. حَوْلَهُ مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ.
١٢- مِنَ الشُّعَاعِ قُدَّامَهُ عَبَرَتْ سُحُبُهُ. بَرَدٌ وَجَمْرُ نَارٍ.
١٣- أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ، بَرَداً وَجَمْرَ نَارٍ.
١٤- أَرْسَلَ سِهَامَهُ فَشَتَّتَهُمْ، وَبُرُوقاً كَثِيرَةً فَأَزْعَجَهُمْ،
١٥- فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ.
١٦- أَرْسَلَ مِنَ الْعُلَى فَأَخَذَنِي نَشَلَنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ.
١٧- أَنْقَذَنِي مِنْ عَدُوِّي الْقَوِيِّ، وَمِنْ مُبْغِضِيَّ لأَنَّهُمْ أَقْوَى مِنِّي.
١٨- أَصَابُونِي فِي يَوْمِ بَلِيَّتِي، وَكَانَ الرَّبُّ سَنَدِي.
١٩- أَخْرَجَنِي إِلَى الرُّحْبِ. خَلَّصَنِي لأَنَّهُ سُرَّ بِي.
٢٠- يُكَافِئُنِي الرَّبُّ حَسَبَ بِرِّي. حَسَبَ طَهَارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ لِي.

٢١- لأَنِّي حَفِظْتُ طُرُقَ الرَّبِّ، وَلَمْ أَعْصِ إِلهِي.

٢٢- لأَنَّ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ أَمَامِي، وَفَرَائِضَهُ لَمْ أُبْعِدْهَا عَنْ نَفْسِي.

٢٣- وَ أَكُونُ كَامِلاً مَعَهُ وَأَتَحَفَّظُ مِنْ إِثْمِي.

٢٤- فَيَرُدُّ الرَّبُّ لِي كَبِرِّي، وَكَطَهَارَةِ يَدَيَّ أَمَامَ عَيْنَيْهِ.

٢٥- مَعَ الرَّحِيمِ تَكُونُ رَحِيماً. مَعَ الرَّجُلِ الْكَامِلِ تَكُونُ كَامِلاً.

٢٦- مَعَ الطَّاهِرِ تَكُونُ طَاهِراً، وَمَعَ الأَعْوَجِ تَكُونُ مُلْتَوِياً.

٢٧- لأَنَّكَ أَنْتَ تُخَلِّصُ الشَّعْبَ الْبَائِسَ، وَالأَعْيُنُ الْمُرْتَفِعَةُ تَضَعُهَا.

٢٨- لأَنَّكَ أَنْتَ تُضِيءُ سِرَاجِي. الرَّبُّ إِلهِي يُنِيرُ ظُلْمَتِي.

٢٩- لأَنِّي بِكَ اقْتَحَمْتُ جَيْشاً، وَبِإِلهِي تَسَوَّرْتُ أَسْوَاراً.

٣٠- اَللهُ طَرِيقُهُ كَامِلٌ. قَوْلُ الرَّبِّ نَقِيٌّ. تُرْسٌ هُوَ لِجَمِيعِ الْمُحْتَمِينَ بِهِ.

٣١- لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ سِوَى إِلهِنَا؟

٣٢- الإِلهُ الَّذِي يُمَنْطِقُنِي بِالْقُوَّةِ وَيُصَيِّرُ طَرِيقِي كَامِلاً.

٣٣- الَّذِي يَجْعَلُ رِجْلَيَّ كَالإِيَّلِ، وَعَلَى مُرْتَفِعَاتِي يُقِيمُنِي.

٣٤- الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ، فَتُحْنَى بِذِرَاعَيَّ قَوْسٌ مِنْ نُحَاسٍ.

٣٥- وَ تَجْعَلُ لِي تُرْسَ خَلاَصِكَ وَيَمِينُكَ تَعْضُدُنِي، وَلُطْفُكَ يُعَظِّمُنِي.

٣٦- تُوَسِّعُ خُطُوَاتِي تَحْتِي فَلَمْ تَتَقَلْقَلْ عَقِبَايَ.

٣٧- أَتْبَعُ أَعْدَائِي فَأُدْرِكُهُمْ، وَلاَ أَرْجِعُ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ.

٣٨- أَسْحَقُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامَ. يَسْقُطُونَ تَحْتَ رِجْلَيَّ.

٣٩- تُمَنْطِقُنِي بِقُوَّةٍ لِلْقِتَالِ. تَصْرَعُ تَحْتِي الْقَائِمِينَ عَلَيَّ.

٤٠- وَ تُعْطِينِي أَقْفِيَةَ أَعْدَائِي، وَمُبْغِضِيَّ أُفْنِيهِمْ.

٤١- يَصْرُخُونَ وَلاَ مُخَلِّصَ. إِلَى الرَّبِّ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ.

٤٢- فَأَسْحَقُهُمْ كَالْغُبَارِ قُدَّامَ الرِّيحِ. مِثْلَ طِينِ الأَسْوَاقِ أَطْرَحُهُمْ.

٤٣- تُنْقِذُنِي مِنْ مُخَاصَمَاتِ الشَّعْبِ. تَجْعَلُنِي رَأْساً لِلأُمَمِ. شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لِي.

٤٤- مِنْ سَمَاعِ الأُذُنِ يَسْمَعُونَ لِي. بَنُو الْغُرَبَاءِ يَتَذَلَّلُونَ لِي.

٤٥- بَنُو الْغُرَبَاءِ يَبْلَوْنَ وَيَزْحَفُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ.

٤٦- حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، وَمُبَارَكٌ صَخْرَتِي، وَمُرْتَفِعٌ إِلهُ خَلاَصِي،

٤٧- الإِلهُ الْمُنْتَقِمُ لِي، وَالَّذِي يُخْضِعُ الشُّعُوبَ تَحْتِي.

٤٨- مُنَجِّيَّ مِنْ أَعْدَائِي. رَافِعِي أَيْضاً فَوْقَ الْقَائِمِينَ عَلَيَّ. مِنَ الرَّجُلِ الظَّالِمِ تُنْقِذُنِي.

٤٩- لِذلِكَ أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ فِي الأُمَمِ، وَأُرَنِّمُ لاسْمِكَ.

٥٠- بُرْجُ خَلاَصٍ لِمَلِكِهِ، وَالصَّانِعُ رَحْمَةً لِمَسِيحِهِ، لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ».

دراسة:

وأخيراً دخل المُحَارِبُ ومَلِكُ المستقبل في السلام بعد لأي عنيف.

وكانت حياته وخلاصه على قيد شعرة من الهلاك والموت والتشنيع من جراء مطاردة شاول الجبار القاسي المملوء غيرة وحسداً وعُقداً ونية سيئة للقتل. فكانت حياة داود في كل ساعة تواجه الهلاك، ولم يكن يعلم هل سيصبح عليه يوم يكون في أمان. فمأساته وبؤسه وصراعه الذي عاناه بالرغم من أنه مختار يهوه المحبوب والمعيَّن سابقاً ليحكم شعبه، ولكن كان عليه أن يحارب ويفتتح طريقه إلى العرش في أمرّ وأصعب الظروف مع حروب إضافية من جرَّاء جيران حاقدين متربصين به ناقمين عليه وناقمين على إسرائيل التي قد بدأت أن تصعد وتظهر في الوجود. وقد اجتمعت الشعوب وتضافرت معاً لكي تسحق هذه المملكة المتحدة بصورة نادرة.

هذا كله مضى وانتهى وصار قصة يُحكى بها، وقد حُفظ داود بصورة نادرة ولكن بنعمة فائقة وسط هذه المخاطر كلها، وقد رافقته النصرة وارتفعت يمينه على أعدائه، وأخيراً صار ملكاً على إسرائيل، ورغم أنف الممالك المحيطة اعترفوا به ملكاً وصاحبوه وقبلوا سلطانه الملكي مرغمين، لكي يكون فوق الجميع. أمّا يهوه فأعطاه التاج وأعلنه بواسطة النبي ناثان عندما افتتح له علناً عصر المستقبل الزاهر.

في هذه الساعة، لحظة بلوغه قمة النصرة والسعادة ألَّف داود رائعته الشعرية على أوتار قيثارته مادحاً مسبِّحاً مكرِّماً معظِّماً يهوه العظيم بكل الشكر.

وقد قدَّم موسوعته المليئة بالحوادث مترسِّماً آثار يد يهوه في كل خطوة، فكان قلبه يفيض بالفرح والامتنان.

والفكر الملهم في كل المزامير يتركّز في أن يهوه قد حفظه وجعله كما هو! وبسبب محبة رعايته وبسبب إيمانه الذي لم يَخِبْ قط صار مديناً بأنه أخيراً قد حُفظ وأُيِّد وارتفع إلى أقصى حالات قوته.

وبواسطة أوصاف رمزية وصف يهوه كيف صار بالنسبة له (١-٣)، وبعدها دبجت[١] يراعه في صور نافذة نهايةَ أعمال الهلاك المدبّرة (٤-٦)، ثمَّ ذكر كيف استجاب الله لصلواته وكشف يهوه نفسه وأعلن قوته (٧-١٥)، وكيف نجّاه من أعدائه الأقوياء بالنسبة له (١٦-١٩). وفي قوة وبساطة يُعبر عن البراءة التي يتصف بها (٢٠-٢٣)، وكانت مسرَّته أن يتابع في عمليات انقاذه برهاناً قاطعاً لأمانة يهوه للذين هم أمناء له انطباقاً للقانون العام لمعاملاته (٢٤-٢٧)، ولله وحده الفضل في ما صار لداود (٢٨-٣٠). والله الذي لا يُقارن بآخر أعطاه القوة والنصاحة والفن للحرب (٣١-٣٤)، فهو الذي صنعه ليكون محارباً وصاحب نصرة على أعدائه (٣٥-٤٢)، وهو وحده الذي جعله بعد أن تمرَّس تحت يده ملكاً على شعبه وسلطاناً فوق كل الشعوب المحيطة (٤٣-٤٥). هو يهوه وحده ومديحه سيكون محل احتفال في العالم كله. لأن إحساناته لم تنحصر في داود وحده، فالوعد يعمل من أجل العالم كله ويختص ذريته إلى الأبد (٤٦-٥٠).

وكون داود هو مؤلّف هذا المزمور فهو معروف ومسلّم به بالإجماع، إلاّ من بعض النقاد الذين يتساءلون عن وجود مزامير لداود كلية. ولكن أمام هذا المزمور الذي جاء عن داود في سفر المزامير يوجد مرادف واضح قوي في سفر صموئيل الثاني (٢صم ٢٢) داخل عمله مما يُحسب قطعاً أصح وأجود برهان لداود وحياته وصفاته ونبالة أوصافه وروعة تأليفه.

وما تضمنه المزمور من ظروف حياة داود وأعماله يطابق التقليد العام الظاهري، لأن داود صاحب المزامير هو مميز وناجح سواء في أعماله كمحارب أو ملك (انظر: الأعداد ٢٩ و٣٣ و٣٤ و٣٧ و٤٣) وكان عليه أن يناضل مع أعداء أهل بيته وأعداء أجانب (٤٣)، وقد قبل خضوع كل الأُمم المحيطة (٤٤) وكان يسترجع حياة غير عادية لمحاولات ومخاطر قد تعرَّض لها من الأعداء وبينهم عدوٌّ متمرسٌ (شاول) (٤ إلخ، ١٧، ٤٨). وكان يستشهد بكمال أخلاقه وغرضه ويرى في خلاصه أن الله تذكر له هذه الاستقامة (٢٠ إلخ)، ولو أن من خلال كل عروضه لاستقامته تواضع فريد وحاسية صافية أنه مدين ليهوه نعمة إلى ما صار إليه. فهذه الصفات إذا أُخذت معاً تشير إلى داود وليس إلى أي أحد آخر يمكن أن يطرأ على تفكيرنا. والشخصية الواضحة واتجاه المزمور هو محاجاة قوية ضد النظرية التي تقول

(١) كلمة: دبج = نقش أو كتب، كلمة: يراعه = قلمه.

إن تأليفه إنما وُضع قسراً في فمه بواسطة شاعر آخر مجهول!

وإذا فحصنا عن زمن كتابة هذا المزمور نجد أنه بالرغم من الأقوال الكثيرة بخصوصه، ولكن عنوانه ومضمونه يوضح بلا أي لبس أنه كُتب في منتصف زمن حكمه، حينما كان في أعلا مستوى نجاحه وقوته أكثر مما يُعتقد أنه في آخر أيّامه. فانتصاراته على أعدائه سواء في الداخل أو الخارج كانت لا تزال حوادثها ترن أصداؤها في تفكيره. فكارثة هروبه من شاول لا يزال يعيها ويذكرها بالأسى، وفي نفس الوقت لا يوجد أي أثر عن ذكر خطايا أو أسف التي غيَّمت في أفق نهاية أيامه في الحكم. ونغمة المزمور الحرة والمُسرَّة وتأكيده الشجاع على نزاهته تحكي عن زمان ما قبل سقطة بتشبع أو ثورة أبشالوم ابنه. وتكوين المزمور ربما يكون من الطبيعي جدًّا وبإحكام يشير إلى المدة السلامية التي ذُكرت في سفر صموئيل الثاني (١:٧): «وكان لمّا سكن الملك في بيته وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه». ففي هذا الوقت السلامي راجع داود أعمال الله ومراحم يهوه في هذا المزمور العالي القيمة. وخطط لكي يرفع لحظة تشكراته في ترتيب بناء هيكل الرب الذي لم يسمح له الله ببنائه.

وعنوان المزمور مُركَّب: فالجزء الأول (لرئيس الموسيقى) لعبد الرب داود هو مساوي لعناوين مزامير أخرى كثيرة في هذه المجموعة، أمَّا الجزء الثاني من العنوان فهو مأخوذ من (٢صم ١:٢٢):

+ «وكلَّم داود الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول».

قارن هذا العنوان بما جاء في (خر ١:١٥):

+ «حينئذ رنَّم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبحة للرب وقالوا: أُرنم للرب فإنه قد تعظَّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحرِ».

أو (تث ٣٠:٣١):

+ «فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه».

كذلك عنوان مزمور (٣٦) حيث سُمّي داود بخادم يهوه، وأيضاً: (٢صم ١٨:٣):

+ «فالآن افعلوا. لأن الرب كلَّم داود قائلاً: إني بيد داود عبدي أُخلِّص شعبي إسرائيل من يد الفلسطينيين ومن أيدي جميع أعدائهم».

وأيضاً: (٢صم ٧: ٥و٨):

+ «اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب. أأنت تبني لي بيتاً لسكناي ... والآن فهكذا تقول

لعبدي داود. هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المربض من وراء الغنم لتكون رئيساً على شعبي إسرائيل».

وأيضاً: (١مل ٨:٢٤):

+ «الذي قد حفظت لعبدك داود أبي مَّا كلَّمته به فتكلَّمت بفمك وأكملت بيدك كهذا اليوم».

وأيضاً: (مز ٧٨:٧٠):

+ «واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم».

وأيضاً: (مز ٨٩: ٣و٢٠):

+ «قطعت عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي ... وجدت داود عبدي. بدهن قدسي مسحته».

وأيضاً: (مز ١٣٢:١٠):

+ «من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك».

وكذلك أي إسرائيلي له أن يُسمِّي نفسه عبد يهوه في مخاطبته، ولكن قليلين الذين رُفعوا ليصنعوا خدمة خاصة أو وقفوا في علاقة خاصة مع يهوه مثل إبراهيم وموسى ويشوع وداود وأيوب. هؤلاء تكرَّموا بأوصاف خاصة. ولكن شاول ذُكر اسمه كأمرّ عدو، عدوّ غير لائق لداود. وحِفْظُ داود في هذه المطاردة والاضطهاد الوحشي الذي كان يُقصد به موته كان أكبر علامة للعناية التي كانت ساهرة عليه. ومعظم لغة هذا المزمور توضِّح أيام حيرته والهلاك المقصود.

***

تظل هناك نقطة خاصة بهذا المزمور وهي وجود نسختين منه تختلفان بعض الشيء، واحدة في سفر المزامير والأخرى في سفر صموئيل الثاني (٢ صم ٢٢). وهذا قد أعطى فرصة للتحليل والتشخيص هامة للغاية. وهذا يعود على النسخة المأخوذة من الماسورية للعهد القديم. فأيهما الأفضل باعتبارها الأصل؟ فالذين يدافعون عن صحة الماسورية يقولون إن كلتا النسختين راجعة لنفس المؤلِّف أي داود، وأن كلتيهما أصيلة، باعتبار أن التي في سفر صموئيل الثاني هي لداود أصلاً، وأن التي في المزمور فهي مراجعة من داود أيضاً قرب نهاية حياته للاستخدام العام. وللأسف فهذه النظرية لا يمكن البرهنة عليها ولكن قليل مَنْ يأخذ بها.

والنظرية الأخرى تقول: إن الفروقات هي أخطاء في النقل خاصة في الآيات ٤و١٠و٤١و٤٢و٥٠

وربما تكون من أحد الذين قد راجعوا المزمور قبل الأخذ به خاصة في الآيات ١١و٣٢و٤٥. وكثير من العلماء يقولون إن نسخة صموئيل النبي هي التي تحمَّلت هذه الأخطاء بسبب التاريخ الطويل التي مرَّت فيه نساخته. وآخرون يقولون إن ثقل الأخطاء واقع على نُسَّاخ المزامير ومراجعتهم.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ ـ «**أُحِبُّكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي**»:

الترجمة الأصح: سأحبك يا رب يا قوَّتي. وربما بحرارة وإخلاص أنا أُحبك. وهي جملة ذُكرت في مواضع أخرى بهذا الشكل، وهي تدل على رقة ووفاء العواطف، وللأسف هذا العدد غير موجود في نسخة سفر صموئيل النبي.

٢ ـ «**الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي. إِلهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي وَمَلْجَإِي**»:

استخدم داود هذا الوصف من واقع الأرض التي حدثت فيها هذه المتابعة لقنص داود، والتي بها تلال وجبال ومغاير وحصون طبيعية اعتادها شبراً شبراً أثناء هروبه من شاول كل يوم. **أمَّا الصخرة** أو قمة التل فهي التي كثيراً ما احتمى فيها خاصة الحصون القوية التي في برية يهوذا أو عين جدي المذكورة في (١صم ٢٢:٤و٥):

+ «فَوَدَعَهُمَا عند ملك موآب فأقاما عنده كل أيام إقامة داود في الحصن. فقال جاد النبي لداود لا تقم في الحصن اذهب وادخل أرض يهوذا. فذهب داود وجاء إلى وعر حارث».

وأيضاً: (١صم ٢٣:١٤):

+ «وأقام داود في البرية في الحصون ومكث في الجبل في برية زيف. وكان شاول يطلبه كل الأيام ولكن لم يدفعه الله ليده».

وأيضاً: (١صم ٢٣:١٩):

+ «فصعد الزيفيون إلى شاول إلى جبعة قائلين: أليس داود مختبئاً عندنا في حصون في الغاب في تل حخيلة التي إلى يمين القفر».

وأيضاً: (١صم ٢٣:٢٩):

+ «وصعد داود من هناك وأقام في حصون عين جدي».

وأيضاً: (١صم ٢٤:٢٢):

+ «فحلف داود لشاول. ثمَّ ذهب شاول إلى بيته وأمَّا داود ورجاله فصعدوا إلى الحصن».

وكان هناك صخرة تُدعى وعر المعيز انظر: (١صم ٢٤:٢):

+ «فأخذ شاول ثلاثة آلاف رجل **منتخبين** من جميع إسرائيل وذهب يطلب داود ورجاله على صخور الوعول».

وأيضاً: (١أي ١١:١٥):

+ «ونزل ثلاثة من الثلاثين رئيساً إلى الصخر إلى داود إلى مغارة عدلام وجيش الفلسطينيين نازل في وادي الرفائيين».

هذه كلها هي الرموز والشعارات التي استخدمها داود للتعبير عن الله، الذي كان المدبِّر لاختبائه.

«الرب»:

(إيل) في آيات ٣٠و٣٢و٤٧.

«صخرتي»:

القصد الصخرة التي أختبئ فيها. لهذا فكلمة "الصخرة" في المزامير (بالعبرية **Tsûr**) استخدمت كثيراً لوصف القوة والأمانة وعدم التغيير ليهوه. انظر: (تث ٣٢: ٤و١٥و١٨و٣٠و٣١):

تث ٣٢: ٤: «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل، إله أمانة لا جور فيه صدِّيق وعادل هو.

١٥: فسمن يشرون ورفس، سمنتَ وغلُظتَ واكتسيت شحماً. فرفض الإله الذي عمله وغَبِيَ عن صخرة خلاصه.

١٨: الصخر الذي ولدك تركته ونسيت الله الذي أبدأك.

٣٠: كيف يطرد واحد ألفاً ويهزم اثنان ربوة. لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم.

٣١: لأنه ليس كصخرنا صخرهم ولو كان أعداؤنا القضاة».

وأيضاً: (١صم ٢:٢):

+ «ليس قدوس مثل الرب. لأنه ليس غيرك. وليس صخرة مثل إلهنا».

وأيضاً: (مز ١٩:١٤):

+ «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يا رب صخرتي ووليِّ».

وأيضاً: (مز ٢٨:١):

+ «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلاَّ تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب».

وهنا الجملة الاعتراضية "الذي به أحتمي" توضِّح الفكرة الأصلية الخاصة وهي أن الله ملجأ في وسط خطر. انظر: (مز ٩٤:٢٢):

+ «فكان الرب لي صرحاً وإلهي صخرة ملجإي».

وأيضاً: (تث ٣٢:٣٧):

+ «يقول أين آلهتهم الصخرة التي التجأوا إليها».

«تُرسي وقرن خلاصي»:

فهو يدافع عني كقرن خلاصي يدفع أعدائي أمامه ويعطيني النصرة. فالقرن رمز القوة التي لا تعاند، مأخوذة من قرون الحيوان وخاصة الثور البري. انظر: (تث ٣٣:١٧):

+ «بكر ثوره زينة له وقرناه قرن رئم بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض».

وانظر: (لو ١:٦٩):

+ «وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه».

وأيضاً: (مز ٢٨: ٧و٨):

+ «الرب عزِّي وترسي عليه اتكل قلبي فانتصرت. ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده. الرب عزٌّ لهم وحصن خلاص مسيحه هو».

«وملجإي»:

انظر: (مز ٩:٩):

+ «ويكون الرب ملجأ للمنسحق. ملجأ في أزمنة الضيق».

٣ - «أَدْعُو الرَّبَّ الْحَمِيدَ، فَأَتَخَلَّصُ مِنْ أَعْدَائِي»:

ليس هذا فقط تعبيراً عن الثقة للمستقبل، ولكن تعبيراً عن اقتناع كلِّي في أمانة الله حينما يستجيب الصلاة، فوقتما أدعو فحينئذ أنا خلصت. انظر: (مز ٥٦: ٨و٩):

+ «تَيَهَانِي رَاقَبْتَ. اجعل أنت دموعي في زقِّكَ. أمَا هي في سِفرك. حينئذ ترتدُّ أعدائي إلى الوراء

في يومِ أدعوك فيه».

هذا الاقتناع مبني على خبرة وهو موضَّح كما سيأتي في الآية (٦):

[٤-٦]:

هي صورة مقدَّمة من داود يُصوِّر بها نهاية المحتاج أن يصرخ من أجل المعونة. ولم يكن عبثاً. ومرَّة بعد مرَّة كان هناك خطوة واحدة بينه وبين الموت. انظر: (١صم ٢٠:٣):

+ «فحلف أيضاً داود وقال إن أباك قد علم أني قد وجدت نعمة في عينيك فقال لا يعلم يوناثان هذا لئلاً يغتم. ولكن حي هو الرب وحيَّة هي نفسك إنه كخطوة بيني وبين الموت!»

فالهلاك الذي تعرَّض له قد وُصف كموجات ورياح عاصفة هدَّدت بأن تبتلعه أو تمسحه من على وجه الأرض. فالهاوية والموت كانت حاضرة كصيَّاد بالمرصاد بشباك وفخاخ.

٤ - «اكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي»:

«حبال الموت»:

اصطلاح قديم. انظر: (مز ١١٦:٣):

+ «اكتنفتني حبال الموت. أصابتني شدائد الهاوية».

«سيول الهلاك أفزعتني»:

والأصح سيول الأشرار. فالهلاك كان يفزعه كالسيل، تكسحه زوبعة مفاجئة وتكسحه أمامها والموت والهلاك والهاوية مشخَّصون كأنهم متفقون على هلاكه.

٥ - «حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي».

انظر: (أع ٢: ٢٤):

+ «الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه».

الموت والهاوية، العالم الآخر غير المنظور ويوضعا كصياد قابع ينتظر الفريسة بشباك وفخاخ.

«حاقت بي»:

واجهتني، انظر: (مز ١٧: ١٣):

+ «قم يا رب تقدَّمه. اصرعه. نجِّ نفسي من الشرير بسيفك».

٦ - «فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي. وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ»:

حال الفعل المستمر، ومعه الصلاة تتكرَّر.

«من هيكله»:

من السماء حيث عرشه.

«وصراخي قدَّامه دخل أذنيه»:

قُرئت في سفر صموئيل الثاني: «وصراخي دخل أذنيه.» (٢صم ٢٢:٧)

[٧-١٥]:

صلاة داود سُمعت بمجيء يهوه، فكان قلقاً على أعدائه، وقد أعلن الله عن حضوره بزلزال زلزل الأرض وعاصفة سبقته تكشف عن حضرته. ووصف الطبيعة بهذا العنف والتحدِّي تعبير عن قضاء يهوه وغضبه. ويعتبر هذا الوصف نموذجاً للظهور الإلهي. لأنه من الممكن أن داود يصف تفرُّق أعدائه بسبب هبوب عاصفة مرعبة مثلما في (يش ١٠:١١):

+ «وبينما هم هاربون من أمام إسرائيل وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى عزيقة فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البَرَدِ هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف».

ولكن ليس عندنا تسجيل لمثل هذا الحدث في حياته. على كل حال فإن الصورة مقصود بها أن تخدم وصف تدخُّل الله بعناية لخلاصه عامة، وليس من أجل حادثة فردية، فقوَّته أظهرها حقيقة وصدقاً كما لو كانت هذه المظاهر الطبيعية لها ما يؤكِّدها بالنظر لحضوره. انظر حوادث الخروج وإعطاء الوصايا. انظر: (خر ١٩: ١٦-١٨):

+ «وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدًّا. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا في أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخِّن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدًّا».

وأيضاً: (مز ٦٨: ٧و٨):

+ «اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك في القفر سلاه. الأرض ارتعدت السموات أيضاً

قطرت أمام وجه الله، سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل».

وأيضاً: (مز ٥٠: ٢و٣):

+ «من صهيون كمال الجمال الله أشرق. يأتي إلهنا ولا يصمت. نار قدَّامه تأكل وحوله عاصف جداً».

وأيضاً: (مز ٩٧: ٢-٥):

+ «السحاب والضباب حوله، العدل والحق قاعدة كرسيه. قدَّامه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله. أضاءت بروقه المسكونة. رأت الأرض وارتعدت. ذابت الجبال مثل الشمع قدَّام الرب قدَّام سيد الأرض كلها».

وأيضاً: (مز ١٤٤ كله). وأيضاً: (إش ٢٩: ٦):

+ «من قبل رب الجنود تُفتقد برعد وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة».

وأيضاً: (إش ٣٠: ٢٧و٢٨):

+ «هوذا اسم الرب يأتي من بعيد. غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة».

وأيضاً: (إش ٦٤: ١و٢):

+ «ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال. كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياه تغلي».

وأيضاً: (حب ٣: ٣و٤و٦):

+ «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران، سلاه. جلاله غطَّى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع وهناك استتار قدرته ... نظر فرجف الأمم ودُكَّت الجبال الدهرية. وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له ...».

وفي مزمور (٢٩) ما يمكن مقارنته بأوصاف داود الضخمة للطبيعة وعظمة مظاهرها في مزمور (١٨): **كالزلزال والبروق من بعيد** (٨)، **وبجميع الظلمة العاصفة** (٩-١١)، **الشعاع قدامه، أرعد الرب وبروقه ظهرت أعماق المياه انكشفت أسس المسكونة** (١٢-١٥) كلها مصوَّرة بتدرج هائل.

٧ - «فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ».

«ارتعشت أسس الجبال»:

الجبال القوية انهزمت حتى أساسها. انظر: (إش ٢٤: ١٨):

+ «وأسس الأرض تزلزلت».

وأيضاً: (حب ٣: ٦):

+ «وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودُكَّت الجبال الدهرية وخسفت آكام القِدَم مسالك الأزل له».

«لأنه غضب»:

حينما يأتي يهوه ليفتقد خادمه حتماً فهو يحاكم ويعاقب. انظر: (رؤ ٦: ١٦و١٧):

+ «وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف. لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومَنْ يستطيع الوقوف».

٨ - «صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ».

هذا الوصف المستجرئ لله هو على مستوى التعبير اليهودي، فهو ليس نوعاً من تشبيه الله بالإنسان. لأن الشاعر لم يقصد أن العين البشرية تلتقط هذا المنظر وتطبِّقه على الله على نحو مادي، فغرضه هو محاولة توضيح غضب الله بحرارة ظاهرياً مستخدماً صورة تبقى في الذهن دون أن يكون لها تحقيق.

«دخان من أنفه ونار من فمه»:

تعبير عن شدة غضب الله بشدة النار لَمَّا يصير لها دخان، فيُقال دائماً إن للغضب دخان أو يدخِّن غضبه تعبيراً عن القوة النارية. انظر: (مز ٧٤: ١):

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد. لماذا يُدخِّن غضبك على غنم مرعاك».

وأيضاً: (مز ٨٠: ٤):

+ «يا رب إله الجنود إلى متى تُدخِّن على صلاة شعبك».

هذا تصوير جريء يوضِّح شدة الغضب. و«الخارج من أنف الله» تعبير تصويري لا يمت للبشرية، فهو تشكيلي من صاحب المزمور. وموضوع النار عموماً لها وجود في العهد القديم. انظر: (خر ١٥: ٧و٨):

+ «وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك. ترسل سخطك فيأكلهم كالقش. وبريح أنفك تراكمت المياه. انتصبت المجاري كرابية. تجمَّدت اللجج في قلب البحر».

وأيضاً: (تث ٣٢:٢٢):

+ «إنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلَّتها وتحرق أُسس الجبال».

وأيضاً: (مز ٩٧:٣):

+ «قدَّامه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله».

«جمر اشتعلت منه»:

هذه وسائل متقدة تعبِّر عن غضب الله الناري. انظر: (مز ١٤٠:١٠):

+ «ليسقط عليهم جمر، ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا».

٩ - «طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ».

حينما تتجمع السحب والعواصف وكأنها رصيف تحت رجليه، ينخفض حينما ينزل للمحاكمة. فالله يُقال إنه ينزل حينما يُظهر قوته في العالم. انظر: (تك ١١:٧):

+ «هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض».

وأيضاً: (تك ١٨:٢١):

+ «أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليَّ وإلاَّ فأعلم».

وأيضاً: (إش ٦٤:١):

+ «ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال».

«ضباب تحت رجليه»:

ظلمة كثيفة بها يخفي الله نفسه من نظر البشر، وهذه ترمز إلى السريَّة المطلقة المخوفة لمجيئه. انظر: (خر ١٩:١٦):

+ «وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدًا. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة».

وأيضاً: (خر ٢٠:٢١):

+ «فوقف الشعب من بعيد وأمَّا موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله».

وأيضاً: (١مل ٨:١٢):

+ «حينئذ تكلَّم سليمان. قال الرب إنه يسكن في الضباب».

وأيضاً: (مز ٩٧:٢):

+ «السحاب والضباب حوله. العدل والحق قاعدة كرسيه».

١٠ - «رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ».

هي الشاكيناه للمجد ترتاح على الشاروبيم التي كانت على كرسي الرحمة (غطاء التابوت)، انظر: (٢صم ٦:٢):

+ «وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذي معه من بعلة يهوذا ليُصعِدوا من هناك تابوت الله الذي يُدعى عليه بالاسم، اسم رب الجنود الجالس على الكاروبيم».

وأيضاً: (مز ٨٠:١):

+ «يا راعي إسرائيل اصغ. يا قائد يوسف كالضأن يا جالساً على الكاروبيم أشرق».

هنا يهوه موصوف كالراكب على الشاروبيم كأنه عرشٌ حيٌّ وعليه يقطع الفضاء. والشاروبيم يظهر في الأسفار:

(أ) كحارس للجنة: انظر: (تك ٣:٢٤):

+ «فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكاروبيم ولهيب سيف متقلِّب لحراسة طريق شجرة الحياة».

(ب) وكمحفور على تابوت العهد والهيكل ويظهر كشكل إنسان ذي أجنحة يمثِّل الحراسة الملائكية التي تخدم حضرة الله. ومناظر حزقيال تظهره بشكل مركبة. انظر: (حز ١٠: ٢١و٢٢):

+ «لكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة وشبه أيدي إنسان تحت أجنحتها. وشكل وجوهها هو شكل الوجوه التي رأيتها عند نهر خابور. مناظرها وذواتها كل واحد يسير إلى جهة وجهه».

وهي ترمز لكل قوى الطبيعة التي تقف أمام الله وتُنفِّذ مشيئته.

«وطار»:

يطير سريعاً. انظر: (تث ٢٨:٤٩):

+ «يجلب الرب عليك أُمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر. أُمة لا تفهم لسانها».

وأيضاً: (إر ٤٨:٤٠):

+ «لأنه هكذا قال الرب ها هو يطير كنسر ويبسط جناحيه على موآب».

وأيضاً: (إر ٤٩:٢٢):

+ «هوذا كنسر يرتفع ويطير ويبسط جناحيه على بصرة ويكون قلب جبابرة أدوم في ذلك اليوم كقلب امرأة ماخض».

«على أجنحة الرياح»:

انظر: (مز ١٠٤: ٣و٤):

+ «المسقف علاليه بالمياه الجاعل السحاب مركبته الماشي على أجنحة الريح. الصانع ملائكته رياحاً وخُدَّامه ناراً ملتهبة».

١١ – «جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ. حَوْلَهُ مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ»:

إن ظلمة الغمام القاتم المثقَّل بالماء خيمة حيث يهوه يستر جلاله. انظر: (أي ٣٦: ٢٩و٣٠):

+ «فهل يعلِّل أحد عن شق الغيم أو قصيف مظلَّته. هوذا بسط نوره على نفسه ثم يتغطَّى بأصول اليمِّ».

وأيضاً: (مز ٩٧:٢):

+ «السحاب والضباب حوله. العدل والحق قاعدة كرسيه».

١٢ – «مِنَ الشُّعَاعِ قُدَّامَهُ عَبَرَتْ سُحُبُهُ. بَرَدٌ وَجَمْرُ نَارٍ»:

وميض البرق وحجارة البرد. انظر: (خر ٩: ٢٣و٢٤):

+ «فمدَّ موسى عصاه نحو السماء. فأعطى الرب رعوداً وبَرَداً وجرت نار على الأرض وأمطر الرب برداً على أرض مصر. فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد. شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل أرض مصر منذ صارت أُمَّة».

وكأنها أشعة نور لا يُدنى منه، التي فيها يسكن في كثافة السحاب الذي يخفيه.

١٣ – «أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ، بَرَداً وَجَمْرَ نَارٍ»:

«والعليّ أعطى صوته»:

يعتبر الرعد صوت الله. انظر: (مز ٢٩:٣):

+ «صوت الرب على المياه. إله المجد أرعد. الرب فوق المياه الكثيرة».

١٤ – «أَرْسَلَ سِهَامَهُ فَشَتَّتَهُمْ، وَبُرُوقاً كَثِيرَةً فَأَزْعَجَهُمْ»:

تُعتبر البروق في المفهوم اليهودي سهام يهوه. انظر: (مز ٧٧: ١٧و١٨):

+ «سكبت الغيوم مياهاً أعطت السحب صوتاً. أيضاً سهامك طارت. صوت رعدك في الزوبعة».

«فشتتهم»:

يقصد أعداءه الذين قصده تحطيمهم.

«فأزعجهم»:

أربك العدو في نازلة مفاجئة وانهزموا بقوة فائقة. انظر: (خر ١٤:٢٤):

+ «وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين».

وأيضاً: (يش ١٠:١٠):

+ «فأزعجهم الرب أمام إسرائيل وضربهم ضربة عظيمة في جبعون».

١٥ – «فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ»:

مياه البحر رجعت إلى الوراء وقاع البحر انكشف وخفايا أساسات الأرض رُؤيت لتعلن ربها وسيدها. مثل القديم أيام الخروج وانغلاق الماء وظهور القاع الذي سار عليه وتقدَّم بنو إسرائيل بقيادة موسى حينما انتهرها الرب. انظر: (خر ١٥:٨):

+ «وبريح أنفك تراكمت المياه. انتصبت المجاري كرابية. تجمَّدت اللجج في قلب البحر».

وأيضاً: (مز ١٠٦:٩):

+ «وانتهر بحر سوف فيبس وسيَّرهم في اللجج كالبرية».

وأيضاً: (مت ٨:٢٦):

+ «فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان. ثمَّ قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم».

[١٦-١٩]:

النجاة التي كانت موضوع ظهور يهوه وإظهار قوته.

١٦ - «أَرْسَلَ مِنَ الْعُلَى فَأَخَذَنِي. نَشَلَنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ»:

فرد ذراعه ومسك بالغارق فانتشله من فيضان الكارثة التي كادت تغرِّقه، كما انتُشل موسى من مياه نهر النيل الذي كان مخلِّص إسرائيل.

والمياه الكثيرة رمز للخطر. انظر: (مز ٣٢:٦):

+ «لهذا يُصلِّي لك كل تقي في وقتٍ يجدك فيه. عند غمارة المياه الكثيرة إياه لا تصيب».

وأيضاً: (مز ٦٦:١٢):

+ «ركّبت أُناساً على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء ثمَّ أخرجتنا إلى الخصب».

وأيضاً: (مز ٦٩: ٢و٣):

+ «غرقت في حمأة عميقة وليس مقر. دخلتُ إلى أعماق المياه والسيل غمرني. تعبتُ من صراخي. يبس حلقي. كلّت عيناي من انتظار إلهي».

١٧ - «أَنْقَذَنِي مِنْ عَدُوِّي الْقَوِيِّ، وَمِنْ مُبْغِضِيَّ لأَنَّهُمْ أَقْوَى مِنِّي»:

العدو الشرس شاول وجماعته الذين أبغضوه، ولولا التدخُّل الإلهي ما كان قد رأى النجاة لأنهم كانوا أقوى منه.

١٨ - «أَصَابُونِي فِي يَوْمِ بَلِيَّتِي، وَكَانَ الرَّبُّ سَنَدِي»:

وكأن الرب هو عصاه التي استند عليها في حروبه. انظر: (مز ٢٣:٤):

+ «إذا سرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شرًّا لأنك أنت معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني».

١٩ - «أَخْرَجَنِي إِلَى الرُّحْبِ. خَلَّصَنِي لأَنَّهُ سُرَّ بِي»:

أنقذه من الهلاك إلى الحرية والأمان، انظر: (مز ٤:١):

+ «عند دعائي استجب لي يا إله برّي. في الضيق رحّبت لي. تراءف عليَّ واسمع صلاتي».

وأيضاً: (مز ٣١:٨):

+ «ولم تحبسني في يد العدو بل أقمت في الرحب رجلي».

«لأنه سُرَّ بي»:

كان هذا هو السبب الأساسي لما عمله الله في خلاصه وكان هو الفكر الرائد للمزمور كله. انظر: (مز ٢٢:٨):

+ «اتكل على الرب فلينجه. لينقذه لأنه سُرَّ به».

وأيضاً: (مز ٤١:١١):

+ «بهذا علمت أنك سُررت بي أنه لم يهتف عليَّ عدوي».

وأيضاً: (٢صم ١٥:٢٦):

+ «وإن قال هكذا إني لم أُسرَّ بك فهأنذا فليفعل بي حسبما يحسن في عينيه».

وأيضاً: (مت ٣:١٧):

+ «وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت».

ومعروف أن الملك المعيَّن من قبل الله كان يُدعى ابن يهوه. انظر: (مز ٢:٧):

+ «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك».

وأيضاً: (٢صم ٧:١٤):

+ «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً».

[٢٠-٢٣]:

لغة هذه الأبيات ملهمة في شجاعة طفولية وتمتاز ببساطتها، ليست هي كبرياء فارغ باعتداد بمواهب، بل هي شهادة لأمانة أن يحرس ويعوِّض أمانته كخادم له. فداود لا يدَّعي أنه بلا خطية بار ولكنه ذو قلب مستقيم واحد، وله إخلاص وصدق في تقواه مع الله. وعليك أن تقارن بين شهادته الخاصة وشهادة يهوه له.

شهادته الخاصة	شهادة يهوه وشهادة التاريخ
(١صم ٢٦:٢٣): «والرب يرد على كل واحد برّه وأمانته. لأنه قد دفعك	(١مل ١٤:٨): «ولم تكن كعبدي داود الذي حفظ وصاياي والذي سار

شهادته الخاصة	شهادة يهوه وشهادة التاريخ
الرب اليوم ليدي ولم أشأ أن أمد يدي إلى مسيح الرب»	ورائي بكل قلبه ليفعل ما هو مستقيم فقط في عينيَّ».
	(١مل ١١:٤): «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراءَ آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه **كقلب داود أبيه**».
	(١مل ١٥:٥): «لأن داود عمل ما هو مستقيم في عيني الرب ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته إلاَّ في قضية أوريا الحثي».

ولكي تعرف مقدار استقامته، انظر: (مز ٧: ٣و٤):

+ «يا رب إلهي إن كنت قد فعلت هذا. إن وُجِدَ ظلم في يديَّ، إن كافأتُ مسالمي شرًّا وسلبتُ مضايقي بلا سبب».

وأيضاً: (مز ١٧: ٣و٤):

+ «جرَّبت قلبي تعهَّدته ليلاً. محَّصتني. لا تجد فيَّ ذموماً. لا يتعدَّى فمي. من جهة أعمال الناس فبكلام شفتيك أنا تحفَّظت من طرق المعتنف».

ومن هذا نُدرك أن وصف داود لمستوى قلبه الكامل يدل على أن هذا المزمور قد كُتب قبل سقطة أوريا الحثي.

٢٠ ــ «يُكَافِئُنِي الرَّبُّ حَسَبَ بِرِّي. حَسَبَ طَهَارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ لِي»:

لكي تعرف المعنى، انظر: (مز ١٣:٦):

+ «أغنِّي للرب لأنه أحسن إليَّ».

«حسب طهارة يدي»:

وهو براءة سيرتي وسلوكي، انظر: (مز ٢٤:٤):

+ «الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً».

وأيضاً: (مز ٢٦:٦و٧):

+ «أغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب لأُسمِّع بصوت الحمد وأُحدِّث بجميع عجائبك».

٢١ ــ «لأَنِّي حَفِظْتُ طُرُقَ الرَّبِّ، وَلَمْ أَعْصِ إِلهِي»:

هو تأكيد للعدد السابق، وقوله: «لم أعص إلهي»، تأكيد للعلاقة الوثيقة الدائمة. انظر: (عب ٣:١٢):

+ «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحيّ».

٢٢ ــ «لأَنَّ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ أَمَامِي، وَفَرَائِضَهُ لَمْ أُبْعِدْهَا عَنْ نَفْسِي»:

وصايا الله كان داود حريصاً لكي يذكرها في قلبه وجعلها قانون حياته، انظر: (تث ٦: ٦-٩):

+ «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أُوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، وتكلَّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك».

وأيضاً: (مز ١١٩:٣٢):

+ «في طريق وصاياك أجري لأنك تُرحِّب قلبي».

وأيضاً: (مز ١١٩:١٠٢):

+ «عن أحكامك لم أمل لأنك أنت علَّمتني».

٢٣ ــ «وَأَكُونُ كَامِلاً مَعَهُ وَأَتَحَفَّظُ مِنْ إِثْمِي»:

أعيش معه في شركة صادقة أمينه عابدة، وكنت ساهراً على نفسي حتى لا أُخطئ لئلاً تحدث خطية تبعدني عن إلهي.

[٢٤-٢٧]:

عن القانون الذي يتعامل به الله مع الإنسان.

٢٤ – «فَيَرُدُّ الرَّبُّ لِي كَبِرِّي، وَكَطَهَارَةِ يَدَيَّ أَمَامَ عَيْنَيْهِ»:

تأكيد للعدد (٢٠) يُكرِّر هنا كنهاية مأخوذة من سلوك داود (٢١-٢٣) فمعاملة الله مع الإنسان مشروطة بسلوك الإنسان أمام الله، انظر: (١صم ٢:٣٠):

+ «لذلك يقول الرب إله إسرائيل: إني قلت إن بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامي إلى الأبد. والآن يقول الرب: حاشا لي. فإني أُكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون».

وأيضاً: (١صم ١٥:٢٣):

+ «لأن التمرُّد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم. لأنك رفضت كلام الرب رفضك من المُلك».

لابد أن يكون هناك تواصل بين الإنسان والله، لأن أخلاق الإنسان هي التي تجعل الله قادراً أن يُظهر ذاته للإنسان حينما يكون طاهراً نقياً.

٢٥ – «مَعَ الرَّحِيمِ تَكُونُ رَحِيماً. مَعَ الرَّجُلِ الْكَامِلِ تَكُونُ كَامِلاً.
٢٦ – مَعَ الطَّاهِرِ تَكُونُ طَاهِراً، وَمَعَ الأَعْوَجِ تَكُونُ مُلْتَوِياً»:

إن سلوك الإنسان إن كان مضبوطاً بروح اللطف والإحسان سيجد ولابد من الله إحساناً، انظر: (مز ٤:٣):

+ «فاعلموا أن الرب قد ميَّز تقيه. الرب يسمع عندما أدعوه».

انظر أيضاً: (مت ٥:٧):

+ «طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون».

وأيضاً: (مت ٦: ١٢و١٤و١٥):

+ «واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ... فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم».

ولكي نعرف معنى كلمة "رحيم" بالعبري: (حسيد) نقرأ مزمور (٤:٣):

+ «فاعلموا أن الرب قد ميَّز تقيه (حسيده). الرب يسمع عندما أدعوه».

وأيضاً: (مز ١:١٢):

+ «خلِّص يا رب لأنه قد انقرض التقي (الحسيد) لأنه انقطع الأمناء من بني البشر».

«ومع الرجل الكامل تكون كاملاً»:

الذي بقلب واحد كامل في كل طرقه.

«ومع الطاهر تكون طاهراً»:

الذي ينقّي ويطهِّر نفسه من الخطأ والدنس، انظر: (١يو ٣:٣):

+ «وكل مَنْ عنده هذا الرجاء به يطهِّر نفسه كما هو طاهر».

وأيضاً: (مز ٢٤:٤):

+ «الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً».

وأيضاً: (مز ٧٣:١):

+ «إنما صالح الله لإسرائيل لأنقياء القلب».

وأيضاً: (مت ٥:٨):

+ «طوبى للأنقياء القلب. لأنهم يعاينون الله».

«ومع المعوج تكون ملتوياً»:

وترجمتها الصحيحة: "ومع الضال تظهر مقاومتك". والرجل الضال هو صاحب الأخلاق المنحرفة، إنه يُترك من الله لكي يتبع طرقه حتى تنتهي به إلى الهلاك.

فالله دائماً يتعارض مع الأشرار ليوقف خططهم ويجازي شرورهم، انظر: (لا ٢٦: ٢٣و٢٤):

+ «وإن لم تتأدَّبوا مني بذلك بل سلكتم معي بالخلاف. فإني أنا أسلك معكم بالخلاف. وأضربكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم».

وأيضاً: (أي ٥: ١٢و١٣):

+ «المبطل أفكار المحتالين فلا تُجري أيديهم قصداً. الآخذ الحكماء بحيلتهم فتتهور مشورة الماكرين».

وأيضاً: (إش ٢٩: ٩-١١):

+ «توانوا وابهتوا تلذذوا واعموا، قد سكروا وليس من الخمر، ترنَّحوا وليس من المسكر. لأن الرب قد سكب عليكم روح سُبات وأغمض عيونكم. الأنبياء ورؤساؤكم الناظرون غطَّاهم. وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم».

وأيضاً: (رو ١:٢٨):

+ «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق».

وأيضاً: (رؤ ٢٢:١١):

+ «مَنْ يظلم فليظلم بعد. ومَنْ هو نجس فليتنجَّس بعد. ومَنْ هو بار فليتبرَّر بعد. ومَنْ هو مقدَّس فليتقدَّس بعد».

وللمقارنة اقرأ لبلعام (عد ٢٢:٢٠):

+ «فأتى الله إلى بلعام ليلاً وقال له إن أتى الرجال ليدعوك. فقم واذهب معهم إنما تعمل الأمر الذي أُكلِّمك به فقط».

٢٧ – «لِأَنَّكَ أَنْتَ تُخَلِّصُ الشَّعْبَ الْبَائِسَ، وَالأَعْيُنُ الْمُرْتَفِعَةُ تَضَعُهَا»:

«الشعب البائس»:

الشعب الذي تمرَّس بالآلام فصار على مستوى التواضع المقبول، انظر: (مز ١٢:٩):

+ «لأنه مطالب بالدماء. ذكرهم. لم ينس صراخ المساكين».

وأيضاً: (صف ٣: ١٢):

+ «وأُبقي في وسطكِ شعباً بائساً ومسكيناً فيتوكلون على اسم الرب».

«والأعين المرتفعة تضعها»:

الأعين المرتفعة واحدة من السبعة المكروهة ليهوه، انظر: (أم ٦: ١٦–١٩):

+ «هذه الستة يبغضها الرب وسبعة هي مكرهة نفسه: عيون متعالية، لسان كاذب، أيد سافكة دماً بريئاً، قلب يُنشئ أفكاراً رديئة، أرجل سريعة الجريان إلى السوء، شاهد زور يفوه بالأكاذيب، وزارع خصومات بين إخوة».

وأيضاً: (إش ٢: ١١و١٢و١٧):

+ «توضع عينا تشامخ الإنسان وتخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظِّم وعالٍ وعلى كل مرتفع فيوضع. فيُخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم».

[٢٨–٣٠]:

المبادئ العامة التي يتعامل بها الله مع الناس يؤكِّدها داود بخبراته.

٢٨ – «لِأَنَّكَ أَنْتَ تُضِيءُ سِرَاجِي. الرَّبُّ إِلهِي يُنِيرُ ظُلْمَتِي»:

السراج المضيء كناية عن الحياة المستمرَّة، وهي مأخوذة من عادة شرقية وهي ترك مصباح يضيء في الخيمة أو البيت، الذي يوضِّح أنه هنا حياة وعائلة ساهرة ناجحة، انظر: (أي ١٨:٦):

+ «النور يظلم في خيمته وسراجه فوقه ينطفئ».

وأيضاً: (أم ١٣:٩):

+ «نور الصديقين يُفرِّح وسراج الأشرار ينطفئ».

ثمَّ يقول داود: «الرب إلهي ينير ظلمتي» معبِّراً عن نور الحياة المستمرة تحت عنايته، انظر: (مز ١٣٢:١٧):

+ «هناك أنبت قرناً لداود. رتَّبت سراجاً لمسيحي».

وأيضاً: (١مل ١١:٣٦):

+ «أُعطي ابنه سبطاً واحداً ليكون سراجٌ لداود عبدي كل الأيام أمامي في أُورشليم المدينة التي اخترتها لنفسي لأضع اسمي فيها».

وأيضاً: (١مل ١٥:٤):

+ «ولكن لأجل داود أعطاه الرب إلهه سراجاً في أُورشليم إذ أقام ابنه بعده وثبَّت أُورشليم».

وأيضاً: (مز ٢٧:١):

+ «الرب نوري وخلاصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن أرتعب».

٢٩ – «لِأَنِّي بِكَ اقْتَحَمْتُ جَيْشاً، وَبِإِلهِي تَسَوَّرْتُ أَسْوَاراً»:

ولو أن الكلام عام إلاَّ أنه يحمل تذكار حادثتين في حياة داود:

الأولى: نجاحه في تعقب جيش عماليق الذي كان قد هاجم صقلغ، (١صم ٣٠: ٨و١٥و٢٣):

(٨) «فسأل داود من الرب قائلاً: إذا لحقت هؤلاء الغزاة فهل أدركهم. فقال له الحقهم فإنك تُدرك وتنقذ.

(١٥) فقال له داود هل تنزل بي إلى هؤلاء الغزاة. فقال احلف لي بالله أنك لا تقتلني ولا تُسلّمني ليد سيدي فأنزل بك إلى هؤلاء الغزاة.

(٢٣) فقال داود لا تفعلوا هكذا يا إخوتي لأن الرب قد أعطانا وحفظنا ودفع ليدنا الغزاة الذين جاءوا علينا».

والثانية: القبض على صهيون وقد كانت بطريقة غير منتظرة بسبب بساطتها، لأنه يظهر أنه تسوّر فوق السور الذي كان خط دفاعهم وكان المدافعون عنها يفتخرون أنه غير ممكن تسوّرها، انظر: (٢صم ٥: ٦-٨):

+ «وذهب الملك ورجاله إلى أُورشليم إلى اليبوسيين سكّان الأرض. فكلّموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج (والمعنى) أي لا يدخل داود إلى هنا، وأخذ داود حصن صهيون. هي مدينة داود. وقال داود في ذلك اليوم إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمي المبغضين من نفس داود. لذلك يُقال لا يدخل البيت أعمى أو أعرج».

٣٠ – «اللهُ طَرِيقُهُ كَامِلٌ. قَوْلُ الرَّبِّ نَقِيٌّ. تُرْسٌ هُوَ لِجَمِيعِ الْمُحْتَمِينَ بِهِ»:

الله هنا هو "إيل". طريقه كامل مثل عمله، انظر: (تث ٣٢: ٤):

+ «هو الصخر الكامل صنيعه، إن جميع سبله عدل، إله أمانة لا جور فيه. صدّيق وعادل هو».

من عندي: **لم يوجد إنسان تغنّى بالله ومجّد أعماله وسبّح مثل داود.**

وبالنسبة لناموس الله، انظر: (مز ١٩: ٧و٨):

+ «ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصيّر الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين».

«قول الرب»:

هو قول المواعيد ممحّص نقي كالذهب الصافي بلا شائبة من عدم الثقة أو عدم الإخلاص، انظر: (مز ١٢: ٦):

+ «كلام الرب كلام نقي كفضة مصفّاة في بوطة في الأرض ممحوصة سبع مرّات».

وأيضاً: (مز ١١٩: ١٤٠):

+ «كلمتك ممحّصة جدًّا وعبدك أحبّها».

[٣١-٣٤]:

صفات يهوه الفريدة التي يدين لها داود بكل ما له. لاحظ كيف يتذكّر منافع الالتجاء إليه طبيعياً بالقوة وبالنشاط والطاقة الفذّة. وبالأكثر ظهرت عندما أصبح داود ملكاً وقاد شعبه في الحروب كلها وربحها كهدية من عند الرب، وهكذا كانت عناية يهوه وحفظه، انظر: (١صم ١٧: ٣٤-٣٧):

+ «فقال داود لشاول كان عبدك يرعى لأبيه غنماً فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع فخرجتُ وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه. ولّما قام عليَّ أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته. قتل عبدك الأسد والدب جميعاً. وهذا الفلسطيني الأغلف يكون كواحد منهما لأنه قد عيّر صفوف الله الحيّ. وقال داود الرب الذي أنقذني من يد الأسد ومن يد الدب هو ينقذني من يد هذا الفلسطيني».

٣١ – «لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ سِوَى إِلهِنَا؟»:

يهوه وحده هو Elôah الله الذي يُخاف ويُكرّم والاسم بالمفرد Elôah ليس هو المعتاد Elohim وهو ليس موجوداً في سفر المزامير إلاّ فقط في الآيات التالية، انظر: (مز ٥٠: ٢٢):

+ «افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلاّ أفترسكم ولا مُنقذ».

وأيضاً: (مز ١١٤: ٧):

+ «أيتها الأرض تزلزلي من قدّام الرب من قدّام إله يعقوب».

وأيضاً: (مز ١٣٩: ١٩):

+ «ليتك تقتل الأشرار يا الله».

ففي هذه المزامير بنوع خاص جاء الله بالمفرد Elôah. وبالنسبة لصفات الله التي ينفرد بها، انظر: (تث ٣٢: ٣١):

+ «لأنه ليس كصخرنا صخرهم ولو كان أعداؤنا القضاة».

وأيضاً: (١صم ٢: ٢):

+ «ليس قدوس مثل الرب. لأنه ليس غيرك. وليس صخرة مثل إلهنا».

وهكذا وضح أن الرب هو Elôah.

٣٢ – «الإلهُ الَّذِي يُمَنْطِقُنِي بِالْقُوَّةِ وَيُصَيِّرُ طَرِيقِي كَامِلاً» (EL):

انظر: (مز ٩٣:١):

+ «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. ائتزر بها».

وأيضاً: (١صم ٢: ٣و٤):

+ «لأن الرب إله عليم. وبه توزن الأعمال. قسّي الجبابرة انحطمت والضعفاء تمنطقوا بالبأس».

«يصير طريقي كاملاً»:

رفع العقبات التي تعترضني التي منعتني عن العمل الذي صنعه لي، انظر المقارنة التي عملها داود هنا بين كمال الله وطريق كماله، انظر: (مت ٥:٤٨):

+ «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل».

وهكذا يرتفع فكر داود إلى أعلى مستوى. وقد جاءت هذه الآية في سفر صموئيل الثاني (٢صم ٢٢:٣٣) هكذا: «الله هو حصني الشديد ويقود طريقي إلى الكمال» (بحسب النص المقروء Qrê وأمّا النص المكتوب Ketib فهو كما في المزمور).

٣٣ – «الَّذِي يَجْعَلُ رِجْلَيَّ كَالإِيِّلِ، وَعَلَى مُرْتَفَعَاتِي يُقِيمُنِي»:

«الإيل»: هو نوع من الغزال أو ربما هو ذكر الغزال الذي يُسرع في الجري ويُتمثّل به الجيوش، انظر: (٢صم ٢:١٨):

+ «وكان هناك بنو صروية الثلاثة يوآب وأبيشاي وعسائيل. وكان عسائيل خفيف الرجلين كظبي البر».

انظر: (١أي ١٢:٨):

+ «ومن الجاديين انفصل إلى داود إلى الحصن في البرية جبابرة البأس رجال جيش للحرب صافّو أتراس ورماح وجوههم كوجوه الأسود وهم كالظبي على الجبال في السرعة».

«وعلى مرتفعاتي يقيمني»:

لا يزال وصف الغزال الذي يجري على المرتفعات، ومرتفعات داود هي الجبال المتحصّنة التي كان يحتمي فيها، انظر: (تث ٣٢:١٣):

+ «أركبَهُ على مرتفعات الأرض فأكلَ ثمار الصحراء، وأرضَعَهُ عسلاً من حجرٍ وزيتاً من صوّانِ الصخرِ».

وأيضاً: (حب ٣:١٩):

+ «الرب السيد قوتي ويجعل قدميَّ كالأيائل ويمشيني على مرتفعاتي».

وأيضاً: (تث ٣٣:٢٩):

+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب. ترس عونك وسيف عظمتك. فيتذلل لك أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم».

٣٤ – «الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ، فَتُحْنَى بِذِرَاعَيَّ قَوْسٌ مِنْ نُحَاسٍ»:

القدرة على ثني قوس من نحاس رمز القوة المتناهية، انظر: (أي ٢٠:٢٤):

+ «يفرُّ من سلاح حديد. تخرقه قوس نحاس».

[٣٥–٣٨]:

يلاحظ أن أوصاف داود لا تُضاف لقيمته الشخصية بل للذي أعطاها له.

٣٥ – «وَتَجْعَلُ لِي تُرْسَ خَلاَصِكَ وَيَمِينُكَ تَعْضُدُنِي، وَلُطْفُكَ يُعَظِّمُنِي»:

معونة يهوه كانت هي دفاعه، انظر: (أف ٦:١٧):

+ «وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله».

ويمين يهوذا عضدته حتى لا تزل قدماه، انظر: (مز ٩٤:١٨):

+ «إذ قلت قد زلّت قدمي فرحمتك يا رب تعضُدُني».

وتواضع ولطف يهوه جعلته كبيراً وعظيماً. إنها كلمة ذات شجاعة أدبية حتى تُقال على الله ولكن معناها يشرحه مزمور (١١٣: ٥–٨):

+ «ومَنْ مثل الرب إلهنا الساكن في الأعالي. الناظر الأسافل في السموات وفي الأرض. المقيم

المسكين من التراب. الرافع البائس من المزبلة. ليجلسه مع أشرافٍ مع أشراف شعبه».

وأيضاً: (إش ١٥:٥٧):

+ «لأنه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه. في الموضع المرتفع المقدَّس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين».

وكونه يختار الصبي المتواضع راعي الغنم ملكاً لإسرائيل كان ذلك مثلاً شديد المعنى لصفات الله وأعماله الإلهية.

«لطفك يعظمني»:

بحسب القديس جيروم: "يعضدني"، وحسب السبعينية: "يتلمذني".

٣٦ – «تُوَسِّعُ خُطُوَاتِي تَحْتِي فَلَمْ تَتَقَلْقَلْ عَقِبَايَ»:

تعطيني سعة لكي لا أتعثَّر في حركتي ولكي أتقدَّم إلى الأمام بوثوق وبخطوات ثابتة غير مهتزَّة.

٣٧ – «أَتْبَعُ أَعْدَائِي فَأُدْرِكُهُمْ، وَلاَ أَرْجِعُ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ»:

انظر: (خر ٩:١٥):

+ «قال العدو أتبع أدرك أُقسِّم غنيمة. تمتلئ منهم نفسي. أجرِّد سيفي. تفنيهم يدي».

٣٨ – «أَسْحَقُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامَ. يَسْقُطُونَ تَحْتَ رِجْلَيَّ»:

انظر: (تث ١١:٣٣):

+ «بارك يا رب قوَّته وارتض بعمل يديه. احطم (إسحق) متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا».

وأيضاً: (أي ١٢:٢٦):

+ «بقوَّته يزعج البحر وبفهمه يسحق رهب».

[٣٩–٤٢]:

هكذا يعطيه الله النصرة فوق كل أعدائه.

٣٩ – «تُمَنْطِقُنِي بِقُوَّةٍ لِلْقِتَالِ. تَصْرَعُ تَحْتِي الْقَائِمِينَ عَلَيَّ»:

انظر: (خر ٧:١٥):

+ «وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك. تُرسل سخطك فيأكلهم كالقش».

وأيضاً: (تث ١١:٣٣):

+ «بارك يا رب قوَّته وارتض بعمل يديه. احطم (إسحق) متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا».

٤٠ – «وَتُعْطِينِي أَقْفِيَةَ أَعْدَائِي، وَمُبْغِضِيَّ أُفْنِيهِمْ»:

الجزء الأول يعني أن يفرَّ الأعداء من أمامه. انظر: (خر ٢٧:٢٣):

+ «أُرسل هيبتي أمامك وأُزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأُعطيك جميع أعدائك مدْبرين».

حتى أنه غرس قدميه على رقاهم وذلك رمزاً للنصرة، انظر: (يش ٢٤:١٠):

+ «وكان لمَّا أخرجوا أُولئك الملوك إلى يشوع دعا كل رجال إسرائيل وقال لقوَّاد رجال الحرب الذين ساروا معه: تقدَّموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك، فتقدَّموا ووضعوا أرجلهم على أعناقهم».

٤١ – «يَصْرُخُونَ وَلاَ مُخَلِّصَ. إِلَى الرَّبِّ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ»:

حينما يقول: «إلى الرب»، يبدو أن الأعداء هنا هم إسرائيليون ولكن الأصح أنهم غرباء وثنيون. فبعد خيبة رجائهم في آلهتهم وفي أقصى يأسهم صرخوا إلى يهوه، انظر: (١صم ١٢:٥):

+ «والناس الذين لم يموتوا ضُربوا بالبواسير فصعد صراخ المدينة إلى السماء».

وأيضاً: (يون ٣:٧و٨):

+ «ونودي وقيل في نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً. لا ترع ولا تشرب ماء وليتغطَّ بمسوح الناس والبهائم ويصرخوا إلى الله بشدَّة».

٤٢ – «فَأَسْحَقُهُمْ كَالْغُبَارِ قُدَّامَ الرِّيحِ. مِثْلَ طِينِ الأَسْوَاقِ أَطْرَحُهُمْ»:

يصف كيف ينهي على أعدائه، انظر: (٢مل ٧:١٣):

+ «لأنه لم يُبقِ ليهوأحاز شعباً إلاَّ خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لأن ملك آرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس».

وأيضاً: (إش ٥:٢٩):

+ «ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العتاة كالعصافة المارة. ويكون ذلك في لحظة بغتة».

«أطرحهم»:

أطردهم بعيداً كشيء مهمل مرفوض، انظر: (صف ١٧:١):

+ «وأضايق الناس فيمشون كالعمي لأنهم أخطأوا إلى الرب فيُسفح دمهم كالتراب ولحمهم كالجلَّة (روث البهائم)».

وطين الأسواق يُقال عنه دائماً إنه يُداس بأرجل الناس، انظر: (إش ١٠: ٥و٦):

+ «ويل لأشور قضيب غضبي ... ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة».

وأيضاً: (مي ١٠:٧):

+ «وترى عدوَّتي فيغطيها الخزي القائلة لي: أين هو الرب إلهك. عيناي ستنظران إليها. الآن تصير للدوس كطين الأزقة».

وأيضاً: (زك ٥:١٠):

+ «ويكونون كالجبابرة الدائسين طين الأسواق في القتال».

[٤٣-٤٥]:

تكريم سيادة داود في بيته وفي الخارج.

٤٣ - «تُنقذُني مِنْ مُخاصَمَاتِ الشَّعْبِ. تَجْعَلُني رَأْساً للأُمَمِ. شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لي»:

والكلام عن الحرب المدنيَّة والثورة داخل البلاد أقلقت حكم داود بينما كان بيت شاول لا يزال يحاول أن يتماسك ليأخذ موضعه، انظر: (٢صم ١:٣):

+ «وكانت الحرب طويلة بين شاول وبيت داود ،كان داود يذهب يتقوَّى وبيت شاول يذهب يضعف».

ومن خلال هذه المنازعات كان في أمان وصار فعلاً رأساً لشعوب والسائد بين كل الأمم، انظر: (٢صم ٨: ١-١٤):

+ «وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم ... وضرب الموآبيين وقاسهم بالحبل. أضجعهم على الأرض ... وصار الموآبيون عبيداً لداود يقدِّمون هدايا. وضرب داود هددعزر ... عند نهر الفرات. فأخذ داود منه ألفاً وسبع مئة فارس وعشرين ألف راجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات ... فضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجلٍ ... وصار الأراميون لداود عبيداً

... وكان الرب يُخلِّصُ داود حيثما توجَّه. وأخذ داود أتراس الذهب التي كانت على عبيد هددعزر وأتى بها إلى أُورشليم ... ونحاساً كثيراً جدًّا ... وكان الرب يُخلِّص داود حيثما توجَّه».

«تجعلني رأساً للأمم. شعب لم أعرفه يتعبَّد لي»:

وفي هذا وغيرها ظلَّ داود يقدِّم الشكر لله الذي أقامه وجعله على ما هو. وقد أخضع أيضاً السوريين وحلفاءهم وهؤلاء هم الشعب الذي لم يعرفه وتعبَّد له، انظر: (٢صم ٦:٨) وهي مذكورة أعلاه، وأيضاً: (٢صم ١٩:١٠):

+ «ولمَّا رأى جميع الملوك عبيد هددعزر أنهم انكسروا أمام إسرائيل صالحوا إسرائيل واستعبدوا لهم وخاف آرام ...».

٤٤ - «مِنْ سَماعِ الأُذُنِ يَسْمَعُونَ لي. بَنُو الغُرَباءِ يَتَذَلَّلُونَ لي»:

انظر: (٢صم ٩:٨) المذكورة أعلاه، وأيضاً: (تث ٢٩:٣٣):

+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك. فيتذلل لك أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم».

وأيضاً: (مز ٣:٦٦):

+ «قولوا لله ما أهيب أعمالك. من عظم قوتك تتملَّق لك أعداؤك».

وأيضاً: (مز ١٥:٨١):

+ «مبغضو الرب يتذللون له. ويكون وقتهم إلى الدهر».

٤٥ - «بَنُو الغُرَباءِ يَبْلَونَ وَيَزْحَفُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ»:

شجاعتهم وقوَّتهم زالت كورقة ذابلة أو كزهرة قد فقدت زهوها، انظر: (إش ٢٨: ١و٤):

+ «ويل لإكليل فخر سكارى أفرايم والزهر الذابل جمال بهائه الذي على رأس وادي سمائن المضروبين بالخمر ... ويكون الزهر الذابل جمال بهائه ...».

وقد أُخضعوا تحت نصرة المقتحم وخرجوا من مختبآتهم، انظر: (١صم ١١:١٤):

+ «فأظهرا أنفسهما لصف الفلسطينيين، فقال الفلسطينيون هوذا العبرانيون خارجون من الثقوب التي اختبأوا فيها».

أي جاءوا من أمكنة محصناتهم.

[٤٦-٥٠]:

تشكرات وتمجيدات داود لله.

٤٦ - «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، وَمُبَارَكٌ صَخْرَتِي، وَمُرْتَفِعٌ إِلهُ خَلاَصِي»:

الحياة هي الصفة الأُولى والعظمى ليهوه. فهو الله الحي مقارنة بالأصنام الميتة. وهذه الكلمات لداود هي محصّلة خبرات داود الحية. كانت أعمال داود شهادة حقّة أن الله حيٌّ! عامل وحاكم وقاضٍ للمسكونة كلها، انظر: (يش ٣:١٠):

+ «ثم قال يشوع بهذا تعلمون أن الله الحي في وسطكم وطرداً يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين».

«ومرتفع إله خلاصي»:

انظر: (مز ٢٤:٥):

+ «يحمل بركة من عند الرب وبرًّا من إله خلاصه».

٤٧ - «الإِلهُ الْمُنْتَقِمُ لِي، وَالَّذِي يُخْضِعُ الشُّعُوبَ تَحْتِي»:

غضب الله على الشرير يصنع نقمة، انظر: (مز ٩٤:١و٢):

+ «يا إله النقمات يا رب يا إله النقمات أشرق. ارتفع يا ديَّان الأرض. جاز صنيع المستكبرين».

وهذه النقمة هي تحقيق لعدالة الله وبرّه وتحقيق لاستقامة وبر أبراره مثل داود، وإن كان الرب قد انتقم من عدوه شاول فهذا لقسوة شاول الوحشية واضطهاده للبار كداود، انظر: (١صم ٢٤:١٣-١٥):

+ «كما يقول مَثَلُ القدماء من الأشرار يخرج شر. ولكن يدي لا تكون عليك. وراء من خرج ملك إسرائيل. وراء من أنت مطارد؟ وراء كلب ميت. وراء برغوث واحد؟ فيكون الرب الديَّان ويقضي بيني وبينك ويرى ويحاكم محاكمتي وينقذني من يدك!».

كذلك فبسبب قذف نابال لداود ورجاله، انظر: (١صم ٢٥:٣٩):

+ «فلما سمع داود أن نابال قد مات قال: مبارك الرب الذي انتقم نقمة تعييري من يد نابال

وأمسك عبده عن الشر وردّ الرب شر نابال على رأسه».

وانتقم من الذين قاوموا زوراً ورفضوا الاعتراف بداود ملكاً وهو مختار من الله ومدعو، انظر: (٢صم ٤:٨):

+ «وأتيا برأس إيشبوشت إلى داود إلى حبرون وقالا للملك: هوذا رأس إيشبوشت بن شاول عدوك الذي كان يطلب نفسك، وقد أعطى الرب لسيدي الملك انتقاماً في هذا اليوم من شاول ومن نسله».

ولكن داود لم يقبل هذه البشارة بل قتل المبشرين.

«والذي يخضع الشعوب تحتي»:

هو نفس مضمون آية (٤٣) عن نجاح داود في الداخل والخارج، انظر: (مز ١٤٤:٢):

+ «رحمتي وملجإي صرحي ومُنقذي مِجَنّي والذي عليه توكّلت المخضع شعبي تحتي».

لم يكن يذكر هذا كمنتصر عن افتخار ولكنها تشكُّرات وحمد لحاكم يُدرك أهمية وحدة ونجاح إسرائيل ويعلم أن مصالحة أطراف متنازعة في الأُمة هي فوق مطلبه لنفسه.

٤٨ - «مُنَجِّيَّ مِنْ أَعْدَائِي. رَافِعِي أَيْضاً فَوْقَ الْقَائِمِينَ عَلَيَّ. مِنَ الرَّجُلِ الظَّالِمِ تُنْقِذُنِي»:

انظر: (مز ١٤٠: ١و٤و١١):

+ «انقذني يا رب من أهل الشر، من رجل الظلم احفظني ... احفظني يا رب من يدي الشرير. من رجل الظلم أنقذني. الذين تفكّروا في تعثير خطواتي ... رجل لسان لا يثبت في الأرض. رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه».

٤٩ - «لِذلِكَ أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ فِي الأُمَمِ، وَأُرَنِّمُ لاسْمِكَ»:

الاحتفال بأمانة يهوه نحو خادمه لا يمكن أن تكون محدودة داخل إسرائيل، مديح يهوه يُعلن بين الأُمم الذين يُرجى أن يكونوا تحت خضوع شعب إسرائيل، لذلك يلزم أن يكونوا على علم بمعرفة يهوه! انظر: (مز ٩٤: ٢و١٠):

+ «ارتفع يا ديَّان الأرض. جاز صنيع المستكبرين ... المؤدّب الأُمم ألا يبكّت. المعلّم الإنسان معرفة».

وقد اقتبس هذه الآية القديس بولس في رسالته إلى رومية: (رو ١٥:٩):

+ «أمَّا الأُمم فمجَّدوا الله من أجل الرحمة كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك في الأُمم وأرتل لاسمك» [(مز ١٨:٤٩)].

وأيضاً: (تث ٣٢:٤٣):

+ «تهلَّلوا أيها الأُمم شعبه لأنه ينتقم بدم عبيده ويرد نقمة على أضداده ويصفح عن أرضه عن شعبه».

وأيضاً: (مز ١١٧:١):

+ «سبِّحوا الرب يا كل الأُمم. حمِّدوه يا كل الشعوب».

وأيضاً: (إش ١١:١٠):

+ «ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسَّى القائم راية للشعوب. إيَّاه تطلب الأُمم ويكون محله مجداً».

هكذا فإن العهد القديم يشترك في السماح للأُمم ببركات الخلاص.

٥٠ - «بُرْجُ خَلاَصٍ لِمَلِكِهِ، وَالصَّانِعُ رَحْمَةً لِمَسِيحِهِ، لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ»:

بهذه الكلمات يختتم داود مزموره المطوَّل الذي يجمع في هذا البيت الأخير كل ما جاء في المزمور من دروس، وهو يصف حياته من خارج في ضوء الميعاد العظيم الذي أُخبر به (٢صم ٧: ١٢و١٦):

+ «متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أُقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأُثبِّت مملكته ... ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد».

هذه هي معطيات يهوه التي صنعها للملك الذي كان قد اختاره، وهذه هي عيِّنة لعمل المحبة والإحسان الذي صنعه مع مسيحه، وسوف يظهرها لنسله أيضاً إلى الأبد.

والكلمات تبلغ كمالها في الحياة الأبدية بانتصار المسيح ابن داود على العالم أجمع.

المزمور التاسع عشر

لرئيس الموسيقيين. مزمور لداود

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ - «السَّمَوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ.

٢ - يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَماً، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْماً.

٣ - لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ.

٤ - فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَناً فِيهَا،

٥ - وَهِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ الْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ فِي الطَّرِيقِ.

٦ - مِنْ أَقْصَى السَّمَوَاتِ خُرُوجُهَا، وَمَدَارُهَا إِلَى أَقَاصِيهَا، وَلاَ شَيْءَ يَخْتَفِي مِنْ حَرِّهَا.

٧ - نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيماً.

٨ - وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ.

٩ - خَوْفُ الرَّبِّ نَقِيٌّ ثَابِتٌ إِلَى الأَبَدِ. أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا.

١٠ - أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ الْكَثِيرِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ.

١١ - أَيْضاً عَبْدُكَ يُحَذَّرُ بِهَا، وَفِي حِفْظِهَا ثَوَابٌ عَظِيمٌ.

١٢ - السَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا؟ مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَتِرَةِ أَبْرِئْنِي.

١٣ - أَيْضاً مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ احْفَظْ عَبْدَكَ فَلاَ يَتَسَلَّطُوا عَلَيَّ. حِينَئِذٍ أَكُونُ كَامِلاً وَأَتَبَرَّأُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ.

١٤ - لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ يَا رَبُّ، صَخْرَتِي وَوَلِيِّي».

دراسة:

يتكوَّن هذا المزمور من قسمين واضحين:

القسم الأول: يحيي استعلان القوة والجلال لله في الطبيعة وشهادة متواصلة من السموات نحو خالقها (١-٦).

القسم الثاني: يحيي جمال الأخلاق والقوة ذات النفع لنواميس يهوه في عناصرها المتعددة ونواحيها (٧-١١).

ثمَّ نجد صاحب المزمور وهو ينظر حياته الخاصة في ضوء هذا الناموس المقدَّس يخرج بصلاة طلباً للسماح والحفظ والقبول (١٢-١٤).

وكون معطي الناموس لإسرائيل هو نفسه خالق العالم بأسره كان المبدأ الأساسي في العهد القديم، انظر: (عا ٤:١٣):

+ «فإنه هوذا الذي صنع الجبال وخلق الريح وأخبر الإنسان ما هو فكره. الذي يجعل الفجر ظلاماً ويمشي على مشارف الأرض، يهوه إله الجنود اسمه».

وأيضاً: (عا ٥: ٧و٨):

+ «يا أيها الذين يحوِّلون الحق أفسنتيناً ويلقون البر إلى الأرض. الذي صنع الثريا والجبّار ويحوِّل ظل الموت صبحاً ويظلم النهار كالليل. الذي يدعو مياه البحر ويصبّها على وجه الأرض يهوه اسمه».

والقصد من المزمور هو بالتأكيد يقصد أن يقيم نوعاً من المقارنة بين الاستعلان العام لجلال الله في المخلوقات لتظهر أمام كل البشر؛ انظر: (رو ١: ١٩و٢٠):

+ «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر».

وبين الاستعلان الخاص من نحو صفاته وواجب الإنسان من نحو ناموسه الذي أعطاه لإسرائيل فقط واستخدام أسماء الله يدل على ذلك بجلاء:

ففي الجزء الأول يُسمِّى الله: "إيل" كإله القوة الخالق، وفي الجزء الثاني يسمِّيه: "يهوه"، مكررة سبع مرات، الاسم الذي به جعل نفسه معروفاً كما هو في العهد بين الله وإسرائيل، إله النقمة والفداء.

فهل الجزءان هما من عمل شاعر واحد؟ من جهة الشكل والأسلوب والنغمة فهي تقودنا إلى إجابة سلبية لا شك، لأن نفس الشاعر قد اتخذ وزناً جديداً ليتواصل مع تغيير الموضوع، والقطع في الانتقال المفاجئ من القسم الأول للقسم الثاني لا يمكن ضغطه كحجة ضدّ وحدة التأليف لأنه بحسب الروح العبرية للشعر أن توضع فكرتان جنباً إلى جنب ويُترك القارئ ليستنبط الفارق المقصود.

وهناك تواز في الجزء الأول مع مزمور (١٨) والجزء الثاني مع مزمور (١١٩). ونحن نعلم أن مزمور (١٠٨) أنه لم يكن من المستبعد تجميع أجزاء مختلفة من شعر متعدد المصادر في وحدة جديدة كلية. لهذا يبدو بكل احتراس أن الجزء الثاني من المزمور كُتب كإضافة إلى جزء كان موجوداً أصلاً كشعر، أو أن جزئي

مزمورين قد اجتمعا بنظرة تفترض التفريق بين جزئين عمل الله في الطبيعة والأسفار.

وكل من هذين الجزءين له دروسه الخاصة، شُرحت بحق لكي لا يكونا متعارضين أبداً.

ويقول العالِم كانت(١):

[إن السماء فوقي بنجومها والناموس الأخلاقي داخلي هما شيئان يملآن النفس بإعجاب يظل متجدِّداً وبتوقير!].

وماذا يقصد صاحب المزمور من ناموس يهوه الذي يصفه في مناحٍ كثيرة مختلفة كشهادة، أوامر وصايا، خوف، أحكام؟ إن القانون الأخلاقي ليس وحده محوياً في الخمسة أسفار ولكن معه كل تعاليم الكهنوت والأنبياء التي تكلّمت عن إرادة يهوه وعرَّفته. فكان الناموس بالنسبة لصاحب المزمور ليس ثقلاً أو مصدر تعب أو يحد من الحرية، ولكنه انعكاس النعمة لقداسة الله، وُضع ليقود الإنسان في طريق الحياة والسلام. ولكن بقي أنه في الختام قدَّم لمحة لوجه القانون الحازم كوسيلة لتعليم الإنسان ليدرك مقدار خطيته، انظر (رو ٣:٢٠):

+ «لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرَّر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية».

وليشعر الإنسان بحاجته إلى الكفَّارة، انظر: (رو ٨:٣):

+ «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فيما كان ضعيفاً بالجسد. فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد (بالموت على الصليب)».

والمزمور التاسع عشر هو من المزامير المحبوبة ويُقال في يوم تذكار ميلاد المسيح بسبب توقير الطبيعة لله واستعلان كلمة الله في التجسُّد!

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

(١-٦):

استعلان الله في الطبيعة:

١ - «**السَّمَوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ**»:

(١) Wallace, *Kant*, p. 53, cited by kirkpatrick, *op. cit.*, p. 101.

مجد الله يشير إلى:

(أ) هذا المنظور من حضرته الذي به أراد أن يستعلن نفسه لإسرائيل. كالشاكيناه كما سُمِّيت في الأيام الأخيرة، انظر: (خر ١٦: ٧و١٠):

+ «وفي الصباح ترون مجد الرب لاستماعه تذمركم على الرب. وأمَّا نحن فماذا حتى تتذمَّروا علينا ... فحدث إذ كان هارون يكلِّم كل جماعة بني إسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية. وإذا مجد الرب قد ظهر في السحاب».

وأيضاً: (خر ٣٣:٢٢):

+ «فقال الرب لموسى ... ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز».

وأيضاً: (رو ٩:٤):

+ «الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد».

(ب) بالمعنى الواسع كما هو هنا نجد مجد الله هو انفراده في الجلالة من جهة ذاته، كما قد أعلن للإنسان هذا الاستعلان للاهوته الذي يُدركه المخلوق ويُقابله بالعبادة والتوقير. فكل الخليقة هي استعلان لله ولكن السموات باتساعها وعظمتها ونظامها وأسرارها هي الأكثر استعلاناً بانعكاس جلال الله العظيم فيها. وإن أبسط ملاحظة يمكن أن تقرأ رسالة الكون، ولكن كم بالحري بأكثر وضوح وعظمة قد صار الآن من خلال الاكتشافات الحديثة كعلم الفلك وما أعلنه بالتدقيق والحسابات.

«الفلك»:

"المحيط المتسع" قبة السماء المنشورة على الأرض، انظر: (تك ١: ٦-٨):

+ «وقال الله ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء».

انظر أيضاً: (أي ٣٧:١٨):

+ «هل صفَّحت معه الجلد المُمكَّن كالمرآة المسبوكة».

وهي تُعلن ما قد صنع ويصنع.

٢ - «يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَماً، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْماً»:

الإعلانات مستمرَّة ولا تقف. فكل يوم وكل ليلة اليد على رسالة للآتي دون توقُّف وكان هذا تقليد الخلق. واليوم والليل ذُكرت كل منهما وحدها لأن كلاً منهما له رسالته الموكَّلة به، اليوم يُخبر عن العظمة ذات القوة والفائدة، والليل يُخبر عن الاتساع والنظام والسرّ والجمال الساكن، وهما كشريكين في خورس يهتفان كل بَعد الآخر بمديح الله.

والعلم هو علم معرفة الله، انظر: (رو ١:١٩):

+ «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم».

ويقول "أرسطو" في الفلسفة:

[يعيش الإنسان تحت الأرض ويتأمَّل هناك عن الفن والميكنة ويكون بعد ذلك أن يخرج خارجاً في العالم المفتوح وينظر الأمجاد الكثيرة التي للسماء والأرض، فهو لابد وأن ينطق أنها أعمال لموجود الذي نسمِّيه نحن الله].

٣ - «لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ»:

(أ) المعنى في الترجمة الحالية أن رسالة السماء تصل كل الأُمم بكل لغة لتعبِّر تعبيراً واحداً وتُفهم عندهم كذلك. ولكن في المعنى العبري ليس كذلك.

(ب) "ليست كلاماً ولا كلمات صوتها غير مدرك" وهذا هو حسب الأقدم في النسخ حسب السبعينية وسيماخوس وثيودوتيون والفولجاتا وجيروم. ولكن نجد أنها لا توفي حق التوازي وأنها غير طبيعية لأنها تجعل "صوتها" يعود إلى "كلام وكلمات" بدلاً من أن تعود إلى السموات.

(ج) ولكن الأفضل جداً أن تكون: "لا قول ولا كلام وصوتها غير مسموع". فرسالتها ولو أنها حقيقية إلاَّ أنها صامتة. هكذا تُفهم. وهذا العدد يشرح عدد (٢) وهو على صلة وثيقة مع عدد (٤) فالسموات لها صمت بليغ، وبالرغم من صمتها إلاَّ أن رسالتها تصل أقطار المسكونة كلها.

٤ - «فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ. جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَناً فِيهَا»:

هذا إعلان عام. وتُشرح هذه الآية عند إرميا النبي (٣١:٣٧):

+ «هكذا قال الرب إن كانت السموات تُقاس من فوق وتُفحص أساسات الأرض من أسفل فإني أنا أيضاً أرفض كل نسل إسرائيل من أجل كل ما عملوا يقول الرب».

المقصود من "كل الأرض" هو الكرة الأرضية وهي عليها تُقدِّم السموات رسالتها، انظر: (رو ١٨:١٠):

+ «ولكنني أقول ألعلّهم لم يسمعوا. بلى. إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم».

هنا يتكلَّم ق. بولس عن الإنجيل آخذاً من المزمور لغته بالنسبة لما فعلته السموات على الأرض. وصاحب المزمور يقدِّم الشمس كشاهد على مجد الله ويشخِّصها كملك أو بطل وقد حدَّد الخالق مسكنها كخيمة في السماء.

٥ – «وَهِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ الْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ فِي الطَّرِيقِ»:

وهي تخرج من صباح إلى صباح كعروس بكل جلال وجمال وكل تجديد وقوة وسيادة، انظر: (إش ١٠:٦١):

+ «فرحاً أفرح بالرب، تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر مثل عريس يتزيَّن بعمامة ومثل عروس تتزيَّن بحليِّها».

٦ – «مِنْ أَقْصَى السَّمَوَاتِ خُرُوجُهَا، وَمَدَارُهَا إِلَى أَقَاصِيهَا، وَلاَ شَيْءَ يَخْتَفِي مِنْ حَرِّهَا»:

تأثيرات الشمس ذات النفع العميم: حرارة وضوء تعم المسكونة كلها.

[٧-١١]:

والأعظم والأكثر فائدة من الشمس ونورها وحرارتها هو استعلان مشيئة الله التي توجِّه الإنسان إلى الأخلاق التي لها كل الفائدة والحياة.

٧ – «نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيماً»:

«ناموس الرب»:

التعليم والمعرفة والمبادئ كلها تحويها كلمة التوراة لتصير هي الناموس. تماماً مثل أعمال يهوه، انظر: (تث ٤:٣٢):

+ «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل إله أمانة لا جور فيه صديق وعادل هو».

وتماماً هذا طريقه، انظر: (مز ٣٠:١٨):

+ «الله طريقه كامل. قول الرب نقي ترسٌ هو لجميع المحتمين به».

إنه كامل بلا خطأ ولا شبه خطأ. هو قائد لا يضل ولا يخيب.

لاحظ أن كلمة "الرب" تأخذ الآن موضع الله تماماً لأننا ندخل في منطقة الاستعلان الخاص بإسرائيل.

«يرد النفس»:

أو ينقذ النفس، ينعشها ويعطيها قوة ليصير الإنسان صاحب حياة حقيقية، انظر: (مز ٣:٢٣):

+ «يرد نفسي يهديني إلى سبل البر».

كالطعام للجائع أو العزاء للحزين.

«شهادات»:

هي نفسها الناموس باعتبارها أنها تحمل شهادة ليهوه ومشيئته وواجب الإنسان. انظر: (مز ٢٥: ١٦و٢١):

+ «التفت إليَّ وارحمني لأني وحدٌ (منفرد) ومسكين أنا ... يحفظني الكمال والاستقامة لأني انتظرتك».

وهي ثابتة واثقة غير متغيِّرة، انظر: (مز ٥:٩٣):

+ «شهاداتك ثابتة جدًّا. ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام».

وأيضاً: (مز ٧:١١١):

+ «أعمال يديه أمانة وحق. كل وصاياه أمينة».

٨ – «وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ»:

المقولات المحتمة على الإنسان هذه تجعل القلب فرحاً مع سرور الرِّضا الأخلاقي.

«طاهر»:

انظر: (نش ١٠:٦):

+ «مَنْ هي المشرفة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية».

فالناموس أو الوصايا كالنور طاهرة كالشمس التي تشع النور، انظر: (أم ٦:٢٣):

+ «لأن الوصية مصباح والشريعة نور وتوبيخات الأدب طريق الحياة».

وأيضاً انظر: (مز ١١٩: ١٠٥و١٢٩):

+ «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي ... عجيبة هي شهاداتك لذلك حفظتها نفسي».

وأيضاً: (أف ١:١٨):

+ «مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاءُ دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين».

٩ – «خَوْفُ الرَّبِّ نَقِيٌّ ثَابِتٌ إِلَى الأَبَدِ. أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا»:

هذا تعبير آخر للناموس كونه ذا عناية هي زرع الخوف أو المخافة لله في قلوب البشر، انظر: (تث ٤:١٠):

+ «في اليوم الذي وقفت فيه أمام الرب إلهك في حوريب حين قال لي الرب اجمع لي الشعب فأسمعهم كلامي لكي يتعلّموا أن يخافوني كل الأيام التي هم فيها أحياء على الأرض ويعلّموا أولادهم».

والناموس حق وعدل، انظر: (مز ١٢:٦):

+ «كلام الرب كلام نقي كفضة مصفّاة في بوطة في الأرض. ممحوصة سبع مرّات».

وذلك بالمقارنة مع نواميس الوثنيين الذين أخلاقهم منحلّة. والناموس له طهارة الرب نفسه، انظر: (حب ١:١٣):

+ «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور ...».

وهو مثل الله يبقى ثابتاً إلى الدهر. انظر: (مز ١٠٢: ٢٦و٢٧):

+ «هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى. كرداء تغيّرهنّ فتتغيّر. وأنت هو وسنوك لن تنتهي».

«أحكام الرب»:

ما يقطع به الله في الأمور، انظر: (يو ١٧:١٧):

+ «قدّسهم في حقّك. كلامك هو حقّ».

وهي كلها بحسب العدل المطلق، انظر: (تث ٤:٨):

+ «وأي شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع

أمامكم اليوم».

١٠ – «أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ الْكَثِيرِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ»:

هذا هو الناموس في كل أجزائه هو كنز يُطمع فيه كما يُطمع في كنز الذهب، وهو مليء بالمسرّات والحلاوة الصادقة للفرح حينما تُستقبل في القلب، انظر: (مز ١١٩: ٧٢و١٠٣و١٢٧):

+ «شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة ... ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي ... لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز».

«قطر الشهاد»:

النقط النازلة من قرص العسل، وهي أنقى أنواع العسل، طبيعته من الخلية نفسها.

١١ – «أَيْضاً عَبْدُكَ يُحَذَّرُ بِهَا، وَفِي حِفْظِهَا ثَوَابٌ عَظِيمٌ»:

صاحب المزمور هو عبد ليهوه جعل نفسه متحذراً من الناموس، انظر: (حز ٣٣:٤):

+ «وسمع السامع صوت البوق و لم يتحذّر فجاء السيف وأخذه فدمه يكون على رأسه».

«ثواب عظيم»:

انظر: (أم ٢٢:٤):

+ «ثواب التواضع ومخافة الرب هو غنى وكرامة وحياة».

وأيضاً: (١تي ٤: ٨، ٦:٦):

+ «لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة».

+ «وأمّا التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة».

[١٢-١٤]:

التأمُّل في هذا الناموس المقدّس يقود صاحب المزمور ليوضّح حاجته الشخصية للحفظ والقيادة.

١٢ – «اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا؟ مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَتِرَةِ أَبْرِئْنِي»:

نعم فمن ذا يمكن أن يكون حذراً واعياً للهفوات التي تتم عن الجهالة. صاحب المزمور يتألم ويطلب أن يصفح الله عن خطاياه المستترة، هنا يقظة الضمير لخفايا الأخطاء والخطايا.

١٣ - «أَيضاً مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ احْفَظْ عَبْدَكَ فَلاَ يَتَسَلَّطُوا عَلَيَّ. حِينَئِذٍ أَكُونُ كَامِلاً وَأَتَبَرَّأُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ»:

فُهِمت في النسخة العبرية والتراجم الأخرى أن إزاء الخطايا المستترة توجد خطايا عُملت بكبرياء بيد عالية بروح الكبرياء حيث يكون ليس لها كفَّارة، انظر: (عد ١٥: ٣٠و٣١):

+ «وأمَّا النفس التي تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء فهي تزدري بالرب فتُقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته. قطعاً تُقطع تلك النفس. ذنبها عليها!».

ومثل هذه الخطايا الجسورة المتكبِّرة يُصلِّي أن تُحجز وتُمنع عنه. وداود في مرَّة مُنع من عمل بأس للنقمة من نابال (١صم ٢٥: ٣٩)، مثل هذه الخطايا تصير سيداً على الإنسان وهو يكون عبداً لها، انظر: (يو ٨: ٣٤):

+ «أجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن كل مَنْ يعمل الخطية هو عبد للخطية».

إنها تسود عليه عِوض أن يسود هو عليها، انظر: (تك ٤: ٧):

+ «وإن لم تُحسن فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها».

وعن خطايا الغدر والبغي، انظر: (خر ٢١: ١٤):

+ «وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت».

وأيضاً: (تث ١٧: ١٢):

+ «والرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك أو للقاضي يُقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من إسرائيل».

ويكمِّل داود قائلاً إنه إذا أعطيتني هذه النعمة سأكون كاملاً وقلبي كامل معك. انظر: (مز ١٨: ٢٣):

+ «وأكون كاملاً معه وأتحفَّظ من إثمي».

وحينئذ أتنقَّى وأتبرَّأ من ذنب عظيم أي من خطية العصيان والتمرُّد على يهوه، انظر: (إش ١: ٢):

+ «اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض. لأن الرب يتكلَّم. ربَّيت بنين ونشَّأتهم أمَّا هم فعصوا عليَّ».

ومعروف أن الخطايا الجسورة تُحسب أن الإنسان فاعلها بكبرياء، وهذا معنى هذه الآية من

المزمور، فصاحب المزمور يصلِّي لكي يُنقذ من التعدِّي ومن كبرياء مَنْ لا إله له لئلاَّ يُجرَّب فينكر الله، انظر: (مز ١١٩: ١٢١و١٢٢):

+ «أجريت حكماً وعدلاً. لا تسلِّمني إلى ظالميَّ. كن ضامن عبدك للخير لكيلا يظلمني المستكبرون».

لاحظ أن كلمة الكبرياء ذُكرت في هذا المزمور (١١٩) مرَّات كثيرة، وكيف أن فكر صاحب المزمور ظلَّ أميناً للناموس.

١٤ - «لِتَكُنْ أَقْوَالُ فَمِي وَفِكْرُ قَلْبِي مَرْضِيَّةً أَمَامَكَ يَا رَبُّ، صَخْرَتِي وَوَلِيِّي»:

قول مأخوذ من ناموس الذبائح، انظر: (لا ١: ٣و٤):

+ «إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحاً يقرِّبه. إلى باب خيمة الاجتماع يقدِّمه للرضا عنه أمام الرب. ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه».

وأيضاً: (خر ٢٨: ٣٨):

+ «فتكون على جبهة هارون. فيحمل هارون إثم الأقداس التي يقدِّسها بنو إسرائيل. جميع عطايا أقداسهم. وتكون على جبهته دائماً للرِّضا عنهم أمام الرب».

وأيضاً: (مز ١٤١: ٢):

+ «لتستقم صلاتي كالبخور قدَّامك ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية».

وأيضاً: (هو ١٤: ٢):

+ «خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كل إثم واقبل حسناً فنقدِّم عجول شفاهنا».

«صخرتي ووليِّي»:

جاءت في النسخة العبرية: "ومخلِّصي" أي من الأعداء ورباط الخطية كما خلَّص إسرائيل من عبودية مصر، انظر: (إش ٦٣: ٩):

+ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم. بمحبته ورأفته هو فكَّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة».

المزمور العشرون

لرئيس الموسيقيين. مزمور لداود

١ – «لِيَسْتَجِبْ لَكَ الرَّبُّ فِي يَوْمِ الضِّيقِ. لِيَرْفَعْكَ اسْمُ إِلهِ يَعْقُوبَ.

٢ – لِيُرْسِلْ لَكَ عَوْناً مِنْ قُدْسِهِ، وَمِنْ صِهْيَوْنَ لِيَعْضُدْكَ.

٣ – لِيَذْكُرْ كُلَّ تَقْدِمَاتِكَ وَيَسْتَسْمِنْ مُحْرَقَاتِكَ. سِلاَهْ.

٤ – لِيُعْطِكَ حَسَبَ قَلْبِكَ. وَيُتَمِّمْ كُلَّ رَأْيِكَ.

٥ – نَتَرَنَّمُ بِخَلاَصِكَ، وَبِاسْمِ إِلهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا. لِيُكَمِّلِ الرَّبُّ كُلَّ سُؤْلِكَ.

٦ – الآنَ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ، يَسْتَجِيبُهُ مِنْ سَمَاءِ قُدْسِهِ، بِجَبَرُوتِ خَلاَصِ يَمِينِهِ.

٧ – هؤُلاَءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهؤُلاَءِ بِالْخَيْلِ، أَمَّا نَحْنُ فَاسْمَ الرَّبِّ إِلهِنَا نَذْكُرُ.

٨ – هُمْ جَثَوْا وَسَقَطُوا، أَمَّا نَحْنُ فَقُمْنَا وَانْتَصَبْنَا.

٩ – يَا رَبُّ خَلِّصْ! لِيَسْتَجِبْ لَنَا الْمَلِكُ فِي يَوْمِ دُعَائِنَا!»

دراسة:

مزمور (٢٠) ومزمور (٢١) لهما سمات مشتركة في التكوين وفي المحتوى. وكلاهما مزمور ليتورجي: الأول شفاعي والآخر للشكر، وفي الاثنين يكون الملك هو ممثل ليهوه وممثّل للشعب بآن، وهو الشخصية البارزة في المزمور، والخلاص أو النصرة التي يعطيها يهوه له هو الفكر القائد.

في المزمور العشرين الملك يرتّب ليذهب إلى الموقعة ضد أعداء ذوي كيان هام. وقبل أن يبدأ يقدِّم ذبائح رسمية ويطرح قضيته ليهوه المعطي النصرة وحده.

والمزمور كان في الظاهر المقصود منه أن يُرنَّم به أثناء تقديم الذبيحة، ففيه روح البساطة بالإيمان في معونة يهوه، فأعداء إسرائيل يعتمدون على قوتهم المادية لجنودهم، وإسرائيل يثق بأمانة في يهوه وحده.

والمزمور الواحد والعشرون فيه الموقعة قد انتهت والنصرة تمت، فالشعب مع ملكهم اجتمعوا ثانية ليقدِّموا الشكر من أجل الخلاص الذي حققه يهوه لهم. وفي وهج النصرة توقعوا بثقة النصرات القادمة في المستقبل لملكهم.

وليس هناك إلاّ القليل لتحديد المناسبة لهذين المزمورين، فعنوان المزمور العشرين في النص السرياني

ينسبه لداود في حربه مع العمونيين، ولكن بعض الشُّرَّاح يرون في العدد (٧) تلميحاً للمركبات والخيول التي للسوريين الذين كانوا متحالفين مع العمونيين، انظر: (٢صم ٨:٤، ١٠:١٨):

+ «فأخذ داود منه (أي من ملك صوبة) ألفاً وسبع مائة فارس وعشرين ألف راجل. وعرقب داود جميع خيل المركَبات وأبقى منها مائة مركبة».

+ «وهرب أرام من أمام إسرائيل وقتل داود من أرام سبع مائة مركبة وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك».

وأيضاً: (٢صم ١٢: ٢٩و٣٠):

+ «فجمع داود كل الشعب وذهب إلى ربة (Rabbah) وحاربها وأخذها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وكان على رأس داود. وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً».

والقيمة الشخصية المهمَّة المعطاة للملك كونه قائداً للجيش، وروح البساطة في الثقة بيهوه وليس في القوات المادية هذه تشير إلى زمن مبكّر وليس متأخراً. فإذا كان المزمورين لداود فمن الطبيعي أن نقترح أنهما قد كُتبا بواسطة شاعر غير الملك نفسه.

والمزمور العشرون يتكوَّن من وقفتين مع آيات تابعة.

الوقفة الأُولى: شفاعة الشعب للملك، ترنم بواسطة الجماعة أو بواسطة اللاويين أثناء تقديم الذبيحة (١–٥).

الوقفة الثانية: كاهن أو نبي (أو ربما الملك نفسه) يُعلن قبول الذبيحة وبثقة يتوقَّع النصرة (٦–٨). ثمّ يختم بصلاة لكل الجماعة (٩).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١–٥]:

صلاة الشعب من أجل نجاح الملك.

١ – «لِيَسْتَجِبْ لَكَ الرَّبُّ فِي يَوْمِ الضِّيقِ. لِيَرْفَعْكَ اسْمُ إِلهِ يَعْقُوبَ».

«يوم الضيق»:

أو الحزن عندما تضغط عليه المصائب، وتتجمع الغزاة خاصة، انظر: (مز ٤٦:١):

+ «الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجِدَ شديداً».

وأيضاً: (عد ١٠:٩):

+ «وإذا ذهبتم إلى حرب في أرضكم على عدوٍّ يَضُرُّ بكم تهتفون بالأبواق فتُذكرون أمام الرب إلهكم وتُخلَّصون مِن أعدائكم».

«اسم إله يعقوب»:

لكي إله يعقوب يستعلن نفسه، لكي يحقِّق كل ما يعني الاسم من معاني، لكي يكون هو حصن التجاء، انظر: (مز ٩:٩):

+ «ويكون الرب ملجأ للمنسحق، ملجأ في أزمنة الضيق».

وأيضاً: (مز ١٨:٢):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي».

وأيضاً: (أم ١٨:١٠):

+ «اسم الرب برج حصين. يركض إليه الصديق ويتمنَّع».

«إله يعقوب»:

يأتي مرادفاً لإله إسرائيل، انظر: (مز ٤٦: ٧و١١):

+ «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه ... رب الجنود معنا ملجأنا إله يعقوب. سلاه».

إلاَّ أن اختيار هذا الاسم يوحي بعناية يهوه الحامية لرئيس الآباء يعقوب الجد الأول للأمة. وتأتي بنفس اللغة في: (تك ٣٥:٣):

+ «ولنقم ونصعد إلى بيت إيل. فأصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه».

والإشارة إلى يعقوب وتاريخه، انظر: (هو ١٢: ٤):

+ «جاهد مع الملاك وغلب. بكى واسترحمه، وجده في بيت إيل وهناك تكلَّم معنا».

+ «والرب إله الجنود يهوه اسمه.» (هو ١٢: ٥)

٢ - «لِيُرْسِلْ لَكَ عَوْناً مِنْ قُدْسِه، وَمِنْ صِهْيَوْنَ لِيَعْضُدْكَ»:

«عوناً من قدسه»: الهيكل الأرضي. **«يَعضُدك»**: يقوِّيك.

٣ - «لِيَذْكُرْ كُلَّ تَقْدِمَاتِكَ وَيَسْتَسْمِنْ مُحْرَقَاتِكَ. سِلاَهْ»:

يذكر ذبائحك التي قدَّمتها كلها في القديم، التي قدَّمها الملك ليعبر بها عن تقواه واعتماده على يهوه، فيقبلها، التي كرَّسها بخصوص بعثته القادم عليها. وبخصوص الذبيحة قبل الحرب، انظر: (١صم ٧: ٩و١٠):

+ «فأخذ صموئيل حملاً رضيعاً وأصعده محرقة بتمامه للرب وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل إسرائيل فاستجاب له الرب».

+ «وبينما كان صموئيل يصعد المحرقة تقدَّم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل فأرعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام إسرائيل».

وأيضاً: (١صم ١٣: ٩-١٢):

+ «فقال شاول قدِّموا إليَّ المحرقة وذبائح السلامة. فأصعد المحرقة. وكان لمَّا انتهى من إصعاد المحرقة إذا صموئيل مقبل فخرج شاول للقائه ليباركه، فقال صموئيل ماذا فعلت. فقال شاول لأني رأيت أن الشعب قد تفرَّق عني وأنت لم تأتِ في أيام الميعاد والفلسطينيون متجمِّعون في مخماس، فقلت الآن ينزل الفلسطينيون إليَّ إلى الجلجال، ولم أتضرَّع إلى وجه الرب، فتجلَّدت وأصعدت المحرقة».

والقصد من المحرقة أن يقدِّس الرب الحرب لحسابه، انظر: (إر ٦:٤):

+ «قدِّسوا عليها حرباً. قوموا فنصعد في الظهيرة. ويل لنا لأن النهار مال لأن ظلال المساء امتدَّت».

«ليذكر»:

ربما إشارة إلى التذكار الذي كان يُقام مع المحرقة وهو جزء من التقدمة التي كان يحرقها الكاهن على المذبح وكانت تسمَّى تقدمة التذكار، انظر: (أع ١٠:٤):

+ «فلمَّا شخص إليه ودخله الخوف قال ماذا يا سيِّد. فقال له. صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله».

«يستسمن محرقاتك»:

وكأنها دهن لأنه أميز جزء من الذبيحة وكان نصيب يهوه وكان يُحرقه دائماً، انظر: (لا ٣: ٣و٤):

+ «ويقرِّب من ذبيحة السلامة وقوداً للرب الشحم الذي يغشِّي الأحشاء وسائر الشحم الذي على الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها».

٤ - «لِيُعْطِكَ حَسَبَ قَلْبِكَ. وَيُتَمِّمْ كُلَّ رَأْيِكَ»:

«حسب قلبك»

جاءت هكذا في العبري. وتوضِّحها بعض الترجمات: «حسب شهوة قلبك» كما جاءت في: (مز ٢١:٢).

«رأيك» = مشورتك:

مشورة الحرب، انظر: (٢صم ١٦:٢٠):

+ «وقال أبشالوم لأخيتوفل أعطوا مشورة ماذا نفعل».

وأيضاً: (٢مل ١٨:٢٠):

+ «قلت إنما كلام الشفتين هو مشورة وبأس للحرب ...».

٥ - «نَتَرَنَّمُ بِخَلاَصِكَ، وَبِاسْمِ إِلهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا. لِيُكَمِّلِ الرَّبُّ كُلَّ سُؤْلِكَ»:

لا تزال الصلاة مستمرة.

«بخلاصك»:

يهوه نفسه كان هو مخلِّص إسرائيل وكان الملك مختار يهوه الوسيلة لخلاص الشعب، انظر: (٢صم ١٨:٣):

+ «والآن افعلوا. لأن الرب كلَّم داود قائلاً: **إني بيد داود عبدي أخلِّص شعبي إسرائيل من يد الفلسطينيين ومن أيدي جميع أعدائهم**»!

«نرفع رايتنا»:

بالأكثر نحرِّكها علامة النصر، انظر: (عد ١:٥٢):

+ «وينزل بنو إسرائيل كل في محلَّته وكلٌّ عند رايته بأجنادهم».

وأيضاً: (عد ٢:٣):

+ «فالنازلون إلى الشرق نحو الشروق راية محلة يهوذا حسب أجنادهم».

وأيضاً: (نش ٦: ٤و١٠):

+ «أنت جميلة يا حبيبتي كترصة حسنة كأورشليم مرهبة كجيش بألوية (حيث اللواء هو راية الجيش)».

+ «من هي المشرفة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية».

«ليكمِّل الرب كل سؤلك»:

دعاء ترجِّي، انظر: (مز ٢١:٢):

+ «شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفتيه لم تمنعه. سلاه».

[٦-٨]:

الذبيحة قُدِّمت. وبالإيمان اعتبروا أن الله قد قبلها وفي قبولها رأوا النصر بالإيمان، وصوت كاهن أو نبي أو ربما الملك نفسه يُسمع الآن معلناً هذه الثقة (٦) ومعلناً في نفسه والشعب ثقتهم بيهوه وحده (٧و٨).

٦ - «الآنَ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ، يَسْتَجِيبُهُ مِنْ سَمَاءِ قُدْسِهِ، بِجَبَرُوتِ خَلاَصِ يَمِينِهِ»:

انظر: (مز ٥٦:٩):

+ «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه. هذا قد علمته لأن الله لي».

وأيضاً: (مز ١٣٥:٥):

+ «لأني أنا قد عرفت أن الرب عظيم وربنا فوق جميع الآلهة».

«مُخلِّص»:

صحتها قد خلَّص ولكن بتأكيد المستقبل أي سوف بالتأكيد يخلِّص، وهكذا بالإيمان تكون النصرة قد كُسبت.

«مسيحه»:

هو لقب الملك باعتبار تكريسه ليهوه، وهذه دعوة لحقه أن ينتظر معونة يهوه. انظر: (حب ٣:١٣):

+ «خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك. سحقت رأس بيت الشرير معرِّياً الأساس حتى العنق. سلاه».

«يستجيبه من سماء قدسه»:

التي تمثلها على الأرض صهيون كنموذج أرضي.

«بجبروت خلاص يمينه»:

بأعمال الخلاص القوية ليمين العلي، انظر: (مز ١٠٦:٢):

+ «مَنْ يتكلّم بجبروت الرب من يخبر بكل تسابيحه».

وأيضاً: (مز ١٥٠:٢):

+ «سبِّحوه على قواته، سبِّحوه حسب كثرة عظمته».

وهذا ما تعمله يمين العلي، انظر: (مز ١٧:٧):

+ «ميِّز مراحمك يا مخلِّص المتّكلين عليك بيمينك من المقاومين».

وأيضاً: (مز ١١٠:٥):

+ «الرب عن يمينك يحطِّم في يوم رجزه ملوكاً».

وأيضاً: قارن (مز ٢١:١٣):

+ «ارتفع يا رب بقوّتك، نرنّم وننغّم بجبروتك».

٧ ـ «هؤُلاَءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهؤُلاَءِ بِالْخَيْلِ، أَمَّا نَحْنُ فَاسْمَ الرَّبِّ إِلهِنَا نَذْكُرُ»:

الأعداء وثنيون مثل فرعون وسنحاريب، انظر: (٢مل ١٩:٢٣):

+ «على يد رسلك عيَّرت السيد وقلت بكثرة مركباتي قد صعدت إلى علو الجبال إلى عقاب لبنان، وأقطع أرزه الطويل وأفضل سروه، وأدخل أقصى علوه وعر كرمله».

«أمَّا نحن فاسم الرب إلهنا نذكر (ندعو)»:

هذه ستكون كلمتنا السريَّة وقوّتنا، انظر: (١صم ١٧: ٤٥):

+ «فقال داود للفلسطيني أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيَّرتهم».

وأيضاً: (٢أي ١٦: ٨و٩):

+ «ألم يكن الكوشيون واللوبيون جيشاً كثيراً بمركبات وفرسان كثيرة جداً. فمن أجل أنك استندت على الرب دفعهم ليدك. لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدَّد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه ...».

وأيضاً: (مز ٣٣:١٦):

+ «لن يَخلُص الملك بكثرة الجيش. الجبّار لا يُنقذ بعظم القوة».

وأيضاً: (إش ٢٦:١٣):

+ «أيها الرب إلهنا قد استولى علينا سادة سواك. بك وحدك نذكر اسمك».

وأيضاً: (هو ١:٧):

+ «وأمَّا بيت يهوذا فأرحمهم وأُخلِّصهم بالرب إلههم ولا أُخلِّصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان».

٨ ـ «هُمْ جَثَوْا وَسَقَطُوا، أَمَّا نَحْنُ فَقُمْنَا وَانْتَصَبْنَا»:

«هم جثوا وسقطوا»:

انظر: (مز ١٨:٣٩):

+ «تمنطقني بقوة للقتال. تصرع تحتي القائمين عليَّ».

ولا تزال هنا اللغة لغة الإيمان تتوقع خضوع العدو ونصرة إسرائيل.

٩ ـ «يَا رَبُّ خَلِّصْ! لِيَسْتَجِبْ لَنَا الْمَلِكُ فِي يَوْمِ دُعَائِنَا!»:

صلاة الختام للشعب.

الصلاة هي من نحو الملك الأرضي يخاطب بها الملك السماوي الذي هو ممثله على الأرض. على أن يهوه لم يُخاطَب قط باسم الملك إلاَّ في لغة داود، انظر: (مز ١٤٥:١):

+ «أرفعك يا إلهي الملك وأبارك اسمك إلى الدهر والأبد» (المزمور لداود).

ونجد صداها في (إش ٦:٥):

+ «فقلت ويل لي أني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود».

أمَّا في نسخة الفولجاتا والسبعينية فتُقرأ: **«أيها الرب خلِّص الملك واستجب لنا»**. وهي الجملة التي ذهبت في العالم كله للدعاء للملك الأرضي: God Save The King وعلى هذه انظر: (١صم ١٠:٢٤):

+ «فقال صموئيل لجميع الشعب أرأيتم الذي اختاره الرب أنه ليس مثله في جميع الشعب فهتف كل الشعب وقالوا: ليحيى الملك».

المزمور الحادي والعشرون

لرئيس الموسيقيين. مزمور لداود

١ – «يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ يَفْرَحُ الْمَلِكُ، وَبِخَلاَصِكَ كَيْفَ لاَ يَبْتَهِجُ جِدًّا!

٢ – شَهْوَةَ قَلْبِهِ أَعْطَيْتَهُ، وَمُلْتَمَسَ شَفَتَيْهِ لَمْ تَمْنَعْهُ. سِلاَهْ.

٣ – لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُهُ بِبَرَكَاتِ خَيْرٍ. وَضَعْتَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجاً مِنْ إِبْرِيزٍ.

٤ – حَيَاةً سَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ. طُولَ الأَيَّامِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ.

٥ – عَظِيمٌ مَجْدُهُ بِخَلاَصِكَ، جَلاَلاً وَبَهَاءً تَضَعُ عَلَيْهِ.

٦ – لأَنَّكَ جَعَلْتَهُ بَرَكَاتٍ إِلَى الأَبَدِ. تُفَرِّحُهُ ابْتِهَاجاً أَمَامَكَ.

٧ – لأَنَّ الْمَلِكَ يَتَوَكَّلُ عَلَى الرَّبِّ، وَبِنِعْمَةِ الْعَلِيِّ لاَ يَتَزَعْزَعُ.

٨ – تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ.

٩ – تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍ فِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ.

١٠ – تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ.

١١ – لأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرًّا. تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا.

١٢ – لأَنَّكَ تَجْعَلُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ. تُفَوِّقُ السِّهَامَ عَلَى أَوْتَارِكَ تِلْقَاءَ وُجُوهِهِمْ.

١٣ – ارْتَفِعْ يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ. نُرَنِّمْ وَنُنَغِّمْ بِجَبَرُوتِكَ».

دراسة:

تقدم التشكرات من أجل النصرة، هذا هو المحرِّك الأساسي لهذا المزمور، ولا نريد أن يغرب عن البال أنه مُضاف إلى المزمور العشرين السابق عليه، ولكن لم تكن هذه التشكُرات من مستوى إقامة حفلة ملكية (٤)، وأنه من الطبيعي أن يكون الشكر من أجل النصرة، وهذا يقود الشاعر ليتكلَّم عن الكرامة العالية التي للملك ويتوقَّع مستقبلاً ذا انتصارات (٨–١٢). وسمو الكلام في (٤–٦) جعل بعض الشرَّاح أن ينكروا التطبيق التاريخي للمزمور واعتبروه أنه نبوَّة من نحو الملك المسيَّاني. على أن الترجوم قال بأن الملك المذكور في (١)، (٧) هو الملك ماسيًّا. ولكن مثل هذا الشرح يخرج عن المعنى العام للمزمور، فإن اللغة المستخدمة نحو الملك ليست بدون مثيل في العهد القديم، وهي موضَّحة

باصطلاحات موجودة في ملوكية الأشوريين، وإسرائيل تؤمن أن ملكها هو الممثّل ليهوه. ويلزم أن نعتبر أن اللغة معدَّلة وملهمة بواسطة الروح القدس وذلك لغرض نبوي لكي تبلغ تكميلها وتحقيقها تماماً في المسيح!

لذلك فالمزمور له اتجاه نبوي ويرى المستقبل خلال الملك الأرضي الذي يتكلَّم عنه: مثلاً أن يحكم حتى يضع أعداءه تحت قدميه، انظر: (١كو ١٥:٢٥):

+ «لأنه يجب أن **يملك** حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه».

وقد اختير هذا المزمور من أجل ذلك ليكون أحد مزامير يوم الصعود.

التركيب:

١ – الشكر من أجل الملك بسبب النصرة التي وُهبت له، موجَّهاً ليهوه وربما بترتيل الجماعة أو اللاويين (١–٧).

٢ – توقع المستقبل بانتصارات مماثلة مُخاطبة الملك، وربما بترتيل كاهن (٨–١٢).

٣ – صلاة ختامية من فم الجماعة (١٣).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١–٧]:

شكر الشعب لأن يهوه قد صنع معروفاً لملكهم.

١ – «يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ يَفْرَحُ الْمَلِكُ، وَبِخَلاَصِكَ كَيْفَ لاَ يَبْتَهِجُ جِدًّا!»:

صلوات المزمور (٢٠) قد استجيبت والنصرة قد اكتُسبت والملك مسرور، فهو قد وثق في يهوه، والآن قد صار أساس مسرَّته هي القوة التي وضعها يهوه لجانبه والخلاص الذي صنعه يهوه من أجله. انظر: (مز ٩:١٤):

+ «لكي أُحدِّث بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجاً بخلاصك».

وأيضاً: (خر ١٥:٢):

+ «الرب قوَّتي ونشيدي. وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده. إله أبي فأُرفِّعه».

٢ – «شَهْوَةَ قَلْبِهِ أَعْطَيْتَهُ، وَمُلْتَمَسَ شَفَتَيْهِ لَمْ تَمْنَعْهُ. سِلاَهْ»:

هذا البيت يشير إلى الصلوات من أجل نجاحه في المعركة السالفة وهي تماثل المزمور (٢٠: ٣–٥).

٣ – «لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُهُ بِبَرَكَاتِ خَيْرٍ. وَضَعْتَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجاً مِنْ إِبْرِيزٍ»:

كانت هذه النصرة توثيقاً لسلطانه الذي أخذه من الرب، انظر: (١صم ١١:١٣):

+ «فقال شاول لا يُقتل أحد في هذا اليوم لأنه في هذا اليوم صنع الرب خلاصاً في إسرائيل».

وربما يكون ذكر التاج هنا هو التاج الذي غنمه داود من ملك العمونيين الذي يزن وزنة ذهب.

٤ – «حَيَاةً سَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ طُولَ الأَيَّامِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ»:

انظر: (مز ٢:٨):

+ «اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك».

وطول الأيام كدعاء كان هذا عطية يهوه الخاصة في العهد القديم، والعجيب أن شهوة نفسه جاءت على بياض، انظر: (خر ٢٦:٢٣):

+ «... وأُكمِّل عدد أيامك».

وأيضاً: (١مل ١١:٣):

+ «فقال له الله من أجل أنك قد سألت هذا الأمر و لم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحُكْم».

ولكن كيف أن طول الأيام إلى الدهر والأبد تُقال من أجل ملك مائت؟ ولكن هي دعوة نبويَّة: «ليحيى الملك إلى الأبد» كانت تُستخدم، انظر: (١مل ٣١:١):

+ «فخرَّت بثشبع على وجهها إلى الأرض وسجدت للملك وقالت ليحي سيدي الملك داود إلى الأبد!».

وأيضاً: (نح ٣:٢):

+ «وقلت للملك: ليحي الملك إلى الأبد ...».

وذلك أولاً بسبب أنه يُعتبر عائشاً في نسله ونسله سيعيش إلى الأبد فعلاً، انظر: (٢صم ٢٩:٧):

+ «فالآن ارتضِ وبارك بيت عبدك ليكون إلى الأبد أمامك لأنك أنت يا سيدي الرب قد تكلَّمت

فليبارك بيت عبدك ببركتك إلى الأبد».

وأيضاً: (مز ٤٥: ٢و٦):

+ «أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد ... كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك».

وأيضاً: (مز ٦:٦١):

+ «إلى أيام الملك تضيف أياماً سنينه كدور فدور (جيل بعد جيل)».

وأيضاً: (مز ٧٢: ٥و١٧):

+ «يخشونك مادامت الشمس وقدَّام القمر إلى دور فدور ... يكون اسمه إلى الدهر قدَّام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوِّبونه».

٥ – «عَظِيمٌ مَجْدُهُ بِخَلاَصِكَ، جَلاَلاً وَبَهَاءً تَضَعُ عَلَيْهِ»:

المجد والكرامة والعظمة كلها تُعزى إلى الله، والملك المنتصر يبدو بهذه الهيبة والمجد والجلال.

«تضع عليه»:

انظر: (مز ٨٩: ١٩و٢٠):

+ «حينئذ كلَّمت برؤيا تقيَّك وقلتَ جعلت عوناً على قوي، رفعتُ مختاراً من بين الشعب، وجدتُ داود عبدي بدهن قدسي مسحته».

٦ – «لأَنَّكَ جَعَلْتَهُ بَرَكَاتٍ إِلَى الأَبَدِ. تُفَرِّحُهُ ابْتِهَاجاً أَمَامَكَ»:

«لأنك جعلته بركات»:

صاحب البركات وفيضها، انظر: (تك ٢:١٢):

+ «فأجعلك أُمَّةً عظيمة وأُباركك وأُعظم اسمك وتكون بركة (لأبرام)».

لأن النصرة هي وعد وتعهُّد ورهن لمحبة الله وشركة وبرهان أن الملك يمشي في نور يهوه ومحياه. انظر: (مز ٦:٤):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب».

وأيضاً: (مز ١١:١٦):

+ «تعرفني سبل الحياة، أمامك شبع سرور، في يمينك نعَم إلى الأبد».

وأيضاً: (مز ٨٩:١٥):

+ «طوبى للشعب العارفين الهُتاف يا رب بنور وجهك يسلكون».

وأيضاً: (مز ١٤٠:١٣):

+ «إنما الصديقون يحمدون اسمك، المستقيمون يجلسون في حضرتك».

٧ – «لأَنَّ الْمَلِكَ يَتَوَكَّلُ عَلَى الرَّبِّ، وَبِنِعْمَةِ الْعَلِيِّ لاَ يَتَزَعْزَعُ»:

أساس البركات التي أعطت له الثقة من نحو محبة الله وإحسانه، انظر: (مز ١٨:٥٠):

+ «برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله إلى الأبد».

هذه الآية هي آية وصل لينتقل المزمور إلى القسم الثاني.

[٨-١٢]:

الملك الذي يُعتقد أنه كان موجوداً يُخاطَب شخصياً، فهذه النصرة هي العربون لنصرات في المستقبل وتحطيم كل أعدائه بات متوقَّعاً بكل ثقة.

٨ – «تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ»:

يُدرك أعداءه ويحتويهم بقوَّته، انظر: (١صم ٢٣:١٧):

+ «وقال له لا تخف لأن يد شاول أبي لا تجدك وأنت تملك على إسرائيل وأنا أكون لك ثانياً وشاول أبي أيضاً يعلم ذلك».

٩ – «تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍ فِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ»:

المقارنة مكثَّفة وتبدو أنها غير واقعية، ولكن المعنى واضح: فأنت تستهلكهم كوقود في تنور، والجملة تصويرية مختصرة، انظر: (ملا ٤:١):

+ «فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشًّا، ويُحرقهم اليومُ الآتي قال رب الجنود فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً».

وكذلك يعني أيضاً الإشارة إلى الغضب المريع الذي انصبَّ على العمونيين، انظر: (٢صم ١٢:٣١):

+ «وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرَّهم في

أتون الآجُرِّ، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون».

«في زمان حضورك»:

أي حينما تظهر بشخصك، انظر: (٢صم ١٧:١١):

+ «لذلك أُشير بأن يجتمع إليك كل إسرائيل من دان إلى بئر سبع كالرمل الذي على البحر في الكثرة وحضرتك سائر في الوسط».

«الرب بسخطه يبتلعهم وتأكلهم النار»:

انظر: (مز ٣٤:١٦):

+ «وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم».

والملك هو الممثل الشخصي ليهوه.

١٠ – «تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ»:

وحتى ذريتهم سوف تُمحى من الأرض، انظر: (مز ٩:٥):

+ «انتهرت الأُمم. أهلكت الشرير. محوت اسمهم إلى الدهر والأبد».

وأيضاً: (مز ٣٧:٢٨):

+ «لأن الرب يحب الحق ولا يتخلَّى عن أتقيائه. إلى الأبد يُحفظون. أمَّا نسل الأشرار فينقطع».

«ثمرهم»:

تعني أولادهم، ثمر البطن، انظر: (مراثي ٢:٢٠):

+ «انظر يا رب وتطلَّع بمن فعلت هكذا. أتأكل النساء ثمرهن أطفال الحضانة (نبوَّة عن زمن حصار تيطس لأُورشليم)».

١١، ١٢ – «لأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرًّا. تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا. لأَنَّكَ تَجْعَلُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ. تُفَوِّقُ السِّهَامَ عَلَى أَوْتَارِكَ تِلْقَاءَ وُجُوهِهِمْ»:

«لأنهم نصبوا عليك شراً»:

بمعنى أنهم خطَّطوا شراً، وهذا يعني أنهم أعدُّوا أنفسهم للعقاب.

«تفكّروا بمكيدة لم يستطيعوها»:

ومَنْ ذا يقدر على يهوه والملك الذي يمثله يهوه. وهكذا أثبتوا أنهم أعداء حقيقيون ليهوه وملكه. ويجعلهم يهربون ويعطون ظهورهم، ولكن يلقاهم الله من أمامهم ويوتر عليهم سهامه.

١٣ - «ارتفعْ يا ربُّ بقوّتك. نُرنّمْ ونَنْغمْ بجبروتك»:

الجماعة تختم المزمور بصلاة. كما في مزمور (٩:٢٠) فيرجعون إلى فكر العدد (١) ويهوه يرتفع حينما يُظهر قوته، انظر: (مز ٦:٧):

+ «قم يا رب بغضبك ارتفع على سخط مضايقيّ وانتبه لي. بالحق أوصيت».

وأيضاً: (مز ١٠:٤٦):

+ «كُفّوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأُمم. أتعالى في الأرض».

وأيضاً: (مز ٥:٥٧):

+ «ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك».

المزمور الثاني والعشرون

لرئيس الموسيقيين. على أيلة الصبح. مزمور لداود

١ - «إِلهي إِلهي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيداً عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟

٢ - إِلهي، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوَّ لِي.

٣ - وَ أَنْتَ الْقُدُّوسُ الْجَالِسُ بَيْنَ تَسْبِيحَاتِ إِسْرَائِيلَ.

٤ - عَلَيْكَ اتَّكَلَ آبَاؤُنَا. اتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ.

٥ - إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا. عَلَيْكَ اتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا.

٦ - أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ.

٧ - كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ:

٨ - «اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنْقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ».

٩ - لأَنَّكَ أَنْتَ جَذَبْتَنِي مِنَ الْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي مُطْمَئِنًّا عَلَى ثَدْيَيْ أُمِّي.

١٠ - عَلَيْكَ أُلْقِيتُ مِنَ الرَّحِمِ. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي.

١١ - لاَ تَتَبَاعَدْ عَنِّي، لأَنَّ الضِّيقَ قَرِيبٌ، لأَنَّهُ لاَ مُعِينَ.

١٢ - أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اكْتَنَفَتْنِي.

١٣ - فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ.

١٤ - كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي.

١٥ - يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي.

١٦ - لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ.

١٧ - أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ.

١٨ - يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ.

١٩ - أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، فَلاَ تَبْعُدْ. يَا قُوَّتِي، أَسْرِعْ إِلَى نُصْرَتِي.

٢٠ – أَنْقِذْ مِنَ السَّيْفِ نَفْسِي. مِنْ يَدِ الْكَلْبِ وَحِيدَتِي.

٢١ – خَلِّصْنِي مِنْ فَمِ الأَسَدِ، وَمِنْ قُرُونِ بَقَرِ الْوَحْشِ اسْتَجِبْ لِي.

٢٢ – أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ.

٢٣ – يَا خَائِفِي الرَّبِّ سَبِّحُوهُ! مَجِّدُوهُ يَا مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ، وَاخْشَوْهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً!

٢٤ – لأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ مَسْكَنَةَ الْمِسْكِينِ، وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ، بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ اسْتَمَعَ.

٢٥ – مِنْ قِبَلِكَ تَسْبِيحِي فِي الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ. أُوفِي بِنُذُورِي قُدَّامَ خَائِفِيهِ.

٢٦ – يَأْكُلُ الْوُدَعَاءُ وَيَشْبَعُونَ. يُسَبِّحُ الرَّبَّ طَالِبُوهُ. تَحْيَا قُلُوبُكُمْ إِلَى الأَبَدِ.

٢٧ – تَذْكُرُ وَتَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ. وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ كُلُّ قَبَائِلِ الأُمَمِ.

٢٨ – لأَنَّ لِلرَّبِّ الْمُلْكَ، وَهُوَ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى الأُمَمِ.

٢٩ – أَكَلَ وَسَجَدَ كُلُّ سَمِينِي الأَرْضِ. قُدَّامَهُ يَجْثُو كُلُّ مَنْ يَنْحَدِرُ إِلَى التُّرَابِ وَمَنْ لَمْ يُحْيِ نَفْسَهُ.

٣٠ – الذُّرِّيَّةُ تَتَعَبَّدُ لَهُ. يُخَبَّرُ عَنِ الرَّبِّ الْجِيلُ الآتِي.

٣١ – يَأْتُونَ وَيُخْبِرُونَ بِبِرِّهِ شَعْباً سَيُولَدُ بِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ».

دراسة:

أول وأعظم "مزامير الآلام" كُرِّس لنا بواسطة الرب الذي اتَّخذه لنفسه، ونطق كلامه بكلمات الافتتاح على الصليب، وهذا يجعلنا نظن باحتمال كبير أن هذا المزمور كله كان موضوع تأملاته أثناء ساعات العذابات على الصليب. ولكن هذا الاستخدام للمزمور وتكميله لا يمنع أن يكون له مبدئياً وجود تاريخي يشير إليه.

يقع المزمور في قسمين كل واحد منهما ينقسم بالتالي إلى جزئين متساويين.

(أ) القسم الأول:

١ – تقديم حاجته بمعاتبة واضحة [١–١٠]:

يبدأ المزمور بصرخة عتاب كقديس في ألم يشعر في نفسه أن الله قد أهمله (١و٢) ويدعو الله مذكِّراً إيَّاه بصفاته (٣) ليستخدم مراحمه كما استخدمها في أجيال ماضية (٤و٥)، بينما هو سخرية وفريسة

لمضطهدين ساخرين (٦–٨)، بينما هو منذ الميلاد قد اعتمد على الله (٩و١٠).

٢ – صلاة من أجل الخلاص [١١–٢١]:

يجاهد ويدعو من أجل المعونة (١١) وذلك مقابل قوة أعدائه (١٢و١٣و١٦و١٨) والورطة المؤسفة التي انتهت إليها (١٤و١٥و١٧) ولا يزال يكرر بإلحاح صلاته (١٩–٢١) حتى أنه في لحظة يضيء عليه تأكيد الخلاص (٢١ ب).

(ب) القسم الثاني: رجاء مستقبلي:

١ – شكر من أجل استجابة الصلاة [٢٢–٢٦]:

ظلام اليأس انتهى ويمكنه أن ينظر إلى الأمام بثقة نحو المستقبل. وينذر بغرضه أن ينادي بصلاح الله في تقديم عام للتشكرات (٢٢)، داعياً جميع الذين يخافون يهوه أن ينضموا للعبادة (٢٣و٢٤) وأن يشاركوا وليمة الشكر (٢٥و٢٦).

٢ – امتداد لمملكة يهوه [٢٧–٣١]:

ولكن الآن يشرق عليه منظور عالٍ ينفتح أمامه، يهوه بخلاصه سيأتي يوم يُعترف به عامة في كل المسكونة (٢٧و٢٩)، وعنايته المنعمة سوف تحتفل بها كل الأجيال القادمة (٣٠و٣١).

والشُّرَّاح يختلفون من جهة رؤيتهم للغرض العام والظروف وتاريخ هذا المزمور:

– الطابع الأول الذي يقدِّمه المزمور إنه تسجيل لخبرة شخصية، والعنوان يذكر أنه لداود والتاريخ لا يمدنا بأي أساس لنرى أن داود قد مرَّ على هذه الآلام كما هي موصوفة هنا. **لذلك يوجد فيه نوع من الوصف الشعري قام على مثال صورة استخدمها الروح، روح الله، بنوع من التنبُّؤ الهادف.**

والمزمور له جذور في خبرات داود **ولكن لغته تبلغ بعيداً جدًّا عن داود لتصل إلى المسيح والآلام.**

– **ولكن ملامح المزمور تظهر أنها تفوق جدًّا حدود خبرة فردية، لذلك يرى البعض أن المتكلِّم في المزمور يتكلَّم عن شخص مثالي بار يتألَّم ... فيصف المزمور كيف أن البار يتألم في العالم وكيف أن يهوه يُخلِّص عندما تبلغ الآلام نهاية قوتها.**

وإنه من المحال أن نتكلَّم عن تاريخ المزمور أو المؤلف عن يقين، كذلك بالمقارنة بين حياة داود وخبراتها وبين هذا المزمور لا نجد أي مشابهة أو اتصال، كما أنه واضح أن المزمور واقع داخل دائرة

نبوية خرج منها هذا الوصف المنطبق تماماً على العبد المتألِّم الذي في إشعياء. لذلك فالتوازي بين المزمور وإشعياء يلزم أن يُدرس جيداً.

غير أن الغرض الفدائي للآلام قد تحقَّق في هذا المزمور بشكل مذهل.

لذلك يلزم أن يُدرس هذا المزمور في ضوء تكميله. فالكلمات الافتتاحية قالها المسيح على الصليب، انظر: (مت ٤٦:٢٧):

+ «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم ... إلهي إلهي لماذا تركتني».

ثمَّ العدد (١٦) في المزمور هو ذو صلة شديدة مع الآلام على الصليب حتى إلى ثقب اليدين والرجلين، وهزء الواقفين وُصف بلغة المزمور ورؤساء الكهنة اقتبسوها لاحتقارهم للمصلوب (٧)، انظر: (مت ٢٧: ٣٩-٤٤):

+ «وكان المجتازون يجدِّفون عليه وهم يهزُّون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلِّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب. وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا. خلَّص آخرين وأمَّا نفسه فما يقدر أن يخلصها. إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده. لأنه قال أنا ابن الله. وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيِّرانه».

وأيضاً: (مر ١٥: ٢٩-٣١):

+ «وكان المجتازون يجدِّفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين. آه! يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلِّص نفسك وانزل عن الصليب. وكذلك رؤساء الكهنة ...».

وأيضاً: (لو ٣٥:٢٣):

+ «وكان الشعب واقفين ينظرون. والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين خلَّص آخرين فليخلِّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله ...».

أمَّا كلمات الشكر التي وجدناها في المزمور فقد انفرد بها سفر العبرانيين (١٢:٢):
+ «أُخبِّر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أُسبِّحك».

كذلك في ختام المزمور بعض حقائق متفرِّقة استعلنت قبل الوقت لكي تجد تكميلها في المسيح.

هناك نقطتان تستحقان الالتفات بخصوص الاتجاه المسيَّاني في استخدام المزمور! وهما: إنه لا يوجد

في المزمور أي اعتراف واحد بالخطية! وأنه يخلو تماماً من الدعاء بالنقمة على الأعداء كما جاء في مزمور (٦٩)، مزمور (١٠٩). وقد استُخدم هذا المزمور في طقس يوم الجمعة العظيمة.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١-١٠]:
صرخة توسُّل لإنسان متروك مضطهد وهو خادم للرب.

١ - إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيداً عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟

الاحتجاج المنذهل مع الحيرة واضح للغاية، الإيمان واليأس معاً يتصارعان في فكر صاحب المزمور، أمَّا الإيمان فمن واقع كلمة "إلهي إلهي"، أمَّا اليأس فمن واقع "تركتني"، انظر: (إش ١٤:٤٩):
+ «وقالت صهيون قد تركني الرب وسيدي نسيني».

وأيضاً: (مز ١:١٣):
+ «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان. إلى متى تحجب وجهك عني».

وأيضاً: (مز ١٤:٨٨):
+ «لماذا يا رب ترفض نفسي. لماذا تحجب وجهك عني».

وهنا كلمة "إلهي" جاءت "إيل" مثلما في مزمور (١:٦٣):
+ «يا الله إلهي أنت. إليك أُبكِّر. عطشت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء».

وواضح في العهد الجديد أن المسيح استخدم اللفظ الأرامي لهذا المزمور، انظر: (مت ٤٦:٢٧):
+ «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني».

وهي Eli أمَّا في الترجوم فجاءت Eloi، وتوجد مخطوطات لإنجيل ق. متى جاءت فيها ألوي ألوي Eloi.

«لماذا تركتني»:

انظر: (مز ١:١٠):

+ «يا رب لماذا تقف بعيداً، لماذا تختفي في أزمنة الضيق».

«بعيداً عن خلاصي، عن كلام زفيري»:

جاءت في الترجمة: لماذا أنت هكذا بعيدا عن معونتي ومن كلمات زئيري (زئير الأسد). انظر: (مز ٣:٣٢):

+ «لما سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله».

وأيضاً: (مز ٨:٣٨):

+ «خدرت وانسحقت إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبي».

٢ - «إِلهِي، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوَّ لِي»:

لا تأتي استجابة فآخذ نفسي.

٣ - «وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ الْجَالِسُ بَيْنَ تَسْبِيحَاتِ إِسْرَائِيلَ»:

قدوس إسرائيل. ولأنه قدوس فهو يقبل إليه تسبيحات التقديس، انظر: (حب ١٢:١):

+ «ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي، لا نموت. يا رب للحكم جعلتها ويا صخر للتأديب أسستها».

وأيضاً: (إش ١٦:٥):

+ «ويتعالى رب الجنود بالعدل. ويتقدَّس الإله القدوس بالبر».

«الجالس بين تسبيحات إسرائيل»:

وجاءت: "أنت المكلَّل فوق تسبيحات إسرائيل". انظر: (٢صم ٢:٦):

+ «وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذي معه إلى بعلة يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله الذي يُدعى عليه بالاسم اسم رب الجنود الجالس على الكروبيم».

وأيضاً: (٢مل ١٥:١٩):

+ «وصلّى حزقيا أمام الرب وقال أيها الرب إله إسرائيل الجالس فوق الكروبيم أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماء والأرض».

وأيضاً: (مز ١:٨٠):

+ «يا راعي إسرائيل اصغَ يا قائد يوسف كالضأن يا جالساً على الكروبيم أشرق».

وأيضاً: (مز ١:٩٩):

+ «الرب قد ملك. ترتعد الشعوب. هو جالس على الكروبيم. تتزلزل الأرض».

وتسبيحات إسرائيل صاعدة إليه كالسحاب من البخور وكأنها عرش عليه يجلس يهوه. والتسابيح هي تذكارات دائمة لقوته وأعماله في الأيام الماضية، انظر: (خر ١١:١٥):

+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب. مَنْ مثلك معتزاً في القداسة، مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب».

وأيضاً: (مز ٤:٧٨):

+ «لا نُخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخِرِ مخبرين بتسابيح الرب وقوَّته وعجائبه التي صنع».

٤ - «عَلَيْكَ اتَّكَلَ آبَاؤُنَا. اتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ.

٥ - إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا. عَلَيْكَ اتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا»:

الفكر الذي ذكره الآن إنما يُحضر إلى الذهن كل تاريخ الأمة، انظر: (مز ١:٤٤):

+ «اللهم بآذاننا قد سمعنا، آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القِدَمِ».

وأيضاً: (مز ٣:٧٨):

+ «التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا».

٦ - «أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ.

٧ - كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي. يَفْغَرُونَ الشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ قَائِلِينَ»:

فيهما يعمل مقارنة لما أصابه.

«دودة»:

بمعنى مُداس من الأقدام، مُحتقر بلا دفاعات. وتقريباً نجد كل كلمة في هذا العدد لها ما يوازيها في الجزء الثاني من إشعياء، فهو خادم يهوه، حيث نجد أن إسرائيل هو دودة، انظر: (إش ١٤:٤١):

+ «لا تخف يا دودة يعقوب يا شرذمة إسرائيل أنا أعينك يقول الرب وفاديك قدوس إسرائيل».

وأيضاً الإنسان الأمثل في إسرائيل هو إنسان يحتقره الناس، انظر: (مز ٤٤: ٩و١٠):

+ «لكنك قد رفضتنا وأخجلتنا ولا تخرج مع جنودنا. ترجعنا إلى الوراء عن العدو ومبغضونا نهبوا لأنفسهم».

وأيضاً: (إش ٤٩:٧):

+ «هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدُّوسه للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلّطين. ينظر ملوكٌ فيقومون، رؤساء فيسجدون، لأجل الرب الذي هو أمين وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك».

وأيضاً: (إش ٥٣: ٢و٣):

+ «نبت قدّامه كفرخ وكعِرْق من أرضٍ يابسة، لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس. رجلُ أوجاع ومختبر الحزن وكمستَّر عنه وجوهنا».

«كل الذين يرونني يستهزئون بي»:

انظر: (لو ٢٣:٣٥):

+ «وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين خلَّص آخرين فليُخلِّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله».

ويمصمصون بالشفاه، انظر: (أي ١٦:١٠):

+ «فغروا عليَّ أفواههم، لطموني على فكي تعييراً، تعاونوا عليَّ جميعاً».

وأيضاً: (مز ٣٥:٢١):

+ «فغروا عليَّ أفواههم. قالوا هه هه قد رأت أعيننا».

وحرّكوا الرؤوس، انظر: (مز ١٠٩:٢٥):

+ «وأنا صرت عاراً عندهم، ينظرون إليَّ وينغضون رؤوسهم».

وأيضاً: (مرا ٢:١٥):

+ «يصفق عليك بالأيادي كل عابري الطريق. يصفرون وينغضون رؤوسهم على بنت أُورشليم».

يحرّكون رؤوسهم بسبب الاحتقار والفزع، انظر: (مت ٢٧:٣٩):

+ «وكان المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم».

٨ – «اتَّكَلَ عَلَى الرَّبِّ فَلْيُنَجِّهِ، لِيُنقِذْهُ لأَنَّهُ سُرَّ بِهِ»:

انظر: (مت ٢٧:٤٣):

+ «قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده. لأنه قال أنا ابن الله».

هذا مماثل لما جاء في: (مز ١٨:١٩):

+ «أخرجني إلى الرحب. خلّصني لأنه سُرَّ بي».

ويوجد آيات موازية لها في سفر الحكمة: (حك ٢:١٦). فالأشرار يقولون عن الإنسان البار الذي كان يفتخر بأن الله أبوه فلننظر إن كان كلامه حقيقياً وننظر ماذا سيحدث لأنه إن كان البار ابن الله فإنه سيساعده ويخلّصه من أيدي أعدائه.

٩ – «لأَنَّكَ أَنْتَ جَذَبْتَنِي مِنَ الْبَطْنِ. جَعَلْتَنِي مُطْمَئِنًّا عَلَى ثَدْيَيْ أُمِّي»:

بمعنى أن كل حياته السالفة تؤكّد محبة يهوه له. فاستهزاء أعدائه له حقيقي وهو يعود وينقله إلى الله.

انظر: (مز ٧١: ٥و٦):

+ «لأنك أنت رجائي يا سيدي الرب متّكلي منذ صباي، عليك استندت من البطن وأنت مخرجي من أحشاء أُمي. بك تسبيحي دائماً».

١٠ – «عَلَيْكَ أُلْقِيتُ مِنَ الرَّحِمِ. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي»:

انظر: (مز ٥٥:٢٢):

+ «ألق على الرب همّك فهو يعولك. لا يدع الصدّيق يتزعزع إلى الأبد».

وأيضاً: (مز ٧١:٦):

+ «عليك استندت من البطن وأنت مخرجي من أحشاء أمي. بك تسبيحي دائماً».

[١١–٢١]:

صاحب المزمور يتوسَّل من أجل المعونة بكل شدَّة واشتياق لأن أعداءه يزيدون.

١١ – «لاَ تَتَبَاعَدْ عَنِّي، لأَنَّ الضِّيقَ قَرِيبٌ، لأَنَّهُ لاَ مُعِينَ»:

المعاتبة التي كانت في العدد الأول تحوّلت إلى صلاة وستتكرّر في العدد (١٩) وهو يدفع دعوته على أساس مضاعف، فيهوه لا يزال متباعد وكأن الأمر لا يهمه، وأن الحزن والضيق قد أطبق عليه ولا يوجد معين سواه.

١٢ – «أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اكْتَنَفَتْنِي»:

يقول قاموس الكتاب المقدس للتاريخ الطبيعي إن الثيران الشاردة تجتمع معاً إزاء كل شيء غريب يحيطون به وهم متحفزون للعمل بقرونهم، وباشان عند جلعاد ومشهورة بمراعيها الكثيرة. والقصد أن أعدائي كعجول شاردة وقوية وقد أحاطت بي لتمزيقي.

١٣ – «فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ»:

انظر: (مرا ٢:١٦):

+ «يفتح عليك أفواههم كل أعدائك. يصفرون ويحرقون الأسنان. ويقولون قد أهلكناها. حقاً إن هذا اليوم الذي رجوناه. قد وجدناه قد رأيناه».

وأيضاً: (مرا ٣:٤٦):

+ «فتح كل أعدائنا أفواههم علينا»، كأسد مزمجر مستعد للافتراس.

الأعداد (١٤–١٧): تبيِّن أثر القلق والاضطهاد، فكل القوة والشجاعة قد خذلت، وكيانه قد انتُهِكَ وتمزَّق وقد صار كهيكل عظمي.

١٤ – «كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي»:

انظر: (يش ٧:٥):

+ «فضرب منهم أهل عاي نحو ستة وثلاثين رجلاً ولحقوهم من أمام الباب إلى شباريم وضربوهم في المنحدر فذاب قلب الشعب وصار مثل الماء».

وأيضاً: (مز ٦: ٢و٣):

+ «ارحمني يا رب لأني ضعيف. اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت. ونفسي قد ارتاعت جداً. وأنت يا رب فحتى متى».

١٥ – «يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي»:

عصارة الحياة في الجسد قد جفَّت. انظر: (مز ٣٢:٤):

+ «لأن يدك ثقلت عليَّ نهاراً وليلاً. تحوَّلت رطوبتي إلى يبوسة القيظ. سلاه».

إن معذِّبيه هم أدوات يهوه، انظر: (أع ٢:٢٣):

+ «هذا أخذتموه مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه».

١٦ – «لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ»:

أوباش وحثالة الأشرار المضايقين والجبناء المحتقرين مثل جماعة كلاب جائعة متوحِّشة كالتي تملأ بلاد الريف، اجتمعت معاً عليه والتفت حوله، وتجرَّأوا على يديه ورجليه نهشوها. هنا الوصف الحرفي للصليب واضح ولكن لم تستطع الرؤيا أن تحدِّد الزمن والشخص.

١٧ – «أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ»:

لقد أصبح هيكلاً عظمياً يمكن للناظر أن يعد عظامه، انظر: (أي ٣٣: ٢١و٢٢):

+ «فيبلى لحمه عن العيان وتنبري عظامه فلا تُرى. وتقرب نفسه إلى القبر وحياته إلى المميتين».

نظرة شريرة حاقدة بمسرة التي لهذه الحيوانات القاسية تتسلَّى كعيد لأعينها.

١٨ – «يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ»:

أعداؤه المتوحِّشون واقفون ينتظرون لحظة موته حتى يرثوا ملابسه بينهم، جلسوا يتقاولون على الأنصبة وهو يرى بعينيه. وواضح جدًّا أن الثلاثة أعداد المتوالية ١٦و١٧و١٨ لم تحدث للمتكلِّم صاحب المزمور والكلام المساق بالروح القدس لتتم قصة فداء العالم قبل أن تتم لكي إذا تمَّت يتأكدون أنها من الله قيلت ومن الله عُملت. انظر: (يو ١٩: ٢٣و٢٤):

+ «ثم إن العسكر لمَّا كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً. وأخذوا القميص أيضاً وكان القميص بغير خياطة (منسوجاً على المقاس وقيل إن أُمه العذراء قد عملته له بيدها) منسوجاً كله من فوق. فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون. ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة. هذا فعله العسكر (كما قيل هنا في هذا المزمور حرفياً)».

وأيضاً: (مت ٢٧:٣٥):

+ «ولمَّا صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. لكي يتم ما قيل بالنبي (داود) اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة (مز ٢٢)».

١٩ – «أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، فَلاَ تَبْعُدْ. يَا قُوَّتِي، أَسْرِعْ إِلَى نُصْرَتِي»:

صلاة قيلت تحت هذه الظروف الملحَّة ومن خلال العذاب يرفع نظره إلى يهوه.

٢٠ - «أَنْقِذْ مِنَ السَّيْفِ نَفْسِي. مِنْ يَدِ الْكَلْبِ وَحِيدَتِي»:

أنقذني من الموت.

وحيدتي مأخوذة بالإلهام من كلمة الابن **الوحيد**، انظر: (تك ٢٢:٢):

+ «فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المُرِيَّا - وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك».

وأيضاً: (قض ١١:٣٤):

+ «ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص وهي وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها».

٢١ - «خَلِّصْنِي مِنْ فَمِ الأَسَدِ، وَمِنْ قُرُونِ بَقَرِ الْوَحْشِ اسْتَجِبْ لِي»:

وهناك ترجمة أخرى أصح: «لأنك استجبت لي». وهو قول جريء ملآن إيماناً. وقد تحوَّلت به الصلاة من رجاء وتوسُّل إلى تأكيد وثقة.

وتكون ترجمة الآية هكذا: «**من قرون بقر الوحش أنت استجبت لي وخلَّصتني**» (انظر: تث ٣٣:١٧):

+ «بِكْرُ ثوره زينة له. وقرناه قرنا رئم بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض».

قوته يصفها أيوب: (أي ٣٩: ٩-١١):

+ «أيرضى الثور الوحشي أن يخدمك أم يبيت عند معلفك، أتربط الثور الوحشي برباطه في التلم أم يمهد الأودية وراءك. أتثق به لأن قوته عظيمة ..».

[٢٢-٣١]:

اقتنع أن صلاته قد سُمعت وانطلق بتصميم يتلو صلاة الشكر العامة (٢٢-٢٦) وبكل عظم الاحترام ليهوه يرى مملكة يهوه مفتوحة أمامه (٢٧-٣١).

فلو راجعنا كل صلاته نجدها:

أولاً: «أنت لم تسمع لي» (١-٢١).

ثانياً: «أنت سمعت لي» (٢٢-٣١).

٢٢ - «أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ»:

اسمك الذي أثبت نفسه في كل ما صنعت معي. وإخوتي هم الذين أرتبط بهم برباط الوطن والدين والعاطفة، انظر: (عب ٢:١٢):

+ «أخبر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة (الجماعة العظيمة) أُسبِّحك».

ولم يستحِ أن يدعوهم إخوة مشيراً إلى هذا المزمور.

«في وسط الجماعة»:

الشكر يحتاج أقصى المناداة بإحسانات يهوه لأنه يختص بكل مؤمن لكي يعلم أنه من صنع الله، حتى ينضم كل المؤمنين في الشكر من أجل الخلاص الذي منحه إلى زملائه وممثليه. انظر: (مز ٤٠:٩):

+ «بشَّرت ببر في جماعة عظيمة. هوذا شفتاي لم أمنعهما. أنت يا رب علمت».

وأيضاً: (مز ٣٥:١٨):

+ «أحمدك في الجماعة الكثيرة في شعب عظيم أُسبِّحُكَ».

«أُسبِّحُكَ»:

تأتي في المستقبل: ''سأُسبِّحكَ''. لأنه يليق به الآن أن يعطي من التسبيح اللائق ما يجعل تاجاً ليهوه. ويلاحظ أن كلمة التسبيح تكرَّرت أربع مرَّات من (٢٢-٢٦).

في الأعداد ٢٣ و٢٤ يتصوَّر نفسه أنه قائم في وسط الجماعة العظيمة وهذه هي الكلمات التي سوف يقدِّمها.

٢٣ - «يَا خَائِفِي الرَّبِّ سَبِّحُوهُ! مَجِّدُوهُ يَا مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ، وَاخْشَوْهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً!»:

يقصد بهم زرع إسرائيل ولكنه يختص بالدائرة الأضيق ويدعوهم للتسبيح، الذين هم مرتبطون بالعاطفة مع صاحب المزمور، انظر: (مز ١١٥: ١١-١٣):

+ «يا متَّقي الرب اتكلوا على الرب. هو معينهم ومجنّهم. الرب قد ذكرنا فيبارك. يبارك بيت إسرائيل. يبارك بيت هارون. يبارك متَّقي الرب الصغار مع الكبار».

نسل يعقوب، نسل إسرائيل؟ انظر: (إش ٤٥: ١٩و٢٥):

+ «لم أتكلّم بالخفاء في مكان من الأرض مظلم. لم أقل لنسل يعقوب باطلاً اطلبوني. أنا الرب متكلِّم بالصدق مخبر بالاستقامة ... بالرب يتبرَّر ويفتخر كل نسل إسرائيل».

«اخشوه»:

انظر: (مز ٨:٣٣):

+ «لتخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة».

٢٤ – «لأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ مَسْكَنَةَ الْمِسْكِينِ، وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ، بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ اسْتَمَعَ»:

كما يصنع الناس حاشا. انظر: (إش ٧:٤٩):

+ «هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه، للمهان النفس لمكروه الأُمة لعبد المتسلِّطين، ينظر ملوك فيقومون. رؤساء فيسجدون، لأجل الرب الذي هو أمين وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك».

وبالرغم من أن الكلمة هنا أقوى لم يحتقر ولم يرذل، انظر: (مز ٣٣:٦٩):

+ «لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه».

وهكذا خادم يهوه: (إش ٥٣: ٤و٧):

+ «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً .. ظُلم أمّا هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازِّيها فلم يفتح فاه».

(لم يرد بكلمة واحدة مدافعاً عن نفسه، في كل المحاكمة حتى صلبوه).

وهكذا مستقبل ملك صهيون، انظر: (زك ٩:٩):

+ «ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أُورشليم، هوذا ملكك يأتي إليكِ هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان».

٢٥ – «مِنْ قِبَلِكَ تَسْبِيحِي فِي الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ. أُوفِي بِنُذُورِي قُدَّامَ خَائِفِيهِ»:

من زملائه في العبادة والصلاة يلتفت صاحب المزمور إلى يهوه الذي ليس هو موضوع تسبيحه فقط بل وسببه (فهو عمله).

«أُوفي نذوري»:

تشكُّرات هي نذوره في وقت الضيق، انظر: (مز ١٣:٦٦):

+ «أدخل إلى بيتك بمحرقات أوفيك نذوري».

وأيضاً: (مز ١١٦: ١٤و١٨):

+ «أُوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه».

٢٦ – «يَأْكُلُ الْوُدَعَاءُ وَيَشْبَعُونَ. يُسَبِّحُ الرَّبَّ طَالِبُوهُ. تَحْيَا قُلُوبُكُمْ إِلَى الأَبَدِ»:

الودعاء سيأكلون ويشبعون لحم ذبيحة تقدم لتتميم نذر تؤكل في نفس اليوم الذي تُقدم فيه أو ثاني يوم، انظر: (لا ١٦:٧):

+ «وإن كانت ذبيحة قربانه نذراً أو نافلة ففي يوم تقريبه ذبيحة تؤكل. وفي الغد يؤكل ما فضل منها».

فصاحب المزمور سوف يدعو الودعاء لينضموا إليه في هذه الوليمة الإفخارستية، ولكن هذه الدعوة لم تُذكر في الناموس ولكنها في اتفاق تام مع الدعوة بحسب الوصية: الفقير والمحتاج يشتركون في العشور، انظر: (تث ٢٩:١٤):

+ «فيأتي اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل».

انظر أيضاً: (تث ١٢:٢٦):

+ «متى فرغت من تعشير كل عشور محصولك في السنة الثالثة سنة العشور وأعطيت اللاوي والغريب واليتيم والأرملة فأكلوا في أبوابك وشبعوا».

والكلام هنا منصب على الذبيحة والودعاء الذين يأكلون ويشبعون فيأكلون لحماً سماوياً على هيئة خبز ويشبعون، لا بملء البطن بل بملء الروح، فائضاً من البركة السماوية.

«تحيا قلوبكم إلى الأبد»:

وهكذا يعطي من عنده بركة تدوم معهم في قلوبهم إلى الأبد، حتى كل الذين كانوا مهيَّئين للهلاك يحيون بقوة دائمة أبدية، انظر: (مز ٣٢:٦٩):

+ «يرى ذلك الودعاء فيفرحون وتحيا قلوبكم يا طالبي الله».

كل هذا قد أُكمل على عشاء الفصح الأبدي الذي يتجدَّد كما هو بالذكر في كل إقامة إفخارستيا حتى النهاية.

[٢٧-٣١]:

ترجّى صاحب المزمور أن يمتد حتى يصل إلى كل البشرية وإلى الأجيال القادمة، وهو يتوقّع أن الزمن يأتي الذي لا يكون هو وحده ولا ذرية إسرائيل بل كل الأُمم حتى إلى نهاية الأرض يقدّمون العبادة والخضوع ليهوه. ومن التمنيات الشخصية ينتقل إلى تمنيات الأُمة من نحو العالم والأجيال. ولكن تأسيس مثل هذه المملكة التي ليهوه لا يُعتبر بوضوح أنها نتيجة آلام صاحب المزمور، ونحن لسنا بعد على مستوى إشعياء (٥٣)، فربما الأُمم تكون منجذبة نحو يهوه بسبب خلاص خادم يهوه.

٢٧ - «تَذْكُرُ وَتَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ. وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ كُلُّ قَبَائِلِ الأُمَمِ»:

انظر: (مز ٦٧:٧):

+ «يباركنا الله وتخشاه كل أقاصي الأرض».

وأيضاً: (مز ٩٨:٣):

+ «ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل. رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا».

«تذكر وترجع»:

بمعنى أن معرفة الله التي تتبعها الأُمم تكون بواسطة شهادة أعماله في الخارج وعمل الضمير في الداخل ولكنهم نسوه وتركوه إلى الأصنام بحسب تصوراتهم، انظر: (رو ١: ٢١و٢٨). ولكنهم في يوم آتٍ سيذكرون ويرجعون، انظر: (إر ١٦:١٩):

+ «يا رب عزّي وحصني وملجإي في يوم الضيق إليك تأتي الأُمم من أطراف الأرض ويقولون إنما ورث آباؤنا كذباً وأباطيل وما لا منفعة فيه».

كل قبائل العالم تتحقّق الوعد الذي قيل للآباء الكبار، انظر: (تك ١٢:٣):

+ «وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض».

وأيضاً: (تك ٢٨:١٤):

+ «ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض».

٢٨ - «لأَنَّ لِلرَّبِّ الْمُلْكَ، وَهُوَ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى الأُمَمِ»:

يكون السبب في هذه الرجعة للعبادة العامة هو سيادة يهوه على كل ممالك الأرض، انظر: (مز

٩٣:١):

+ «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. ائتزر بها. أيضاً تثبّتت المسكونة. لا تتزعزع».

وأيضاً: (مز ٩٦:١٠):

+ «قولوا بين الأُمم الرب قد ملك. أيضاً تثبّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة».

وأيضاً: (مز ٩٧:١):

+ «الرب قد ملك فلتبتهج الأرض ولتفرح الجزائر الكثيرة».

وأيضاً: (زك ١٤:١٦):

+ «ويكون أن كل الباقي من جميع الأمم الذين جاءوا على أُورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود وليعيّدوا عيد المظال (العيد الرئيسي)».

«هو المتسلّط على الأُمم»:

انظر: (مز ٦٦:٧):

+ «متسلّط بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأُمم. المتمرّدون لا يرفعن أنفسهم. سلاه».

وأيضاً: (مز ١٠٣:١٩):

+ «الرب في السموات ثبّت كرسيه ومملكته على الكل تسود».

٢٩ - «أَكَلَ وَسَجَدَ كُلُّ سَمِينِي الأَرْضِ. قُدَّامَهُ يَجْثُو كُلُّ مَنْ يَنْحَدِرُ إِلَى التُّرَابِ وَمَنْ لَمْ يُحْيِ نَفْسَهُ»:

الكل يجثو أمامه، حتى الذين أكلوا وشبعوا وامتلأوا من أشراف الأرض فيتركون ما لأنفسهم ويأتون إلى الله ليشتركوا في وليمة إفخارستية مع الودعاء، الذين كانوا في السابق يحتقرون ويضطهدون كل بني الإنسان. المائتون والمنحدرون إلى الهاوية يأتون ويأخذون الحياة بالرغم من أنهم لم يعملوا لحياتهم، انظر: (إش ٢٥: ٦-٩):

+ «ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن. وليمة خمر على دردي سمائن ممخّة دردي مصفًّى. ويفني في هذا الجبل وجه النقاب. النقاب الذي على كل الشعوب والغطاء المغطّى به على كل الأُمم. يَبلع الموت إلى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه. وينزع عار شعبه عن كل الأرض لأن الرب قد تكلّم. ويُقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه».

٣٠ – «الذُّرِّيَّةُ تَتَعَبَّدُ لَهُ. يُخَبَّرُ عَنِ الرَّبِّ الْجِيلُ الآتِي»:

سيخبر عن الرب الجيل الآتي. تفيد البشارة بالخلاص.

٣١ – «يَأْتُونَ وَيُخْبِرُونَ بِبِرِّهِ شَعْباً سَيُولَدُ بِأَنَّهُ قَدْ فَعَلَ»:

من جيل إلى جيل تقليد عبادة يهوه وبرّه وأمانته وعهده سيُسلَّم يداً ليد.

«أنه قد فعل»:

انظر: (مز ٣٧: ٥و٦):

+ «سلّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجري ويُخرج مثل النور برَّك وحقك مثل الظهيرة».

وأيضاً: (مز ٥٢: ٩):

+ «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت وأنتظر اسمك فإنه صالح قدّام أتقيائك».

وأيضاً: (إش ٤٤: ٢٣):

+ «ترنّمي أيتها السموات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً. الوعر وكل شجرة فيه لأن الرب قد فدى يعقوب وفي إسرائيل تمجَّد».

قد فعل مشيئته في الخلاص وصنع من أجل عبده، وأثبت نفسه أنه الله الحي البار الحقيقي.

وهكذا اختُتم المزمور بعظمة ومجد، الذي بدأ داكناً حزيناً. وهو لغز التاريخ والإنسان وإسرائيل والكنيسة والعالم.

المزمور الثالث والعشرون

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ – «الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ.

٢ – فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي.

٣ – يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ.

٤ – أَيْضاً إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرّاً، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي.

٥ – تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي كَأْسِي رَيَّا.

٦ – إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ».

دراسة:

مديح شكر ليهوه.

(أ) مثل الراعي الصالح الذي يعتني ويوالي (١و٢)، ويقود ويقدّم كل احتياج وحماية من كل خطر (٣و٤).

(ب) كمضيف كريم الذي يعزّي صاحب المزمور كمضيفه بسخاء وإنعام (٥و٦). والمزمور لا مثيل له يميّزه الهدوء وكمال الإيمان. تحت محبة يهوه وعنايته لم يعرف عوزاً ولا خوفاً. وكلماته تسمح للاستخدام العام لكل احتياج سواء احتياجات مادية أو روحانية، ولكل عمر. والمعنى فيه يمتد إلى العمق لأن محبة الله قد استعلنت له في ملء كمالها من خلال تعاليم الروح في خبرة الحياة، انظر: (أف ٣: ١٧–١٩):

+ «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصّلون ومتأسّسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين، ما هو العرض والطول والعمق والعلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملءِ الله».

انظر أيضاً: (رو ٨: ٣٥–٣٧):

+ «مَنْ سيفصلنا عن محبَّة المسيح؟ أشدَّةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُريٌ أم خطرٌ أم

سيفٌ؟ كما هو مكتوب إننا مِنْ أجلك نمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا».

والترجوم اليهودي يشرح المزمور عن عناية الله من أجل الأُمة في إسرائيل، هذا مع أنه يمكن أن نجيزه كنوع من الشرح لكنه بصعوبة جدًّا أن يكون هو المعنى الأصلي! لأن لهجته شخصية بقوة. إنه تحقيق فردي وحصول على بركات قائمة في العهد مع يهوه لشعبه.

فكل غنمة لها الحق أن تطالب بهذه العناية التي هي موعودة أيضاً لكل الرعية. انظر: (لو ١٥:٤و٥):

+ «أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحداً منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً».

هل داود هو صاحب هذا المزمور؟ كثيرون قطعوا بذلك فالأعداد (١-٤) قائمة على أساس ذكريات لحياة راعٍ سابق، والعدد (٥) يشير إلى عطايا وهبات برزلاي، انظر: (٢صم ١٧: ٢٧-٢٩):

+ «وكان لما جاء داود إلى محنايم أن شوبي بن ناحاش من ربَّة بني عمون وماكير بن عميئيل من لودبار وبرزلاي الجلعادي من روجليم قدَّموا فرشاً وطسوساً وآنية خزف وحنطة وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وفولاً وعدساً وحِمّصاً مشوياً وعسلاً وزبدة وضأناً وجبن بقر لداود وللشعب الذي معه ليأكلوا ...».

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ»:

مأخوذة من منظر البلد الطبيعي، فهي بلد مراعٍ، والملك كان راعياً، وقد ثبت في الذهن اليهودي أن يهوه راعي إسرائيل كمرعاته الخاصة. انظر: (مز ٧٤: ١و٢). وكلها لآساف:

+ «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد. لماذا يدخِّن غضبك على غنم مرعاك».

+ «اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها. سبط ميراثك».

ومنها يأتي لفظ اقتناء كما يقتني الإنسان قطيعاً، وأيضاً: (مز ٧٧: ٢٠):

+ «هديت شعبك كالغنم بيد موسى وهارون».

وأيضاً: (مز ٧٨: ٥٢):

+ «وساق مثل الغنم شعبه وقادهم مثل قطيع في البرية».

وأيضاً: (مز ٧٨: ٧٠-٧٢):

+ «واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم. من خلف المرضعات أتى به ليرعى يعقوب شعبه وإسرائيل ميراثه. فرعاهم حسب كمال قلبه وبمهارة يديه هداهم».

وأيضاً: (مز ٧٩:١٣):

+ «أمَّا نحن شعبك وغنم رعايتك نحمدك إلى الدهر. إلى دور فدور نحدِّث بتسابيحك».

وأيضاً: (مز ٨٠:١):

+ «يا راعي إسرائيل اصغَ يا قائد يوسف كالضأن يا جالساً على الكروبيم أشرق».

وأيضاً: (مز ٩٥:٧و٨):

+ «لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده. اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم».

وأيضاً: (مز ١٠٠:٣):

+ «اعلموا أن الرب هو الله. هو صنعنا وله نحنُ، شعبُه وغنم مرعاه».

وأيضاً: (مي ٧:١٤):

+ «ارع بعصاك شعبك غنم ميراثك، ساكنة وحدها في وعر في وسط الكرمل. لترع في باشان وجلعاد كأيام القدم».

وقد شرح ذلك إشعياء في حال خروجهم من مصر، (إش ٤٠:١١):

+ «كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات».

وأيضاً: (تك ٤٩:٢٤):

+ «ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشدَّدت سواعد يديه. من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر إسرائيل».

كما دُعي وصف الراعي على الحكام مثل داود، انظر: (مي ٥:٤):

+ «ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم إلهه ويثبتون. لأنه الآن يتعظَّم إلى أقاصي الأرض».

وأيضاً: (حز ٣٤:٢٣):

+ «وأقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود هو يرعاها وهو يكون لها راعياً».

وهكذا احتوى المسيح هذا الوصف، انظر: (يو ١٠: ١-٤و١١):

+ «الحق الحق أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارقٌ ولص. وأمَّا الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف. لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته، فيدعو خرافه بأسماء ويخرجها. ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته ... أنا هو الراعي الصالح».

وأيضاً: (عب ١٣:٢٠):

+ «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي».

وأيضاً: (١بط ٢:٢٥):

+ «لأنكم كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها».

«فلا يعوزني شيء»:

اللغة توضِّح خبرة حاضرة بثقة لما سيأتي أيضاً، بالنسبة لإسرائيل حينما تنظر إلى الخلف عندما كانت إسرائيل تائهة في البرية، انظر: (تث ٢:٧):

+ «لأن الرب إلهك قد باركك في كل عمل يدك عارفاً مسيرك في هذا القفر العظيم الآن أربعون سنة للرب إلهك معك لم ينقص عنك شيءٌ».

ثمَّ إذ ينظر إلى الأمام إلى أرض الميعاد، انظر أيضاً: (تث ٨:٩):

+ «أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزاً ولا يعوزك فيها شيء».

وأيضاً: (مز ٨٤:١١):

+ «لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجداً. لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال».

٢ - «فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي»:

هنا منظر الراعي امتدَّ، فهو يجعل قطيعه يرقد مطمئناً في وقت الظهيرة حيث الحرارة في أرض بها الحشيش الغض، ولهذا المنظر يحدِّثنا سفر إرميا (٣٣:١٢):

+ «هكذا قال رب الجنود. سيكون بعد في هذا الموضع الخرب بلا إنسان ولا بهيمة وفي كل مدنه مسكن الرعاة المربضين الغنم».

«يوردني»:

وصحتها "يقودني" قيادة لطيفة. انظر: (إش ٤٠:١١):

+ «كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات».

يعتني بها ويقوم عليها، انظر: (تك ٤٧:١٧):

+ «فجاءوا بمواشيهم إلى يوسف فأعطاهم يوسف خبزاً - مقابل - بالخيل وبمواشي الغنم والبقر وبالحمير. فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيهم».

والقيادة هنا تقال على عمل الله، انظر: (خر ١٥:١٣):

+ «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك».

وأيضاً: (مز ٣١:٣):

+ «لأن صخرتي ومعقلي أنت. من أجل اسمك تهديني وتقودني».

وأيضاً: (إش ٤٩:١٠):

+ « لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضرهم حر ولا شمس لأن الذي يرحمهم يهديهم وإلى ينابيع المياه يوردهم».

«مياه الراحة»:

تُرجمت المياه الساكنة (وهي أسهل لشرب الغنم) ليست جارية، والراحة هي راحة الأمَّة حينما تجد مكاناً تسكن فيه، انظر: (إش ٣٢:١٨):

+ «ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة».

وأيضاً: (تث ١٢:٩):

+ «لأنكم لم تدخلوا حتى الآن إلى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب إلهكم».

وأيضاً: (مز ٩٥:١١):

+ «فأقسمت في غضبي لا يدخلون راحتي».

والمعروف في رعاية الغنم في الشرق أن الغنم تتبع الراعي والراعي يقود. والغنم تحتاج إلى الماء يومياً.

[٣و٤]:

عناية الراعي كقائد وحارس.

٣ – **«يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ»:**

يجدِّد ويعين حياتي، انظر: (مز ١٩:٧):

+ «ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً».

«يهديني»:

يقودني – القيادة لله فهو يقود الشعب كله، انظر: (خر ١٥:١٣):

+ «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك».

وأيضاً: (تث ٣٢:١٢):

+ «هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي».

وقيادة فردية، انظر: (مز ٥:٨):

+ «يا رب اهدني إلى برِّك بسبب أعدائي سهِّل قدَّامي طريقك».

وأيضاً: (مز ٢٧:١١):

+ «علِّمني يا رب طريقك واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي».

«يهديني إلى سبل البر»:

انظر: (أم ٤: ١٠و١١):

+ «اسمع يا ابني واقبل أقوالي فتكثر سنو حياتك. أريتك طريق الحكمة. هديتك سبل الاستقامة».

وأيضاً: (أم ٨:٢٠و٢١):

+ «في طريق العدل أتمشَّى. في وسط سبل الحق. فأورِّث محبِّي رزقاً».

وأيضاً: (أم ١٢:٢٨):

+ «في سبيل البر حياة وفي طريق مسلكه لا موت».

«من أجل اسمه»:

لكي يظهر نفسه كما أعلنها أن تكون، انظر: (خر ٣٤: ٥و٩):

+ «فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب ... وقال: إن وجدت نعمة في عينيك أيها السيد فليسر السيد في وسطنا».

٤ – **«أَيْضاً إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرّاً، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي»:**

لا تزال صورة الراعي في ذهن صاحب المزمور، طرق فلسطين الجبلية حيث الرعي فيها مرتفعات ومنخفضات ومعوجات وانحدارات سريعة وكهوف تلبد فيها الحيوانات المفترسة. ففي هذه يقبع الخوف من الموت المفاجئ والفزع والرعبة من مناظر الحيوانات المفترسة. ولكن في وسط هذه الطرق كان داود لا يخاف شرًّا.

هكذا كانت قيادة يهوه في البرية، انظر: (إر ٢:٦):

+ «ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر في أرض يبوسة وظل الموت. في أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان».

«ظل الموت»:

انظر: (مز ١٠٧: ١٠و١٤):

+ «الجلوس في الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد ... أخرجهم من الظلمة وظلال الموت وقطع قيودهم».

«لأنك أنت معي»:

حضرة الله قوة الشعب والإنسان وتعطي راحة، انظر: (تك ٢٨:١٥):

+ «وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض. لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلَّمتك به (الكلام ليعقوب)».

وأيضاً: (يش ١:٥):

+ «لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك. كما كنتُ مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك».

«عصاك وعكازك هما يعزيانني»:

الراعي يحمل عصا طويلة معقوفة حتى يستطيع أن يلتقط الغنمة التي تركت القطيع من بعيد، كما يهش بها على غنماته لتسير يميناً أو يساراً. هذا هو العكاز، أمَّا العصا عند الراعي فهي قصيرة لا تزيد عن ٨٠ سم وفي آخرها رأس بها نتوئات أو مسامير حديد، هذه يدافع بها ويضرب الحيوانات المهاجمة، فهي سلاحه الممتاز.

٥ – «تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي كَأْسِي رَيَّا»:

يتغيَّر المنظر حيث يبدو يهوه كمضيف يعزم صاحب المزمور على مائدته ويجهِّز له مسكناً في بيته الشخصي، كما يستضيف ملوك الشرق الذين يريدون أن يصنعوا معهم معروفاً كثيراً، انظر: (تك ٤٣:١٦):

+ «فلمَّا رأى يوسف بنيامين معهم قال للذي على بيته أدخل الرجال إلى البيت واذبح ذبيحة وهيِّئ. لأن الرجال يأكلون معي عند الظهر».

وأيضاً: (٢صم ٩:٧):

+ «فقال له داود لا تخف. فإني لأعملن معك معروفاً من أجل يوناثان أبيك وأرد لك كل حقول شاول أبيك وأنت تأكل خبزاً على مائدتي دائماً».

وأيضاً: (٢صم ١٩:٣٣):

+ «فقال الملك لبرزلاي اعبر أنت معي وأنا أعولك معي في أُورشليم».

«تجاه مضايقي»:

يقصد علناً.

«مسحت بالدهن رأسي»:

اعتاد ملوك ورؤساء الشرق أن يحتفظوا على مائدتهم بمراهم وعطور تكون موجودة لمسح رأس الضيوف كإكرام زائد. وهي غير مسحة الطقس، انظر: (عا ٦:٦):

+ «الشاربون من كؤوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهان ولا يغتمون على انسحاق يوسف».

وأيضاً: (مز ٤٥:٧):

+ «أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك».

وأيضاً: (مز ٩٢:١٠):

+ «وتنصب مثل البقر الوحشي قرني. تدهنتُ بزيت طري».

«كأسي ريَّا»:

يهوه جيد وسخي في معاملة أحبائه وضيوفه، انظر: (مز ١٠٤:١٥):

+ «وخمر تُفرِّح قلب الإنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت، وخبز يسند قلب الإنسان».

وأيضاً: (مز ١٦:٥):

+ «الرب نصيب قسمتي وكأسي. أنت قابض قرعتي».

وأيضاً: (مز ١١٦:١٣):

+ «كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو».

٦ – «إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى مَدَى الأَيَّامِ»:

لم يتنعم أحد بالخيرات والبركات والمراحم كما حصل لداود، وكل أيام حياته فعلاً. أمَّا السكنى في بيت الله فهو أمر تصويري وليس حقيقة بالفعل المادي بل هو إحساس وتصوُّر، انظر: (مز ٣٦:٨):

+ «يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك تسقيهم».

كلها تصويرية تمجيدية. ومدى الأيام ثقة لا حد لها.

المزمور الرابع والعشرون

لداود. مزمور

١ – «لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا.

٢ – لأَنَّهُ عَلَى الْبِحَارِ أَسَّسَهَا، وَعَلَى الأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا.

٣ – مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟

٤ – الطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِبًا.

٥ – يَحْمِلُ بَرَكَةً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، وَبِرًّا مِنْ إِلهِ خَلاَصِهِ.

٦ – هذَا هُوَ الْجِيلُ الطَّالِبُهُ، الْمُلْتَمِسُونَ وَجْهَكَ يَا يَعْقُوبُ. سِلاَهْ.

٧ – ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.

٨ – مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ.

٩ – ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.

١٠ – مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ. سِلاَهْ».

دراسة:

كانت صهيون في يد غرباء وبالحرب سقطت، وهذا وصف لدخول داود، الذي كُنِيَ عنه بدخول رب الجنود، وكانت حصون صهيون منيعة وكلها سقطت في يد داود. وداود الآن قد صار سيداً لعاصمة المستقبل ولكن ليس بقوته ولا لمجده كانت النصرة، فمدينة داود هي "مدينة رب الجنود"، فصاحبها وملكها يلزم الآن أن يدخلها ليمتلكها. وكان تابوت العهد الذي كان رمزاً لحضرة الرب يلزم أن يأتي الآن رسمياً ويستقر في الخيمة التي عملها داود له. وهذه الفرصة الفريدة هي أعظم يوم في حياة داود، وهذا المزمور كُتب لذلك على ما يبدو.

فيهوه يأتي كمحارب منتصر حديثاً من غزو الحصن المنيع (٧–١٠)، هذا صنعه يهوه باعتباره له السيادة على كل الخليقة كخالق، فسكناه في صهيون لا تحد وجوده (١و٢)، ثم يأتي سؤال ما هي الصفات المطلوبة للمصلين والصاعدين للجبل للصلاة (٣–٦)، وربما في ذلك إشارة إلى ما حدث لعزة،

انظر: (٢صم ٦:٨):

+ «فاغتاظ داود لأن الرب اقتحم عزة اقتحاماً وسمّى ذلك الموضع فارص عزة إلى هذا اليوم».

هذا الحدث حصل عند نقل داود التابوت إلى الخيمة وكان حادثاً معكّراً لصفو الاحتفال المهيب المذكور في المزمور، والأبواب الدهرية هي الأبواب القديمة للحصن المنيع والآن تُفتح لاستقبال ربِّها الحقيقي. والمزمور ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يمهِّد لفهم سكنى الرب في صهيون فيقول في العدد الأول إنه رب الأرض كلها وملؤ المسكونة وكل الساكنين فيها هم له وليس صهيون فقط، ولكن دخوله صهيون هو لتكميل التاريخ (١–٢).

القسم الثاني: أخذ يضع شروطاً للذين يُسمح لهم بالدخول مع يهوه في مسكنه وفي جبله (٣–٦).

القسم الثالث: مخاطبة رمزية للقلعة القديمة الحصينة أن تستعد لقبول ملكها الحقيقي ثمّ صفات سيادته تُعلن (٧–١٠).

التقسيم الموسيقي التمثيلي للمزمور:

المزمور له صفة دراماتية:

أولاً: (١–٦) وصف الاحتفال بصعود الجبل

(أ) يغنيها الخورس بكامله (١و٢).

(ب) يغنيها سولو أي فرد. (٣).

(ج) الإجابة للأعداد (٤و٥) فرد آخر.

(د) الإجابة للعدد (٦) خورس كامل.

ثانياً: (٧–١٠) يغنيها الاحتفال بعد أن توقّفوا أمام الأبواب الدهرية للقلعة.

(هـ) سولو مفرد أو الخورس (٧و٩).

(و) التحدِّي (٨ أ و ١٠ أ) بصوت داخل الأبواب.

(ز) صوت الانتصار كاستجابة (٨ ب ، ١٠ ب) الخورس كله.

بحسب العنوان للنسخة السبعينية وهو يتفق في استخدام المزمور ليتورجياً في الطقس اليهودي حسب

التلمود، كان هذا هو المزمور الذي لليوم الأول في الأسبوع (يوم الأحد) ويُستخدم كمزمور مُحكم الوضع في يوم الصعود في الكنيسة المسيحية.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١و٢]:

جمال وعظمة يهوه الآتي ليملك على مسكنه المختار، وسلطانه لا يُحدّ لأمة واحدة أو مكان واحد فهو رب كل العالم لأنه هو الذي خلقه.

١ – «**لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا**»:

غرض المزمور أن يثبت فكر القارئ والسامع على سلطان يهوه الذي له يُقدّم المزمور ولكي ندرك، انظر: (خر ١٩:٥):

+ «فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض».

وأيضاً: (تث ١٠:١٤):

+ «هوذا للرب إلهك السموات وسماء السموات. والأرض وكل ما فيها».

وأيضاً: (مز ٥٠:١٢):

+ «إن جعت فلا أقول لك لأن لي المسكونة وملأها».

وأيضاً: (مز ٨٩:١١):

+ «لك السموات. لك أيضاً الأرض. المسكونة وملؤها أنت أسستهما».

٢ – «**لأَنَّهُ عَلَى الْبِحَارِ أَسَّسَهَا، وَعَلَى الأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا**»:

هنا التوكيد على كلمة "هو". انظر: (مز ١٠٤:٥):

+ «المؤسِّس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد».

وأيضاً: (أي ٣٨:٤):

+ «أين كنتَ حين أسستُ الأرض. أخبر إن كان عندك فهم».

فالأرض برزت من المياه هذا كان التصوُّر. انظر: (مز ١٣٦:٦):

+ «الباسط الأرض على المياه لأن إلى الأبد رحمته».

وهناك الاعتقاد أن الهاوية تحت الأرض وفيها مياه، انظر: (تك ٧:١١):

+ «في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء».

فالمياه تحت الأرض، انظر: (خر ٢٠:٤):

+ «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض».

[٣-٦]:

الشروط الأخلاقية المطلوبة للصعود والدخول إلى حضرة الله العظيم، فقداسته ومجده تُحتِّم ذلك، انظر: (مز ١٥: ١-٣):

+ «يا رب مَنْ ينزل في مسكنك. مَنْ يسكن في جبل قدسك. السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلِّم بالصدق في قلبه. الذي لا يشي بلسانه ولا يصنع شرًّا بصاحبه ولا يحمل تعييراً على قريبه».

وأيضاً: (إش ٣٣: ١٤و١٥):

+ «ارتعب في صهيون الخطاة أخذت الرعدة المنافقين. مَنْ منّا يسكن في نار آكلة، مَنْ منّا يسكن في وقائد أبدية. السالك بالحق والمتكلِّم بالاستقامة الراذل مكسب المظالم النافض يديه من قبض الرشوة الذي يسد أذنيه عن سمع الدماء ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر».

٣ – «**مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟**»:

الصعود للعبادة في الهيكل. انظر: (١صم ١:٣):

+ «وكان هذا الرجل يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه. وكان هناك ابنا عالي حفني وفينحاس كاهنا الرب».

وأيضاً: (١صم ١:٢٢):

+ «ولكن حنة لم تصعد لأنها قالت لرجلها متى فُطم الصبي آتي به ليتراءى أمام الرب ويقيم هناك إلى الأبد».

وأيضاً: (إش ٣:٢):

+ «وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلّمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أُورشليم كلمة الرب».

وأيضاً: (إش ١٤:٣٧):

+ «فأخذ حزقيا الرسائل من يد الرسل وقرأها ثمَّ صعد إلى بيت الرب ونشرها حزقيا أمام الرب».

وأيضاً: (إش ٢٢:٣٨):

+ «وحزقيا قال ما هي العلامة إني أصعد إلى بيت الرب».

«مَنْ يقوم في موضع قدسه»:

لا فقط يظهر أو يوجد ولكن يقف أي يثبت، انظر: (١صم ٢٠:٦):

+ «وقال أهل بيتشمس من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا وإلى مَنْ يصعد عنا».

«موضع قدسه»:

المرادف لجبل الرب، انظر: (مز ٦:٢):

+ «أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي».

وأيضاً: (مز ٤:٣):

+ «بصوتي إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه. سلاه».

وأيضاً: (مز ١:١٥):

+ «يا رب مَنْ ينزل في مسكنك. مَنْ يسكن في جبل قدسك».

٤ ـ «الطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِباً»:

البريء من العنف والأعمال الخاطئة، انظر: (مز ٢٠:١٨):

+ «يكافئني الرب حسب برِّي. حسب طهارة يديَّ يردّ لي».

برأتني فكراً وغرضاً وعملاً، انظر: (مز ١:٧٣):

+ «إنما صالح الله لإسرائيل لأنقياء القلب».

وأيضاً (مت ٨:٥):

+ «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

«الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل»:

أي الحقيقي والصادق والأمين ليهوه. وعبارة «يحمل نفسه» تأتي بمعنى:

١ ـ يوجِّه فكره نحوه، انظر: (مز ١:٢٥):

+ «إليك يا رب أرفع نفسي».

٢ ـ ويضع في قلبه، انظر: (تث ١٥:٢٤):

+ «في يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير وإليها **حامل نفسه**».

٣ ـ أو مجرَّد شهوة، انظر: (هو ٨:٤):

+ «يأكلون خطية شعبي وإلى إثمهم يحملون نفوسهم».

«الباطل»:

١ ـ يعني الزائل، انظر: (أي ٣١:١٥):

+ «لا يتكل على السوء (الباطل) يضل. لأن السوء يكون أجرته».

٢ ـ الزائف غير الحقيقي، انظر: (مز ٢:١٢):

+ «يتكلَّمون بالكذب (بالباطل) كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلَّمون».

٣ ـ أو شرير، انظر: (إش ١٨:٥):

+ «ويل للجاذبين الإثم بحبال البطل والخطية كأنه بُرُبط العَجَلَة».

٤ ـ أو يستشير آلهة كاذبة، انظر: (مز ٦:٣١):

+ «أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة. أمَّا أنا فعلى الرب توكَّلت».

وبالجملة فإنها تشمل كل ما هو يخالف طبيعة الله.

«ولا يحلف كذباً»:

ليغش قريبه، فهو صادق نحو قريبه كما هو نحو الله، انظر: (مز ٤:١٥):

+ «الرذيل محتقر في عينيه ويكرم خائفي الرب، يحلف للضرر ولا يغيِّر (ولو كان فيه ضررٌ لنفسه)».

٥ – «يَحْمِلُ بَرَكَةً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، وَبِرًّا مِنْ إِلهِ خَلاَصِهِ»:

«البركة»: هي نعمة مهداه بكل هداياها.

أمَّا **«البر»**: فهو بركة من نوع آخر هو مضمون رضا الله الذي به يستحق أن ينال الخلاص، انظر: (مز ٥:٢٥) من إله خلاصه:

+ «دربني في حقك وعلِّمني لأنك أنت **إله خلاصي** إيَّاك انتظرت اليوم كله».

وأيضاً: (مز ٩:٢٧):

+ «فلا ترفضني ولا تتركني **يا إله خلاصي**».

والخلاص من جهته هو شهادة وجزاء للسلوك المستقيم (في العهد القديم وليس في العهد الجديد)، انظر: (١صم ٢٣:٢٦):

+ «والرب يرد على كل واحد برَّه وأمانته لأنه قد دفعك الرب اليوم ليدي و لم أشأ أن أمد يدي إلى مسيح الرب».

وأيضاً: (مز ١٨: ٢٠و٢٤):

+ «يكافئني الرب حسب برِّي. حسب طهارة يدي يرد لي».

وأيضاً: (مز ١١:٥٨):

+ «ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض».

ولكن في العهد الجديد تأخذ معنى أعمق، انظر: (مت ٦:٥):

+ «طوبى للجياع والعطاش إلى البر. لأنهم يشبعون».

٦ – «هذَا هُوَ الْجِيلُ الطَّالِبُهُ، الْمُلْتَمِسُونَ وَجْهَكَ يَا يَعْقُوبُ. سِلاَهْ»:

الجيل هو دورة بشرية التي منها جاءت عبارة «من دور إلى دور»، أو عصر، انظر: (مز ٧:١٢):

+ «أنت يا رب تحفظهم. تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر».

وأيضاً: (مز ٥:١٤):

+ «هناك خافوا خوفاً لأن الله في الجيل البار».

«الملتمسون»:

وهي تفصح عن الغرض الداخلي للقلب. وهي لها معنيان: يلتمس الأشياء الخارجية مثل زيارة الهيكل، ويلتمس وجه الله في القلب. وهي توضِّح مستوى العبادة الحقيقية.

«وجهك يا يعقوب»:

وصحتها يجب أن يوضع فاصل بين كلمة "وجهك" وبين "يا يعقوب" كالآتي: **وجهك، يا يعقوب**. ووجدت في الترجمة السبعينية والفولجاتا: "وجهك يا إله يعقوب"، ووجدت في الماسورية: "وجهك يا يعقوب"، بمعنى يعقوب إسرائيل الحقيقي الشعب الحقيقي ليهوه.

[٧–١٠]:

هنا الاحتفال وصل إلى الأبواب الدهرية لصهيون ونودي بها لتفتح عالياً ومتسعاً فتسمح بدخول الملك الحقيقي.

٧ – «ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ»:

«ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن»:

الرتاج هو الباب العظيم، وكل رتاج كان له ترباس له رأس منحنية للقفل فإذا ارتفع الرأس ينفتح الباب. والمعنى أن ترتفع كل العقبات والعثرات والمقاومات فقد جاء زمان نهاية كل مقاومة.

«أيتها الأبواب الدهريات»:

الأبواب القديمة قدم الدهر. والمعنى السرائري الذي أخذته المسيحية هي الأبواب التي انغلقت على آدم وبنيه منذ الدهر في حبوس العالم الأرضي، فقد جاء زمان انفتاح الأبواب ليصعد رب المجد كأول القائمين من الموت وأول الصاعدين إلى السماء ليدخل الحياة الأبدية.

«فيدخل ملك المجد»:

والمعنى القديم هو دخول التابوت خيمة المسكن التي تحمل الاسم، اسم رب الجنود الجالس على الشاروبيم، انظر: (٢صم ٢:٧):

+ «أن الملك قال لناثان النبي انظر: إني ساكن في بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق»

فكان التابوت هو رمز الجلالة رهينة لحضرة الله بين الشعب، انظر: (عد ١٠: ٣٥و٣٦):

+ «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يا رب فلتتبدَّد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك. وعند حلوله كان يقول ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل».

وعندما خسروا التابوت كان قد «فارق المجد إسرائيل»، انظر: (١صم ٤:٢١):

+ «فدعت الصبي (المولود) إيخابود قائلة قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أُخذ ولأجل حميها ورجلها».

٨ – «مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ»:

سؤال بلاغي ولا يُظن أبداً أن الأبواب والأرتاج تمنع رب المجد من الدخول. فمجاوبة الخورس تسترجع كلمات الافتتاحية لتسبحة موسى، انظر: (خر ١٥: ٢و٣):

+ «الرب قوتي ونشيدي. وقد صار خلاصي، هذا إلهي فأمجِّده. إله أبي فأرفعه، الرب رجل الحرب. الرب اسمه».

حيث جاءت كلمة ملك في ختام تسبحة موسى (خر ١٥:١٨):

+ «الرب يملك إلى الدهر والأبد».

والآن يُنادي به كمنتصر جاء كما وعد ليأخذ مملكته.

[٩–١٠]: التحدِّي والإجابة تتكرَّر مع تغيير طفيف ونقلة مهمة.

٩ – «ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.

١٠ – مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ. سِلاَهْ»:

وهنا نبلغ النهاية الأخيرة، فهو يطالب بالدخول لا فقط كمحارب منتصر بل كمتسلِّط على العالم، أمَّا صفة يهوه "رب الصباؤوت" في زمن النبوَّة الملكية فتواجهنا هنا لأول مرَّة في سفر المزامير وهي ربما تعني أصلاً يهوه "كالله إله الجيوش والحروب لإسرائيل"، انظر: (١صم ١٧:٤٥):

+ «فقال داود للفلسطيني أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيَّرتهم».

وهو الذي كان يذهب أمامهم مع جيوش الشعب إلى المعركة، انظر: (مز ٤٤:٩):

+ «لأنك قد رفضتنا وأخجلتنا ولا تخرج مع جنودنا».

ولكن **جنود السماء** تستخدم للأجسام السماوية والكائنات السماوية، انظر: (تك ٢:١):

+ «فأكملت السموات والأرض وكل جندها».

وأيضاً: (١مل ٢٢: ١٩):

+ «فاسمع إذن كلام الرب: قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره».

والمعنى اتسع ليعني يهوه كحاكم قوى السماء وصاحب السلطان السائد للعالم. لذلك تأتي أحياناً في السبعينية بمعنى: Lord Almighty = κύριος παντοκράτωρ = أو أفضل all Sovereign أي كلِّي القوة، كلي السلطان.

المزمور الخامس والعشرون

لداود

١ – «إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي.

٢ – يَا إِلهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، فَلاَ تَدَعْنِي أَخْزَى. لاَ تَشْمَتْ بِي أَعْدَائِي.

٣ – أَيْضاً كُلُّ مُنْتَظِرِيكَ لاَ يَخْزَوْا. لِيَخْزَ الْغَادِرُونَ بِلاَ سَبَبٍ.

٤ – طُرُقَكَ يَا رَبُّ عَرِّفْنِي. سُبُلَكَ عَلِّمْنِي.

٥ – دَرِّبْنِي فِي حَقِّكَ وَعَلِّمْنِي، لأَنَّكَ أَنْتَ إِلهُ خَلاَصِي. إِيَّاكَ انْتَظَرْتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ.

٦ – اذْكُرْ مَرَاحِمَكَ يَا رَبُّ وَإِحْسَانَاتِكَ، لأَنَّهَا مُنْذُ الأَزَلِ هِيَ.

٧ – لاَ تَذْكُرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلاَ مَعَاصِيَّ. كَرَحْمَتِكَ اذْكُرْنِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِ جُودِكَ يَا رَبُّ.

٨ – الرَّبُّ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ، لِذلِكَ يُعَلِّمُ الْخُطَاةَ الطَّرِيقَ.

٩ – يُدَرِّبُ الْوُدَعَاءَ فِي الْحَقِّ، وَيُعَلِّمُ الْوُدَعَاءَ طُرُقَهُ.

١٠ – كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ.

١١ – مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ يَا رَبُّ اغْفِرْ إِثْمِي لأَنَّهُ عَظِيمٌ.

١٢ – مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الْخَائِفُ الرَّبَّ؟ يُعَلِّمُهُ طَرِيقاً يَخْتَارُهُ.

١٣ – نَفْسُهُ فِي الْخَيْرِ تَبِيتُ، وَنَسْلُهُ يَرِثُ الأَرْضَ.

١٤ – سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ، وَعَهْدُهُ لِتَعْلِيمِهِمْ.

١٥ – عَيْنَايَ دَائِماً إِلَى الرَّبِّ، لأَنَّهُ هُوَ يُخْرِجُ رِجْلَيَّ مِنَ الشَّبَكَةِ.

١٦ – الْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي، لأَنِّي وَحْدٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا.

١٧ – اُفْرُجْ ضِيقَاتِ قَلْبِي. مِنْ شَدَائِدِي أَخْرِجْنِي.

١٨ – انْظُرْ إِلَى ذُلِّي وَتَعَبِي، وَاغْفِرْ جَمِيعَ خَطَايَايَ.

١٩ – انْظُرْ إِلَى أَعْدَائِي لأَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا، وَبُغْضاً ظُلْماً أَبْغَضُونِي.

٢٠ – احْفَظْ نَفْسِي وَأَنْقِذْنِي. لاَ أُخْزَى لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ.

٢١ – يَحْفَظُنِي الْكَمَالُ وَالاسْتِقَامَةُ، لأَنِّي انْتَظَرْتُكَ.

٢٢ – يَا اللهُ، افْدِ إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ ضِيقَاتِهِ».

دراسة:

ألف باء في الصلاة والتأمّل ونطق الاتضاع وثقة في الإيمان ويقع في ثلاثة أقسام متساوية:

القسم الأول: صلاة من أجل الحفظ والقيادة والصفح والغفران (١–٧).

القسم الثاني: تأملات في صفات الله (٨–١٠) ومعاملاته مع الذين يخافونه (١٢–١٤) مع وَصْلة فيها صلاة للغفران (١١).

القسم الثالث: صلاة مجدّدة للخلاص من الضيق (١٥–٢١) والعدد (٢٢) زائد يُحتمل أن يكون إضافة جديدة.

وهكذا يبتدئ المزمور وينتهي بالصلاة ويشتعل بالإيمان ويستند بالتقوى وبالتأمُّل في حقائق الاستعلان. والمتكلّم يصعب أن نعتبره الشعب الإسرائيلي كله مشخّصاً، بل هو فرد يشعر بخطايا أُمّته على قياس ما وكأنها أخطاؤه بل إنها فعلاً أخطاؤه (١١و١٩)، وصلاته من أجل المغفرة والخلاص تمتد أكثر من احتياجه. الفكر واللغة تُظهر أنه متأثّر بالحكمة أو الفلسفة الدينية لإسرائيل كما جاءت في سفر الأمثال. ولكن المزمور ليس له تاريخ واضح وقد ينتمي لأي جيل.

وهو واحد من تسعة مزامير قائمة على ترتيب ألف باء وتسمَّى alphabetic or acrostic.

وهي مزامير ٩، ١٠، ٢٥، ٣٤، ٣٧، ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٤٥.

وكل عدد من المزمور يبتدئ بحرف من حروف الألف باء.

هذا المزمور له علاقة بالمزمور (٣٤)، الأول صلاة والثاني شكر والاثنان لمؤلف واحد.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[١–٧]: توسُّط للحفظ والحراسة والغفران:

١ – «إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي»: א

يبدأ بالألفا. عرفنا أن الذي يقترب من هيكل يهوه ينبغي أن يكون واحداً لم يحمل نفسه إلى الباطل كما هو في المزمور (٢٤:٤)، ويهوه وحده هو موضوع اشتياقه وصلواته، انظر: (مز ٨٦:٤):

+ «فرِّح نفس عبدك لأني إليك يا رب أرفع نفسي».

وأيضاً: (مز ١٤٣:٨):

+ «أسمعني رحمتك في الغداة لأني عليك توكَّلت. عرِّفني الطريق التي أسلك فيها لأني إليك رفعت نفسي».

وأيضاً: (مراثي ٣:٤١):

+ «لنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله في السموات».

٢ – «يَا إِلهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، فَلاَ تَدَعْنِي أَخْزَى. لاَ تَشْمَتْ بِي أَعْدَائِي»: ב

يبدأ بحرف بت. والأصح في ترتيب هذا العدد أن يكون على سطرين، فيكون "لا تدعني" في سطر آخر. انظر: (مز ٢٢:٥):

+ «إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا».

وأيضاً: (مز ٣١: ١و١٧):

+ «عليك يا رب توكَّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك نجِّني (ببرك خلِّصني) يا رب لا تدعني أخزى لأني دعوتك. ليخز الأشرار. ليسكتوا في الهاوية».

وأيضاً: (إش ٤٩:٢٣):

+ «... فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه».

٣ – «أَيْضاً كُلُّ مُنْتَظِرِيكَ لاَ يَخْزَوْا. لِيَخْزَ الْغَادِرُونَ بِلاَ سَبَبٍ»: ג

ليست صلاة ولكنها تعبير عن اقتناع بخصوص الصلاة النقية، انظر: (رو ٥: ٣–٥):

+ «وليس ذلك فقط بل نفتخر في الضيقات عالمين أن الضيق يُنشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا».

وصاحب المزمور يتكلَّم عن نفسه كمن ينتظر يهوه.

«الغادرون بلا سبب»:

وهي تساوي بلا إيمان، انظر: (قض ٩:٢٣):

+ «وأرسل الرب روحاً رديًّا بين أبيمالك وأهل شكيم فغدر أهل شكيم بأبيمالك».

وأيضاً: (مز ١١٩:١٥٨):

+ «رأيت الغادرين ومقتُّ لأنهم لم يحفظوا كلمتك».

٤ – «طُرُقَكَ يَا رَبُّ عَرِّفْنِي. سُبُلَكَ عَلِّمْنِي»: ד

هي ذات صلاة موسى لَمَّا ارتبك، انظر: (خر ٣٣: ١٢و١٣):

+ «وقال موسى للرب: انظر. أنت قائل لي أصعد هذا الشعب. وأنت لم تعرِّفني مَنْ تُرسل معي، وأنت قد قلت عرفتك باسمك. ووجدتَ أيضاً نعمة في عينيَّ. فالآن إن كنت قد وجدتُ نعمة في عينيك فعلِّمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر أن هذه الأُمة شعبك».

وأيضاً: (مز ٢٧:١١):

+ «علِّمني يا رب طريقك. واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي».

أمَّا طرق الله وسبله هي مشيئته ووسائل عنايته وبالأكثر طريق الحياة والسلوك الذي وضعه للإنسان، انظر: (مز ١٤٣:٨):

+ «أسمعني رحمتك في الغداة لأني عليك توكَّلت. عرِّفني الطريق التي أسلك فيها لأني إليك رفعت نفسي».

وأيضاً: (تث ٩: ١٢و١٦):

+ «قال الرب لي قم انزل عاجلاً من هنا لأنه قد فسد شعبك الذي أخرجته من مصر. زاغوا سريعاً عن الطريق التي أوصيتهم. صنعوا لأنفسهم تمثالاً مسبوكاً ... فنظرت وإذا أنتم قد أخطأتم إلى الرب إلهكم وصنعتم لأنفسكم عجلاً مسبوكاً وزغتم سريعاً عن الطريق التي أوصاكم بها

الرب».

وأيضاً: (إر ٥:٤):

+ «أمَّا أنا فقلت إنما هم مساكين، قد جهلوا لأنهم لم يعرفوا طريق الرب قضاء إلههم».

٥ – «**دَرِّبْنِي فِي حَقِّكَ وَعَلِّمْنِي، لأَنَّكَ أَنْتَ إِلهُ خَلاَصِي. إِيَّاكَ انْتَظَرْتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ**»: ה

وذلك باستعلان الحق ورؤيته في القلب. وحق يهوه دائماً معه إحساناته، وهذا هو الأمانة. فتكون: "قدني في الحق لأعرف أمانتك" أو: "دعني أحيا في اختبار أمانتك"، انظر: (مز ٢٦:٣):

+ «لأن رحمتك أمام عيني، وقد سلكتُ بحقك».

٦ – «**اذْكُرْ مَرَاحِمَكَ يَا رَبُّ وَإِحْسَانَاتِكَ، لأَنَّهَا مُنْذُ الأَزَلِ هِيَ**»: ז

استغاثة ليهوه من أجل عدم تغيّره، انظر: (مل ٣:٦):

+ «لأني أنا الرب لا أتغيَّر فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا».

ومحبة الأيام القديمة لا يمكن أن تفنى، انظر: (إر ٢:٢):

+ «اذهب وناد في أذني أُورشليم قائلاً: هكذا قال الرب. قد ذكرت لك غيرة صباك محبة خطبتكِ ذهابكِ ورائي في البرية».

وأيضاً: (إر ٣١:٣):

+ «ومحبة أبدية أحببتكِ. من أجل ذلك أدمتُ لكِ الرحمة».

٧ – «**لاَ تَذْكُرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلاَ مَعَاصِيَّ. كَرَحْمَتِكَ اذْكُرْنِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِ جُودِكَ يَا رَبُّ**»: ח

«**خطايا صباي**»:

تشمل مبدئياً الإخفاقات والأخطاء والإهمال وهكذا تكون هي نفسها عثرات الصبا. وأمَّا معاصيَّ فتعني ثورات النفس والعثرات الإرادية للبلوغ.

«**كرحمتك**»:

وهي نفسها "بحسب إحساناتك".

«**من أجل جودك يا رب**»:

حينما أراد موسى أن يستعلن الله له ذاته سمح له فقط أن يرى جوده، انظر: (خر ١٩:٣٣):

+ «فقال أُجيز كل جُودتي قدَّامك وأنادي باسم الرب قدَّامك، وأتراءف على مَنْ أتراءف وأرحم مَنْ أرحم».

وأيضاً: (مز ١٣:٢٧):

+ «لولا أنني آمنت بأن أرى جُود الرب في أرض الأحياء».

وأيضاً: (رو ٤:٢):

+ «أم تستهين بغِنَى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة».

[٨–١٤]: توسلات مؤسَّسة على صفات الله المعلنة:

٨ – «**الرَّبُّ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ، لِذلِكَ يُعَلِّمُ الْخُطَاةَ الطَّرِيقَ**»: ט

لأن كلِّي الحب وكلِّي الاستقامة لابد أن يقود الخطاة.

«**يُعلِّم**»:

وأصلها تعليم الناموس لأن أصل كلمة يُعلِّم مشتق من كلمة "توراة"، انظر: (مز ٢:١):

+ «لكن في ناموس الرب مسرَّته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً».

هذا هو العلم.

٩ – «**يُدَرِّبُ الْوُدَعَاءَ فِي الْحَقِّ، وَيُعَلِّمُ الْوُدَعَاءَ طُرُقَهُ**»: י

الوديع هو الإنسان المتواضع القلب والفكر، والتواضع لا يماثله شيء في علاقة الإنسان بالله، انظر: (١بط ٥:٥):

+ «وتسربلوا بالتواضع، لأن الله يقاوم المستكبرين، وأمَّا المتواضعون فيعطيهم نعمةً».

١٠ – «**كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ**»: כ

في كل معاملات الله يحقِّق غرض محبته وأمانته من نحو وعوده للذين هم من جهتهم أمناء له حافظو العهد، مختونون في لحمهم به، انظر: (تك ٢:١٧):

+ «فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً».

وكرره في سيناء (خر ٥:١٩):

+ «فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض».

وأيضاً: (خر ٢٤: ٧و٨):

+ «وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا كل ما تكلَّم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورشَّ على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال».

العهد الذي كان تابوت العهد علامته الظاهرة، انظر: (عد ١٠: ٣٣):

+ «فارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلاً».

والعهد أيضاً قائم بالعشر وصايا على اللوحين ـ لوحي العهد كأنه ميثاق، انظر: (تث ٩: ٩و١٠):

+ «حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوحي الحجر لوحي العهد الذي قطعه الرب معكم. أقمت في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة لا آكل خبزاً ولا أشرب ماءً. وأعطاني الرب لوحي الحجر المكتوبين بأصبع الله وعليهما مثل جميع الكلمات التي كلَّمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع».

وشهادات يهوه هي وصاياه التي تشهد لإرادته، انظر: (مز ١٩: ٧و٨):

+ «ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرِّح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين».

«رحمة وحق»:

أي إحسانات وحق. هكذا قدَّم الله نفسه لموسى إله الكثرة في الإحسانات والحق، انظر: (خر ٣٤: ٥-٧):

+ «فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدَّامه ونادى الرب: الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء (في السبعينية والعبرية جاءت: "حق"). حافظ الإحسان إلى أُلوف، غافر الإثم والمعصية والخطية، ولكنه لن يبرئ إبراءً».

١١ ـ «مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ يَا رَبُّ اغْفِرْ إِثْمِي لأَنَّهُ عَظِيمٌ»: ל

بعد أن ذكر ما يطلبه الله في عدد (١٠) انبرى في ضميره الإحساس بقصوره فانطلق يصلِّي ويطلب المغفرة لأنه إله رحمة، انظر: (مز ٢٣: ٣):

+ «يرد نفسي. يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه».

وأيضاً: (إش ٤٣: ٢٥):

+ «أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها».

وأيضاً: (إر ١٤: ٧):

+ «وإن تكن آثامنا تشهد علينا يا رب فاعمل لأجل اسمك. لأن معاصينا كثرت. إليك أخطأنا».

١٢ ـ «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الْخَائِفُ الرَّبَّ؟ يُعَلِّمُهُ طَرِيقاً يَخْتَارُهُ»: מ

سؤال بلاغي ويساويه: مَنْذا الذي؟ انظر: (مز ٣٤: ١٢):

+ «مَنْ هو الإنسان الذي يهوى الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً».

«يعلِّمه»:

الذي يعرِّفه.

«طريقاً يختاره»:

طريق الحياة الذي يختاره، ويختار له طريق خوف الله وطريق الحق، ويهوه على هذا وذاك، انظر: (مز ١١٩: ٣٠):

+ «اخترت طريق الحق، جعلت أحكامك قدَّامي».

وأيضاً: (مز ١١٩: ١٧٣):

+ «لتكن يدك لمعونتي لأنني اخترت وصاياك».

وأيضاً: (أم ١: ٢٩):

+ «لأنهم أبغضوا العلم ولم يختاروا مخافة الرب».

وأيضاً: (أم ٣: ٣١):

+ «لا تحسد الظالم ولا تختر شيئاً من طرقه».

١٣ ـ «نَفْسُهُ فِي الْخَيْرِ تَبِيتُ، وَنَسْلُهُ يَرِثُ الأَرْضَ»: נ

كل الخيرات الزمنية محفوظة له. وهو يظل ينجح ونسله من ورائه يرث حسب وعد الله لأبرام، انظر: (تك ١٥: ٧و٨):

+ «وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال: أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها ...».

وكذلك لشعب إسرائيل: (خر ١٢:٢٠):

+ «أكرم أباك وأُمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك».

وأيضاً: (لا ٣:٢٦):

+ «إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها، أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلّتها وتعطي أشجار الحقل أثمارها».

وأيضاً: (تث ١:٤):

+ «فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكم».

وأيضاً: (مز ١١:٣٧):

+ «أمّا الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة».

وأيضاً: (أم ٢١:٢):

+ «لأن المستقيمين يسكنون الأرض والكاملين يبقون فيها».

وفي العهد الجديد: (مت ٥:٥):

+ «طوبى للودعاء. لأنهم يرثون الأرض».

١٤ - «سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ، وَعَهْدُهُ لِتَعْلِيمِهِمْ»: ס

له بركات تنتظره لا يعرفها إلاّ الله. فللخائفين يكشف يهوه أسراره ومشوراته، انظر: (أم ٣٢:٣):

+ «لأن الملتوي رجس عند الرب. أمّا سرّه فعند المستقيمين».

وأيضاً: (مز ١٠:١١١):

+ «رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عامليها. تسبيحه قائم إلى الأبد».

وأيضاً: (أم ٧:١):

+ «مخافة الرب رأس المعرفة. أمّا الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب».

وأيضاً: (مت ٢٥:١١):

+ «في ذلك اليوم أجاب يسوع وقال: أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال».

حيث الحكماء هم شيوخ إسرائيل والأطفال هم التلاميذ.

وكلمة "سر" في هامش الترجمة الإنجليزية R.V. margin جاءت "مشورة"، "معزّة" (صداقة) التي تفيد ثقة متبادلة في تبعية وزمالة.

[١٥-٢١]: صلاة من جديد للخلاص والحفظ.

١٥ - «عَيْنَايَ دَائِماً إِلَى الرَّبِّ، لأَنَّهُ هُوَ يُخْرِجُ رِجْلَيَّ مِنَ الشَّبَكَةِ»: ע

فهو على أهبة الصلاة دائماً. انظر: (مز ١٢٣: ١و٢):

+ «إليك رفعت عيني يا ساكناً في السموات. هوذا كما أنّ عيون العبيد نحو أيدي سادتهم كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها. هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا».

وأيضاً: (١تس ١٧:٥و١٨):

+ «صلوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم».

«يُخرج رجلي»:

يفكني من العقد المحيطة بي وارتباكات الحياة سواء كانت من أخطائي أو من عداوة أعدائي، انظر: (مز ١٥:٩):

+ «تورطت الأُمم في الحفرة التي عملوها. في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم».

وأيضاً: (مز ٤:٣١):

+ «أخرجني من الشبكة التي خبّأوها لي. لأنك أنت حصني».

١٦ - «اِلْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي، لأَنِّي وَحْدٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا»: פ

أي انظر: وهي عكس يخبئ وجهه، انظر: (مز ٢٢:٢٤):

+ «لأنه لم يحتقر و لم يرذل مسكنة المسكين و لم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه إليه استمع».

وأيضاً: (مز ٨٦:١٦):

+ «التفت إليَّ وارحمني. أعطِ عبدك قوتك وخلّص ابن أمتك».

وأيضاً: (مز ١١٩:١٣٢):

+ «التفت إليَّ وارحمني كحق محبي اسمك».

لأنه بلا زميل ولا معين ولا صديق.

١٧ – «أُفْرُجْ ضِيقَاتِ قَلْبِي. مِنْ شَدَائِدِي أَخْرِجْنِي»: צ

١٨ – «انْظُرْ إِلَى ذُلِّي وَتَعَبِي، وَاغْفِرْ جَمِيعَ خَطَايَايَ»: ר

انظر إلى أتعابي ومشقات نفسي، انظر: (مز ٩:١٣):

+ «ارحمني يا رب انظر مذلتي من مبغضيَّ يا رافعي من أبواب الموت».

وارفع خطاياي لأنها صارت حملاً ثقيلاً على نفسي. انظر: (مز ٣٢:١):

+ «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته».

١٩ – «انْظُرْ إِلَى أَعْدَائِي لأَنَّهُمْ قَدْ كَثُرُوا، وَبُغْضاً ظُلْماً أَبْغَضُونِي»: ר

انظر: (مز ٢٧:١٢):

+ «لا تسلّمني إلى مرام مضايقي لأنه قد قام عليَّ شهود زور ونافث ظلم».

٢٠ – «احْفَظْ نَفْسِي وَأَنْقِذْنِي. لاَ أُخْزَى لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ»: ש

انظر: (مز ١٦:١):

+ «احفظني يا الله لأني عليك توكّلت».

وأيضاً: (مز ٨٦:٢):

+ «احفظ نفسي لأني تقي. يا إلهي خلّص أنت عبدك المتكل عليك».

٢١ – «يَحْفَظُنِي الْكَمَالُ وَالاسْتِقَامَةُ، لأَنِّي انْتَظَرْتُكَ»: ת

قلبي الواحد في التقوى لله وسلوكي بالكرامة مع الناس لتكن كأنها ملاك حارس بجواري، انظر: (مز ٦١:٧):

+ «يجلس قدّام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقًّا يحفظانه».

وهو يصلّي بحق الاعتماد على الله. انظر: (مز ٤٠:١١):

+ «أمّا أنت يا رب فلا تمنع رأفتك عني. تنصرني رحمتك وحقك دائماً».

والكمال هو فضيلة الإنسان المنضبط، انظر: (مز ١٥:٢):

+ «السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلّم بالصدق في قلبه».

وأيضاً: (مز ١٨:٢٣):

+ «وأكون كاملاً معه وأتحفّظ من إثمي».

وأيضاً: (مز ٧:٨):

+ «اقضِ لي يا رب كحقّي ومثل كمالي الذي فيَّ».

وأيضاً: (أي ٢:٣):

+ «فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. وإلى الآن هو متمسّك بكماله».

وأيضاً: (مز ٣٧:٣٧):

+ «لاحظ الكامل وانظر المستقيم فإن العقب لإنسان السلامة».

٢٢ – «يَا اللهُ، افْدِ إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ ضِيقَاتِهِ»: פ

صلاة الختام من أجل الأُمة وهي مضافة بعد أن كملت الألفا فيتا فهذا العدد هو ليتورجي مضاف للخدمة. واستخدام كلمة "الله" هنا مخالف لنظام الكتاب الأول للمزامير.

المزمور السادس والعشرون

لِدَاوُدَ

١ – «اقْضِ لِي يَا رَبُّ لأَنِّي بِكَمَالِي سَلَكْتُ، وَعَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ بِلاَ تَقَلْقُلٍ.

٢ – جَرِّبْنِي يَا رَبُّ وَامْتَحِنِّي. صَفِّ كُلْيَتَيَّ وَقَلْبِي.

٣ – لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَمَامَ عَيْنِي. وَقَدْ سَلَكْتُ بِحَقِّكَ.

٤ – لَمْ أَجْلِسْ مَعَ أُنَاسِ السُّوءِ، وَمَعَ الْمَاكِرِينَ لاَ أَدْخُلُ.

٥ – أَبْغَضْتُ جَمَاعَةَ الأَثَمَةِ، وَمَعَ الأَشْرَارِ لاَ أَجْلِسُ.

٦ – أَغْسِلُ يَدَيَّ فِي النَّقَاوَةِ، فَأَطُوفُ بِمَذْبَحِكَ يَا رَبُّ،

٧ – لأُسَمِّعَ بِصَوْتِ الْحَمْدِ، وَأُحَدِّثَ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ.

٨ – يَا رَبُّ، أَحْبَبْتُ مَحَلَّ بَيْتِكَ وَمَوْضِعَ مَسْكَنِ مَجْدِكَ.

٩ – لاَ تَجْمَعْ مَعَ الْخُطَاةِ نَفْسِي، وَلاَ مَعَ رِجَالِ الدِّمَاءِ حَيَاتِي.

١٠ – الَّذِينَ فِي أَيْدِيهِمْ رَذِيلَةٌ، وَيَمِينُهُمْ مَلآنَةٌ رِشْوَةً.

١١ – أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي أَسْلُكُ. افْدِنِي وَارْحَمْنِي.

١٢ – رِجْلِي وَاقِفَةٌ عَلَى سَهْلٍ. فِي الْجَمَاعَاتِ أُبَارِكُ الرَّبَّ».

دراسة:

صاحب المزمور يدعو يهوه لكي يقضي له، مستشهداً بكمال حياته، ومقدِّماً نفسه لفحص الذي له كل المعرفة والذي على إحساناته وأمانته يؤسِّس ثقته (١–٣).

وهو يتباعد عن جماعة الأشرار ويجاهد ليهيئ نفسه للوقت الذي يعبد في الهيكل الذي هو مسرَّته (٤–٧).

لذلك هو يصلّي لكي لا يشارك نصيب الأشرار معلناً غرضه أن يعيش الآن ومستقبلاً في كماله، واثقاً بكل تأكيد أن صلاته قد سُمعت وعليه صمّم أن يقدّم الشكر (٨–١٢).

والمزمور له صلة بمزمور (٢٥) من جهات متشابهة كثيرة سواء من جهة الفكر أو التعبير:

- قارن اعترافه بالكمال في ٢٦: ١١،١ مع ٢٥: ٢١ ثمّ قارن الثقة في ٢٦: ١ مع ٢٥: ٢.
- ثمّ قارن الصلاة من أجل الفداء والرحمة في ٢٦: ١١ مع ٢٥: ١٦و٢١و٢٢.
- ثمّ قارن الإحساس بإحسانات الله وأمانته في ٢٦: ٣ مع ٢٥: ٥ و٦و٧و١٥.

ومن جهة أخرى نجد أن اعترافه بالخطية والصلوات للغفران التي كانت طابعاً أساسياً في المزمور (٢٥) غير موجودة هنا. وصاحب المزمور يقارن إخلاصه وبراءته مع رياء وعنف الذين يكره نصيبهم أكثر من أن يقيس عيوبه على مقياس قداسة الله.

لا توجد علامات توضِّح شيئاً من حياة داود سواء اضطهاد شاول أو ثورة أبشالوم، ويقترح العالِم Ewald أن هذا المزمور ومزمور (٢٨) كُتبا في وقت كانت الدولة مرتبكة ربما بوباء الطاعون (مز ٢٨: ١)، الذي منه يظهر أنه يُكنس البار مع الشرير في قضاء عام.

وصاحب المزمور يصلّي إلى يهوه لكي يفرِّق ويميِّز بين البار والشرير ويخلِّصه وينجيه من شركة نصيب الشرير بموت مفاجئ، غير أنه في مواجهة الخطر ثقته في الله لا تهتز.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١–٣]: يتوسّل لكي يعرف الله كماله:

١ – «اقْضِ لِي يَا رَبُّ لأَنِّي بِكَمَالِي سَلَكْتُ، وَعَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ بِلاَ تَقَلْقُلٍ»:

«اقضِ لي»: ويقصد اصنعِ معي عدلاً واظهر أني في الحق، وحقِّق كمالي بالتفريق بيني وبين الشرير. انظر: (مز ٧: ٨):

+ «الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقّي ومثل كمالي الذي فيَّ». وأيضاً: (مز ٣٥: ٢٤):
+ «اقضِ لي حسب عدلك يا رب إلهي فلا يشمتوا بي». وأيضاً: (مز ٤٣: ١):
+ «اقضِ لي يا الله وخاصم مخاصمتي مع أُمة غير راحمة ومن إنسان غش وظلم نجِّني».

«لأني بكمالي سلكت»: صدق الغرض وواحدية القلب للتقوى كانت قاعدة حياته. انظر: (مز ٧: ٨) أعلاه وأيضاً: (مز ١٥: ٢):

+ «السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلّم بالصدق في قلبه». وأيضاً: (مز ١٨: ٢٣):
+ «وأكون كاملاً معه وأتحفَّظ من إثمي». وأيضاً: (مز ٤٣: ١):

+ «اقضِ لي يا الله وخاصم مخاصمتي ...».

«**وعلى الرب توكلت بلا تقلقل**»: هنا وصف دقيق لثقته.

٢ ـ «جَرِّبْنِي يَا رَبُّ وَامْتَحِنِّي. صَفِّ كُلْيَتَيَّ وَقَلْبِي»:

الله سبق وأن عرفه. انظر: (مز ٣:١٧):

+ «جربت قلبي تعهدته ليلاً. محّصتني لا تجد فيَّ ذموماً. لا يتعدّى فمي».

ولذلك هو يُقدِّم نفسه إلى تمحيص جديد. وهذه الصلاة تؤكّد في الحال صفاء ضميره ورغبته الصادقة في أنه إذا كان فيه أي شر باقٍ ينبغي أن يتطهّر منه. انظر: (مز ١٣٩: ٢٣و٢٤):

+ «اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيَّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً».

هنا ثلاث كلمات استُخدمت لتوضيح نقاء فحصه: **جرِّبني، امتحني** كما يُمتحن الذهب أو الفضة لاختبار أمانته، **صف** كما **يُصفّى** الذهب كما اختبر الله إبراهيم (تك ١:٢٢):

+ «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا إبراهيم. فقال هأنذا».

وكما اختبر إسرائيل (تث ٨: ٢و١٦):

+ «وتتذكّر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يذلك ويجرِّبك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا».

+ «الذي أطعمك في البرية المن الذي لم يعرفه آباؤك لكي يذلك ويجرِّبك لكي يُحسن إليك في آخرتك».

هكذا فإن القصد من فحص القلب لكي يعطي الله كل واحد حسب طريقه. انظر: (إر ١٠:١٧):

+ «أنا الرب فاحص القلب مختبر الكُلى لأعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله».

«**كليتيّ وقلبي**»: الكلية تعني قاعدة العواطف، أمّا القلب فيعني قاعدة الفكر والإرادة. انظر: (مز ٩:٧):

+ «لينته شر الأشرار وثبِّت الصدِّيق. فإن فاحص القلوب والكُلى الله البار». وأيضاً: (مز ٤:١١):

+ «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه. عيناه تنظران، أجفانه تمتحن بني آدم».

٣ ـ «لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَمَامَ عَيْنِي. وَقَدْ سَلَكْتُ بِحَقِّكَ»:

هنا يظهر أساس صلاته في العدد (١و٢) فهو يمكنه أن يصلّي من أجل محاكمة لصالحه، ويخضع نفسه للفحص لأنه يعرف إحسانات الله وأمانته في حياته. انظر: (مز ٨:١٦):

+ «جعلت الرب أمامي في كل حين. لأنه عن يميني فلا أتزعزع». وأيضاً: (مز ١٠:٢٥):

+ «كل سبل الرب رحمة وحق لحافظي عهده وشهاداته».

(عدد ٤ ـ٧): دليل كماله في سلوكه في الماضي وقصده من الآتي:

٤ ـ «لَمْ أَجْلِسْ مَعَ أُنَاسِ السُّوءِ، وَمَعَ الْمَاكِرِينَ لاَ أَدْخُلُ»:

ومعنى ذلك أنه بحريته وعلى المدى لم يشترك في شركة أي مسرّات مع أناس السوء. انظر: (مز ١:١):

+ «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس». انظر: (إر ١٧:١٥):

+ «لم أجلس في محفل المازحين مبتهجاً. من أجل يدك جلستُ وحدي لأنك قد ملأتني غضباً»

لم أجلس مع أُناس البطل ذوي القداسة الكاذبة وعدم الحق أو الصدق الذين يقاومون الحق والبر. انظر: (مز ٢:١٢):

+ «يتكلّمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلّمون». وأيضاً: (مز ٤:٢٤):

+ «الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذباً».

«**ومع الماكرين لا أدخل**»: أي أدخل بيوتهم أو أدخل وأخرج معهم أي أرافقهم. وكلمة "الماكرين" جاءت في الأصل العبري: "الذين يخفون أنفسهم" أي الذين يخفون أفكارهم وأغراضهم. انظر: (مز ٣:٢٨):

+ «لا تجذبني مع الأشرار ومع فعلة الإثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم».

٥ ـ «أَبْغَضْتُ جَمَاعَةَ الأَثَمَةِ، وَمَعَ الأَشْرَارِ لاَ أَجْلِسُ»:

انظر: (مز ١٦:٢٢):

+ «لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يديَّ ورجليَّ».

وهكذا يفرِّق بين جماعة تجتمع معاً لأعمال الشر، وجماعة تجتمع للعبادة في هيكل يهوه. انظر الآية ١٢:

+ «في الجماعات أُبارك الرب».

٦ ـ «أَغْسِلُ يَدَيَّ فِي النَّقَاوَةِ، فَأَطُوفُ بِمَذْبَحِكَ يَا رَبُّ»:

معناها أغسل يدي في البراءة كما يصنع الكهنة قبل أن يتقدَّموا إلى المذبح ليخدموا. انظر: (خر ٣٠: ١٧-٢١):

+ «وكلَّم الرب موسى قائلاً وتصنع مرحضة من نُحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال، وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح، وتجعل فيها ماء فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع، يغسلون بماء لئلاً يموتوا أو عند اقترابهم من المذبح للخدمة ليوقدوا وقوداً للرب. ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم».

فالذي يعمله الكهنة بصورة رمزية حتى يكونوا أهلاً للكهنوت يكون هنا على مستوى الحقيقة الروحية، انظر: (مز ٧٣: ١٣):

+ «حقاً قد زكيتُ قلبي باطلاً وغسلتُ بالنقاوة يديّ».

أما المعنى الروحي فيأتي في (تث ٢١: ٦و٧):

+ «ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجْلَة المكسورة العنق في الوادي، ويُصرِّحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لَمْ تبصر». وانظر أيضاً: (مت ٢٧: ٢٤):

+ «فلمَّا رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب. أخذ ماء وغسل يديه قدَّام الجمع قائلاً إني بَرِيءٌ من دم هذا البار. أبصروا أنتم».

«فأطوف بمذبحك يا رب»: آخذ موقفي في الحلقة التي تعبد حول المذبح، وهذه إشارة إلى مسيرة رسمية حول المذبح.

٧ ـ «لأُسْمِعَ بِصَوْتِ الْحَمْدِ، وَأُحَدِّثَ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ»:

وصحتها في الترجمة: **"لكي أجعل صوت الحمد مسموعاً"**. انظر: (مز ٩: ١):

+ «أحمد الرب بكل قلبي. أحدِّث بجميع عجائبك».

[عدد ٨-١٢]: وبسبب محبته لبيت الرب هو لا يدخل مع الخطاة:

٨ ـ «يَا رَبُّ، أَحْبَبْتُ مَحَلَّ بَيْتِكَ وَمَوْضِعَ مَسْكَنِ مَجْدِكَ»:

هنا حب بيت الله يأتي بالمقارنة مع كرهه لمجلس الأشرار.

«موضع مسكن مجدك»: الخيمة هي التي يعبَّر عنها بالمسكن والمجد. وهو الهيكل الذي فيه يسكن يهوه مع شعبه، انظر: (خر٢٥: ٨و٩):

+ «فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم. بحسب جميع ما أنا أُريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون».

وتعبير مجد يهوه هو ظهور حضرته الذي كان تابوت العهد رمزه الخارجي المنظور، انظر: (خر ١٦: ٧):

+ «في الصباح ترون مجد الرب لاستماعه تذمركم على الرب. وأمَّا نحن فماذا حتى تتذمَّروا علينا». وأيضاً: (خر ٣٣: ١٨و٢٢):

+ «فقال أرني مجدك ... ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز». وأيضاً: (١صم ٤: ٢١):

+ «فدعت الصبي إيخابود (لا مجد ولا كرامة) قائلة قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أُخذ». وأيضاً: (مز ٧٨: ٦١):

+ «وسلَّم للسبي عزَّه وجلاله ليد العدو».

٩ ـ «لاَ تَجْمَعْ مَعَ الْخُطَاةِ نَفْسِي، وَلاَ مَعَ رِجَالِ الدِّمَاءِ حَيَاتِي»:

ليتني لا أشارك نصيب أُولئك الذين أكره أعمالهم، الأشرار. علماً بأن الأشرار يوصفون برجال الدماء الذين لا يجزعون من العنف والقتل وأيديهم ملآنة ظلماً. انظر: (مز ٧: ٣):

+ «إن كنت قد فعلت هذا إن وُجد ظلم في يدي».

لأنهم يخططون وينفذون جرائمهم ويمينهم مملوءة رشوة.

١٠ ـ «الَّذِينَ فِي أَيْدِيهِمْ رَذِيلَةٌ، وَيَمِينُهُمْ مَلآنَةٌ رِشْوَةً»:

الذين يأخذون الرشوة ليقلبوا القضاء. انظر: (مز ١٥: ٥):

+ «فضته لا يعطيها بالربا ولا يأخذ الرشوة على البريء الذي يصنع هذا لا يتزعزع إلى الدهر».

هذا يُذكر هنا عن رجال النبل والاستقامة، انظر: (مز ٢:١٧):

+ «مِن قدَّامك يخرج قضائي. عيناك تنظران المستقيمات». وأيضاً: (مي ٢:٧):

+ «قد باد التقي من الأرض وليس مستقيم بين الناس. جميعهم يكمنون للدماء يصطادون بعضهم بعضاً بشبكة».

١١ - «أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي أَسْلُكُ. افْدِنِي وَارْحَمْنِي»:

هنا صاحب المزمور يقارن نفسه مع صانعي الشر، وغرضه من ذلك أنه إذا كان له في الحياة بقية أن يكون له فداء، انظر: (مز ٢٢:٢٥):

+ «يا الله افد إسرائيل من كل ضيقاته».

وانقذني من نصيب الأشرار وكن منعماً عليَّ، انظر: (مز ١:٤):

+ «عند دعائي استجب لي يا إله برِّي. في الضيق رحَّبت لي، تراف عليَّ واسمع صلاتي».

١٢ - «رِجْلِي وَاقِفَةٌ عَلَى سَهْلٍ. فِي الْجَمَاعَاتِ أُبَارِكُ الرَّبَّ»:

هكذا بالإيمان يجد الاستجابة على صلاته، وكأنها قد أُعطيت وتأكدت له السلامة والأمان والحفظ، وها هو قد عبر الطريق الوعر وسط أحزان الإساءات ووقف في السهل المفتوح حيث لا خوف أو تعثُّر أو سقوط أو إساءة مفاجئة. فإذا امتدت الحياة هكذا تكون سر شكره وفرصة لتبريك الله، انظر: (مز ٢٥:٢٢):

+ «من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة، أوفي نذوري قدَّام خائفيه».

المزمور السابع والعشرون

لِدَاوُدَ

١ - «الرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟

٢ - عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ الأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا.

٣ - إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ.

٤ - وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ.

٥ - لأَنَّهُ يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ خَيْمَتِهِ. عَلَى صَخْرَةٍ يَرْفَعُنِي.

٦ - وَالآنَ يَرْتَفِعُ رَأْسِي عَلَى أَعْدَائِي حَوْلِي، فَأَذْبَحُ فِي خَيْمَتِهِ ذَبَائِحَ الْهُتَافِ. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ لِلرَّبِّ.

٧ - اسْتَمِعْ يَا رَبُّ. بِصَوْتِي أَدْعُو فَارْحَمْنِي وَاسْتَجِبْ لِي.

٨ - لَكَ قَالَ قَلْبِي: «قُلْتَ: اطْلُبُوا وَجْهِي». وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ.

٩ - لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي. لاَ تُخَيِّبْ بِسُخْطٍ عَبْدَكَ. قَدْ كُنْتَ عَوْنِي فَلاَ تَرْفُضْنِي وَلاَ تَتْرُكْنِي يَا إِلهَ خَلاَصِي.

١٠ - إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي.

١١ - عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ، وَاهْدِنِي فِي سَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ بِسَبَبِ أَعْدَائِي.

١٢ - لاَ تُسَلِّمْنِي إِلَى مَرَامِ مُضَايِقِيَّ، لأَنَّهُ قَدْ قَامَ عَلَيَّ شُهُودُ زُورٍ وَنَافِثُ ظُلْمٍ.

١٣ - لَوْلاَ أَنَّنِي آمَنْتُ بِأَنْ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ.

١٤ - انْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ، وَانْتَظِرِ الرَّبَّ».

دراسة:

ثقة غيورة هي طابع المزمور في الستة أعداد الأُولى، فَتحت حراسة يهوه لا يشعر صاحب المزمور بأي خوف وسط المخاطر (١-٣) وغاية شهوة نفسه أن يستمتع بشركة يهوه وحفظه كضيف ونزيل في بيته، ويتوقَّع النصرة على أعدائه، ويعد بالشكر (٤-٦).

وتأرجُح الرِّتم يعود إلى نشاط وطاقة الفكر. وفجأة يتغيَّر كل شيء وجمال الرتم المتهلل يتوقَّف ويأتي التوسل المُلحّ ليحل محل الفرح بالإيمان. ويتوسَّل صاحب المزمور بشدة أن يهوه لا يتركه كخادم له، ويلتجئ إلى وعود يهوه ومراحمه السابقة (٧–١٢).

غير أن في هذه الضيقة لا يزال يهوه هو سنده الوحيد. ويختم بتشجيع نفسه للإيمان والصبر (١٣و١٤)، [ولكن حسب ظني (عدد ١٤) هو رد يهوه بالنبوة].

والمزمور يقع في قسمين متساويين مع خاتمة. فإذا كان القسمان لنفس صاحب المزمور فإنه يبدو أنهما بالضرورة قد كُتبا في وقتين مختلفين وتحت تأثير اختلاف الظروف. فحينما أضاف صلاة (٧–١٤) إلى سابق تسبحته أكَّد من جديد إيمان أيامه السعيدة، ولو أنه قد توقَّف إحساسه بالفرح والراحة في حزنه الحاضر.

ولكن اختلاف النبرة والمحتوى والرتم يجعلها من المحتمل أن تكون نتاج مزمورين قد اتحدا هنا، أو أن هناك مَن أضاف الأعداد (٧–١٤) إلى (١–٦) وكأنه يقول: ولو أنني أرغب أن أقتني هذه الشجاعة الإيمانية إلاَّ أن الكل قائم حولي، وعليَّ أن أُقدِّم صلاة بنغمة ملعثمة وأجاهد للانتظار بالصبر.

والمزمور في بدايته له ترجيح قوي أن يُعتبر لداود النبي، وربما يكون أيام أبشالوم وثورته قبل نهاية المعركة، لأن نغمة الأعداد (٢و٣) نغمة محارب، والعدد (٣) يعطي نفس الروح كما جاءت في مزمور (٦:٣):

+ «لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفين عليَّ مِن حولي».

قارن عدد (٤) مع ما جاء في (٢صم ٢٥:١٥):

+ «فقال الملك لصادوق أرجع تابوت الله إلى المدينة فإن وجدتُ نعمة في عيني الرب فإنه يرجعني ويريني إيَّاه ومسكنه».

حيث مسكن الله آنئذ هو الخيمة (٦) ولو أنه يصطلح عليها أنها هيكل أو بيت (٤) كمسكن ملك. قارن (٢صم ١٧:٦):

+ «فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه في مكانه في وسط الخيمة التي نصبها داود له. وأصعد داود محرقات أمام الرب وذبائح سلامة».

وعنوان المزمور في النسخة السبعينية يُضيف "قبل أن يُمسح" هذه تشير لأيام اضطهاد شاول أو

إلى أيام حروبه في السبعة سنين الأُولى من حكمه. انظر: (مز ٣)، (مز ٢٣)، (مز ٩١).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١–٣]: كان لا يعرف الخوف طالما كان إحساسه أنه مع يهوه، وكان هذا قوام حياته كنبي وملك وصاحب مزامير، ويمكن مقارنة ذلك بسفر رومية (٣١:٨): «فماذا نقول لهذا. إن كان الله معنا فمَنْ علينا».

١ – «**الرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟**»:

«**الرب نوري**»: منير الظلام وقت الضيق والحيرة والخطر، معطياً حياة ومسرَّة، انظر: (مز ٦:٤):

+ «كثيرون يقولون من يرينا خيراً، ارفع علينا نور وجهك يا رب». وأيضاً: (مز ٢٨:١٨):
+ «لأنك أنت تضيء سراجي. الرب إلهي ينير ظلمتي». وأيضاً: (مز ٩:٣٦):
+ «لأن عندك ينبوع الحياة. وبنورك نرى نوراً». وأيضاً: (مز ٣:٤٣):
+ «أرسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك». وأيضاً: (مز ١١:٨٤):
+ «لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجداً. لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال». وأيضاً: (إش ١٧:١٠):
+ «ويصير نور إسرائيل ناراً وقدوسه لهيباً فيحرق ويأكل حسكه وشوكه في يوم واحد». وأيضاً: (مي ٨:٧):
+ «لا تشمتي بي يا عدوَّتي. إذا سقطتُ أقوم. إذا جلستُ في الظلمة فالرب نورٌ لي».

ويأتي العهد الجديد ويشرح ذلك بالروح في (يو ١: ٤و٩):

+ «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضيء في الظلمة ... كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم». وأيضاً: (يو ١٢:٨):
+ «ثم كلَّمهم يسوع أيضاً قائلاً: أنا هو نور العالم. مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة». وأيضاً: (١يو ٥:١):
+ «وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة».

«خلاصي»: انظر: (خر ١٥: ٢):

+ «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي، هذا إلهي فأمجّده إله أبي فأرفّعه».

«حصن حياتي»: وجاءت في الترجمة قوة حياتي أو ثبات حياتي، بمعنى دفاع ضدّ أي هجوم من أي نوع، انظر: (مز ١٨: ٢):

+ «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي». وأيضاً: (مز ٣١: ٢):
+ «أمل إليّ أذنك. سريعاً أنقذني. كن لي صخرة حصن بيت ملجإ لتخليصي».

٢ - **«عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ الأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا»**:

هذه تجربته وخبرته السابقة وهو يصف القائمين عليه مثل وحوش بريّة متلهفة لتأكله، انظر: (مز ٣: ٧):

+ «قم يا رب خلّصني يا إلهي، لأنك ضربت كل أعدائي على الفك، هشّمت أسنان الأشرار».

«عثروا وسقطوا»: اصطلاح يلازم داود عندما يصف هزيمة أعدائه، انظر: (إش ٨: ١٥):

+ «فيعثر بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ويَعلقون فيُلقطون». وأيضاً: (إر ٤٦: ٦):
+ «الخفيف لا ينُوص والبطل لا ينجو، في الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا».

٣ - **«إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌ»**:

اللغة تصويرية ولكنها طبيعية، إن كان الكاتب داود فهو الذي تعرَّض لأهوال الحروب وذاق النصرة الكاسحة، انظر: (مز ٣: ٦):

+ «لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفين عليّ من حولي».

«ففي ذلك أنا مطمئن»: بحسب إحساسه في العدد الأول: «الرب نوري وخلاصي ممن أخاف». والأفضل أن تكون: "وبالرغم من ذلك".

[عدد ٤-٦]: أن يترل ضيفاً على يهوه ويعيش في أمان تحت حفظه هذا كل شهوة صاحب المزمور، وهو الآن يتوقّع بثقة الخلاص من أعدائه (٤) وصعب أن نتصوّر سكناه الدائمة في الهيكل المقدّس بل بحسب المزمور (٢٣: ٤):

+ «أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرًّا لأنك أنت معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني». وأيضاً: (مز ١٥: ١):

+ «يا رب مَنْ يترل في مسكنك؟ مَنْ يسكن في جبل قدسك؟».

بهذا يظهر يهوه أنه مضياف ملكي حيث يكون ضيوفه في أمان تحت حمايته ويستمتعون بالحديث معه. غير أن اللغة تشير إلى الاقتراب إلى الله في بيته الأرضي.

٤ - **«وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ»**:

فوق كل توسلاتي كلها، شهوة اشتهت نفسي أن أنعم بنظرة جمال الرب، يقصد بها مسرَّاته وليس الجمال الظاهري للهيكل وعبادته، ولكن حنان نعمة يهوه لمحبيه، حيث الجمال والنعمة كلمة واحدة في اللغة العبرية، انظر: (مز ١٦: ١١):

+ «تعرّفني سبل الحياة، أمامك شبع سرور، في يمينك نعم إلى الأبد». وأيضاً: (مز ٩٠: ١٧):
+ «ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا وعمل أيدينا ثبّت علينا، وعمل أيدينا ثبّته». وأيضاً: (أم ٣: ١٧):
+ «طرقها طرق نِعَمٍ وكل مسالكها سلام».

«وأتفرّس في هيكله»: القصد أن أفحص صفات يهوه ومعاملاته مع الإنسان، لأن هذه المعرفة التي أحصل عليها تبدِّد كل شكوكي بل تحل كل مشاكلي بتأملي في هيكل الرب، انظر: (مز ٧٣: ١٧):

+ «حتى دخلتُ مقادس الله وانتبهت إلى آخرهم».

لأن الهيكل ووصاياه كانت للرجل التقي العابد رموزاً للحقائق السمائية. انظر أصحاح (٦) في إشعياء بأكمله. ولكن الآية الأُولى منه تكفي:

+ «في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال مرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه ...».

٥ - **«لأَنَّهُ يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ خَيْمَتِهِ. عَلَى صَخْرَةٍ يَرْفَعُنِي»**:

هكذا يأمن كل خطر كمن اتقى الحر والعاصف ووجد مأمناً من التعدي في صخرة لا مدخل لها كحصن، انظر: (مز ٣١: ٢٠):

+ «تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن». وأيضاً: (إش ٤: ٦):
+ «وتكون مظلة للفيء نهاراً من الحر وملجإ ومخبإ من السيل ومن المطر».

٦ ـ «وَالآنَ يَرْتَفِعُ رَأْسِي عَلَى أَعْدَائِي حَوْلِي، فَأَذْبَحُ فِي خَيْمَتِهِ ذَبَائِحَ الْهُتَافِ. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ لِلرَّبِّ»:

وفي المستقبل العاجل يتوقَّع ليس فقط الحماية ولكن النصرة والغلبة، انظر: (مز ٣:٣):

+ «أمَّا أنت يا رب فترس لي. مجدي ورافع رأسي». وأيضاً: (مز ١١٠: ٥و٧):

+ «الرب عن يمينك يحطِّم في يوم رجزه ملوكاً ... لذلك يرفع الرأس».

«في خيمته»: هي الخيمة التي أقامها داود من أجل تابوت الله على جبل صهيون، انظر: (٢صم ١٧:٦):

+ «فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه في مكانه في وسط الخيمة التي نصبها له داود، وأصعد داود محرقات أمام الرب وذبائح سلامة».

«ذبائح الهتاف»: هي ذبائح السلامة للشكر التي يلازمها الهتاف التي يُحتفل بها في الأعياد، انظر: (٢صم ١٥:٦):

+ «فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق». وأيضاً: (مز ٣:٣٣):

+ «غنوا له أغنية جديدة، أحسنوا العزف بهتاف». وأيضاً: (مز ٤٧: ٥):

+ «صعد الله بهتاف الرب بصوت الصور».

كالتي تتبع الذبائح، انظر: (عد ١٠:١٠):

+ «وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم. أنا الرب إلهكم».

[عدد ٧-١٤]: نغمة المزمور هنا تختلف مرَّة واحدة لكي تُظهر القلق والتوسُّل، وكأن الرب قد بدأ يخفي وجهه عنه.

٧ ـ «اسْتَمِعْ يَا رَبُّ. بِصَوْتِي أَدْعُو فَارْحَمْنِي وَاسْتَجِبْ لِي»:

والتعبير: أحسن إلى عبدك.

٨ ـ «لَكَ قَالَ قَلْبِي: "قُلْتَ: اطْلُبُوا وَجْهِي". وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ»:

هكذا هي الصلاة من عمق القلب، يذكر دعوة يهوه القائل لشعبه: «اطلبوا وجهي». والتركيب هنا جريء ولكن له موازٍ في سفر أيوب: (أي ٤٢: ٣-٦):

+ «فمن ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة. ولكني قد نطقت بما لا أفهم. بعجائب فوقي لم أعرفها. اسمع الآن وأنا أتكلَّم. أسألك فتعلِّمني. بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد».

«قلت: اطلبوا وجهي»: ربما إشارة إلى (تث ٢٩:٤):

+ «ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك».

٩ ـ «لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي. لاَ تُخَيِّبْ بِسُخْطٍ عَبْدَكَ. قَدْ كُنْتَ عَوْنِي فَلاَ تَرْفُضْنِي وَلاَ تَتْرُكْنِي يَا إِلهَ خَلاَصِي»:

صلاة قائمة على سابق مواعيد يهوه التي سمعها وأطاعها. انظر: (مز ٢٢: ٢٤):

+ «لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع».

«ولا تُخيِّب بسخط عبدك»: أي لا تتحوَّل عني كقاضٍ غير عادل الذي يتحوَّل عن المحتاج ولا يعطيه، انظر: (أي ٢٤: ٤):

+ «يصدُّون الفقراء عن الطريق. مساكين الأرض يختبئون جميعاً». وأيضاً: (إش ١٠: ٢):

+ «ليصدُّوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حق بائسي شعبي، لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام». وأيضاً: (لو ١:١٨):

+ «وقال لهم أيضاً مثلاً في أنه ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُمل. قائلاً: كان في مدينة قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً».

«قد كنت عوني»: عودة إلى الماضي بخبراته وحقًّا إن الله لا يتغيَّر.

«فلا ترفضني ولا تتركني»: انظر: (١مل ٨: ٥٧):

+ «ليكن الرب إلهنا معنا كما كان مع آبائنا فلا يتركنا ولا يرفضنا». وأيضاً: (مز ٩٤: ١٤):

+ «لأن الرب لا يرفض شعبه ولا يترك ميراثه».

١٠ ـ «إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي»:

ولو أنه بلا صديق وقد تُرك كطفل منبوذ إلاَّ أن يهوه يتبناه ويعتني به. فإن محبة الله أكثر من الأم والأب والأقرباء جميعاً، انظر: (إش ٤٩: ١٥و١٦):

+ «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساكِ، هوذا على

كفي نقشتك. أسوارك أمامي دائماً». وأيضاً: (مز ١٠٣: ١٣):

+ «كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه».

١١ - «عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ، وَاهْدِنِي فِي سَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ بِسَبَبِ أَعْدَائِي»:

في طريق الحياة المرسومة له من الله سيكون آمناً، فهو يصلّي لكي تكون كطريق على مستوى مفتوح خالية من الحفر والمطبات والأماكن التي يختفي فيها الأعداء. أمَّا قوله: «بسبب أعدائي»، الذين ينتظرون مضرَّته، انظر: (مر ١٢: ١٣):

+ «ثم أرسلوا إليه قوماً من الفريسيِّين والهيرودسيين لكي يصطادوه بكلمة».

١٢ - «لاَ تُسَلِّمْنِي إِلَى مَرَامِ مُضَايِقِيَّ، لأَنَّهُ قَدْ قَامَ عَلَيَّ شُهُودُ زُورٍ وَنَافِثُ ظُلْمٍ»:

والأفضل في المعنى: الوشاة والمفترون أكثر من شهود زور، انظر: (مز ٣٥: ١١):

+ «شهود زور يقومون وعمَّا لم أعلم يسألونني». وأيضاً: (أم ٦: ١٩):

+ «شاهد زور يفوه بالأكاذيب وزارع خصومات بين إخوة».

«ونافث ظلم»: الذي ينوي على الإساءة بالكلام، انظر: (أع ٩: ١):

+ «أمَّا شاول فكان لم يزل ينفث تهدُّداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدَّم إلى رئيس الكهنة».

١٣ - «لَوْلاَ أَنَّنِي آمَنْتُ بِأَنْ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ»:

تبعاً للنص الماسوري يلزم حذف: "لولا". والمعنى يصير: "أومن أني سأرى جود الرب ...".

«في أرض الأحياء»: مثل التي جاءت في (مز ٥٢: ٥):

+ «أيضاً يهدمك الله إلى الأبد. يخطفك ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء». وأيضاً: (مز ١١٦: ٨و٩):

+ «لأنك أنقذت نفسي من الموت وعيني من الدمعة ورجلي من الزَّلق. أسلك قدَّام الرب في أرض الأحياء». وأيضاً: (إش ٣٨: ١١):

+ «قلتُ لا أرى الرب. الرب في أرض الأحياء. لا أنظر إنساناً بعد مع سُكان الفانية». وأيضاً: (إش ٥٣: ٨):

+ «من الضغطة ومن الدينونة أُخذ. وفي جيله مَنْ كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء».

هذه الحياة هي التي على الأرض بالنسبة لشاؤول الهاوية أرض الموت. ولكن هذا ليس في اعتقاد المسيحيين.

١٤ - «انْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ، وَانْتَظِرِ الرَّبَّ»:

انظر: (مز ٣١: ٢٤):

+ «لتتشدَّد ولتتشجَّع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب». وأيضاً: (تث ٣١: ٧):

+ «فدعا موسى يشوع وقال له أمام أعين جميع إسرائيل تشدَّد وتشجَّع لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم الرب لآبائهم أن يعطيهم إياها وأنت تقسمها لهم». وأيضاً: (يش ١: ٦و٧و٩و١٨):

+ «تشدَّد وتشجَّع. لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفتُ لآبائهم أن أعطيهم إنما كن متشدِّداً وتشجَّع جدًّا لكي تتحفَّظ للعمل حسب كل الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي. لا تمل عنها يميناً ولا شمالاً لكي تفلح حيثما تذهب ... أما أمرتك. تشدَّد وتشجَّع. لا ترهب ولا ترتعب لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب ... كل إنسان يعصي قولك ولا يسمع كلامك في كل ما تأمره به يُقتل. إنما كُن متشدِّداً وتشجَّع».

«انتظر الرب»: أنظر: (مز ٢٥: ٣):

+ «أيضاً كل منتظريك لا يخزوا. ليخز الغادرون بلا سبب». وأيضاً: (٣٧: ٩و٣٤):

+ «لأن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض ... انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر». وأيضاً: (أم ٢٠: ٢٢):

+ «لا تقل إني أُجازي شراً. انتظر الرب فيخلّصك».

المزمور الثامن والعشرون

لِدَاوُدَ

١ ـ «إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ. يَا صَخْرَتِي، لاَ تَتَصَامَمْ مِنْ جِهَتِي، لِئَلاَّ تَسْكُتَ عَنِّي فَأُشْبِهَ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ.

٢ ـ اسْتَمِعْ صَوْتَ تَضَرُّعِي إِذْ أَسْتَغِيثُ بِكَ وَأَرْفَعُ يَدَيَّ إِلَى مِحْرَابِ قُدْسِكَ.

٣ ـ لاَ تَجْذِبْنِي مَعَ الأَشْرَارِ، وَمَعَ فَعَلَةِ الإِثْمِ الْمُخَاطِبِينَ أَصْحَابَهُمْ بِالسَّلاَمِ وَالشَّرُّ فِي قُلُوبِهِمْ.

٤ ـ أَعْطِهِمْ حَسَبَ فِعْلِهِمْ وَحَسَبَ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ. حَسَبَ صُنْعِ أَيْدِيهِمْ أَعْطِهِمْ. رُدَّ عَلَيْهِمْ مُعَامَلَتَهُمْ.

٥ ـ لأَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَبِهُوا إِلَى أَفْعَالِ الرَّبِّ، وَلاَ إِلَى أَعْمَالِ يَدَيْهِ، يَهْدِمُهُمْ وَلاَ يَبْنِيهِمْ.

٦ ـ مُبَارَكٌ الرَّبُّ، لأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ تَضَرُّعِي.

٧ ـ الرَّبُّ عِزِّي وَتُرْسِي. عَلَيْهِ اتَّكَلَ قَلْبِي، فَانْتَصَرْتُ. وَيَبْتَهِجُ قَلْبِي وَبِأُغْنِيَتِي أَحْمَدُهُ.

٨ ـ الرَّبُّ عِزٌّ لَهُمْ، وَحِصْنُ خَلاَصِ مَسِيحِهِ هُوَ.

٩ ـ خَلِّصْ شَعْبَكَ، وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَارْعَهُمْ وَاحْمِلْهُمْ إِلَى الأَبَدِ».

دراسة:

صرخة مستعجلة لكي يسمعه الرب (١و٢) متبوعة بصلاة حتى يخلّصه الرب من مشاركة نصيب عاملي الشر والمتكبّرين، وليجازيهم الرب إزاء عدم إيمانهم (٣ـ٥). وفجأة يلتفت صاحب المزمور إلى شكر مفرح وأن صلاته قد استجيبت أو أن إيمانه قد أملى عليه أنها استجيبت فعلاً (٦و٧). ويختم الصلاة والمزمور بتشفُّع من نحو الشعب (٨و٩).

وهذا المزمور يعتبر زميلاً تابعاً لمزمور (٢٦). فالظروف متشابهة ولكن هنا الخطر أكثر ضغطاً وصاحب المزمور مهدَّد بالموت ويخاف لئلاً يشارك الأشرار في نصيبهم. فهل كان هناك وبأ يكنس الصالح والطالح بلا تمييز؟ وهكذا هو يتوسَّل عن نصيبه، حيث أن الأشرار وفاعلي الإثم هما السبب في هلاكهم. فيهوه سيُظهر عدله في الإبقاء على الأبرار ويعاقب الأشرار.

ويُعتقد أن هذا المزمور قد كتبه داود أثناء هروبه من أبشالوم، لأن العدد (٣) يشير إلى أخلاق

الخونة المتآمرين، والعدد (٥) يشير إلى رفضهم العنيد لإدراك يد يهوه في داود واختياره ورفعه إلى العرش. في حين أن صلاة الختام صلاة ملك يطلب عن شعبه.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١و٢]: توسُّل للسماع مع توضيح الحاجة المستعجلة.

١ ـ «إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ. يَا صَخْرَتِي، لاَ تَتَصَامَمْ مِنْ جِهَتِي، لِئَلاَّ تَسْكُتَ عَنِّي فَأُشْبِهَ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ»:

«**لا تتصامم من جهتي**»: كما جاءت في مزمور (٣٥:٢٢):

+ «قد رأيتَ يا رب، لا تسكت يا سيد، لا تبتعد عني». وأيضاً: (مز ٣٩:١٢):

+ «استمع صلاتي يا رب واصغ إلى صراخي، لا تسكت عن دموعي».

وقصده من كلمة "لا تتصامم" أن لا يدير وجهه عنه فلا يعد يسمع صوته.

«**فأشابه الهابطين في الجب**»: المائتين أو الأموات. لأن الحفرة (الجب) هي إمَّا القبر أو الهاوية. انظر: (مز ٢٢:٢٩):

+ «قدامه يجثو كل مَنْ ينحدر إلى التراب ومَنْ لم يحيي نفسه». وأيضاً: (مز ٨٨:٤):

+ «حُسبت مثل المنحدرين إلى الجب. صرت كرجل لا قوة له». وأيضاً: (أم ١:١٢):

+ «لنبتلعهم أحياءً كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب». وأيضاً: (مز ١٤٣:٧):

+ «أسرع أجبني يا رب. فَنِيَتْ روحي لا تحجب وجهك عني فأشبه الهابطين في الجب».

٢ ـ «اسْتَمِعْ صَوْتَ تَضَرُّعِي إِذْ أَسْتَغِيثُ بِكَ وَأَرْفَعُ يَدَيَّ إِلَى مِحْرَابِ قُدْسِكَ»:

«**أرفع يديَّ**»: وضع الصلاة كما نجدها في (مز ٦٣:٤):

+ «هكذا أباركك في حياتي. باسمك أرفع يديَّ».

كما نجدها في الرسالة الأُولى لتيموثاوس (١تي ٢:٨):

+ «فأريد أن يُصلِّي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال».

وهو رمز لرفع القلب. انظر: (مز ٢٥:١):

+ «إليك يا رب أرفع نفسي».

«إلى محراب قدسك»: أي إلى داخل هيكلك، أعظم مكان مقدَّس حيث تابوت عهد الرب رمز حضرة الله بين الشعب. انظر: (١مل ٦:١٦):

+ «وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان. وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس». وأيضاً: (١مل ٨:٦):
+ «وأدخل الكهنة تابوت العهد إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكروبين».

ولكن من أهم ما يمكن أن نعرفه أن المُصَلّي يتجه وهو يصلّي نحو يهوه الساكن في السماء، انظر: (١مل ٨: ٢٢و٢٣و٣٠):

+ «ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه إلى السماء وقال أيها الرب ... واسمع تضرُّع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلُّون في هذا الموضع، واسمع أنت في موضع سكناك في السماء».

[عدد ٣-٥]: يصلّي لكي يميِّز من الأشرار وأنهم ينبغي أن يحاكموا كما يستحقون.

٣ - «لاَ تَجْذِبْنِي مَعَ الأَشْرَارِ، وَمَعَ فَعَلَةِ الإِثْمِ الْمُخَاطِبِينَ أَصْحَابَهُمْ بِالسَّلاَمِ وَالشَّرُّ فِي قُلُوبِهِمْ»:

«لا تجذبني مع الأشرار»: انظر: (مز ٢٦:٩):

+ «لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي».

ويقصد المجرمين الذين يُجرّون للمحاكمة، فهو يصلّي حتى لا يأخذ نصيبهم في المحاكمة.

«المخاطبين أصحابهم بالسلام»: هؤلاء ذوو قلبين ومراؤون، انظر: (مز ١٢:٢):

+ «يتكلَّمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة بقلب فقلب يتكلَّمون». وأيضاً: (إر ٩:٨):
+ «لسانهم سهم قتّال يتكلَّم بالغش، بفمه يكلِّم صاحبه بسلام وفي قلبه يضع له كميناً».

٤ - «أَعْطِهِمْ حَسَبَ فِعْلِهِمْ وَحَسَبَ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ. حَسَبَ صُنْعِ أَيْدِيهِمْ أَعْطِهِمْ. رُدَّ عَلَيْهِمْ مُعَامَلَتَهُمْ»:

يقصد أن يهوه يمارس حكمه فيهم لكي يُظهر بره ويكشف مواقف الأشرار لكي يتعظ الآخرون ويتقي الأبرار شرهم. انظر: (هو ٩:١٤):

+ «أعطهم يا رب. ماذا تعطي. أعطهم رحماً مسقطاً وثديين يبسين». وأيضاً: (إر ٣٢:١٩):

+ «عظيم في المشورة وقادر في العمل، الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله».

٥ - «لأَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَبِهُوا إِلَى أَفْعَالِ الرَّبِّ، وَلاَ إِلَى أَعْمَالِ يَدَيْهِ، يَهْدِمُهُمْ وَلاَ يَبْنِيهِمْ»:

إن الذين لا يؤمنون بالله سواء كان بالإلحاد العلني أو بمجرَّد أعمالهم الشريرة، ينكرون أنه يقضي للمسكونة ويحاسب بني الإنسان. فلو انتبهوا لأعمال الله في الخلق والعناية والمجازاة لارتدعوا. ولكن عدم الإيمان هو أساس كل خطاياهم، لأن أعمال الله وصنع يديه تقف لتشهد بشدة ضد أفعالهم وأعمال أيديهم، انظر: (إش ١:١٦):

+ «اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينيَّ كفّوا عن فعل الشر». وأيضاً: (إش ٣: ٨-١١):
+ «لأن أُورشليم عثرت ويهوذا سقطت، لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مجده، نظر وجوههم يشهد عليهم وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم. لا يخفونها، ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرًّا، قولوا للصديق خير. لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، ويل للشرير شر. لأن مجازاة يديه تُعمل به».

«يهدمهم ولا يبنيهم»: قارن: (إر ٢٤:٦):

+ «وأجعل عينيَّ عليهم للخير وأرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدمهم وأغرسهم ولا أقلعهم».

[عدد ٦-٧]: تقديم شكر يتبعه صلاة، ونعتقد أنه بالإيمان وثق في النصرة أنها قد أتت ولهذا يعطي الشكر.

٦ - «مُبَارَكٌ الرَّبُّ، لأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ تَضَرُّعِي.

٧ - الرَّبُّ عِزِّي وَتُرْسِي. عَلَيْهِ اتَّكَلَ قَلْبِي، فَانْتَصَرْتُ. وَيَبْتَهِجُ قَلْبِي وَبِأُغْنِيَتِي أَحْمَدُهُ»:

«الرب ترسي»: انظر: (خر ١٥:٢):

+ «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأُمجّده إله أبي فأُرفِّعه».

«يبتهج قلبي»: انظر: (مز ٥:١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبو اسمك». وأيضاً: (١صم ٢:١):

+ «فصلَّت حنة وقالت: فرح قلبي بالرب، ارتفع قرني بالرب، اتسع فمي على أعدائي، لأني قد ابتهجت بخلاصك».

[عدد ٨-٩]: تكملة التشفُّع من أجل الشعب.

٨ - «**الرَّبُّ عِزٌّ لَهُمْ، وَحِصْنُ خَلاَصِ مَسِيحِهِ هُوَ**»:

انظر: (مز ٢٩: ١١):

+ «الرب يعطي عزًّا لشعبه، الرب يبارك شعبه بالسلام».

«**حصن خلاص مسيحه**»: انظر: (مز ٢٧: ١):

+ «الرب نوري وخلاصي ممن أخاف، الرب حصن حياتي ممن أرتعب». وأيضاً: (مز ٢٠: ٦):

+ «الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه».

٩ - «**خَلِّصْ شَعْبَكَ، وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَارْعَهُمْ وَاحْمِلْهُمْ إِلَى الأَبَدِ**»:

«**ميراثك**»: إسرائيل، انظر: (تث ٤: ٢٠):

+ «وأنتم قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكي تكونوا له شعب ميراث كما في هذا اليوم».

«**ارعهم**»: انظر: (مز ٢٣: ١):

+ «الرب راعي فلا يعوزني شيء». وأيضاً: (٢صم ٧: ٧):

+ «في كل ما سرت مع جميع بني إسرائيل. هل تكلَّمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبي إسرائيل ...».

«**احملهم**»: أي ارفعهم كما جاءت في (٢صم ٥: ١٢):

+ «وعلم داود أن الرب قد أثبته ملكاً على إسرائيل وأنه قد رفَّع ملكه من أجل شعبه إسرائيل».

وقد تجيء: "ارفعهم" كما يرفع الراعي الغنمة على كتفه أو كالأب الذي يحمل ابنه، التصوُّر الذي يستخدمه يهوه من جهة عنايته بإسرائيل، انظر: (تث ١: ٣١):

+ «وفي البرية حيث رأيتَ كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق». وأيضاً: (إش ٤٦: ٣و٤):

+ «اسمعوا لي يا بيت يعقوب وكل بقية بيت إسرائيل، المُحمَّلين عليَّ من البطن المحمولين من الرحم وإلى الشيخوخة أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل. قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأُنجِّي». وأيضاً: (إش ٦٣: ٩):

+ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم، بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة». وأيضاً: (خر ١٩: ٤):

+ «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ».

المزمور التاسع والعشرون

مزمور لداود

١ـ «قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَعِزًّا.

٢ـ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ.

٣ـ صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلهُ الْمَجْدِ أَرْعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ.

٤ـ صَوْتُ الرَّبِّ بِالْقُوَّةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْجَلاَلِ.

٥ـ صَوْتُ الرَّبِّ مُكَسِّرُ الأَرْزِ، وَيُكَسِّرُ الرَّبُّ أَرْزَ لُبْنَانَ

٦ـ وَ يُمْرِحُهَا مِثْلَ عِجْلٍ. لُبْنَانَ وَسِرْيُونَ مِثْلَ فَرِيرِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ.

٧ـ صَوْتُ الرَّبِّ يَقْدَحُ لُهُبَ نَارٍ.

٨ـ صَوْتُ الرَّبِّ يُزَلْزِلُ الْبَرِّيَّةَ. يُزَلْزِلُ الرَّبُّ بَرِّيَّةَ قَادِشَ.

٩ـ صَوْتُ الرَّبِّ يُوَلِّدُ الأَيَلَ، وَيَكْشِفُ الْوُعُورَ، وَفِي هَيْكَلِهِ الْكُلُّ قَائِلٌ: «مَجْدٌ».

١٠ـ الرَّبُّ بِالطُّوفَانِ جَلَسَ، وَيَجْلِسُ الرَّبُّ مَلِكاً إِلَى الأَبَدِ.

١١ـ الرَّبُّ يُعْطِي عِزًّا لِشَعْبِهِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ».

دراسة:

نظرة الرجل الإسرائيلي للطبيعة كانت نظرة عميقة دينية، فهو لا يتأمل عجائبها وجمالها وأصنافها من أجل ذاتها بل الكل يحدِّثه عن الله وقوَّته ومجده ومنافعه. تمدّه بشعارات ورموز وصور لصفات الله وأعماله. فالرعد هو صوت الله (٧) وكل مظاهر العاصفة تعبير عن مجد وسلطان الله على العالم، انظر: (إش ٣٠: ٢٧و٢٨):

+ «هوذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة. لغربلة الأُمم بغربال السوء وعلى فكوك الشعوب رسنٌ مضلٌّ».

ومن أجل أن الطبيعة هي استعلان الله انظر خاصة مزامير ٨و١٩و١٠٥. وينبغي أن نتذكر أن العواصف في فلسطين هي غالباً أكثر حدة وعنفاً وشديدة الوطأة أكثر من عواصف الريف.

والمزمور يقع في ثلاثة أقسام (٣-٩) ويحوي الجزء الأساسي مقدِّمة (١و٢) وخاتمة (١٠و١١):

١ ـ يطالب الملائكة بأن تجتمع لإيفاء دينها بالمديح ليهوه (١و٢).

٢ ـ واجتماع الملائكة فرصة لاستعلان مجده على الأرض حيث الرعد بصوته وتُدوِّي الطبيعة لتعلن قوته ومجده (٣-٩).

٣ ـ ولكن مهما كانت هذه المظاهر مخيفة، فالشعب يحتاج أن لا يخاف منها، إنما قوة الملك الأبدي يُظهر نفسه بالبركة (١٠و١١).

ومن النسخة السبعينية نجد العنوان "في آخر عيد المظال" يظهر أنه في وقت زمن الهيكل الثاني، كان هذا المزمور يُرتَّل به في اليوم الثامن أو ما بعده في آخر عيد المظال، انظر: (لا ٢٣: ٣٦):

+ «سبعة أيام تقرِّبون وقوداً للرب. في اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدَّس تقرِّبون وقوداً للرب. إنه اعتكاف. كل عمل شغل لا تعملوا».

حيث الاجتماع الرسمي كما جاء في السبعينية له عيد ختام. وبحسب التلمود صوفريم أنه مزمور البنتيكوستي. والآن يُستخدم في السيناجوج في اليوم الأول للاحتفال بهذا العيد.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١و٢]: مقدِّمة تدعو الملائكة لتمجيد يهوه وجلاله. انظر: (مز ٩٦: ٧-٩):

+ «قدِّموا للرب يا قبائل الشعوب، قدِّموا للرب مجداً وقوة، قدِّموا للرب مجد اسمه. هاتوا تقدمة وادخلوا دياره، اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة، ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض».

ولو أن في مزمور ٩٦ الكلمات غير موجَّهة للملائكة بل للشعوب.

١ ـ «قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَعِزًّا»:

«أبناء الله»: وهي تعني إمَّا الملائكة والقوات السمائية أو أشخاصاً نبلاء أقوياء، انظر: (مز ٩٦: ٧)، على أنها شعوب اتَّبعت الرب بعد ضلال:

+ «قدِّموا للرب يا قبائل الشعوب، قدِّموا للرب مجداً وقوة». وأيضاً: (أي ١: ١-٨):

+ «وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الله وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطان الرب من الجولان في الأرض ومن التمشِّي فيها. فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؟». وأيضاً: (أي ١: ٢):

+ «وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم ليمثل أمام الرب ...». وأيضاً: (مز ٨٩:٦):

+ «لأنه مَنْ في السماء يعادل الرب؟ مَنْ يشبه الرب بين أبناء الله».

والمزمور ينادي الكائنات الروحية التي تحيط بعرش الله في السماء لتقدّم ضريبتها في العبادة، انظر: (مز ١٠٣:٢٠):

+ «باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه». وأيضاً: (مز ١٤٨: ١و٢):

+ «هللويا. سبِّحوا الرب من السموات، سبِّحوه في الأعالي، سبِّحوه يا جميع ملائكته، سبِّحوه يا كل جنوده». وأيضاً: (أي ٣٨:٧):

+ «عندما ترنَّمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني الله».

أمَّا مناسبة الدعوة للتسبيح والتمجيد، فلأن الله استعلن مجده على الأرض الذي يصفه المزمور في (٣-٩) فهكذا فإن خورس الساروفيم في (إش ٦:٣) أدرك أن الأرض امتلأت من مجد يهوه:

+ «وهذا نادى ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض».

«قدِّموا»: أعلنوا صفات الله وادلوا باعترافكم وإعلانكم هذه الصفات التي للمجد والقوة التي هي له فوق الكل، انظر: (تث ٣٢:٣):

+ «إني باسم الرب أُنادي. أعطوا عظمة لإلهنا». وأيضاً: (مز ٦٨: ٣٤و٣٥):

+ «أعطوا عزاً لله. على إسرائيل جلاله وقوّته في الغمام، مخوف أنت يا الله من مقادسك». وأيضاً: (لو ١٧:١٨):

+ «ألم يوجد مَنْ يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس».

٢- «قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِه. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ»:

هنا تخصيص المجد للاسم بعد أن كان المجد بصورته العامة في العدد (١). ومجد الاسم هو في الحقيقة الكشف عن مجد ذات الله لأن الاسم يعني الذات وذلك خاصة بحسب استعلانها في الطبيعة.

«زينة مقدَّسة»: أي: "في ملابس مقدَّسة" كما جاءت في هامش الترجمة (R.V. margin)، انظر: (مز ٩٦:٩):

+ «اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة، ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض». وأيضاً: (١أي ١٦:٢٩):

+ «هَبُوا الرب مجد اسمه، احملوا هدايا وتعالوا إلى أمامه، اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة». وأيضاً: (٢أي ٢٠:٢١):

+ «ولما استشار الشعب أقام مغنين للرب ومسبحين في زينة مقدَّسة عند خروجهم أمام المتجردين ...». وأيضاً: (مز ١١٠:٣):

+ «شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدَّسة، من رحم الفجر لك طَلُّ حداثتك».

وكأن الأرض قد تحوَّلت إلى سماء، كما يلبس الكهنة في هيكل يهوه الأرضي ملابس مقدَّسة للمجد والجمال، انظر: (خر ٢٨:٢):

+ «واصنع ثياباً مقدَّسة لهارون أخيك للمجد والبهاء».

هكذا في السماء بأكثر جمال وإتقان.

[عدد ٣-٩]: استعراض قوة يهوه التي هي أساس تسبحته، صوته يُسمع في الرعد القاصف فوق الزوبعة والسحب (٣و٤)، والعاصفة تقصف شجر الوعر وتزلزل الجبال في الشمال (٥و٦)، وأضواء البرق (٧) والبراري في الجنوب في تعب (٨و٩). وفوق الكل تدوي أصداء التسابيح للخورس بالمجد (٩ب) وصوت الرب يتجاوب سبع مرَّات كالرعد.

٣- «صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلهُ الْمَجْدِ أَرْعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ.
٤- صَوْتُ الرَّبِّ بِالْقُوَّةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْجَلاَلِ»:

صوت الرب أرعد، انظر: (خر ٩: ٢٣-٢٦):

+ «فمدَّ موسى عصاه نحو السماء. فأعطى الرب رعوداً وبَرَداً وجرت نار على الأرض وأمطر الرب برداً على أرض مصر. فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل أرض مصر منذ صارت أُمة، فضرب البرد. في كل أرض مصر جميع ما في الحقل من الناس والبهائم. وضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل، إلاَّ أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد». وأيضاً: (مز ١٨:١٣):

+ «أرعد الرب من السموات والعلي أعطى صوته بَرَداً وجمر نار». وأيضاً: (رؤ ١٠:٣):

+ «وبعدما صرخ تكلَّمت الرعود السبعة بأصواتها».

«على المياه»: على البحر لأن البحر الأبيض المتوسط تهب فيه عواصف هوجاء، ولكن بالأكثر يقصد ماء السحب الكثيفة الثقيلة في السماء التي فوقها يركب يهوه كما هو في المزامير وسفر إرميا،

انظر: (مز ١٨: ٩-١١):

+ «طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه، ركب على كروب وطار وهفَّ على أجنحة الرياح، جعل الظلمة ستره حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام». وأيضاً: (مز ١٠٤: ٣):
+ «المسقِّف علاليه بالمياه، الجاعل السحاب مركبته الماشي على أجنحة الريح». وأيضاً: (إر ١٠: ١٣):
+ «إذا أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السموات ويُصعد السحاب من أقاصي الأرض. صنع بروقاً للمطر وأخرج الريح من خزائنه».

«إله المجد»: هو ملك المجد كما جاءت في المزمور (٢٤: ٧-١٠):

+ «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد! مَنْ هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبَّار، الرب الجبار في القتال ... رب الجنود هو ملك المجد».

٥- «صَوْتُ الرَّبِّ مُكَسِّرُ الأَرْزِ، وَيُكَسِّرُ الرَّبُّ أَرْزَ لُبْنَانَ»:

إن أرز لبنان أعظم وأجمل أنواع الأشجار الكثيفة الجبلية في الغابات، انظر: (إش ٢: ١٣):

+ «وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع وعلى كل بلوط باشان».

٦- «وَ يُمْرِحُهَا مِثْلَ عِجْلٍ. لُبْنَانَ وَسِرْيُونَ مِثْلَ فَرِيرِ(١) الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ»:

انظر: (مز ١١٤: ٤):

+ «الجبال قفزت مثل الكباش والآكام مثل حملان الغنم».

«سريون»: اسم صيدوني لجبل حرمون، انظر: (تث ٣: ٩):

+ «والصيدونيون يدعون (جبل) حرمون سريون والأموريون يدعونه سنير».

٧- «صَوْتُ الرَّبِّ يَقْدَحُ لُهُبَ نَارٍ.

٨- صَوْتُ الرَّبِّ يُزَلْزِلُ الْبَرِّيَّةَ. يُزَلْزِلُ الرَّبُّ بَرِّيَّةَ قَادِشَ»:

وصف دقيق لخروج البروق وانتشارها كألسنة لهب.

---

(١) كلمة "فرير": من كلمة "فر" (أي هرب).

«صوت الرب يزلزل البرية»: كالمزمور: (٩٦: ٩):

+ «اسجدوا للرب في زينة مقدَّسة، ارتعدي قدَّامه يا كل الأرض». وأيضاً: (مز ٩٧: ٤):
+ «أضاءت بروقه المسكونة رأت الأرض وارتعدت». وأيضاً: (مز ١١٤: ٧):
+ «أيتها الأرض تزلزلي من قدَّام الرب من قدَّام إله يعقوب».

«برية قادش»: هي مشهورة في تاريخ إسرائيل أثناء تجواله، وهي الجزء الشرقي من البرية على حدود أدوم، انظر: (عد ٢٠: ١٦):

+ «فصرخنا إلى الرب فسمع صوتنا وأرسل ملاكاً وأخرجنا من مصر وها نحن في قادش مدينة في طرف تخومك».

٩- «صَوْتُ الرَّبِّ يُوَلِّدُ الأَيَّلَ، وَيَكْشِفُ الْوُعُورَ، وَفِي هَيْكَلِهِ الْكُلُّ قَائِلٌ: "مَجْدٌ"»:

لأن صوته مخيف فهنا ولادة فزع.

«يكشف»: يكشف الغابات بعد أن تتحطَّم أشجارها، انظر: (مز ١٨: ١٥):

+ «فظهرت أعماق المياه وانكشفت أُسس المسكونة من زجرك يا رب من نسمة ريح أنفك».

«في هيكله»: وواضح أنه هيكل السماء والأرض، السماء للشاروبيم الذين سمعهم إشعياء، والأرض حيث الكل يقول "مجد".

[عدد ١٠و١١]: ختام، انتهت العاصفة ولا يزال هو إله المجد الملك الأبدي قاضي المسكونة حارس شعبه ويكلِّمهم بالسلام!

١٠- «الرَّبُّ بِالطُّوفَانِ جَلَسَ، وَيَجْلِسُ الرَّبُّ مَلِكاً إِلَى الأَبَدِ»:

الطوفان هنا هو غمر المياه المتكاثرة من أمطار العواصف والسحب، وأيضاً إذا كان الجلوس منتمي إلى الفيضان فمعنى الكلام أنه جلس ليحكم ويأمر بالفيضان والغرق، انظر: (مز ٩: ٧):

+ «أمَّا الرب فإلى الدهر يجلس، ثبَّت للقضاء كرسيه».

١١- «الرَّبُّ يُعْطِي عِزّاً لِشَعْبِهِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ»:

قارن بما جاء في (مز ٢٨: ٨و٩):

+ «الرب عز لهم وحصن خلاص مسيحه هو، خلِّص شعبك وبارك ميراثك وارعهم واحملهم إلى الأبد». وأيضاً: (مز ٤٦: ١-٣):

+ «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً، لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار = (مَثَل المسيح لطرح الجبل في البحر [مت ٢١:٢١]) تعج وتجيش مياهها. تتزعزع الجبال بطُمُوِّهَا».

أمّا بخصوص «يبارك شعبه» انظر: (عد ٦: ٢٤-٢٦):

+ «يباركك الرب ويحرسك، يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً».

لأنه بالنسبة لشعبه ليس هو إله خوف وفزع لأنه بالنسبة لشعبه الكل ينتهي بالسلام، وقد جاءت كلمة "بالسلام" في آخر مزمور الفزع مثل قوس قزح الذي يظهر بعد الرعود والعواصف والمطر، يبتدئ المزمور بالسماء المفتوحة وعرش الله في السماء وسط تسابيح الملائكة والجند السمائي، ولكن يختمه بشعبه منتصراً على الأرض مباركاً بالسلام وسط عواصف مفزعة وغضب وكأنها تسبحة «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة».

المزمور الثلاثون

مَزْمُورٌ أُغْنِيَةُ تَدْشِينِ الْبَيْتِ. لِدَاوُدَ

١ - «أُعَظِّمُكَ يَا رَبُّ لأَنَّكَ نَشَلْتَنِي وَلَمْ تُشْمِتْ بِي أَعْدَائِي.

٢ - يَا رَبُّ إِلهِي، اسْتَغَثْتُ بِكَ فَشَفَيْتَنِي.

٣ - يَا رَبُّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْهَاوِيَةِ نَفْسِي. أَحْيَيْتَنِي مِنْ بَيْنِ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ.

٤ - رَنِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَتْقِيَاءَهُ وَاحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ.

٥ - لأَنَّ لِلَحْظَةٍ غَضَبَهُ. حَيَاةٌ فِي رِضَاهُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ، وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ.

٦ - وَ أَنَا قُلْتُ فِي طُمَأْنِينَتِي: "لاَ أَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ".

٧ - يَا رَبُّ، بِرِضَاكَ ثَبَّتَّ لِجَبَلِي عِزًّا. حَجَبْتَ وَجْهَكَ فَصِرْتُ مُرْتَاعاً.

٨ - إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ، وَإِلَى السَّيِّدِ أَتَضَرَّعُ.

٩ - مَا الْفَائِدَةُ مِنْ دَمِي إِذَا نَزَلْتُ إِلَى الْحُفْرَةِ؟ هَلْ يَحْمَدُكَ التُّرَابُ؟ هَلْ يُخْبِرُ بِحَقِّكَ؟

١٠ - اسْتَمِعْ يَا رَبُّ وَارْحَمْنِي. يَا رَبُّ كُنْ مُعِيناً لِي.

١١ - حَوَّلْتَ نَوْحِي إِلَى رَقْصٍ لِي. حَلَلْتَ مِسْحِي وَمَنْطَقْتَنِي فَرَحاً،

١٢ - لِكَيْ تَتَرَنَّمَ لَكَ رُوحِي وَلاَ تَسْكُتَ. يَا رَبُّ إِلهِي، إِلَى الأَبَدِ أَحْمَدُكَ».

دراسة:

شكر على شفاء من مرض مميت وتعليق على الدروس التي أرسلها الله للتعليم، انظر: (مز ١١٩:٦٧):

+ «قبل أن أُذَلَّل أنا ضللت أمّا الآن فحفظت قولك».

فصاحب المزمور يُسبِّح يهوه لحفظه حياته استجابة لصلاته (١-٣)، ويهتف برجال الصلاح ليشتركوا معه في الشكر (٤و٥)، ويستمر ليحكي خبرته عن الله ورحمته، ففي النجاح قد صار متجاسراً وجريئاً إلى أن سحب الله نعمته فجاء الضيق (٦و٧)، وبعد ذلك ترجَّى حتى تنجو حياته (٨-١٠)، فاستجاب الله صلواته واستدامت حياته حتى يُسبِّح ويحمد يهوه، وفي شكره يصرف بقية أيام حياته (١١و١٢).

والمزمور أخذ عنوان (مزمور أغنية عند تدشين البيت. مزمور لداود). وهذا العنوان اعتُقد عامةً أنه يعود إلى المناسبة التي فيها دُوِّن المزمور، ولكن الشارحين لم يتفقوا هل البيت يعني الهيكل أم قصر داود. لأن كلمة تدشين إنما تُستخدم لمنزل، انظر: (تث ٢٠:٥):

+ «ثم يخاطب العرفاء الشعب قائلين مَنْ هو الرجل الذي بنى بيتاً جديداً ولم يدشِّنه. ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيدشنه رجل آخر».

أو حتى حائط مدينة، انظر: (نح ١٢:٢٧):

+ «وعند تدشين سور أُورشليم طلبوا اللاويين من جميع أماكنهم ليأتوا بهم إلى أُورشليم لكي يدشِّنوا بفرح وبحمد وغناء بالصنوج والرباب والعيدان».

وأيضاً كل الأشياء المقدَّسة والأماكن، انظر: (عد ٧: ١٠و١١):

+ «وقرَّب الرؤساء لتدشين المذبح يوم مسحه وقدَّم الرؤساء قرابينهم أمام المذبح، فقال الرب لموسى: رئيساً رئيساً في كل يوم يقرِّبون قرابينهم لتدشين المذبح». وأيضاً: (١مل ٨: ٦٢و٦٣):
+ «ثم إن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا ذبائح أمام الرب، وذبح سليمان ذبائح السلامة التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً فدشَّن الملك وجميع بني إسرائيل بيت الرب». وأيضاً: (عز ٦: ١٦و١٧):
+ «وبنو إسرائيل الكهنة واللاويون وباقي بني السبي دشَّنوا بيت الله هذا بفرح، وقرَّبوا تدشيناً لبيت الله هذا مئة ثور ومئتي كبش وأربع مئة خروف واثني عشر تيس معزى ذبيحة خطية عن جميع إسرائيل حسب عدد أسباط إسرائيل».

وبعض الشُّرَّاح جعلوا تدشين البيت يرجع إلى بيت داود في صهيون كما جاءت في (٢صم ٥:١١):

+ «وأرسل حيرام ملك صور رسلاً إلى داود وخشب أرز ونجَّارين وبنَّائين فبنوا لداود بيتاً».

والبعض يتصوَّرون أن داود كان أثناء ذلك في مرض عضال، وآخرون ينسبون الكلام إلى تدشين المذبح في زمن داود، انظر: (١أي ٢١:٢٦):

+ «وبنى داود هناك مذبحاً للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة ودعا الرب فأجابه بنار من السماء على مذبح المحرقة». وأيضاً: (١أي ٢٢:١):
+ «فقال داود هذا هو بيت الإله وهذا هو مذبح المحرقة لإسرائيل».

وكان ذلك بعد ضربة الطاعون الكبيرة. وبخصوص المرض والتنويه عنه في المزمور فقد لا ينطبق على

داود حرفياً ولكن تصورياً الذي حذى بالملك أن يشعر بآلام شعبه.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١–٣]: الشكر للنجاة من الموت استجابة لصلواته.

١ – **«أَعَظِّمُكَ يَا رَبُّ لأَنَّكَ نَشَلْتَنِي وَلَمْ تُشْمِتْ بِي أَعْدَائِي»:**

«أعظمك»: وتعني أُرفِّعك أو أُعلِّيك كما جاء في الخروج (١٥:٢):

+ «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي، هذا إلهي فأُمجِّده إله أبي **فأُرفِّعه**». وأيضاً: (مز ٣٤:٣):
+ «عظِّموا الرب معي. ولنعلِّ اسمه معاً». وأيضاً: (إش ٢٥:١):
+ «يا رب أنت إلهي أُعظِّمك. أحمد اسمك لأنك صنعت عجباً، مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق».

«لأنك نشلتني»: ذلك من أعماق الضيقات أو من حفر شاؤول (الهاوية).

«ولم تشمت بي أعدائي»: لأن موته كان معناه نصرة لأعدائه، لأن حقد الأعداء ومسرَّتهم في الإيذاء تجعلهم يستعجلون الكارثة، انظر: (مز ٣٨:١٦):

+ «لأني قلت لئلا يشمتوا بي، عندما زلت قدمي تعظَّموا عليَّ».

٢ – **«يَا رَبُّ إِلهِي، اسْتَغَثْتُ بِكَ فَشَفَيْتَنِي»:**

أُنقذَ من المرض والموت.

٣ – **«يَا رَبُّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْهَاوِيَةِ نَفْسِي. أَحْيَيْتَنِي مِنْ بَيْنِ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ»:**

كان مرضه ميئوساً منه حتى أن شفاءه كان حياة من موت وقد جاز حقاً قيامة من القبر المحتَّم. انظر: (١صم ٢:٦):

+ «الرب يميت ويحيي يُهبط إلى الهاوية ويُصعد».

«أحييتني من بين الهابطين في الجب»: لأنه كان بحالة مثل ميت حينما رفعه يهوه ثانية، انظر: (مز ٩:١٣):

+ «ارحمني يا رب انظر مذلتي من مبغضيَّ يا رافعي من أبواب الموت». وأيضاً: (مز ٨٨: ٤و٥):

+ «حُسبت مثل المنحدرين إلى الجب. صرتُ كرجل لا قوة له، بين الأموات فراشي مثل القتلى المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد وهم من يدك انقطعوا».

[عدد ٤و٥]: دعوة لرجال الله أن يشتركوا في شكره الله بناءً على صفات يهوه التي اكتشفها من خبرته: انظر: (مز ٩:١١):

+ «رنِّموا للرب الساكن في صهيون، أخبروا بين الشعوب بأفعاله». وأيضاً: (مز ٢٢: ٢٣):

+ «يا خائفي الرب سبِّحوه، مجِّدوه يا معشر ذرية يعقوب. واخشوه يا زرع إسرائيل جميعاً».

٤ ـ **«رَنِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَتْقِيَاءَهُ وَاحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ»**:

«ذكر قدسه»: القصد ذكر اسمه القدوس لأن اسمه هو المحفوظ في الذكر والفكر، انظر: (خر ٣:١٥):

+ «وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور». وأيضاً: (مز ٩٧:١٢):

+ «افرحوا أيها الصدِّيقون بالرب واحمدوا ذكر قدسه». وأيضاً: (مز ١٢٢:٤):

+ «حيث صعدت الأسباط، أسباط الرب شهادة لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب».

وهذا يُقال له «ذكر قدسه» بسبب الرحمة والأمانة التي يحتفل بها صاحب المزمور وكأنها أشعة خارجة من قدسه، انظر: (مز ٣٣: ٢٠و٢١):

+ «أنفسنا انتظرت الرب، معونتنا وترسنا هو. لأنه به تفرح قلوبنا لأننا على اسمه القدوس اتكلنا».

٥ ـ **«لأَنَّ لِلَحْظَةٍ غَضَبَهُ. حَيَاةٌ فِي رِضَاهُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ، وَفِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ»**:

انظر: (مز ١٦:١١):

+ «تعرِّفني سبيل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نِعَمٌ إلى الأبد». وأيضاً: (مز ٢١:٤):

+ «حياة سألك فأعطيته. طول الأيام إلى الدهر والأبد». وأيضاً: (مز ٣٦:٩):

+ «لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً».

«يبيت البكاء وفي الصباح ترنُّم»: الحزن والبكاء يستبد بالإنسان في الليل من التذكر للهموم والأحزان، ولكن حينما يشرق الفجر يشرق وجه الله فيبدِّد ظلمة الليل وأحزانه فتنفرج النفس وتُرنِّم،

انظر: (مز ٩٠:١٤):

+ «أشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيامنا». وأيضاً: (مز ١٤٣:٨):

+ «أسمِعْني رحمتك في الغداة لأني عليك توكَّلت، عرِّفني الطريق التي أسلك فيها لأني إليك رفعت نفسي». وأيضاً: (يو ١٦:٢٠):

+ «الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح، أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحوَّل إلى فرح».

[عدد ٦و٧]: يحكي صاحب المزمور خبرته عن الحقيقة التي ذكرها سابقاً وظنه أنه لا يحتاج إلى التأديب عاد فصححه.

٦ ـ **«وَأَنَا قُلْتُ فِي طُمَأْنِينَتِي: "لاَ أَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ"»**:

كانت طمأنينة زائدة عن الحد فتصوَّر خطأً أنه لا يتزعزع إلى الأبد، انظر: (أم ١:٣٢):

+ «لأن ارتداد الحمقى يقتلهم وراحة الجهال تبيدهم».

ومن جهة الكبرياء الذي نتج من النجاح، انظر: (تث ٨: ١٠و١١):

+ «فمتى أكلتَ وشبعتَ تبارك الرب إلهك لأجل الأرض الجيدة التي أعطاك. احترز من أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم».

«لا أتزعزع إلى الأبد»: نسى الاعتماد على الله واقترب من نكران الله وابتدأ يثق بنفسه، انظر: (مز ١٠:٦):

+ «قال في قلبه لا أتزعزع. من دور إلى دور بلا سوء».

٧ ـ **«يَا رَبُّ، بِرِضَاكَ ثَبَّتَّ لِجَبَلِي عِزًّا. حَجَبْتَ وَجْهَكَ فَصِرْتُ مُرْتَاعاً»**:

تُرجمت: «بنعمتك يا رب ثبِّتني كجبل قوي». أمَّا في كتاب الترجوم اليهودي فيقول: «ثبتني على جبل قوي» رمزاً للطمأنينة، انظر: (مز ١٨:٣٢):

+ «الإله الذي يمنطقني بالقوة ويصيِّر طريقي كاملاً». وأيضاً: (مز ٢٧:٥):

+ «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر، يسترني بستر خيمته، على صخرة يرفعني».

«حجبت وجهك فصرت مرتاعاً»: حجبت نور وجهك عني فصرت مرتاعاً، أي جاءني الارتباك الشديد وفقد الرجاء والخوف، انظر: (مز ١٠٤:٢٩):

+ «تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود».

[عدد ٨-١٠]: ومن الضيق تعلَّم من أين تأتي قوته ويحمل نفسه للصلاة، والباقي صلاة.

٨ - **«إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَصْرُخُ، وَإِلَى السَّيِّدِ أَتَضَرَّعُ»**:

الآن يعطي كلمات العزم والثقة الصحيحة، انظر: (مز ٢٨: ١):

+ «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلاَّ تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب».

٩ - **«مَا الْفَائِدَةُ مِنْ دَمِي إِذَا نَزَلْتُ إِلَى الْحُفْرَةِ؟ هَلْ يَحْمَدُكَ التُّرَابُ؟ هَلْ يُخْبِرُ بِحَقِّكَ؟»**:

أي إذا ذُبحتُ بيد العدو فما قيمة دمي إذا نزلت إلى القبر أو الهاوية، بل ستفقد أنت تسبيحي وحمدي، وعلى هذا السؤال يقول سفر أيوب (٢٢: ٣):

+ «هل من مسرَّة للقدير إذا تبررت أو من فائدة إذا قوَّمتَ طرقك». وأيضاً: (إش ٣٨: ١٨و١٩):

+ «لأن الهاوية لا تحمدك، الموت لا يسبِّحك، لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك، الحي الحي هو يحمدك كما أنا اليوم، الأب يعرِّف البنين حقك». وأيضاً: (مز ٦: ٥):

+ «لأنه ليس في الموت ذكرك. في الهاوية مَنْ يحمدك». وأيضاً: (مز ٨٨: ١٠و١١):

+ «أفلعلك للأموات تصنع عجائب أم الأخيلة تقوم تمجِّدك؟ سلاه. هل يحدَّث في القبر برحمتك أو بحقك في الهلاك؟». وأيضاً: (مز ١١٥: ١٧):

+ «ليس الأموات يسبحون الرب ولا مَنْ ينحدر إلى أرض السكوت».

«التراب»: ليس تراب الأرض بل يقصد القبر كما هو في مزمور (٢٢: ١٥و٢٩):

+ «يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي وإلى تراب الموت تضعني، أكل وسجد كل سميني الأرض. قدَّامه يجثو كل مَنْ ينحدر إلى التراب ومَنْ لم يحيي نفسه».

«حقك»: يقصد أمانة الله التي هي موضوع حمد الأتقياء، انظر: (مز ٢٥: ٥):

+ «دربني في حقك وعلمني. لأنك أنت إله خلاصي. إيَّاك انتظرت اليوم كله».

[عدد ١١و١٢]: استجابة الصلاة والحياة طالت وتمَّ غرضه.

١١ - **«حَوَّلْتَ نَوْحِي إِلَى رَقْصٍ لِي. حَلَلْتَ مِسْحِي وَمَنْطَقْتَنِي فَرَحاً»**:

علامات الحزن والفرح في مقارنة حادة من لباس المسح في الحزن إلى لباس العيد والفرح.

١٢ - **«لِكَيْ تَتَرَنَّمَ لَكَ رُوحِي وَلاَ تَسْكُتَ. يَا رَبُّ إِلهِي، إِلَى الأَبَدِ أَحْمَدُكَ»**:

انظر: (رؤ ٢٢: ٣):

+ «ولا تكون لعنة ما في ما بعد وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه!».

المزمور الحادي والثلاثون

لرئيس الموسيقى. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١- «عَلَيْكَ يَا رَبُّ تَوَكَّلْتُ. لاَ تَدَعْنِي أَخْزَى مَدَى الدَّهْرِ. بِعَدْلِكَ نَجِّنِي.

٢- أَمِلْ إِلَيَّ أُذُنَكَ. سَرِيعاً أَنْقِذْنِي. كُنْ لِي صَخْرَةَ حِصْنٍ بَيْتَ مَلْجَأٍ لِتَخْلِيصِي.

٣- لأَنَّ صَخْرَتِي وَ مَعْقِلِي أَنْتَ. مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ تَهْدِينِي وَ تَقُودُنِي.

٤- أَخْرِجْنِي مِنَ الشَّبَكَةِ الَّتِي خَبَّأُوهَا لِي، لأَنَّكَ أَنْتَ حِصْنِي.

٥- فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلهَ الْحَقِّ.

٦- أَبْغَضْتُ الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً. أَمَّا أَنَا فَعَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ.

٧- أَبْتَهِجُ وَ أَفْرَحُ بِرَحْمَتِكَ، لأَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَى مَذَلَّتِي، وَعَرَفْتَ فِي الشَّدَائِدِ نَفْسِي،

٨- وَ لَمْ تَحْبِسْنِي فِي يَدِ الْعَدُوِّ، بَلْ أَقَمْتَ فِي الرُّحْبِ رِجْلِي.

٩- اِرْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي فِي ضِيق. خَسِفَتْ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. نَفْسِي وَبَطْنِي.

١٠- لأَنَّ حَيَاتِي قَدْ فَنِيَتْ بِالْحُزْنِ، وَسِنِينِي بِالتَّنَهُّدِ. ضَعُفَتْ بِشَقَاوَتِي قُوَّتِي، وَبَلِيَتْ عِظَامِي.

١١- عِنْدَ كُلِّ أَعْدَائِي صِرْتُ عَاراً، وَعِنْدَ جِيرَانِي بِالْكُلِّيَّةِ، وَرُعْباً لِمَعَارِفِي. الَّذِينَ رَأَوْنِي خَارِجاً هَرَبُوا عَنِّي.

١٢- نُسِيتُ مِنَ الْقَلْبِ مِثْلَ الْمَيْتِ. صِرْتُ مِثْلَ إِنَاءٍ مُتْلَفٍ.

١٣- لأَنِّي سَمِعْتُ مَذَمَّةً مِنْ كَثِيرِينَ. الْخَوْفُ مُسْتَدِيرٌ بِي بِمُؤَامَرَتِهِمْ مَعاً عَلَيَّ. تَفَكَّرُوا فِي أَخْذِ نَفْسِي.

١٤- أَمَّا أَنَا فَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ يَا رَبُّ. قُلْتُ: «إِلهِي أَنْتَ».

١٥- فِي يَدِكَ آجَالِي. نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَعْدَائِي وَمِنَ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي.

١٦- أَضِئْ بِوَجْهِكَ عَلَى عَبْدِكَ. خَلِّصْنِي بِرَحْمَتِكَ.

١٧- يَا رَبُّ، لاَ تَدَعْنِي أَخْزَى لأَنِّي دَعَوْتُكَ. لِيَخْزَ الأَشْرَارُ. لِيَسْكُتُوا فِي الْهَاوِيَةِ.

١٨- لِتُبْكَمْ شِفَاهُ الْكَذِبِ، الْمُتَكَلِّمَةُ عَلَى الصِّدِّيقِ بِوَقَاحَةٍ بِكِبْرِيَاءَ وَاسْتِهَانَةٍ.

١٩- مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ، وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ تُجَاهَ بَنِي الْبَشَرِ!

٢٠- تَسْتُرُهُمْ بِسِتْرِ وَجْهِكَ مِنْ مَكَايِدِ النَّاسِ. تُخْفِيهِمْ فِي مَظَلَّةٍ مِنْ مُخَاصَمَةِ الأَلْسُنِ.

٢١- مُبَارَكٌ الرَّبُّ، لأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ عَجَباً رَحْمَتَهُ لِي فِي مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ.

٢٢- وَ أَنَا قُلْتُ فِي حَيْرَتِي: «إِنِّي قَدِ انْقَطَعْتُ مِنْ قُدَّامِ عَيْنَيْكَ». وَلكِنَّكَ سَمِعْتَ صَوْتَ تَضَرُّعِي إِذْ صَرَخْتُ إِلَيْكَ.

٢٣- أَحِبُّوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ أَتْقِيَائِهِ. الرَّبُّ حَافِظُ الأَمَانَةِ، وَمُجَازٍ بِكَثْرَةٍ الْعَامِلَ بِالْكِبْرِيَاءِ.

٢٤- لِتَتَشَدَّدْ وَلْتَتَشَجَّعْ قُلُوبُكُمْ، يَا جَمِيعَ الْمُنْتَظِرِينَ الرَّبَّ».

دراسة:

قد أعيي جسداً وفكراً، محتقر مخذول ومضطهد، وهو يرمي نفسه على الله. الإيمان يشدّده حينما يتذكر مراحم الرب، والفزع يطغي عليه حينما يفكّر في حاضره إلى أن تنجلي السحب وتشرق شمس الله عليه بالخير وتملأ نفسه.

والمزمور يقع في ثلاثة أجزاء. **الأول**: اعتراف الثقة وصلوات للخلاص على أساس خبرته لمراحم الله السابقة (١-٨). **الثاني**: صراخ مستعجل بوصف عاطفي بشدة ولمنتهى حاجته (٩-١٨). **والثالث**: تشكُّرات مقدَّمة لصلاح الله مرَّة أخرى المستعلن في خلاصه. وهو ينظر خلفه باندهاش على كيف خار قلبه، ويختم بتشجيع نفسه وكل المتمسكين بالله أن يتشجَّعوا (١٩-٢٤).

معظم الشُّرَّاح الأوائل قالوا إنه لداود في برية معون.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٨]: صلاة إيمان. والآيات (١-٣) مكرَّرة في تنسيق في مزمور (٧١).

١ - «**عَلَيْكَ يَا رَبُّ تَوَكَّلْتُ. لاَ تَدَعْنِي أَخْزَى مَدَى الدَّهْرِ. بِعَدْلِكَ نَجِّنِي**»:

انظر: (مز ٧:١):

+ «يا رب إلهي عليك توكَّلت خلِّصني من كل الذين يطردونني ونجني». وأيضاً: (مز ١١:١):

+ «على الرب توكَّلت. كيف تقولون لنفسي اهربوا إلى جبالكم كعصفور». وأيضاً: (مز ٢٥:٢٠):

+ «احفظ نفسي وأنقذني. لا أخزى لأني عليك توكَّلت».

«**أخزى**»: أي أخفق في الطريق وأرتبك حينما أشعر أن ثقتي كانت باطلاً. انظر: (مز ٢٢:٥)

+ «إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا».

٢ – **«أَمِلْ إِلَيَّ أُذُنَكَ. سَرِيعاً أَنْقِذْنِي. كُنْ لِي صَخْرَةَ حِصْنٍ بَيْتَ مَلْجَإٍ لِتَخْلِيصِي»:**

انظر: (مز ٦:١٧):

+ «أنا دعوتك لأنك تستجيب لي يا الله. أمل أذنيك إليَّ. اسمع كلامي».

٣ – **«لأَنَّ صَخْرَتِي وَمَعْقِلِي أَنْتَ. مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ تَهْدِينِي وَتَقُودُنِي»:**

في آية (٢،٣) يعطي أساس صلاته ويطلب من الله أن يكون كما يعرفه هو بالسابق، ويعطي تعبير الثقة أكثر منه توسُّل، لأن الرب يقوده كما سبق وأعلن ذلك، انظر: (مز ٢٣: ٢و٣):

+ «في مراع خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني، يرد نفسي يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه».

٤ – **«أَخْرِجْنِي مِنَ الشَّبَكَةِ الَّتِي خَبَّأُوهَا لِي، لأَنَّكَ أَنْتَ حِصْنِي»:**

يصف أعداءه الماكرين الخبثاء الذين بلا رحمة بأعداء يصطادون حيواناً كما في (مز ١٥:٢٥):

+ «عيناي دائماً إلى الرب. لأنه هو يُخرج رجليَّ من الشبكة».

٥ – **«فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلهَ الْحَقِّ»:**

أضع نفسي تحت رعاية الله نفسه كوديعة ثمينة لحياة تستمد نفسها منه. انظر: (أي ١٢:١٠):

+ «منحتني حياة ورحمة وحَفِظَتْ عنايتك روحي». وأيضاً: (أي ١:١٧):

+ «روحي تَلِفَتْ. أيامي انطفأت. إنما القبور لي».

وواضح من كلامه أنه يسلمها لله ليحفظها بعنايته. هو يثق بالله ولكن الإحساس بانطلاق الروح واضح وطبيعي فهذه الكلمات تقدَّست وتكرَّست بواسطة المسيح الذي استخدمها على الصليب، انظر: (لو ٤٦:٢٣):

+ «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح».

وسفر الحكمة يقول: «نفس الأبرار في يد الله». ويقول المسيح في إنجيل ق. يوحنا، (يو ١٠: ٢٨–٣٠):

+ «وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظم من الكل. ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد». وأيضاً: (٢تي ١٢:١):

+ «لهذا السبب أحتمل هذه الأمور أيضاً لكنني لست أخجل لأنني عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم». وأيضاً: (١بط ١٩:٤):

+ «فإذاً الذين يتألَّمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير».

«فديتني يا رب إله الحق»:

تعطي الأساس المتين للثقة، بسبب خبراته السابقة كلها ومعرفته بصفات الله كإله أمانة. وكلمة ”فدى“ تعني أنقذ ونجَّى وخلَّص من الضيقات الزمانية، انظر: (٢صم ٩:٤):

+ «فأجاب داود ركاب وبعنة أخاه ابني رمون البئيروتي وقال لهما: حيٌّ هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيق». ولكن في العهد الجديد لها معنى أعمق.

٦ – **«أَبْغَضْتُ الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً. أَمَّا أَنَا فَعَلَى الرَّبِّ تَوَكَّلْتُ»:**

دائماً هو يجحد كل العواطف والزمالة مع عابدي الآلهة الكاذبة فيقول: ولكن بالنسبة لي فعلى الرب إله الأمانة والصدق توكَّلت، انظر: (مز ٩:٥٩):

+ «من قوَّته إليك ألتجئ لأن الله ملجإي».

٧ – **«أَبْتَهِجُ وَأَفْرَحُ بِرَحْمَتِكَ، لأَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَى مَذَلَّتِي، وَعَرَفْتَ فِي الشَّدَائِدِ نَفْسِي»:**

تودد قائم على خبرات ناجحة سابقة في المراحم.

٨ – **«وَلَمْ تَحْبِسْنِي فِي يَدِ الْعَدُوِّ، بَلْ أَقَمْتَ فِي الرُّحْبِ رِجْلِي»:**

لم تسلِّمني لقوة العدو، انظر: (تث ٣٠:٣٢):

+ «كيف يطرد واحد ألفاً ويهزم اثنان ربوة، لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم». وأيضاً: (١صم ٢٣: ١١و١٢):

+ «فهل يسلِّمني أهل قعيلة ليده، هل ينزل شاول كما سمع عبدك؟ يا رب إله إسرائيل أخبر عبدك. فقال الرب: ينزل. فقال داود: هل يسلِّمني أهل قعيلة مع رجاله ليد شاول؟ فقال الرب: يسلِّمون».

«أقمت في الرحب رجلي»: تقف رجلاه حرَّة في السعة، يتحرَّك كلما شاء بحريته، انظر: (مز ١:٤):

+ «عند دعائي استجب لي يا إله برِّي. في الضيق رحَّبت لي، تراءف عليَّ واسمع صلاتي». وأيضاً: (مز ١٩:١٨):

+ «أخرجني إلى الرحب. خلَّصني لأنه سُرَّ بي». وأيضاً: (مز ٢٦: ١٢):

+ «رجلي واقفة على سهل. في الجماعات أبارك الرب».

[عدد ٩-١٨]: تتغيَّر نغمة المزمور. تذكُّر المراحم السابقة يضع الحاضر المؤلم في إحساس الخلاص.

٩ - «ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي فِي ضِيقٍ. خَسَفَتْ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. نَفْسِي وَبَطْنِي»:

انظر: (مز ٦: ٧):

+ «ساخت من الغم عيني. شاخت من كل مضايقي».

١٠ - «لأَنَّ حَيَاتِي قَدْ فَنِيَتْ بِالْحُزْنِ، وَسِنِينِي بِالتَّنَهُّدِ. ضَعُفَتْ بِشَقَاوَتِي قُوَّتِي، وَبَلِيَتْ عِظَامِي»:

انظر: (مز ١٣: ٢):

+ «إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم. إلى متى يرتفع عدوي عليَّ». وأيضاً: (إر ٨: ١٨):

+ «من مفرج عني الحزن. قلبي فيَّ سقيم».

«ضعفت بشقاوتي قوتي»: من كثرة إثمي قد بليت عظامي. كان هناك إثم في القلب هدَّ حيله واحتاج إلى تأديب بالآلام. ولكن في النسخة السبعينية والسريانية جاء بدل شقاوتي (التي تُرجمت آثامي) تأديباتي، انظر: (مز ٣٢: ٣):

+ «لمَّا سكت بليت عظامي من زفيري اليوم كله، لأن يدك ثقلت عليَّ نهاراً وليلاً».

١١ - «عِنْدَ كُلِّ أَعْدَائِي صِرْتُ عَاراً، وَعِنْدَ جِيرَانِي بِالْكُلِّيَّةِ، وَرُعْباً لِمَعَارِفِي. الَّذِينَ رَأَوْنِي خَارِجاً هَرَبُوا عَنِّي»:

انظر: (مز ٢٢: ٦و٧):

+ «أمَّا أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومُحتقر الشعب. كل الذين يرونني يستهزئون بي». وأيضاً: (إر ٢٠: ٧و٨):

+ «قد أقنعتني يا رب فاقتنعت وألححت عليَّ فغلبت. صرتُ للضحك كل النهار كل واحد استهزأ بي، لأني كلما تكلَّمت صرختُ. ناديتُ ظلم واغتصاب. لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرة كل النهار».

١٢ - «نُسِيتُ مِنَ الْقَلْبِ مِثْلَ الْمَيْتِ. صِرْتُ مِثْلَ إِنَاءٍ مُتْلَفٍ»:

كالميت لأن أعواني كلهم نسوني، انظر: (أي ١٩: ١٤-١٦):

+ «أقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني. نزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبياً. صرت في أعينهم غريباً. عبدي دعوتُ فلم يجب. بفمي تضرَّعتُ إليه».

صار مثل إناء مكسور يُلقى به ولا يُذكر: انظر: (إر ٢٢: ٢٨):

+ «هل هذا الرجل كنياهو وعاء خزف مهان مكسور إناء ليست فيه مسرَّة. لماذا طُرح هو ونسله وأُلقوا إلى أرض لم يعرفوها».

١٣ - «لأَنِّي سَمِعْتُ مَذَمَّةً مِنْ كَثِيرِينَ. الْخَوْفُ مُسْتَدِيرٌ بِي بِمُؤَامَرَتِهِمْ مَعاً عَلَيَّ. تَفَكَّرُوا فِي أَخْذِ نَفْسِي»:

انظر: (إر ٢٠: ١٠و١١):

+ «لأني سمعت مذمة من كثيرين، خوف من كل جانب، يقولون اشتكوا فنشتكي عليه. كل أصحابي يراقبون ظَلْعي قائلين لعلَّه يُطغَى فنقدر عليه وننتقم منه. ولكن الرب معي كجبَّار قدير ...».

«بمؤامرتهم معاً»: انظر: (إر ١١: ١٩و٢٠):

+ «وأنا كخروف داجن يُساق إلى الذبح و لم أعلم أنهم فكَّروا عليَّ أفكاراً قائلين لنهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الأحياء فلا يُذكر بعد اسمه. فيا رب الجنود القاضي العدل فاحص الكلى والقلب دعني أرى انتقامك». وأيضاً: (إر ١٨: ٢٠):

+ «هل يجازَى عن خير بشر لأنهم حفروا حفرة لنفسي. اذكر وقوفي أمامك لأتكلَّم عنهم بالخير لأرد غضبك عنهم».

١٤ - «أَمَّا أَنَا فَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ يَا رَبُّ. قُلْتُ: "إِلهِي أَنْتَ"»:

الكل تركوه أمَّا هو فالتجأ إلى الله، انظر: (مز ١٦: ٢):

+ «قلت للرب أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك». وأيضاً: (مز ١٤٠: ٦):

+ «قلت للرب أنت إلهي. أصغِ يا رب إلى صوت تضرُّعاتي».

١٥ - «فِي يَدِكَ آجَالِي. نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَعْدَائِي وَمِنَ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي»:

انظر: (أي ٢٩: ٣٠):

+ «مع كل مُلْكِه وجبروته والأوقات التي عبرت عليه (داود) وعلى إسرائيل».

١٦ – «أَضِئْ بِوَجْهِكَ عَلَى عَبْدِكَ. خَلِّصْنِي بِرَحْمَتِكَ»:

انظر: (مز ٤:٦):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب».

١٧ – «يَا رَبُّ، لاَ تَدَعْنِي أَخْزَى لأَنِّي دَعَوْتُكَ. لِيَخْزَ الأَشْرَارُ. لِيَسْكُتُوا فِي الْهَاوِيَةِ»:

«لا تدعني أخزى»: جاءت في السطر الأول وهنا تكرَّرت وبينما صلواتي تُستجاب ليت أعدائي يسكتون وينتهون إلى الهاوية، انظر: (مز ٢٥: ٢و٣):

+ «يا إلهي عليك توكّلت، فلا تدعني أخزى، لا تشمت بي أعدائي، أيضاً: كل منتظريك لا يخزوا. ليخز الغادرون بلا سبب». وأيضاً: (إر ١٧:١٨):

+ «ليخز طارديَّ ولا أخز أنا. ليرتعبوا هم ولا أرتعب أنا. إجلب عليهم يوم الشر واسحقهم سحقاً مضاعفاً».

١٨ – «لِتُبْكَمْ شِفَاهُ الْكَذِبِ، الْمُتَكَلِّمَةُ عَلَى الصِّدِّيقِ بِوَقَاحَةٍ بِكِبْرِيَاءَ وَاسْتِهَانَةٍ»:

انظر: (مز ١٢:٣):

+ «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلّم بالعظائم». وأيضاً: (مز ٩٤:٤):

+ «يَبِقُون يتكلّمون بوقاحة، كل فاعلي الإثم يفتخرون».

[عدد ١٩–٢٤]: صلاح الله للذين يخافونه مثل كنز مخفى ومخزون وفي الوقت المناسب يخرج ويستخدمه الذين يلتجئون إليه علناً. انظر: (مز ٢٣:٥):

+ «ترتِّب قدَّامي مائدة تجاه مضايقي. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريًّا».

١٩ – «مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ، وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ تُجَاهَ بَنِي الْبَشَرِ!

٢٠ – تَسْتُرُهُمْ بِسِتْرِ وَجْهِكَ مِنْ مَكَايِدِ النَّاسِ. تُخْفِيهِمْ فِي مَظَلَّةٍ مِنْ مُخَاصَمَةِ الأَلْسُنِ»:

انظر: (مز ٢٧:٥):

+ «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني».

وهنا الخيمة ترتفع إلى المعنى الروحي، فيكون مكان الاختباء هو حضرة الله حيث لا ظلمة ولا شر

تتخلَّل إليه لأن النور هو نور وجه الله.

[عدد ٢١و٢٢]: تقديم الشكر. فهل هذا خلاص بالإيمان أو أن الخلاص قد تمَّ فعلاً؟:

٢١ – «مُبَارَكٌ الرَّبُّ، لأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ عَجَباً رَحْمَتَهُ لِي فِي مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ».

انظر: (مز ٢٨:٦):

+ «مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرُّعي».

«لأنه جعل عجباً رحمته»: انظر: (مز ١٧:٧):

+ «ميِّز مراحمك يا مخلِّص المتكلِّين عليك بيمينك من المقاومين».

«في مدينة محصَّنة»: يبدو أن حفظ الله له والعناية به في وسط أعدائه جعلته يشعر أنه كأنه في مدينة محصَّنة.

٢٢ – «وَأَنَا قُلْتُ فِي حَيْرَتِي: «إِنِّي قَدِ انْقَطَعْتُ مِنْ قُدَّامِ عَيْنَيْكَ». وَلكِنَّكَ سَمِعْتَ صَوْتَ تَضَرُّعِي إِذْ صَرَخْتُ إِلَيْكَ»:

يعترف بتواضع أنه في حيرته فقد الإيمان فشعر أنه بعيد عن رؤية الله وقارن بين حاله وصلاح الله.

انظر: (مز ١١٦:١١):

+ «أنا قلت في حيرتي كل إنسان كاذب». وأيضاً: (يون ٢:٤):

+ «فقلتُ قد طُردتُ من أمام عينيك. ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قدسك». وأيضاً: (مز ٢٨:٢):

+ «استمع صوتي تضرُّعي إذ أستغيث بك وأرفع يدي إلى محراب قدسك».

[عدد ٢٣–٢٤]: ختام يحث فيه الأمناء المؤمنين: انظر: (مز ٣٠:٤):

+ «رنِّموا للرب يا أتقياءه واحمدوا ذكر قدسه». وأيضاً: (مز ٢٧:١٤):

+ «انتظر الرب. ليتشدد وليتشجَّع قلبك وانتظر الرب». وأيضاً: (مز ٣٢:١١):

+ «افرحوا بالرب وابتهجوا يا أيها الصديقون واهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب».

٢٣ – «أَحِبُّوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ أَتْقِيَائِهِ. الرَّبُّ حَافِظُ الأَمَانَةِ، وَمُجَازٍ بِكَثْرَةٍ الْعَامِلَ بِالْكِبْرِيَاءِ»:

«الرب حافظ الأمانة»:

انظر: (مز ٣٤:٧):

+ «ملاك الربُّ حال حول خائفيه وينجيهم».

٢٤ - «لِتَتَشَدَّدْ وَلْتَتَشَجَّعْ قُلُوبُكُمْ، يَا جَمِيعَ الْمُنْتَظِرِينَ الرَّبَّ»:

انظر: (مز ٢٧:١٤):

+ «انتظر الرب. ليتشدَّد وليتشجَّع قلبك وانتظر الرب». وأيضاً: (مز ٣٣:١٨):

+ «هوذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته».

المزمور الثاني والثلاثون

لِدَاوُدَ. قَصِيدَةٌ

١- «طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ.

٢- طُوبَى لِرَجُلٍ لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً، وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ.

٣- لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ،

٤- لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَاراً وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ. سِلاَهْ.

٥- أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي. سِلاَهْ.

٦- لِهذَا يُصَلِّي لَكَ كُلُّ تَقِيٍّ فِي وَقْتٍ يَجِدُكَ فِيهِ. عِنْدَ غَمَارَةِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ إِيَّاهُ لاَ تُصِيبُ.

٧- أَنْتَ سِتْرٌ لِي. مِنَ الضِّيقِ تَحْفَظُنِي، بِتَرَنُّمِ النَّجَاةِ تَكْتَنِفُنِي. سِلاَهْ.

٨- «أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ.

٩- لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلاَ فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ يُكَمُّ لِئَلاَّ يَدْنُوَ إِلَيْكَ».

١٠- كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّرِّيرِ، أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ.

١١- افْرَحُوا بِالرَّبِّ وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ، وَاهْتِفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ».

دراسة:

بحرارة لا تخطئ يصف صاحب المزمور بخبرته بركات الغفران، ويُعلِّم أن التوبة هي الشرط الذي لا يستغني عنه ليفوز بها (١و٢). لقد أخطأ، وهو حزين، وطالما لا يقبل المغفرة فخطيته يعاني منها داخلياً وتمزِّقه (٣و٤). ولكن الاعتراف يسبب الغفران تواً (٥). وهو متأجج من خبرته يهتف بالإنسان الصالح للصلاة في وقتها (٦). وإذ يعترف بثقته في يهوه يتقبَّل منه وعداً بالقيادة (٧و٨). ويقدِّم نفسه للجميع ليحذرهم من جنون مقاومة إرادة الله (٩)، ويقارن بين نصيب الإنسان الصالح والشرير (١٠)، ويختم المزمور بأن يحث الأبرار على الفرح (١١).

هذا المزمور معروف أنه لداود بعد خطيته المعروفة وقتل أوريا. وظلَّ إلى سنة وهو يخفي خطيته بالرغم من صوت الاتهام في الضمير، وربما كان المرض هو الموبِّخ (٣و٤) حتى جاءته رسالة النبي وأصابته في القلب ومنحته نبع دموع التوبة. ومزمور (٥١) ربما كان أول إحساس القلب وبداية الصلاة للمغفرة. وقد كُتب هذا المزمور أخيراً نوعاً ما عندما وجد الوقت ليراجع نفسه في الماضي،

وسجَّل خبرته لتعليم الآخرين لتتميم الوعد في مزمور (٥١: ١٣):

+ «فأعلِّم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون».

ودروس هذا المزمور تجدها في (أم ٢٨: ١٣):

+ «مَنْ يكتم خطاياه لا ينجح ومَنْ يُقر بها ويتركها يُرحم». وأيضاً: (١يو ١: ٨و٩):

+ «إن قلنا إنه ليس لنا خطيةٌ نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم».

وهذا المزمور هو المزمور الثاني من سبعة مزامير التوبة، ويُستخدم في بدء الصوم الكبير حسب الطقس الغربي، وكان هذا المزمور محبوباً عند القديس أغسطين وكان يقرأه بالدموع وانكسار قلب وعيون باكية، وقبل موته طلب أن يكتبوه أمامه على حائط غرفته.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ - «طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ.

٢ - طُوبَى لِرَجُلٍ لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً، وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ».

الطوبى لمن غُفرت خطيته. انظر: (رو ٤: ٦-٨):

+ «كما يقول داود أيضاً في تطويب الإنسان الذي يحسب له الله برًّا بدون أعمال: طوبى للذين غُفرت آثامهم وسُترت خطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية».

«**طوبى**»: تعني "سعيد". أول كلمة في سفر المزامير موجَّهة لمن كانت حياته مستقيمة أمام الله، ولكن لا يوجد إنسان لم يُخطئ، انظر: (١مل ٨: ٤٦):

+ «إذا أخطأوا إليك، لأنه ليس إنسان لا يخطئ، وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو ...».

وهنا توجد طوبى محفوظة للإنسان الذي يتوب.

التعدِّي - الخطية - الإثم:

هي أوصاف توصف بها الخطية من نواحيها. **فالتعدِّي**: ثورة على الله وكسر الوصية. **والخطية**: ضلال من الطريق المستقيم أو إخفاق في إصابة الهدف. **والإثم**: تمزُّق في الأخلاق، انظر: (مز ٥١: ١-٣):

+ «ارحمني يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ (العصيان تعدِّي)، اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي طهِّرني، لأني عارف بمعاصيَّ وخطيتي أمامي دائماً». انظر: (خر ٣٤: ٧):

+ «حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية».

أمَّا الغفران فقد وصفه ثلاث مرَّات:

الأول: مثل رفع الحِمْل كما جاء في (يو ١: ٢٩):

+ «وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم».

ومن هنا جاءت كلمة يحمل الإثم.

الثاني: كغطاء يستر الخطية عن وجه القاضي فلا يعود يطالب بها.

الثالث: التنازل عن حق مثل التنازل عن الدين فلا يعود يُحسب ضد المخطئ. انظر: (٢صم ١٩: ١٩):

+ «وقال للملك: لا يحسب لي سيدي إثماً ولا تذكر ما افترى به عبدك يوم خروج سيدي الملك من أُورشليم حتى يضع الملك ذلك في قلبه».

«**ولا في روحه غش**»: ذلك لأن الغفران هنا يكون عفواً عزيزاً، شرط أنه لا يجب أن يكون هناك غش للنفس ولا لله، انظر: (١يو ١: ٨):

+ «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا».

٣ - «لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلَّهُ،

٤ - لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَاراً وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ. سِلاَهْ»:

هنا يحكي عن خبرته لما سكت ولم يُصرِّح بإثمه لنفسه ولله، ولكن بعد قليل لم يتركه الله إلى نفسه، انظر: (أي ٣٣: ١٦):

+ «حينئذ يكشف آذان الناس ويختم على تأديبهم».

فكان تأديبه ثقيلاً عليه. انظر: (مز ٣٨: ٢):

+ «لأن سهامك قد انتشبت فيَّ ونزلت عليَّ يدك». وأيضاً: (مز ٣٩: ١٠):

+ «ارفع عني ضربك، من مهاجمة يدك أنا قد فنيت».

وقد أحسَّها جزئياً بتوبيخ ضميره وجزئياً بالمرض فتألَّم واشتكى، انظر: (مز ٢٢: ١):

+ «إلهي إلهي لماذا تركتني. بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري». وأيضاً: (مز ٣٨:٨):

+ «خدرت وانسحقت إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبي».

ولكن في هذه الشكاوي لم يصلِّ، انظر: (هو ٧:١٤):

+ «ولا يصرخون إليَّ بقلوبهم حينما يولولون على مضاجعهم».

وهكذا لم يأته الفرج طالما لم يعترف بخطيته!

«بليت عظامي»: انظر: (مز ٦:٢):

+ «ارحمني يا رب لأني ضعيف، اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت».

«تحوَّلت رطوبتي إلى يبوسة القيظ»: من حرارة الحمى في داخله، انظر: (مز ٢٢:١٥):

+ «يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي وإلى تراب الموت تضعني». وأيضاً: (أم ١٧:٢٢):

+ «القلب الفرحان يُطيِّب الجسم والروح المنسحقة تجفف العظم».

«سلاه»: نغمة موسيقية تتناسب مع حزن الفكر الشديد وتمهِّد لنقلة جديدة في الشعر.

٥ ـ «أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي. سِلاَهْ»:

أجعل خطيتي معروفة عندك ولا أغطي إثمي. ويدل الفعل أن الاعتراف قد تمَّ فعلاً، انظر: (مز ٢٥:٨):

+ «الرب صالح ومستقيم. لذلك يعلِّم الخطاة الطريق».

كلما لم تحفظ شيئاً في نفسك، كلما عفى عنك الله.

«رفعت آثام خطيتي. سلاه»: الكلام يكشف عن غفران في الحال. والوقفة الموسيقية (سلاه) عبَّرت عن فرح الغفران وجاءت لفصل الكلام.

٦ ـ «لِهذَا يُصَلِّي لَكَ كُلُّ تَقِيٍّ فِي وَقْتٍ يَجِدُكَ فِيهِ. عِنْدَ غَمَارَةِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ إِيَّاهُ لاَ تُصِيبُ»:

عن خبرة ودراية.

«في وقت يجدك فيه»: هذا أقصى ما يمكن إدراكه من الأصل العبري. وقد تكون في وقت مقبول، انظر: (مز ٦٩:١٣):

+ «أمَّا أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضىً يا الله بكثرة رحمتك استجب لي بحق خلاصك».

وأيضاً: (تث ٤:٢٩):

+ «ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك». وأيضاً: (إر ٢٩: ١٢و١٣):

+ «فتدعونني وتذهبون وتصلون إليَّ فأسمع لكم. وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم».

ويلزم أن يسرع كل إنسان للاعتراف والصلاة لأنه يوجد وقت لا تجده فيه. انظر: (أم ١:٢٨):

+ «حينئذ يدعونني فلا أستجيب. يبكِّرون إليَّ فلا يجدونني».

«عند غمارة المياه الكثيرة إياه لا تصيب»:

عندما لا يصل إليه فيضان المياه الكثيرة، وتعني في وقت الاضطراب الشديد والقضاء عندما يطغى سيكون آمناً كإنسان يقف على صخرة لا تصلها المياه الكثيرة، انظر: (مز ١٨:١٦):

+ «أرسل من العلى فأخذني، نشلني من مياه كثيرة». وأيضاً: (إش ٢٨: ٢و١٧):

+ «هوذا شديد وقوي للسيد كانهيال البَرَد كنوء مهلك كسيل مياه غزيرة جارفة قد ألقاه إلى الأرض بشدَّة ... وأجعل الحق خيطاً والعدل مطماراً. فيخطف البَرَد ملجأ الكذب ويجرف الماء الستارة». وأيضاً: (إش ٣٠:٢٨):

+ «ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة. لغربلة الأُمم بغربال السوء وعلى فكوك الشعب رسنٌ مضل».

٧ ـ «أَنْتَ سِتْرٌ لِي. مِنَ الضِّيقِ تَحْفَظُنِي بِتَرَنُّمِ النَّجَاةِ تَكْتَنِفُنِي. سِلاَهْ»:

صاحب المزمور يخاطب يهوه آخذاً لنفسه الوعد الذي سبق وطلبه.

«أنت ستر لي»: نفس الكلام الذي نجده في مزمور (٢٧:٥):

+ «لأنه يخبئني في مظلَّته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني». وأيضاً: (مز ٣١:٢٠):

+ «تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن». وأيضاً: (مز ٩١:١):

+ «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت».

«من الضيق تحفظني»: انظر: (مز ١٢:٧):

+ «أنت يا رب تحفظهم. تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر». وأيضاً: (مز ٣١:٢٣):

+ «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه. الرب حافظ الأمانة ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء».

ويحفظ من الحزن الضاغط، انظر: (مز ٣١: ٩):

+ «ارحمني يا رب لأني في ضيق. خسفت من الغم عيني. نفسي وبطني».

«بترنم النجاة تكتنفني»: تحيطني بنداء الخلاص فيلازمني الفرح كلما اتجهت.

٨ – «أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ»:

مَنْ المتكلِّم هنا؟ صاحب المزمور أم الله. معظم الشراح قالوا إنه داود الذي يقف أمام نفسه كمعلِّم كما وجدناه في مزمور (٣٤: ١١):

+ «هلم أيها البنون استمعوا إليَّ فأعلِّمكم مخافة الرب».

ويكمِّل الوعد كما في مزمور (٥١: ١٣):

+ «فأعلِّم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون».

ولكن بكل تأكيد هو الله مجاوباً لاعتراف الصادق. وهل يجرؤ ناصح ما، كان مَنْ كان، أن يقول عيني عليك؟ التي هي نعمة الله بالحب مثل (مز ٣٣: ١٨):

+ «هوذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته». وأيضاً: (مز ٣٤: ١٥):

+ «عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم». وأيضاً: (إر ٢٤: ٦):

+ «وأجعل عيني عليهم للخير وأرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيهم ولا أهدمهم وأغرسهم ولا أقلعهم».

والدليل على أن المتكلِّم هو الله أن ننظر إلى ما جاء موازياً لذلك في (مز ٢٥: ٨و١٢):

+ «الرب صالح ومستقيم. لذلك يعلِّم الخطاة الطريق ... مَنْ هو الإنسان الخائف الرب؟ يعلِّمه طريقاً يختاره». وأيضاً: (مز ١٦: ٧):

+ «أبارك الرب الذي نصحني، وأيضاً بالليل تنذرني كليتاي». وأيضاً: (مز ٧٣: ٢٤):

+ «برأيك تهديني وبعد إلى مجد تأخذني».

[عدد ٩و١٠]: تحذير يخاطب به الجميع حتى لا يقاوموا إرادة الله ويهملوا تعليماته.

٩ – «لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلاَ فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ، يُكَمُّ لِئَلاَّ يَدْنُوَ إِلَيْكَ»:

الأصل العبري غير واضح ولكن المعنى بالتقريب هو أن الحيوانات ينبغي أن تضبط وتُجبر على التعليم لكي تخضع لإرادة الإنسان، فإذا لم يتقدَّم الإنسان إلى الله ويطيع بإرادته الحرة يحط نفسه إلى مستوى الحيوانات، وعليه ينتظر أن يعامل ويتلمذ بالحكم، انظر: (إش ٢٦: ٩و١٠):

+ «بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر: لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلَّم سكان المسكونة العدل، يُرحم المنافق ولا يتعلَّم العدل، في أرض الاستقامة يصنع شراً ولا يرى جلال الرب».

أمَّا بخصوص الذي لا يسمع لتعاليم الله يصير كبهيمة، انظر: (مز ٤٩: ١٢):

+ «والإنسان في كرامة لا يبيت، يشبه البهائم التي تُباد». وأيضاً: (مز ٧٣: ٢٢و٢٣):

+ «وأنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك. ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي اليمنى».

١٠ – «كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّرِّيرِ، أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ»:

التحذير السابق يرد عليه بالمقارنة بين نصيب الشرير ونصيب الصديق.

«نكبات»: أحزان وتأديبات وكوارث، انظر: (أي ٣٣: ١٩):

+ «أيضاً يؤدَّب بالوجع على مضجعه ومخاصمة عظامه دائمة».

«الرحمة»: إحسانات الله، انظر: (مز ٣١: ٧و١٦و٢١):

+ «أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتي وعرفت في الشدائد نفسي ... أضيء بوجهك على عبدك. خلِّصني برحمتك ... مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً رحمته لي في مدينة محصَّنة». وأيضاً: (مز ٣٣: ٥و١٨و٢٢):

+ «يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب ... هوذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته ... لتكن يا رب رحمتك علينا حسبما انتظرناك».

١١ – «افْرَحُوا بِالرَّبِّ وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ، وَاهْتِفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ»:

انظر: (مز ٥: ١١):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبو اسمك». وأيضاً: (مز ٣٣: ١):

+ «اهتفوا أيها الصديقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح». وأيضاً: (نح ٨: ١٠):

+ «فقال لهم اذهبوا، كلوا السمين واشربوا الحلو وابعثوا أنصبة لمن لم يُعد له، لأن اليوم إنما هو مقدَّس لسيدنا ولا تحزنوا، لأن فرح الرب هو قوتكم». وأيضاً: (في ٣: ١):

+ «أخيراً يا إخوتي افرحوا في الرب. كتابةُ هذه الأمور إليكم ليست عليَّ ثقيلةً، وأمَّا لكم فهي مؤمِّنةٌ». وأيضاً: (في ٤: ٤):

+ «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا». وأيضاً: (١تس ٥: ١٦-١٨):

+ «افرحوا كل حين، صلوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم».

نعم لأن كل الأرواح المتحابة يلزم أن تشترك في الفرح لنفس غُفر لها وتفرح بمعاملة نعمة الله.

المزمور الثالث والثلاثون

١- «اهْتِفُوا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ بِالرَّبِّ بِالْمُسْتَقِيمِينَ يَلِيقُ التَّسْبِيحُ.

٢- احْمَدُوا الرَّبَّ بِالْعُودِ. بِرَبَابَةٍ ذَاتِ عَشَرَةِ أَوْتَارٍ رَنِّمُوا لَهُ.

٣- غَنُّوا لَهُ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً. أَحْسِنُوا الْعَزْفَ بِهُتَافٍ.

٤- لأَنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ، وَكُلَّ صُنْعِهِ بِالأَمَانَةِ.

٥- يُحِبُّ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ. امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ.

٦- بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا.

٧- يَجْمَعُ كَنَدٍّ أَمْوَاهَ الْيَمِّ. يَجْعَلُ اللُّجَجَ فِي أَهْرَاءٍ.

٨- لِتَخْشَ الرَّبَّ كُلُّ الأَرْضِ، وَمِنْهُ لِيَخَفْ كُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ.

٩- لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ.

١٠- الرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ الأُمَمِ. لاَشَى أَفْكَارَ الشُّعُوبِ.

١١- أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.

١٢- طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُهَا، الشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثًا لِنَفْسِهِ.

١٣- مِنَ السَّمَوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ.

١٤- مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ.

١٥- الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعاً، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ.

١٦- لَنْ يَخْلُصَ الْمَلِكُ بِكَثْرَةِ الْجَيْشِ. الْجَبَّارُ لاَ يُنْقَذُ بِعِظَمِ الْقُوَّةِ.

١٧- بَاطِلٌ هُوَ الْفَرَسُ لأَجْلِ الْخَلاَصِ، وَبِشِدَّةِ قُوَّتِهِ لاَ يُنَجِّي.

١٨- هُوَذَا عَيْنُ الرَّبِّ عَلَى خَائِفِيهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ،

١٩- لِيُنَجِّيَ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، وَلِيَسْتَحْيِيَهُمْ فِي الْجُوعِ.

٢٠- أَنْفُسُنَا انْتَظَرَتِ الرَّبَّ. مَعُونَتُنَا وَتُرْسُنَا هُوَ.

٢١- لأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا، لأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ الْقُدُّوسِ اتَّكَلْنَا.

٢٢- لِتَكُنْ يَا رَبُّ رَحْمَتُكَ عَلَيْنَا حَسْبَمَا انْتَظَرْنَاكَ».

دراسة:

يبتدئ المزمور (٣٣) حيث ينتهي مزمور (٣٢) بالتسبيح وذكر جميع الأسباب التي بها يستحق يهوه أن يُمتدح، فهو يقف كأنه استجابة للدعوة التي جاءت في مزمور (١:٣٢) كمثل لتسبحة الخلاص التي تكلّم عنها مزمور (٧:٣٢) غير أنها تختلف كثيراً في الصفات.

فالمزمور تعليمي ينطوي على خبرة خاصة، فهو تسبحة جماعية قيلت في مناسبة خلاص عام للأمة. وبعكس المتبع في الكتاب الأول للمزامير، لا يوجد له عنوان في الأصل العبري، ولو أن السبعينية جعلته لداود، وربما يكون تذكاراً للخلاص من عدو وثني (١٠و١١و١٦) ولكن من المستحيل ذكر تاريخه أو واقعته. وهو يختلف عن مزمور يشبهه وهو مزمور (١٤٧) في أنه لا يحمل دلائل واضحة لزمن العودة من السبي كذلك فيه بعض ما يشبه مزمور (١٤٤).

والتركيب متوازن، فالمقدمة تدعو للتسبيح (١-٣)، والخاتمة ثقة في يهوه (٢٠-٢٢) وبينهما جسم المزمور أسباب تسبيح يهوه ويقع في قسمين: **الأول: عام:** يسبّح يهوه لأن له صفات أخلاقية تستحق التسبيح (٤و٥) ولأنه قادر على كل شيء (٦-٩) ولأنه فعل كل ما يشاء (١٠و١١) **والثاني: خاص:** يُسبح يهوه لأنه اختار شعبه واعتنى بهم وسط جميع الشعوب (١٢-١٥)، ثمّ يضيف القوة المادية أنها وهم (١٦و١٧)، ولكن الله هو الحافظ القدير لشعبه (١٨و١٩).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٣]: مقدّمة دعوة للتسبيح.

١ - «اهتفوا أيّها الصدّيقون بالرّبّ بالمستقيمين يليق التسبيح»:

الهتاف في الأصول العبادية اليهودية هو قمة التهليل بالفرح لتمجيد يهوه والإعلان بالخضوع له، والمستقيمون هم الأبرار وهم الإسرائيليون. والتسبيح بالحمد هو واجب وهو لكرامتهم وهو في أفواههم فقط يُحسب لائقاً، انظر: (مز ١:١٤٧):

+ «سبّحوا الرب لأن الترنّم لإلهنا صالح لأنه ملذ. التسبيح لائق».

٢ - «احمدوا الرّبّ بالعود. برَبابة ذات عشرة أوتار رنّموا له»:

الربابة تشبه القيثارة ولكن أقل تعقيداً، ولكنها آلة محبوبة عند العامة.

٣ - «غنّوا له أغنية جديدة. أحسنوا العزف بهتاف»:

لأن المراحم الجديدة تحتاج إلى تسبحة جديدة للحمد والشكر، انظر: (مز ٣:٤٠):

+ «وجعل في فمي ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا. كثيرون يرون ويخافون ويتوكّلون على الرب». وأيضاً: (مز ١:٩٦):
+ «رنّموا للرب ترنيمة جديدة. رنمي للرب يا كل الأرض». وأيضاً: (مز ١:٩٨):
+ «رنّموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب. خلّصته يمينه وذراع قدسه». وأيضاً: (مز ١:١٤٩):
+ «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته في جماعة الأتقياء». وأيضاً: (إش ١٠:٤٢):
+ «غنوا للرب أغنية جديدة. تسبيحه من أقصى الأرض». وأيضاً: (مز ٩:١٤٤):
+ «يا الله أُرنّم لك ترنيمة جديدة برباب ذات عشرة أوتار أُرنّم لك». وأيضاً: (رؤ ٩:٥):
+ «وهم يترنّمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة».

[عدد ٤-١١]: أساس أحقيّة التسبيح ليهوه.

(عدد ٤و٥): الصفات الأخلاقية ليهوه.

٤ - «لأنّ كلمة الرّبّ مستقيمة، وكلّ صنعه بالأمانة»:

انظر: (مز ٨:١٩):

+ «وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين». وأيضاً: (مز ٨:٢٥):
+ «الرب صالح ومستقيم. لذلك يُعلّم الخطاة الطريق». وأيضاً: (مز ١٥:٩٢):
+ «ليخبروا أن الرب مستقيم. صخرتي هو ولا ظلم فيه». وأيضاً: (هو ٩:١٤):
+ «فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها».

«وكل صنعه بالأمانة»: انظر: (تث ٤:٣٢):

+ «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل، إله أمانة لا جور فيه، صدّيق وعادل هو». وأيضاً: (مز ٥:٣٦):
+ «يا رب في السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام». وأيضاً: (مز ٢:٩٢):
+ «أن يخبر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة»

ولكن الكلمة والعمل لا يحدان صفات يهوه فهي تشمل كل مواصفات المشيئة التي له وهو دائماً كامل مع نفسه، انظر: (يع ١٧:١):

+ «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران».

٥ - «يُحِبُّ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ. امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ»:

البر هو أساس العدل والقضاء هو استخدامه بالفعل، انظر: (مز ٦:٣٦):

+ «عدلك مثل جبال الله وأحكامك لجة عظيمة ...». وأيضاً: (مز ٦:١٠٣):

+ «الرب مجري العدل والقضاء لجميع المظلومين».

أمّا من جهة محبته للبر والعدل، انظر: (مز ٧:١١):

+ «لأن الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يُبصر وجهه».

(عدد ٦-٩): يهوه خالق كلّي القدرة. و"كلمة يهوه" هي اصطلاح يحمل قوة الفكر وتدبير الإرادة. فهو يفكّر ويريد ويخلق العالم.

٦ - «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا»:

وتأتي نسمة فيه تسمية مقابلة للكلمة، والاثنان يمثلان القول: «قال الله ليكن» في سفر التكوين (٣:١ إلخ). وكلمة "فيه" مع النسمة جاءت لتستثني عمل "الروح" كما في (تك ٢:١) ولو أن الكلمة في الأصل تساوي الروح. وبذرة العقيدة للكلمة التي جاءت في إنجيل يوحنا (١: ١و٣) واضحة هنا، ولو أن صاحب المزمور لا يوجد عنده فكرة عن ذات الكلمة الأقنوم. انظر: (مز ٢٠:١٠٧):

+ «أرسل كلمته فشفاهم ونجّاهم من تهلكاتهم».

«كل جنودها»: جنود السموات (تك ١:٢) هي الشمس والقمر والنجوم تسير إلى الأمام كجيش منظّم منضبط تحت إمرة الله.

٧ - «يَجْمَعُ كَنَدٍّ أَمْوَاهَ الْيَمِّ. يَجْعَلُ اللُّجَجَ فِي أَهْرَاءٍ»:

انظر: (تك ١: ٨-١٠):

+ «ودعا الله الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً. وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء

إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه بحاراً، ورأى الله ذلك أنه حسن». وأيضاً: (إش ١٢:٤٠):

+ «من كال بكفّه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان».

٨ - «لِتَخْشَ الرَّبَّ كُلُّ الأَرْضِ، وَمِنْهُ لِيَخَفْ كُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ.
٩ - لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ»:

انظر كيف يتعجَّب الإنسان من قوة الخالق الفائق القدرة، انظر: (عا ١٣:٤):

+ «فإنه هوذا الذي صنع الجبال وخلق الريح وأخبر الإنسان ما هو فكره. الذي يجعل الفجر ظلاماً ويمشي على مشارف الأرض يهوه إله الجنود اسمه». وأيضاً: (عا ٨:٥):

+ «الذي صنع الثريا والجبار ويحوِّل ظل الموت صبحاً ويظلم النهار كالليل. الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض يهوه اسمه». وأيضاً: (عا ٦:٩):

+ «الذي بنى في السماء علاليه وأسَّس على الأرض قبته، الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض يهوه اسمه».

والقصد من هذا أن يُبرز صاحب المزمور عجائب الخليقة التي خُلقت بواسطة قول بسيط: "لتكن" fiat.

«لأنه قال فكان. هو أمر فصار»: انظر: (مز ١٤٨:٥و٦):

+ «لتسبِّح اسم الرب لأنه أمر فخُلقت. وثبَّتها إلى الدهر والأبد. وضع لها حداً فلن تتعدَّاه». وأيضاً: (مز ١١٩: ٩٠و٩١):

+ «إلى دور فدور أمانتك. أسَّست الأرض فثبتت. على أحكامك ثبتت اليوم لأن الكل عبيدك». وأيضاً: (إش ١٣:٤٨):

+ «ويدي أسست الأرض ويميني نشرت السموات. أنا أدعوهن فيقفن معاً».

(عدد ١٠و١١): سلطان يهوه على الأرض والعالم.

١٠ - «الرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ الأُمَمِ. لاَشَى أَفْكَارَ الشُّعُوبِ.
١١ - أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ»:

لا بد كان هذا على أثر حادث ذي خبرة (١٠). أمّا في الآية (١١) فبالمقارنة بالآية (١٠) يتضح أن مشورة يهوه تثبت مثل عمله، انظر: (إر ٢٣:٢٠):

+ «لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه في آخر الأيام تفهمون فهماً». وأيضاً: (إش ٨:١٠):

+ «تشاوروا مشورة فتبطل. تكلّموا كلمة فلا تقوم. لأن الله معنا». وأيضاً: (إش ٤٦:١٠):

+ «مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يُفعل قائلاً: رأيي يقوم وأفعل كل مسرّتي». وأيضاً: (إش ٥٥: ٨و٩):

+ «لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم». وأيضاً: (إر ٢٩:١١):

+ «لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب، أفكار سلام لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء».

وهكذا نفهم من الكلمات أنه على ممر الأجيال مشيئة الرب تسير وتنمو وتشير إلى المزيد.

[عدد ١٢-١٩]: ويلتفت صاحب المزمور من الأمم إلى الشعب المختار وعناية يهوه بإسرائيل تستمر وتحوي مطلب التسبيح. وطوبى للأمة التي جعلها الرب في اختياره ككلي القدرة في عنايته.

١٢ - «طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُهَا، الشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثًا لِنَفْسِهِ»:

هذه الطوبى أو السعادة مبنية على أساس (تث ٣٣:٢٩):

+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك». وأيضاً: (تث ٤: ٦-٨):

+ «فاحفظوا واعملوا. لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون هذا الشعب العظيم: إنما هو شعب حكيم وفطن. لأنه أي شعب وهو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا إليه. وأي شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم».

والسطر الأول في هذا العدد يتكرّر في مزمور (١٤٤:١٥):

+ «طوبى للشعب الذي له كهذا. طوبى للشعب الذي الرب إلهه».

والسطر الثاني في مزمور (٢٨:٩):

+ «خلّص شعبك وبارك ميراثك وارعهم واحملهم إلى الأبد».

١٣ - «مِنَ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ.

١٤ - مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ»:

يتركز المزمور هنا على رؤية يهوه الكلي القدرة ليشرح العناية الخاصة لشعبه على عرشه في السماء، انظر: (١مل ٨:٣٩):

+ «فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر واعمل وأعط كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه، لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر».

لأنه يعامل كل بني البشر، انظر: (مز ١١:٤):

+ «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه. عيناه تنظران أجفانه تمتحن بني آدم». وأيضاً: (مز ١٤:٢):

+ «الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله». وأيضاً: (مز ١٠٢: ١٩و٢٠):

+ «لأنه أشرف من علو قدسه الرب من السماء إلى الأرض نظر، ليسمع أنين الأسير ليطلق بني الموت».

١٥ - «الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ»:

نعم فالذي خلق الإنسان يعرف ما في قلب الإنسان، انظر: (مز ٩٤:٩):

+ «الغارس الأذن ألا يسمع. الصانع العين ألا يُبصر».

لأن الله الذي خلق الإنسان هو الذي يكوّن القلوب، انظر: (زك ١٢:١):

+ «يقول الرب باسط السموات ومؤسّس الأرض وجابل روح الإنسان في داخله».

فالكل تحت علمه ومعرفته وتدبيره.

[عدد ١٦-١٩]: مصادر المادة المضللة يقارنها بعناية يهوه لشعبه، وغرق فرعون وجنوده يبدو أنها عالقة في ذهنه. انظر: (تث ٣٣:٢٩):

+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك. فيتذلل لك

أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم».

١٦ ـ «لَنْ يَخْلُصَ الْمَلِكُ بِكَثْرَةِ الْجَيْشِ. الْجَبَّارُ لاَ يُنْقَذُ بِعِظَمِ الْقُوَّةِ»:

انظر: (مز ٢٠:٧):

+ «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل. أمّا نحن فاسم الرب إلهنا نذكر». وأيضاً: (مز ٤٤:٣):
+ «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلّصتهم. لكن يمينك وذراعك ونور وجهك لأنك رضيت عنهم». وأيضاً: (مز ٦٠:١١):
+ «أعطنا عوناً في الضيق فباطل هو خلاص الإنسان». وأيضاً: (١مكا ٣:١٩):
+ «لأنه ليس الظفر في الحرب بكثرة الجنود وإنما القوة من السماء».

١٧ ـ «بَاطِلٌ هُوَ الْفَرَسُ لأَجْلِ الْخَلاَصِ، وَبِشِدَّةِ قُوَّتِهِ لاَ يُنَجِّي»:

كانت الخيالة في إسرائيل جزءاً هاماً في الجيش ولكن كان في تقدير الأتقياء أنها باطلة ـ كذب ـ توهان ـ أمّا الأمان والنصرة ففي الرب وقوّته، انظر: (مز ٢١:١):

+ «يا رب بقوّتك يفرح الملك وبخلاصك كيف لا يبتهج جداً».

والفرس لا يؤمّن حياة راكبه، انظر: (أم ٢١:٣١):

+ «الفرس مُعدّ ليوم الحرب. أمّا النصرة فمن الرب».

١٨ ـ «هُوَذَا عَيْنُ الرَّبِّ عَلَى خَائِفِيهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ»:

انظر: (مز ٣٢:٨):

+ «أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك، عيني عليك». وأيضاً: (مز ٣٤:١٥):
+ «عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم». وأيضاً: (عز ٥:٥):
+ «وكانت على شيوخ اليهود عين إلههم فلم يوقفوهم حتى وصل الأمر إلى ...». وأيضاً: (أي ٣٦:٧):
+ «لا يحوّل عينيه عن البار بل مع الملوك يجلسهم على الكرسي أبداً فيرتفعون». وأيضاً: (١بط ٣:١٢):
+ «لأن عيني الرب على الأبرار وأذنيه إلى طلبتهم. ولكن وجه الرب ضد فاعلي الشر».

«الراجين رحمته»: أو على الأصح المنتظرين إحساناته، انظر: (مز ٣١:٢٤):

+ «لتتشدد ولتتشجّع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب».

١٩ ـ «لِيُنَجِّيَ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ، وَلِيَسْتَحْيِيَهُمْ فِي الْجُوعِ»:

الموت العنيف سواء بالحرب أو الوباء، لأن المجاعة كانت طبيعية في فلسطين، انظر: (مز ٣٧:١٩):

+ «لا يخزون في زمن السوء وفي أيام الجوع يشبعون».

[عدد ٢٠–٢٢]: يختم الشعب باعتراف ثقته ورجائه في يهوه كما جاء في (١–٣) وإجابة على أوصاف يهوه.

٢٠ ـ «أَنْفُسُنَا انْتَظَرَتِ الرَّبَّ. مَعُونَتُنَا وَتُرْسُنَا هُوَ»:

كلمة ''انتظرت'' هنا كلمة نادرة في المزامير وهي تختلف عن كلمة ''انتظرنا'' آية: ١٨و٢٢. وقد وُجدت فقط في (مز ١٠٦: ١٢و١٣):

+ «فآمنوا بكلامه. غنوا بتسبيحه. أسرعوا فنسوا أعماله. لم **ينتظروا** مشورته». وهي مستعملة في (إش ٨:١٧):
+ «فأصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب وأنتظره». وأيضاً: (إش ٣٠:١٨):
+ «لذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم ولذلك يقوم ليرحمكم لأن الرب إله حق. طوبى لجميع منتظريه». وأيضاً: (إش ٦٤:٤):
+ «ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا. لم تر عين إلهاً غيرك يصنع لمن ينتظره».

«معونتنا وترسنا»: انظر: (تث ٣٣:٢٩):

+ «طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك يا شعباً منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك». وأيضاً: (مز ٣:٣):
+ «أمّا أنت يا رب فترس لي. مجدي ورافع رأسي». وأيضاً: (مز ٢٨:٧):
+ «الرب عزي وترسي عليه اتكل قلبي فانتصرت. ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده». وأيضاً: (مز ١١٥: ٩–١١):
+ «يا إسرائيل اتكل على الرب. هو معينهم ومجنهم. يا بيت هارون اتكلوا على الرب. هو معينهم ومجنهم. يا متّقي الرب اتكلوا على الرب. هو معينهم ومجنهم».

٢١ ـ «لأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا، لأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ الْقُدُّوسِ اتَّكَلْنَا»:

القصد ذكر ''اسمه'' لأن الاسم هو المحفوظ في الفكر والقلب والتذكار. وقد عرَّف الله نفسه في (خر ٣: ١٥):

+ «وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور».

٢٢ - «لِتَكُنْ يَا رَبُّ رَحْمَتُكَ عَلَيْنَا حَسْبَمَا انْتَظَرْنَاكَ»:

لتكن إحساناتك علينا. قارن: (مز ٣١: ١و٢٤):

+ «عليك يا رب توكَّلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك نجِّني ... لتتشدَّد ولتتشجَّع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب». وأيضاً: (رو ٥: ٤و٥):

+ «والصبر تزكية والتزكية رجاء. والرجاء لا يخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا».

المزمور الرابع والثلاثون

لِدَاوُدَ عِنْدَمَا غَيَّرَ عَقْلَهُ قُدَّامَ أَبِيمَالِكَ فَطَرَدَهُ فَانْطَلَقَ

١ - «أُبَارِكُ الرَّبَّ فِي كُلِّ حِينٍ. دَائِماً تَسْبِيحُهُ فِي فَمِي.

٢ - بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي. يَسْمَعُ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ.

٣ - عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي، وَلْنُعَلِّ اسْمَهُ مَعاً.

٤ - طَلَبْتُ إِلَى الرَّبِّ فَاسْتَجَابَ لِي، وَمِنْ كُلِّ مَخَاوِفِي أَنْقَذَنِي.

٥ - نَظَرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنَارُوا، وَوُجُوهُهُمْ لَمْ تَخْجَلْ.

٦ - هذَا الْمِسْكِينُ صَرَخَ، وَالرَّبُّ اسْتَمَعَهُ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقَاتِهِ خَلَّصَهُ.

٧ - مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ.

٨ - ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ.

٩ - اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ، لأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ.

١٠ - الأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ، وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلاَ يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ.

١١ - هَلُمَّ أَيُّهَا الْبَنُونَ اسْتَمِعُوا إِلَيَّ فَأُعَلِّمَكُمْ مَخَافَةَ الرَّبِّ.

١٢ - مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي يَهْوَى الْحَيَاةَ، وَيُحِبُّ كَثْرَةَ الأَيَّامِ لِيَرَى خَيْراً؟

١٣ - صُنْ لِسَانَكَ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْكَ عَنِ التَّكَلُّمِ بِالْغِشِّ.

١٤ - حِدْ عَنِ الشَّرِّ وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا.

١٥ - عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ، وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ.

١٦ - وَجْهُ الرَّبِّ ضِدُّ عَامِلِي الشَّرِّ لِيَقْطَعَ مِنَ الأَرْضِ ذِكْرَهُمْ.

١٧ - أُولئِكَ صَرَخُوا، وَالرَّبُّ سَمِعَ، وَمِنْ كُلِّ شَدَائِدِهِمْ أَنْقَذَهُمْ.

١٨ - قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ.

١٩ - كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ، وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ.

٢٠ - يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لاَ يَنْكَسِرُ.

٢١ - الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ، وَمُبْغِضُو الصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ.

٢٢- الرَّبُّ فَادِي نُفُوسِ عَبِيدِهِ، وَكُلُّ مَنِ اتَّكَلَ عَلَيْهِ لاَ يُعَاقَبُ».

دراسة:

هو مزمور للتسبيح مع مزمور (٣٣). وصاحب المزمور يحتفل ويدعو آخرين لينضموا إليه في تسبيح عناية يهوه للذين يخافونه، يعلن عنايته من نحو نفسه وكل القديسين الذين أصيبوا (١-١٠)، ثمَّ يأخذ أسلوب المعلّم ويقدّم الصفات الأساسية لمخافة يهوه ويمتدحها مع ما يلازمها من الطوبى التي يسكبها على الذين يخافونه (١١-٢٢).

والآيات تجري اثنين اثنين، وهذا المزمور يتصل بالمزمور (٢٥) وكلاهما مرتَّب على الألفا فيتا (الحروف الأبجدية) التي هي ٢٢ حرفاً. وكلاهما ذو فكر واحد ولغة واحدة قريبة من سفر الأمثال، ومزمور ٣٤ يُعتبر أنه شكر على استجابة الصلاة المقدَّمة في مزمور ٢٥.

وهو مزمور لداود حينما ادعى الجنون أمام أبيمالك فطرده وارتحل. وهذه القصة مذكورة في (١صم ٢١: ١١-١٥):

+ «فقال عبيد أخيش له: أليس هذا داود ملك الأرض؟ أليس لهذا كُنَّ يغنين في الرقص قائلات: ضرب شاول ألوفه وداود ربواته. فوضع داود هذا الكلام في قلبه وخاف جدًّا من أخيش ملك جت. فغيَّر عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته. فقال أخيش لعبيده: هوذا ترون الرجل مجنوناً، فلماذا تأتون به إليَّ. ألعلي محتاج إلى مجانين حتى أتيتم بهذا ليتجنن عليَّ؟ أهذا يدخل بيتي؟»

وأخيش هذا هو ملك الفلسطينيين، وبعد مذبحة شاول لكهنة نوب هرب داود لجت وكانت رحلة خطرة لأنهم اكتشفوه ولكنه نجى بحياته بادعائه الجنون. انظر: (مز ٥٦) فعنوانه يذكر هذه الحادثة. ومعظم الشراح المحدثين يرفضون هذا العنوان لمزمور (٣٤) لأنه لا قيمة له. فالمزمور لا يوافق هذه الحادثة ولكنه يحمل بوضوح طابع زمن أقدم. والكاتب أخذه من المدوَّن في صموئيل الأول وحوَّل أبيمالك بدل أخيش كغلطة ذاكرة، ولكن من الصعب أن نفترض هذه الهفوة من المؤلف بالإضافة إلى أن العنوان لا يتناسب مع ما جاء في صموئيل الأول، ولا في المزمور شيء يوحي بذلك. فربما أُخذ المزمور من مذكرات داود السنوية وهو مصدر قديم أُخذ منه سفر صموئيل النبي.

ولكن من جهة الفكر والمعلومات والأسلوب فهو قريب من سفر الأمثال، ويبدو أنه من تاريخ متأخِّر.

وهو مزمور إفخارستي للكنيسة الأُولى والذي يدل على ذلك الآية (٨): «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب».

ويُلاحَظ أن الآيات (١و١٥) متصلة بمزمور (٣٣: ١و١٨)، والآية (٧) متصلة بالمزمور (٣٥: ٥و٦). كالمقارنة التالية:

مزمور (٣٤: ١و١٥)	(مزمور ٣٣: ١و١٨)
(١): «أبارك الرب في كل حين، دائماً تسبيحه في فمي». (١٥): «عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم».	(١): «اهتفوا أيها الصديقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح». (١٨): «هوذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته».
(مزمور ٣٤: ٧)	(مزمور ٣٥: ٥و٦)
(٧) «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم».	(٥): «ليكونوا مثل العصافة قدَّام الريح وملاك الرب داحرهم». (٦): «ليكن طرقهم ظلاماً وزلقاً وملاك الرب طاردهم». شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١و٢]: تصميم على التسبيح.

١ - «أُبَارِكُ الرَّبَّ فِي كُلِّ حِينٍ. دَائِماً تَسْبِيحُهُ فِي فَمِي»:

انظر: (مز ٣٣: ١):

+ «اهتفوا أيها الصديقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح».

٢ – «بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي. يَسْمَعُ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ»:

تبتدئ بكلمة "بالرب" مع التشديد. وكونها تأتي في بداية الآية بمعنى أنه بالرب وحده وليس بأي شيء آخر. انظر: (مز ٦:٤٩):

+ «الذين يتّكلون على ثروتهم وبكثرة غناهم يفتخرون».

انظر: (إر ٩: ٢٣و٢٤):

+ «هكذا قال الرب لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبّار بجبروته ولا يفتخر الغني بغناه، بل بهذا ليفتخر المفتخر بأنه يفهم ويعرفني إني أنا الرب الصانع رحمة وقضاءً وعدلاً في الأرض».

«**الودعاء**»: هم المتواضعون. انظر: (مز ١١:٥):

+ «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظلّلهم. ويبتهج بك محبّو اسمك».

فهو يدعو الودعاء أن يشاركوه مآسيه التي انتهت بالنصر. انظر: (١٢:٩):

+ «لأنه مطالب بالدماء، ذكرهم. لم ينسَ صراخ المساكين».

[عدد ٣و٤]: يدعو الودعاء ليشاركوه الشكر من أجل الخلاص.

٣ – «عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي، وَلْنُعَلِّ اسْمَهُ مَعًا»:

يعظم الرب بأن يعظِّم أعماله، انظر: (تث ٣:٣٢):

+ «إني باسم الرب أنادي، أعطوا عظمة لإلهنا».

ويعظم اسمه لأنه فوق كل اسم، انظر: (مز ١:٣٠):

+ «أعظمك يا رب لأنك انتشلتني ولم تشمت بي أعدائي».

٤ – «طَلَبْتُ إِلَى الرَّبِّ فَاسْتَجَابَ لِي، وَمِنْ كُلِّ مَخَاوِفِي أَنْقَذَنِي»:

وذلك بصلاة وتقوى ودعاء شديد، انظر: (مز ٦:٢٤):

+ «هذا هو الجيل الطالبُهُ الملتمسون وجهك يا يعقوب. سلاه».

فاستجاب لي من كل مخاوفي وأنقذني، انظر: (مز ١٣:٣١):

+ «لأني سمعت مذمة من كثيرين. الخوف مستدير بي بمؤامراتهم معاً عليَّ تفكّروا في أخذ نفسي».

[عدد ٥و٦]: مثل هذه الخبرة مع يهوه ومعونته ليست محدودة بصاحب المزمور.

٥ – «نَظَرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنَارُوا، وَوُجُوهُهُمْ لَمْ تَخْجَلْ»:

إن النظرة القلبية التي بالإيمان الصادق والثقة لا تكون باطلة، انظر: (إش ١:٣١):

+ «ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكّلون على المركبات لأنها كثيرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جدًّا ولا ينظرون إلى قدوس إسرائيل ولا يطلبون الرب». وأيضاً: (عد ٩:٢١):

+ «فصنع موسى حيَّة من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حيَّة إنساناً ونظر إلى حيَّة النحاس يحيا». وأيضاً: (زك ١٠:١٢):

+ «وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرُّعات فينظرون إليَّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له، ويكونون في مرارة عليه كمن هو في مرارة على بكره».

وكلمة "استناروا" كلمة نادرة موجودة في (إش ٥:٦٠):

+ «حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبكِ ويتَّسع».

«**لا تخجل**»: هذه الكلمة لم تقابلنا في الجزء السابق من سفر المزامير ولكنها تأتي مرتين في مزمور (٣٥: ٤و٢٦). وفي بعض المزامير التالية:

+ «ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي، ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكِّرون بإساءتي».
+ «ليخز وليخجل معاً الفرحون بمصيبتي. ليلبس الخزي والخجل المتعظِّمون عليَّ».

وقد جاءت هذه الآية في النسخ القديمة بفعل الأمر: «انظروا إليه واستنيروا ووجوهكم لن تخزى». وهذه القراءة محتملة وتدعمها القواعد.

٦ – «هذَا الْمِسْكِينُ صَرَخَ، وَالرَّبُّ اسْتَمَعَهُ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقَاتِهِ خَلَّصَهُ»:

انظر: (مز ١٢:٩):

+ «لأنه مطالب بالدماء. ذكرهم. لم ينس صراخ المساكين». وأيضاً: (مز ٧:٣١):
+ «أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتي وعرفت في الشدائد نفسي».

٧ – «مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ»:

في مفهوم العهد القديم ملاك الرب شخص مستيري (أي سرِّي) يظهر كنائب عن يهوه ويتدخَّل في حياة الإنسان ويُسمَّى أيضاً ملاك حضرة الله، انظر: (إش ٩:٦٣):

+ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم». وأيضاً: (خر ٢٣: ٢٠):

+ «ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته».

وهو مذكور فقط في (مز ٣٥: ٥و٦):

+ «ليكونوا مثل العصافة قدَّام الريح وملاك الرب داحرهم. ليكن طريقهم ظلاماً وزلقاً وملاك الرب طاردهم».

هذان هما المزموران الوحيدان المذكور فيهما "ملاك الرب". والملاك في حفظه ورعايته أقوى من جيش ويحيط حول المدينة كلها ليدافع عنها، انظر: (زك ٩: ٨):

+ «وأحل حول بيتي بسبب الجيش الذاهب والآئب فلا يعبر عليهم بعد جابي الجزية فإني الآن رأيت بعينيَّ».

والملاك محسوب أنه قائد جند الرب، انظر: (يش ٥: ١٣-١٥):

+ «وحدث لمَّا كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيف مسلول بيده. فسارَ يشوع إليه وقال له: هل لنا أنت أو لأعدائنا؟ فقال: كلاَّ بل أنا رئيس جند الرب أتيت. فسقط يشوع بوجهه على الأرض وسجد له وقال: بماذا يكلِّم سيدي عبده؟ فقال رئيس جند الرب ليشوع: اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدَّس ففعل يشوع كذلك».

ويُظن أنه معه جيش من الملائكة تحت أمره، انظر: (تك ٣٢: ١و٢):

+ «وأمَّا يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله ...» وأيضاً: (٢مل ٦: ١٦و١٧):

+ «فقال لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم. وصلَّى أليشع وقال يا رب: افتح عينيه فيبصر، ففتح الرب عيني الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع».

٨ - «ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ»:

أي حاول وأنت سترى كم هو صلاح الله مع خائفيه. انظر: (مز ٢٧: ١٣):

+ «لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء». وأيضاً: (١بط ٢: ٣)، بعد أن عدَّها:

+ «إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالحٌ».

فهو نقل من السبعينية فجاءت "صالح" وقد وجهها للمسيح.

«**طوبى للرجل المتوكِّل عليه**»: انظر: (مز ٢: ١٢):

+ «طوبى لجميع المتوكلين عليه». وأيضاً: (مز ٣٢: ٢):

+ «طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا في روحه غش».

وهو الرجل الذي اعتمد على الرب.

[عدد ٩و١٠]: قديسوه لا يعوزهم شيء.

٩ - «اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ، لأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ»:

يقصد أتقياءه مثل (مز ٣٠: ٤):

+ «رنِّموا للرب يا أتقياءه واحمدوا ذكر قدسه». وأيضاً: (مز ٣١: ٢٣):

+ «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه ...». أمَّا القديسون فمثل (مز ١٦: ٣):

+ «القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرَّتي بهم».

وهم المحسوبون أعضاء الأمة المقدَّسة، انظر: (خر ١٩: ٦):

+ «وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأُمة مقدَّسة. هذه هي الكلمات التي تكلِّم بها بني إسرائيل». وأيضاً: (لا ١١: ٤٤و٤٥):

+ «إني أنا الرب إلهكم فتتقدَّسون وتكونون قديسين لأني أنا قدوس، إني أنا الرب الذي أصعدكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً فتكونون قديسين لأني أنا قدوس».

«**عوز**»: هذه الكلمة جاءت هنا للمرَّة الوحيدة في المزامير ولكنها جاءت ثماني مرَّات في سفر الأمثال.

١٠ - «الأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ، وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلاَ يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ»:

ليس تصويريًا بل حقيقةً يتكلَّم عن الأشبال، والمعنى أن أقوى الوحوش تجوع لأنها تبحث بنفسها عن غذائها، فهي تقف عاجزة أحياناً عن أن تجد ما تأكله، ولكن ليس كذلك طالبو الرب لأنهم تحت عين الله التي لا تتركهم بلا طعام، انظر: (مز ٢٣: ١):

+ «الرب راعي فلا يعوزني شيء».

١١ - «هَلُمَّ أَيُّهَا الْبَنُونَ اسْتَمِعُوا إِلَيَّ فَأُعَلِّمَكُمْ مَخَافَةَ الرَّبِّ»:

وهو يقصد أولاً: العلاقة الأصلية الطيبة بين الإنسان والله، ثانياً: ثمّ المخافة. والاصطلاح يتردّد بكثرة في سفر الأمثال وفي العهد القديم كله، انظر: (أم ٩: ١٠):

+ «بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهمٌ». وأيضاً: (إش ١١: ٢و٣):

+ «ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذّته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه». وأيضاً: (١بط ١: ١٧-١٩):

+ «فسيروا زمان غربتكم بخوف، عالمين أنكم افتديتم لا بأشياءَ تفنى، ... بل بدمٍ كريم، كما مِنْ حَمَلٍ بلا عيبٍ ولا دنسٍ، دَمِ المسيح».

١٢ - «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي يَهْوَى الْحَيَاةَ، وَيُحِبُّ كَثْرَةَ الأَيَّامِ لِيَرَى خَيْراً؟»:

«**الحياة**»: ليست مجرَّد حياة بالاسم ولكن حياة جديدة باسم الحياة، انظر: (مز ١٦: ١١):

+ «تعرِّفني سبل الحياة. أمامك شبع سرور في يمينك نعم إلى الأبد». وأيضاً: (مز ٣٠: ٥):

+ «لأن للحظة غضبه. حياة في رضاه».

وقد جاءت كلمة الحياة مقرونة بمخافة الرب في سفر الأمثال. انظر: (أم ١٤: ٢٧):

+ «مخافة الرب ينبوع حياة للحيدان عن أشراك الموت». وأيضاً: (أم ١٩: ٢٣):

+ «مخافة الرب للحياة يبيت شبعان لا يتعهَّده شر». وأيضاً: (أم ٢٢: ٤):

+ «ثواب التواضع ومخافة الرب هو غنى وكرامة وحياة».

«**يحب كثرة الأيام ليرى خيراً**»: وهذا توضيح وشرح للجزء الأول من الآية. انظر: (مز ٤: ٦):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يُرينا خيراً. ارفع علينا نور وجهك يا رب».

أمّا طول الأيام، انظر: (أم ٣: ١و٢):

+ «يا ابني لا تنسَ شريعتي بل ليحفظ قلبك وصاياي فإنها تزيدك طول أيام وسنى حياة وسلامة». وأيضاً: (أم ١٠: ٢٧):

+ «مخافة الرب تزيد الأيام أمّا سنو الأشرار فتُقصَّر».

١٣ - «صُنْ لِسَانَكَ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْكَ عَنِ التَّكَلُّمِ بِالْغِشِّ»:

انظر: (أم ١٣: ٣):

+ «مَنْ يحفظ فمه يحفظ نفسه. مَنْ يشحر شفتيه فله هلاك». وأيضاً: (أم ٢١: ٢٣):

+ «مَنْ يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه». وأيضاً: (مز ٣٩: ١):

+ «قلت أتحفظ لسبيلي من الخطأ بلساني احفظ لفمي كمامة فيما الشرير مقابلي». وأيضاً: (يع ٣: ٥و٦):

+ «هوذا اللسان أيضاً عضو صغير ويفتخر متعظِّماً، هوذا نار قليلة أي وقود تحرق. فاللسان نار عالم الإثم. هكذا جُعل في أعضائنا اللسان الذي يدنِّس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويُضرم من جهنم».

«**الغش**»: انظر: (مز ٣٥: ٢٠):

+ «لأنهم لا يتكلّمون بالسلام وعلى الهادئين في الأرض يتفكّرون بكلام مكر (غش)». وأيضاً: (مز ٣٦: ٣):

+ «كلام فمه إثم وغش كف عن التعقُّل عن عمل الخير».

١٤ - «حِدْ عَنِ الشَّرِّ وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا»:

الجزء الأول من الآية مكرَّر في (مز ٣٧: ٢٧):

+ «حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد».

«**واسع وراءها**»: لا تجبن في الطريق، فإذا احتاج الأمر مداومة فاصنع جهدك واسعَ وراءها، وكلمة "اتبع البر" تجدها في (أم ٢١: ٢١):

+ «التابع العدل والرحمة يجد حياة حظاً وكرامةً». وتجدها في (إش ٥١: ١):

+ «اسمعوا لي أيها التابعون البر الطالبون الرب، انظروا إلى الصخر الذي منه قطعتم ...». وأيضاً: (رو ١٤: ١٩):

+ «فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض». وأيضاً: (عب ١٢: ١٤):

+ «اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب».

١٥ - «عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ، وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ»:

مع الجزء الأول من الآية انظر: (مز ٣٣: ١٨):

+ «هوذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته».

«أذناه إلى صراخهم»: انظر: (مز ١٨:٦):

+ «في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدَّامه دخل أذنيه».

١٦ – «وَجْهُ الرَّبِّ ضِدُّ عَامِلِي الشَّرِّ لِيَقْطَعَ مِنَ الأَرْضِ ذِكْرَهُمْ»:

وجه الرب يعني ظهور حضرته سواء في الغضب: (مز ٩:٣):

+ «عند رجوع أعدائي إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدَّام وجهك». أو بالرحمة: (عد ٦:٢٥):

+ «يُضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك».

«يقطع من الأرض ذكرهم»: أو ذكراهم، وحتى أسماءهم التي تذكرهم بها الناس، انظر: (مز ٩: ٥و٦):

+ «انتهرت الأمم، أهلكت الشرير، محوت اسمهم إلى الدهر والأبد. العدو تمَّ خرابه إلى الأبد. وهدمت مدناً باد ذكره نفسه». وأيضاً: (أي ١٨:١٧):

+ «ذكره يبيد من الأرض ولا اسم له على وجه البر». قارن مع مزمور (١١٢:٦):

+ «لأنه لا يتزعزع إلى الدهر. الصديق يكون لذكر أبدي».

١٧ – «أُولئِكَ صَرَخُوا، وَالرَّبُّ سَمِعَ، وَمِنْ كُلِّ شَدَائِدِهِمْ أَنْقَذَهُمْ»:

تتبع عدد (١٥)، لهذا لزم أن يأتي عدد (١٥) بعد (١٦).

١٨ – «قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ»:

انظر: (مز ١١٩:١٥١):

+ «قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق». وأيضاً: (إش ٥٠:٨):

+ «قريب هو الذي يبررني مَن يُخاصمني. لنتواقف ...». وللمقارنة، انظر: (مز ١٠:١):

+ «يا رب لماذا تقف بعيداً. لماذا تختفي في أزمنة الضيق».

«المنكسري القلوب ... المنسحقي الروح»: هم الذين هدَّهم الحزن والألم. انظر: (مز ١٤٧:٣):

+ «يشفي المنكسري القلوب ويجبر كسرهم». وأيضاً: (إر ٢٣:٩):

+ «انسحق قلبي في وسطي. ارتخت كل عظامي. صرت كإنسان سكران ومثل رجل غلبته الخمر من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه».

١٩ – «كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ، وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ»:

الرجل البار لا يُعفى من البلايا، بل وتكال له بالكثرة لأنها إكليله.

٢٠ – «يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لاَ يَنْكَسِرُ»:

سحق العظام تعبير عن شدة الآلام وتمزيقها للنفس وتحطيمها لروح الإنسان. انظر: (مز ٥١:٨):

+ «اسمعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظام سحقتها». وأيضاً: (إش ٣٨:١٣):

+ «صرخت إلى الصباح. كالأسد هكذا يهشم جميع عظامي».

أو الانكسار يكون من شدة الضيق، انظر: (مي ٣:٣):

+ «الذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم».

والمعنى أنه بعد هذا التهشيم يحفظ حياتهم. وهذه الآية من المزمور تشبه ما جاء في (خر ١٢:٤٦):

+ «في بيت واحد يؤكل. لا تخرج من اللحم من البيت إلى الخارج وعظماً لا تكسروا منه».

فهذا المزمور وما جاء هنا في سفر الخروج كانا في ذهن القديس يوحنا وهو يسرد عن المسيح في (يو ١٩:٣٦):

+ «لأنه هذا كان ليتم الكتاب القائل عظمٌ لا يُكسر منه [في الخروج كحمل، وفي المزمور كصديق]».

وهكذا الوعد الذي جاء في المزمور من أجل الرجل البار وجد بصورة غير متوقعة تكميلاً بديعاً في البار الحقيقي وحده!!

٢١ – «الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ، وَمُبْغِضُو الصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ»:

فبينما البار يُنقذ ولا يُكسر عظم من عظامه، فالشرير يميته شره. انظر، (مز ٥:١٠):

+ «دنهم يا الله. ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم طوِّح بهم لأنهم تمرَّدوا عليك».

٢٢ – «الرَّبُّ فَادِي نُفُوسِ عَبِيدِهِ، وَكُلُّ مَنِ اتَّكَلَ عَلَيْهِ لاَ يُعَاقَبُ»:

انظر: (مز ٢٥:٢٢):

+ «يا الله افد إسرائيل من كل ضيقاته».

المزمور الخامس والثلاثون

لِدَاوُدَ

١ – «خَاصِمْ يَا رَبُّ مُخَاصِمِيَّ. قَاتِلْ مُقَاتِلِيَّ.
٢ – أَمْسِكْ مِجَنًّا وَتُرْساً وَانْهَضْ إِلَى مَعُونَتِي،
٣ – وَ أَشْرِعْ رُمْحاً وَصُدَّ تِلْقَاءَ مُطَارِدِيَّ. قُلْ لِنَفْسِي: "خَلاَصُكِ أَنَا".
٤ – لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ وَيَخْجَلِ الْمُتَفَكِّرُونَ بِإِسَاءَتِي.
٥ – لِيَكُونُوا مِثْلَ الْعُصَافَةِ قُدَّامَ الرِّيحِ، وَمَلاَكُ الرَّبِّ دَاحِرُهُمْ.
٦ – لِيَكُنْ طَرِيقُهُمْ ظَلاَماً وَزَلَقاً، وَمَلاَكُ الرَّبِّ طَارِدُهُمْ.
٧ – لأَنَّهُمْ بِلاَ سَبَبٍ أَخْفَوْا لِي هُوَّةَ شَبَكَتِهِمْ. بِلاَ سَبَبٍ حَفَرُوا لِنَفْسِي.
٨ – لِتَأْتِهِ التَّهْلُكَةُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، وَلْتَنْشَبْ بِهِ الشَّبَكَةُ الَّتِي أَخْفَاهَا، وَفِي التَّهْلُكَةِ نَفْسِهَا لِيَقَعْ.
٩ – أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ بِخَلاَصِهِ.
١٠ – جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: "يَا رَبُّ مَنْ مِثْلُكَ الْمُنْقِذُ الْمِسْكِينَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَالْفَقِيرَ وَالْبَائِسَ مِنْ سَالِبِهِ؟".
١١ – شُهُودُ زُورٍ يَقُومُونَ، وَعَمَّا لَمْ أَعْلَمْ يَسْأَلُونَنِي.
١٢ – يُجَازُونَنِي عَنِ الْخَيْرِ شَرًّا، ثَكَلاً لِنَفْسِي.
١٣ – أَمَّا أَنَا فَفِي مَرَضِهِمْ كَانَ لِبَاسِي مِسْحاً. أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي، وَصَلاَتِي إِلَى حِضْنِي تَرْجِعُ.
١٤ – كَأَنَّهُ قَرِيبٌ، كَأَنَّهُ أَخِي كُنْتُ أَتَمَشَّى. كَمَنْ يَنُوحُ عَلَى أُمِّهِ انْحَنَيْتُ حَزِيناً.
١٥ – وَ لكِنَّهُمْ فِي ظَلْعِي فَرِحُوا وَاجْتَمَعُوا. اجْتَمَعُوا عَلَيَّ شَاتِمِينَ وَلَمْ أَعْلَمْ. مَزَّقُوا وَلَمْ يَكُفُّوا.
١٦ – بَيْنَ الْفُجَّارِ الْمُجَّانِ لأَجْلِ كَعْكَةٍ حَرَّقُوا عَلَيَّ أَسْنَانَهُمْ.
١٧ – يَا رَبُّ، إِلَى مَتَى تَنْظُرُ؟ اسْتَرِدَّ نَفْسِي مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ، وَحِيدَتِي مِنَ الأَشْبَالِ.
١٨ – أَحْمَدُكَ فِي الْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ. فِي شَعْبٍ عَظِيمٍ أُسَبِّحُكَ.
١٩ – لاَ يَشْمَتْ بِي الَّذِينَ هُمْ أَعْدَائِي بَاطِلاً، وَلاَ يَتَغَامَزْ بِالْعَيْنِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ.
٢٠ – لأَنَّهُمْ لاَ يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّلاَمِ، وَعَلَى الْهَادِئِينَ فِي الأَرْضِ يَتَفَكَّرُونَ بِكَلاَمِ مَكْرٍ.

٢١ – فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ. قَالُوا: "هَهْ! هَهْ! قَدْ رَأَتْ أَعْيُنُنَا".
٢٢ – قَدْ رَأَيْتَ يَا رَبُّ، لاَ تَسْكُتْ. يَا سَيِّدُ، لاَ تَبْتَعِدْ عَنِّي.
٢٣ – اسْتَيْقِظْ وَانْتَبِهْ إِلَى حُكْمِي، يَا إِلهِي وَسَيِّدِي إِلَى دَعْوَايَ.
٢٤ – اقْضِ لِي حَسَبَ عَدْلِكَ يَا رَبُّ إِلهِي، فَلاَ يَشْمَتُوا بِي.
٢٥ – لاَ يَقُولُوا فِي قُلُوبِهِمْ: "هَهْ! شَهْوَتُنَا". لاَ يَقُولُوا: "قَدِ ابْتَلَعْنَاهُ!".
٢٦ – لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعاً الْفَرِحُونَ بِمُصِيبَتِي. لِيَلْبَسِ الْخِزْيَ وَالْخَجَلَ الْمُتَعَظِّمُونَ عَلَيَّ.
٢٧ – لِيَهْتِفْ وَيَفْرَحِ الْمُبْتَغُونَ حَقِّي، وَلْيَقُولُوا دَائِماً: "لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ الْمَسْرُورُ بِسَلاَمَةِ عَبْدِهِ".
٢٨ – وَلِسَانِي يَلْهَجُ بِعَدْلِكَ. الْيَوْمَ كُلَّهُ بِحَمْدِكَ.

دراسة:

الأعداء الألداء يبحثون كيف يقضون على حياة صاحب المزمور، ولكن عداهم بلا سبب وخبثهم اشتد بسبب عدم الشكر. وهو يلتجيء إلى يهوه ليصنع معه عدلاً ويخلّصه.

وواضح أن كل واحد من هذه الاضطهادات والملاحقة هي بواسطة شاول:

١ – فشاول كان يطلب حياة داود، انظر: (١صم ٢٠: ١-٣):

+ «فهرب داود من نايوت في الرامة وجاء وقال قدّام يوناثان: ماذا عملت؟ وما هو إثمي؟ وما هي خطيتي أمام أبيك حتى يطلب نفسي؟ فقال له: حاشا! لا تموت. هوذا أبي لا يعمل أمراً كبيراً ولا أمراً صغيراً إلاَّ ويخبرني به. ولماذا يُخفي عني أبي هذا الأمر؟ ليس كذا. فحلف أيضاً داود وقال: إن أباك قد علم أني قد وجدت نعمة في عينيك فقال لا يعلم يوناثان هذا لئلاَّ يغتم». وأيضاً: (١صم ٢٣:١٥):

+ «فرأى داود أن شاول قد خرج يطلب نفسه. وكان داود في برية زيف في الغاب». وأيضاً: (١صم ٢٤:١١):

+ «فانظر يا أبي أيضاً طرف جبتك بيدي. فمن قطعي طرف جبتك وعدم قتلي إيَّاك اعلم وانظر أنه ليس في يدي شر ولا جرم ولم أخطئ إليك وأنت تصيد نفسي لتأخذها». وأيضاً: (١صم ٢٥:٢٩):

+ «وقد قام رجل ليطاردك (شاول) ويطلب نفسك ولكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة **الحياة مع الرب إلهك.** وأمَّا نفس أعدائك فليرمِ بها كما من وسط كفّة المقلاع!!».

٢ ـ وأعداء شاول كانوا قد هيَّجوه بأساليب المكر والخداع، رجال الحكم الذين كانوا يغيرون من داود، رجال كان معهم في علاقات الصداقة السالفة في الحكم، وهكذا يحتج مرَّة وراء مرَّة ليظهر براءته من كل التهم التي تصفه بالخيانة وعدم الولاء، انظر: (١صم ١٩:٥):

+ «فإنه وضع نفسه بيده (جازف) وقتل الفلسطيني فصنع الرب خلاصاً عظيماً لجميع إسرائيل، أنت رأيت وفرحت. فلماذا تُخطئ إلى دم بريء بقتل داود بلا سبب (كلام يوناثان ابن شاول لشاول)». وأيضاً: (١صم ٢٤:٩):

+ «وقال داود لشاول لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيتك». وأيضاً: (١صم ٢٦: ١٨و١٩):

+ «لماذا سيدي يسعى وراء عبده لأني ماذا عملتُ وأي شرٍّ بيدي. والآن فليسمع سيدي الملك كلام عبده. فإن كان الرب قد أهاجك ضدِّي فليشتَمَّ تقدمة. وإن كان بنو الناس فليكونوا ملعونين أمام الرب لأنهم قد طردوني اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب ...».

٣ ـ وبالالتجاء إلى الله كقاضٍ وحكم، انظر: (١صم ٢٤: ١٢و١٥):

+ «يقضي الرب بيني وبينك وينتقم لي الرب منك ولكن يدي لا تكون عليك ... فيكون الرب الديَّان ويقضي بيني وبينك ويرى ويحاكم محاكمتي وينقذني من يدك».

ولكن المزمور ليس ضد شاول ولكن ضد الأعداء الذين هيَّجوا شاول وتسبَّبوا في دخوله في الغيرة المجنونة فظهر حسده من داود مرَّة واحدة. فلم يتركوا وسيلة حتى يوقعوا به. ويُعتقد أن ما جاء في إرميا بهذا المعنى مأخوذ من هذا المزمور: (قارن إر ١٢:٢٣، ١٨: ٢٠و٢٢).

والمزمور يقع في ثلاثة أقسام:

أولاً: من (١ـ١٠) الالتجاء إلى الله كمدافع جبار (١ـ٣)، ثمَّ صلاة ضد أعدائه (٤ـ٦)، وبخصوص عداوتهم التي بلا أساس (٧ـ٨) مع ختام بالشكر (٩و١٠).

ثانياً: من (١١ـ١٨) وصف لمقاومة المضطهدين حيث يتهمونه باطلاً ويقلبون الخير شرًّا (١١و١٢) مع أنه في أمراضهم أظهر محبة وودداً ومشاركة بالحزن والشعور (١٣و١٤)، وقابلوه بالخديعة والكراهية (١٥و١٦)، ثمَّ صلاة طالباً للخلاص وعهد بالشكر الدائم (١٧و١٨).

ثالثا: من (١٩ـ٢٨): صلاة من جديد حتى لا يسمع يهوه لمثل هذا الخبث والمكر بواسطة أعدائه ليتغلَّبوا عليه ولكن ليصنع معه بالعدل، لكي هو والذين يتعاملون معه يُسرُّون بظهور نعمة يهوه.

ويلاحظ أن هناك نقط تقابل مع المزامير ٧ و ٢٢ و ٣٨ـ٤٠ و ٦٩.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١ـ٣]: يطلب من الله من أجل قضيته ويترافع ضد أعدائه:

١ ـ «خَاصِمْ يَا رَبُّ مُخَاصِمِيَّ. قَاتِلْ مُقَاتِلِيَّ»:

يطلب من يهوه أن يدافع في قضيته ضد الأعداء، فهو يرجو يهوه كقاضٍ أن يصنع معه عدلاً، والصيغة القضائية واضحة في (٢٣و٢٤)، ولكن مكان الحكم والقضاء هو مكان المعركة المحتومة بينهما. وهكذا حوَّل القضية إلى معركة وإلى أن يُسلِّح الله نفسه لحسابه، لكن النصرة محسوبة أنها قضائية، انظر: (١صم ٢٤:١٥):

+ «فيكون الرب الديَّان ويقضي بيني وبينك ويرى ويحاكم محاكمتي وينقذني من يدك». وأيضاً: (١صم ٢٥:٣٩):

+ «فلمَّا سمع داود أن نابال قد مات قال: مبارك الرب الذي انتقم نقمة تعييري من يد نابال وأمسك عبده عن الشر ورد الرب شر نابال على رأسه».

لأن النزاع الذي يعملونه ضدِّي يعمله الله معهم. وأيضاً: (إش ٤٩: ٢٤ـ٢٦):

+ «هل تُسلب من الجبَّار غنيمة وهل يفلت سبي المنصور. فإنه هكذا قال الرب حتى سبي الجبَّار يُسلب وغنيمة العاتي تفلت، وأنا أخاصم مخاصمك وأُخلِّص أولادكِ وأطعم ظالميكِ لحم أنفسهم».

٢ ـ «أَمْسِكْ مِجَنًّا وَ تُرْساً وَ انْهَضْ إِلَى مَعُونَتِي،

٣ ـ وَ أَشْرِعْ رُمْحاً وَصُدَّ تِلْقَاءَ مُطَارِدِيَّ. قُلْ لِنَفْسِي: "خَلاَصُكِ أَنَا"»:

ألبس الترس والدرع، فذكر الاثنين معاً نوع من الشعر التصويري، وقِفْ لمعاونتي. انظر: (مز ٢٧:٩):

+ «لا تحجب وجهك عني، لا تخيِّب بسخط عبدك. قد كنت عوني. فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي».

«**أشرع رمحا**»: كما يسحب السيف من غمده.

«**تلقاء مطاردي**»: يصد هجوم أعدائي ويضطر للهرب الذين يبغضونني، انظر: (١صم ٢٤:١٤):

+ «وراء من خرج ملك إسرائيل. وراء مَنْ أنت مطارد. وراء كلب ميت. وراء برغوث واحد».

«**قل لنفسي**»: أعطني راحة بتأكيد بتدخُلك لخلاصي، انظر: (مز ٣:٢):

+ «كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإلهه».

وهو يقصد الخلاص من هجوم أعدائه عليه.

[عدد ٤-٦]: صلاة ليرتد أعداؤه بصورة تصويرية:

٤ ـ «لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ وَ يَخْجَلِ الْمُتَفَكِّرُونَ بِإِسَاءَتِي»:

من جهة كلمة يطلبون نفسي، انظر: (١صم ٢٠:١):

+ «فهرب داود من نايوت في الرامة وجاء وقال قدّام يوناثان ماذا عملتُ وما هو إثمي وما هي خطيتي أمام أبيك حتى يطلب نفسي؟».

فليتهم يخيبون من مخططهم وينصدون في هجومهم، انظر: (مز ٤٠:١٤):

+ «ليخز وليخجل معاً الذي يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتي». وأيضاً: (مز ٦:١٠):

+ «جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جدًّا. يعودون ويخزون بغتة».

٥ ـ «لِيَكُونُوا مِثْلَ الْعُصَافَةِ قُدَّامَ الرِّيحِ، وَمَلاَكُ الرَّبِّ دَاحِرُهُمْ.

٦ ـ لِيَكُنْ طَرِيقُهُمْ ظَلاَماً وَزَلَقاً، وَمَلاَكُ الرَّبِّ طَارِدُهُمْ»:

منظر مرعب والطريق زلق، اختلط فيه الحابل بالنابل كمنظر معركة كان الطين فيها عدو المحارب، وهكذا هي أرض فلسطين ـ وعافيتهم كقشة في مهب الريح. انظر: (مز ٨٣:١٣):

+ «يا إلهي اجعلهم مثل الجل (براز البهائم) مثل القش أمام الريح».

وقد طُردوا فدخلوا في طريق مظلم كله طين وزلق حيث لا يرون ولا يثبّتون أرجلهم، وفوق هذا وذاك أن ملاك الله يطاردهم ويدحرهم حتى لا يهربوا. علماً بأن طرق فلسطين إذا تعجّنت بالماء وهي كلسية تصير زلقة كالصابون.

«**طاردهم**»: وهو منظر العصافة حينما تهب الرياح الشديدة وتكنسها أمامها، انظر: (إش ١٣:١٧):

+ «قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً وتُطرد كعصافة الجبال أمام الريح

وكالجل أمام الزوبعة». وأيضاً: (مز ٣٦:١٢):

+ «هناك سقط فاعلو الإثم. دُحروا فلم يستطيعوا القيام». وأيضاً: (مز ١١٨:١٣):

+ «دحرتني دحوراً لأسقط. أمَّا الرب فعضدني». وأيضاً: (مز ١٤٠:٤):

+ «احفظني يا رب من يدي الشرير. من رجل الظلم أنقذني. الذين تفكّروا في تعثير خطواتي». أمَّا من جهة الملاك فانظر: (مز ٣٤:٧):

+ «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم».

[عدد ٧و٨]: عداوة بلا سبب، كانت هي قوام صلاته:

٧ ـ «لأَنَّهُمْ بِلاَ سَبَبٍ أَخْفَوْا لِي هُوَّةَ شَبَكَتِهِمْ. بِلاَ سَبَبٍ حَفَرُوا لِنَفْسِي»:

كلمة "هوَّة" الأفضل أن نربطها بالجزء الثاني من الآية: حفروا لنفسي هوَّة، انظر: (إر ١٨: ٢٠و٢٢):

+ «هل يُجازى عن خير بشر؟ لأنهم حفروا حفرة لنفسي. اذكر وقوفي أمامك لأتكلَّم عنهم بالخير ... لِيُسمع صياح من بيوتهم إذ تجلب عليهم جيشاً بغتة. لأنهم حفروا حفرة ليمسكوني وطمروا فخاخاً لرجليَّ».

٨ ـ «لِتَأْتِهِ التَّهْلُكَةُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، وَلْتَنْشَبْ بِهِ الشَّبَكَةُ الَّتِي أَخْفَاهَا، وَفِي التَّهْلُكَةِ نَفْسِهَا لِيَقَعْ»:

ليت خيوط الشبكة تلتف على رأسه، انظر: (مز ٧:١٥):

+ «كرا جباً. حفره فسقط في الهوَّة التي صنع». أمَّا في بداية الآية فانظر: (إش ٤٧:١١):

+ «فيأتي عليكِ شر لا تعرفين فجره، وتقع عليكِ مصيبة لا تقدرين أن تصدّيها، وتأتي عليكِ بغتة تهلكة لا تعرفين بها».

[عدد ٩و١٠]: سرور الخلاص:

٩ ـ «أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ بِخَلاَصِهِ.

١٠ ـ جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: "يَا رَبُّ مَنْ مِثْلُكَ الْمُنْقِذُ الْمِسْكِينَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَالْفَقِيرَ وَالْبَائِسَ مِنْ سَالِبِهِ؟"»:

إن فرحته الشديدة رنَّت في عظامه التي كانت قد انسحقت، انظر: (مز ٥١:٨):

+ «أسمعني سروراً وفرحاً. فتبتهج عظام سحقتها». وأيضاً: (مز ٦:٢):

+ «ارحمني يا رب لأني ضعيف. اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت».

«**مَنْ مثلك**»: بالنسبة للقوة والصلاح، انظر: (خر ١٥:١١):

+ «مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب مَنْ مثلك معتزاً في القداسة. مخوفاً بالتسابيح. صانعاً عجائب». وأيضاً: (مي ٧:١٨):

+ «مَنْ هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسرُّ بالرأفة».

«**الفقير**»: المصاب وهو دائماً محتاج جدًّا. انظر: (مز ٣٧:١٤):

+ «الأشرار قد سلّوا السيف ومدُّوا قوسهم لرمي المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم». وأيضاً: (مز ٤٠:١٧):

+ «أمَّا أنا فمسكين وبائس، الرب يهتم بي. عوني ومنقذي أنت. يا إلهي لا تبطئ». وأيضاً: (مز ٨٦:١):

+ «أمل يا رب أذنك. استجب لي. لأني مسكين وبائس أنا».

[عدد ١١-١٨]: اضطهاد بلا سبب وعدم عرفان المضطهدين له بحركان رحمة الله عليه:

١١ - «**شُهُودُ زُورٍ يَقُومُونَ، وَعَمَّا لَمْ أَعْلَمْ يَسْأَلُونَنِي**»:

هم شهود عنف ومقاومة ومكر كما نجدها في (خر ٢٣:١):

+ «لا تقبل خبراً كاذباً. ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم». وأيضاً: (تث ١٩: ١٦-١٩):

+ «إذا قام شاهد زور على إنسان يشهد عليه بزيغ. يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب أمام الكهنة والقضاة الذين يكونون في تلك الأيام. فإن فحص القضاة جيداً وإذا الشاهد شاهد كاذب قد شهد بالكذب على أخيه. فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه. فتنزعون الشر من وسطكم». وأيضاً: (مز ٢٧:١٢):

+ «لا تسلّمني إلى مرام مضايقي. لأنه قد قام عليَّ شهود زور ونافث ظلم».

«**وعما لم أعلم يسألونني**»: نسبوا إليَّ جرائم أنا لم أسمع عنها، انظر: (مز ٦٩:٤):

+ «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. اعتز مستهلكي. أعدائي ظلماً حينئذ رددت الذي لم أخطفه». وأيضاً: (١صم ٢٤:٩):

+ «وقال داود لشاول: لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيتك؟». وأيضاً: (مت

٢٦:٥٩):

+ «وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه».

١٢ - «**يُجَازُونَنِي عَنِ الْخَيْرِ شَرًّا، ثُكْلاً لِنَفْسِي**»:

هذا العدد يكمِّل ما فات بأشنع منظر وأعداؤه يجرمون إزاء إحسانه لهم، انظر: (مز ٣٨:٢٠):

+ «والمجازون عن الخير بشر يقاومونني لأجل اتباعي الصلاح». وأيضاً: (مز ١٠٩:٥):

+ «وضعوا عليَّ شرًّا بدل خير وبغضاً بدل حبي». وأيضاً: (أم ١٧:١٣):

+ «مَنْ يجازي عن خير بشر لن يبرح الشر من بيته».

وقد اعترف شاول بهذا عينه (١صم ٢٤:١٧):

+ «ثم قال لداود أنت أبر مني لأنك جازيتني خيراً وأنا جازيتك شرًّا».

«**ثكلاً لنفسي**»: مثل هذا الشعور يجعله وحيداً منفرداً ليس له أحد كامرأة بلا ولد.

١٣ - «**أَمَّا أَنَا فَفِي مَرَضِهِمْ كَانَ لِبَاسِي مِسْحاً. أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي، وَصَلاَتِي إِلَى حِضْنِي تَرْجِعُ**»:

بدل الخير الذي صنعه معهم ومشاعره الطيبة لهم عندما كانوا في ضيقة. لم تكن بالشكل بل بالفعل لقد بكى ليشفوا وتواضع أمام الله من أجلهم بنواح وبصوم كما يقول المزمور (٦٩: ١٠و١١):

+ «وأبكيت بصوم نفسي فصار ذلك عاراً عليَّ. جعلت لباسي مسحاً وصرت لهم مثلاً». وأيضاً: (٢صم ١٢:١٦):

+ «فسأل داود الله من أجل الصبي وصام داود صوماً ودخل وبات مضطجعاً على الأرض». وأيضاً: (يؤ ٢:١٢):

+ «ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح» حتى تُغفر خطيتكم والمرض يزول.

«**أذللت**»: أوضعت نفسي بالشدائد وأهنت نفسي، وهو اصطلاح في سفر اللاويين، انظر: (لا ١٦: ٢٩و٣٠):

+ «ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذلّلون نفوسكم وكل عمل لا تعملون الوطني والغريب النازل في وسطكم. لأنه في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم أمام الرب فتطهرون». وأيضاً: (لا ٢٣:٢٧):

+ «أمّا العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم كفّارة. محفلاً مقدّساً يكون لكم تذللون نفوسكم وتقرِّبون وقوداً للرب». وأيضاً: (إش ٥٨: ٣-٤):

+ «يقولون لماذا صمنا ولم تنظر – ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ – ها إنكم في يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تُسخِّرون. ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر».

«وصلاتي إلى حضني ترجع»:

معنى غير واضح ولكن يبدو أنها لا تصعد إلاّ إلى الله ولكن تعود فارغة إليه. انظر: (مت ١٠:١٣):

+ «فإن كان البيت مستحقاً فليأتِ سلامكم عليه. ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم إليكم».

لأنه لا يوجد شيء في الصلاة لا يُستجاب ولكن الصلاة ترجع إلى صدر قائلها، لقد جازوا شرّاً عوض خير فصلاتهم بلا جزاء. لقد قاسوا الخير ووزنوه تماماً شراً، لأن الشر الذي بلا سبب يعود إلى صدر صاحبه. انظر: (مز ٧٩:١٢):

+ «وردَّ على جيراننا سبعة أضعاف في أحضانهم العار الذي عيَّروك به يا رب». وأيضاً: (إر ١٨:٢٠):

+ «هل يجازي عن خير بشر. لأنهم حفروا حفرة لنفسي. اذكر وقوفي أمامك لأتكلم عنهم بالخير لأرد غضبك عنهم».

١٤ – «كَأَنَّهُ قَرِيبٌ، كَأَنَّهُ أَخِي كُنْتُ أَتَمَشَّى. كَمَنْ يَنُوحُ عَلَى أُمِّهِ انْحَنَيْتُ حَزِيناً»:

كانوا أقرباء وقريبين لنفسي فحزنت عليهم كما في (مز ٣٨: ٥-٨):

+ «قد أنتنت قاحت حبر ضربي من جهة حماقتي. لويت انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزيناً. لأن خاصرتيَّ قد امتلأتا احتراقاً وليست في جسدي صحة. خدرت وانسحقت إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبي». وأيضاً: (إر ١٨:٢٠) السابق ذكره.

الآيتين (١٥)، (١٦) غير مفهومة في جميع النسخ.

١٧ – «يَا رَبُّ، إِلَى مَتَى تَنْظُرُ؟ اسْتَرِدَّ نَفْسِي مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ، وَحِيدَتِي مِنَ الأَشْبَالِ»:

ألا ترى يا رب. أنقذ نفسي. خلِّص نفسي. أحضر نفسي مرَّة أخرى لأنها هلكت وحيدتي، خلِّص حياتي. انظر (مز ٢٢:٢٠):

+ «أنقذ من السيف نفسي. من يد الكلب وحيدتي». الأسد يتعقّبني. انظر: (مز ٥٧:٤):

+ «نفسي بين الأشبال. أضطجع بين المتقدين بني آدم. أسنانهم أسِنَّة وسهام، ولسانهم سيف ماض».

١٨ – «أَحْمَدُكَ فِي الْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ. فِي شَعْبٍ عَظِيمٍ أُسَبِّحُكَ»:

يوازيه ما جاء في مزمور (٢٢: ٢٢و٢٥) حيث جاءت الجماعة الكثيرة، والجماعة العظيمة وكذلك ما جاء في (مز ٤٠: ٩و١٠). الجماعة العظيمة. وهو يقصد الشكر العلني.

(١٩–٢٨): إعادة الصلاة ولكن بنغمة أكثر هدوءاً:

١٩ – «لاَ يَشْمَتْ بِي الَّذِينَ هُمْ أَعْدَائِي بَاطِلاً، وَلاَ يَتَغَامَزْ بِالْعَيْنِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ»:

الأسباب التي أقاموا عليها خصومتهم باطلة وكاذبة.

«يتغامز بالعين»: علامة المكر والخداع وعدم القبول وهي علامات الرضا بخسراني، انظر: (أم ٦: ١٢و١٣):

+ «الرجل اللئيم الرجل الأثيم يسعى باعوجاج الفم. يغمز بعينيه يقول برجله يشير بأصابعه». وأيضاً: (أم ١٠:١٠):

+ «مَنْ يغمز بالعين يسبب حزناً والغبي الشفتين يُصرع».

«الذين يبغضونني بلا سبب»: انظر: (مز ٦٩:٤):

+ «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. اعتزَّ مستهلكيَّ أعدائي ظلماً. حينئذ رددت الذي لم أخطفه».

وقد استشهد بهذه الكلمات مخلّصنا أنها تمّت له. انظر: (يو ١٥:٢٥):

+ «لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب».

لاحظ أن المسيح اعتبر المزامير ناموساً.

٢٠ – «لأَنَّهُمْ لاَ يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّلاَمِ، وَعَلَى الْهَادِئِينَ فِي الأَرْضِ يَتَفَكَّرُونَ بِكَلاَمِ مَكْرٍ»:

سلوكهم مخالف للسلوك في مخافة الله الذي وصفه مزمور (٣٤: ١٣و١٤):

+ «صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلّم بالغش. حد عن الشر واصنع الخير. اطلب السلامة واسع وراءها».

يقولون عنهم هؤلاء هم معثرو إسرائيل والمبغضون لمعيشتها.

٢١ – «فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ. قَالُوا: "هَهْ! هَهْ! قَدْ رَأَتْ أَعْيُنُنَا"»:

تكلَّموا بالاحتقار، انظر: (إش ٥٧:٤):

+ «بمن تسخرون وعلى مَنْ تفغرون الفم وتدلِّعون اللسان. أَمَا أنتم أولاد المعصية. نسل الكذب».

أكثر من سفَّاكي الدماء في نيتهم. ها أعيننا رأت شهوتها، رأت سقوط الإنسان الذي ارتفاعه قد هزَّ حقدنا. نفس الذي أتاه أعضاء السنهدرين ورؤساء الكهنة عند الصليب.

٢٢ – قَدْ رَأَيْتَ يَا رَبُّ، لاَ تَسْكُتْ، يَا سَيِّدُ، لاَ تَبْتَعِدْ عَنِّي»:

حوَّل هزأهم إلى صلاة وتوسُّل، انظر: (مز ٢٢:١١):

+ «لا تتباعد عني لأن الضيق قريب. لأنه لا معين».

٢٣ – «اسْتَيْقِظْ وَانْتَبِهْ إِلَى حُكْمِي، يَا إِلهِي وَسَيِّدِي إِلَى دَعْوَايَ.
٢٤ – اقْضِ لِي حَسَبَ عَدْلِكَ يَا رَبُّ إِلهِي، فَلاَ يَشْمَتُوا بِي»:

امنحني عدلك، انظر: (مز ٧:٨):

+ «اقض لي يا ربي كحقي ومثل كمالي الذي فيَّ».

ومن جهة التوسُّل بأن لا يشمتوا به، انظر: (مز ٣٠:١):

+ «أُعظِّمك يا رب لأنك نشلتني و لم تُشمت بي أعدائي».

٢٥ – «لاَ يَقُولُوا فِي قُلُوبِهِمْ: "هَهْ! شَهْوَتُنَا". لاَ يَقُولُوا: "قَدِ ابْتَلَعْنَاهُ!"»:

حطَّموا وجوده وكل آثاره. انظر: (مز ١٢٤:٣):

+ «إذاً لابتلعونا أحياءً عند احتماء غضبهم علينا». وأيضاً: (أم ١:١٢):

+ «لنبتلعهم أحياء كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب». وأيضاً: (مرا ٢:١٦):

+ «يفتح عليك أفواههم كل أعدائك. يصفرون ويحرقون الأسنان. يقولون قد أهلكناها. حقاً إن هذا اليوم الذي رجوناه. قد وجدناه قد رأيناه».

٢٦ – «لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعاً الْفَرِحُونَ بِمُصِيبَتِي. لِيَلْبَسِ الْخِزْيَ وَالْخَجَلَ الْمُتَعَظِّمُونَ عَلَيَّ»:

تكرار لما جاء في عدد (٤). انظر: (مز ٤٠:١٤):

+ «ليخز وليخجل معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتي».

٢٧ – «لِيَهْتِفْ وَيَفْرَحِ الْمُبْتَغُونَ حَقِّي، وَلْيَقُولُوا دَائِماً: "لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ الْمَسْرُورُ بِسَلاَمَةِ عَبْدِهِ"»:

انظر: (مز ٤٠:١٦):

+ «ليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل أبداً محبو خلاصك يتعظَّم الرب».

الذين بسرور يرحِّبون بتحقيق براءتي ويفرحون ويُسرُّون، انظر: (٢صم ١٥:٢٦):

+ «وإن قال هكذا إني لم أُسر بك فهأنذا فليفعل بي حسبما يحسن في عينيه». وأيضاً: (مز ١٨:١٩):

+ «أخرجني إلى الرحب. خلَّصني لأنه سُرَّ بي». وأيضاً: (مز ٢٢:٨):

+ «اتكل على الرب فلينجه. لينقذه لأنه سُرَّ به».

٢٨ – «وَلِسَانِي يَلْهَجُ بِعَدْلِكَ. الْيَوْمَ كُلَّهُ بِحَمْدِكَ»:

بسبب إنقاذه لعبده. وقد تغنَّى القديس أغسطين بهذا العدد.

المزمور السادس والثلاثون

لِرئيسِ الموسيقيِّينَ. لِعَبْدِ الرَّبِّ دَاوُدَ

١ – «نَأْمَةُ مَعْصِيَةِ الشِّرِّيرِ فِي دَاخِلِ قَلْبِي أَنْ لَيْسَ خَوْفُ اللهِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ.

٢ – لأَنَّهُ مَلَّقَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ جِهَةِ وِجْدَانِ إِثْمِهِ وَبُغْضِهِ.

٣ – كَلاَمُ فَمِهِ إِثْمٌ وَغِشٌّ. كَفَّ عَنِ التَّعَقُّلِ، عَنْ عَمَلِ الْخَيْرِ.

٤ – يَتَفَكَّرُ بِالإِثْمِ عَلَى مَضْجَعِهِ. يَقِفُ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ. لاَ يَرْفُضُ الشَّرَّ.

٥ – يَا رَبُّ، فِي السَّمَاوَاتِ رَحْمَتُكَ. أَمَانَتُكَ إِلَى الْغَمَامِ.

٦ – عَدْلُكَ مِثْلُ جِبَالِ اللهِ، وَأَحْكَامُكَ لُجَّةٌ عَظِيمَةٌ. النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ.

٧ – مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اَللهُ! فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ.

٨ – يَرْوَوْنَ مِنْ دَسَمِ بَيْتِكَ، وَمِنْ نَهْرِ نِعَمِكَ تَسْقِيهِمْ.

٩ – لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُوراً.

١٠ – أَدِمْ رَحْمَتَكَ لِلَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ، وَعَدْلَكَ لِلْمُسْتَقِيمِي الْقَلْبِ.

١١ – لاَ تَأْتِنِي رِجْلُ الْكِبْرِيَاءِ، وَيَدُ الأَشْرَارِ لاَ تُزَحْزِحْنِي.

١٢ – هُنَاكَ سَقَطَ فَاعِلُو الإِثْمِ. دُحِرُوا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْقِيَامَ».

دراسة:

هذا المزمور يبدو في صورتين متقابلتين واحدة للشرير من حيث مبادئه وسلوكه الذي اختار بإرادته الحرَّة الشر. والصورة الأخرى محبة الله وإحساناته التي لا نهاية لها. ومن طغيان الشر حول (داود) أصبح في خطر أن يقع فريسة له، عدد (١١). ثمَّ يعود صاحب المزمور نحو الراحة والاستراحة ليتأمَّل في صلاح الله.

الرجل الشرير قد ينكر عناية الله وينكر قضاءه، ولكن بعين الإيمان يظهر صلاحه فائقاً جدًّا. وأحكام برِّه تنتصر حتماً. ومن قلة التأمل في صلاح الله قد يتهيَّأ للشرير أن يستقل بحريته ويتصوَّر أن الخسارة لخروجه عن الله غير موجودة.

ثمَّ يأتي الانتقال حاداً من (١–٤) إلى (٥) حتى يتهيَّأ لنا أنه يوجد هنا مزموران قد اتحدا بيد المؤلِّف.

ولكن هذا غير ضروري، فالجزءان هما للتقابل ويُترك القارئ ليشرح العلاقة بينهما بنفسه.

والاتصال بين الجزئين من جهة الفكر واللغة (١١و١٢) مع (١–٤) يقرر بوضوح وحدة المزمور.

وتركيب المزمور بسيط وواضح:

١ – مبدأ عدم التقوى (١و٢) والنتيجة العملية التي ينتهي إليها (٣و٤).

٢ – عظمة الله وصفاته (٥و٦) ومنفعة ذلك للإنسان (٧–٩).

٣ – الصلاة للبركة (١٠) والحفظ (١١) واليقين الواثق فانطراح الشرير أرضاً (١٢).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

١ – «نَأْمَةُ مَعْصِيَةِ الشِّرِّيرِ فِي دَاخِلِ قَلْبِي أَنْ لَيْسَ خَوْفُ اللهِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ»

تعني أن تعديات الشرير تحكي في قلبي أن ليس خوف الله أمام عينيه. والمزمور يتأمَّل في سلوك الرجل الشرير إذ صار واضحاً له أنه عملياً بلا إله. والشرح بأن معصية الشرير في داخل قلب صاحب المزمور لا يُناسب، لذلك نجدها في النسخة السبعينية والفولجاتا والنسخة السريانية ونسخة جيروم أنها تُقرأ: "في قلب الشرير". بتأكيد.

وفي هذا العدد كلمة: "نأمة" في الأصل العبري هي نفس كلمة "وحي" و"قول" أو تُستخدم في أقوال الله، انظر: (تك ٢٢:١٦):

+ «وقال بذاتي أقسمت يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تُمسك ابنك وحيدك». وهي تُستخدم نادراً للمتكلِّم بشرياً مثل (عد ٢٤:٣):

+ «فنطق بمثله وقال: وحي بلعام بن بعور. وحي الرجل المفتوح العينين». انظر: (٢صم ٢٣:١):

+ «فهذه كلمات داود الأخيرة: وحي داود بن يسى ووحي الرجل القائم في العلا».

وهنا نرى أن معصية الشرير قد تشخَّصت أو تقمَّصت فيه كأنها هي إله، أو بدل الله، هذه الرؤيا نجدها في (تك ٤:٧):

+ «إن أحسنت أفلا رفع؟ وإن لم تُحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها».

وأيضاً: (زك ٥:٨):

+ «فقال هذه هي الشر. فطرحها إلى وسط الإيفة وطرح ثقل الرصاص على فمها». وأيضاً: (رو

١٢:٦):

+ «إذاً لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته».

وصارت روح كذب داخل الشرير، انظر: (١مل ٢٢: ٢٠و٢١):

+ «فقال الرب مَنْ يغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد ... ثمَّ خرج الروح ... وقال أنا أغويه ...». وأيضاً: (٢تس ٢: ١١و١٢):

+ «ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدِّقوا الكذب، لكي يُدان جميع الذين لم يُصدِّقوا الحق بل سُرُّوا بالإثم».

«ليس خوف الله أمام عينيه»: يعني لا يخاف ولا يهاب الله، ولا توقير أو كرامة لله عنده، وبالتالي لا يخاف أحكامه، انظر: (مز ١٠: ٤):

+ «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله». وأيضاً: (مز ١٤: ١):

+ «قال الجاهل في قلبه ليس إله». وأيضاً: (رو ٣: ١٨):

+ «ليس خوف الله قدَّام عيونهم».

٢ - «لأَنَّهُ مَلَّقَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ مِنْ جِهَةِ وِجْدَانِ إِثْمِهِ وَبُغْضِهِ»:

وهذا يشرح كيف بدأت المعصية تعمل فيه، فإنها تتكلَّم فيه ناعماً بأشياء ناعمة وشيئاً كذباً وغشاً حتى أن معصيته لا توجد أمام عينيه ولا يعود يبغضها. من جهة عبارة «وجدان الإثم» انظر: (مز ١٧: ٣):

+ «جرَّبت قلبي تعهَّدته ليلاً. محَّصتني لا تجد فيَّ ذموماً، لا يتعدَّى فمي». وأيضاً: (١مل ١: ٥٢):

+ «فقال سليمان إن كان ذا فضيلة لا يسقط من شعره إلى الأرض. ولكن إن وُجِد به شر فإنه يموت».

[عدد ٣و٤]: ثمار مقاومته لله.

٣ - «كَلاَمُ فَمِهِ إِثْمٌ وَغِشٌّ. كَفَّ عَنِ التَّعَقُّلِ، عَنْ عَمَلِ الْخَيْرِ»:

انظر: (مز ٥: ٥و٦):

+ «لا يقف المفتخرون قدَّام عينيك. أبغضت كل فاعلي الإثم. تُهلك المتكلِّمين بالكذب». وأيضاً: (مز ١٠: ٧):

+ «فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقة وإثم».

«كفَّ عن التعقُّل»: حتى يعمل صلاحاً. انظر: (إر ٤: ٢٢):

+ «لأن شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا. هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين. هم حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون».

وهكذا نجده يقلب مفهوم النبوة على نفسه، انظر: (إش ١: ١٦و١٧):

+ «اغتسلوا تنقَّوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينيَّ، كفوا عن فعل الشر. تعلَّموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة».

«كفَّ عن التعقُّل» بمعنى كف عن الفهم والذكاء الذي يؤدِّي إلى البر والسلوك الناجح، انظر: (مز ١٤: ٢):

+ «الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من **فاهم** طالب الله». وأيضاً: (مز ١٠١: ٢):

+ «أتعقَّل في طريق كامل. متى تأتي إليَّ. أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي».

٤ - «يَتَفَكَّرُ بِالإِثْمِ عَلَى مَضْجَعِهِ. يَقِفُ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ. لاَ يَرْفُضُ الشَّرَّ»:

في هدوء الليل وقت الندم. انظر: (مز ٤: ٤):

+ «ارتعدوا ولا تخطئوا، تكلَّموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا. سلاه».

وتذكر الله، (مز ٦٣: ٦):

+ «إذا ذكرتك على فراشي. في السهد ألهج بك». انظر: (مي ٢: ١و٢):

+ «ويل للمفتكرين بالبطل والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم. فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه».

«يقف في طريق غير صالح. لا يرفض الشر»: كل طرق الشر هي من اختياره وضميره بلا إحساس، والشر لا يثير فيه خوفاً، انظر: (إش ٦٥: ٢):

+ «بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرِّد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره».

[عدد ٥-٩]: بعد النظرة الحزينة المؤلمة من انعكاس حال الإنسان، يأخذ المزمور راحة بالالتجاء إلى

تمجيد التأمل في الله المصدر الوحيد للنور والحياة الذي يصنع بركة لكل خليقته.

٥ – **«يَا رَبُّ، فِي السَّمَوَاتِ رَحْمَتُكَ. أَمَانَتُكَ إِلَى الْغَمَامِ»**:

إحسانات الله (٧و١٠) لا تُقاس وأمانته أيضاً لا تُقاس وللمقارنة، انظر: (أي ١١:٨):

+ «هو أعلى من السموات. فماذا عساك أن تفعل. أعمق من الهاوية فماذا تدري». وأيضاً: (أي ٢٢:١٢):
+ «هوذا الله في علو السموات. وانظر رأس الكواكب ما أعلاه». وأيضاً: (أي ٣٥:٥):
+ «انظر إلى السموات وأبصر ولاحظ الغمام أنها أعلى منك». وأيضاً: (مز ٥٧: ١٠و١١):
+ «لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات وإلى الغمام حقك. ارتفع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك». وأيضاً: (مز ١٠٣:١١):
+ «لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه». وأيضاً: (أف ٣:١٨):
+ «وأنتم متأصِّلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو».

٦ – **«عَدْلُكَ مِثْلُ جِبَالِ اللهِ، وَأَحْكَامُكَ لُجَّةٌ عَظِيمَةٌ. النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ»**:

كالجبال لأنها لا تتزحزح، انظر: (مز ١١١:٣):

+ «جلال وبهاء عمله وعدله قائم إلى الأبد».

غير متغيِّرة إلى الأبد عظيمة بمجد. فأعمال الله هي تنطق بصانعها وتوضِّح صفاته، انظر: (مز ٦٥:٩):

+ «تعهدت الأرض وجعلتها تفيض. تغنيها جدًّا، سواقي الله ملآنة ماء. تهيئ طعامهم لأنك هكذا تعدُّها». وأيضاً: (مز ٨٠:١٠):
+ «غطَّى الجبال ظلها وأغصانها أرز الله».

«وأحكامك لجة عظيمة»: هي الأعماق في المياه التي لا يقدر أن يفحصها أحد. انظر: (مز ٣٣:٧):

+ «يجمع كند أمواه اليم يجعل اللجج في أهراء». وأيضاً: (تك ٧:١١):
+ «في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء». وأيضاً: (أي ٢٨:١٤):

+ «الغمر يقول ليست هي فيَّ، والبحر يقول ليست هي عندي (الحكمة)». وأيضاً: (أي ٣٨:١٦):
+ «هل انتهيت إلى ينابيع البحر أو في مقصورة الغمر تمشَّيت». وأيضاً: (رو ١١:٣٣):
+ «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء».

«الناس والبهائم تخلص يا رب»: وصحتها: "تحفظ" أو "تنجِّي". لأن الحيوانات هي موضوع عنايته كالإنسان. انظر: (مز ١٠٤:١٤):

+ «المنبت عشباً للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض». وأيضاً: (مز ١٠٤: ٢٧و٢٨):
+ «كلها إيَّاك تترجَّى لترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط تفتح يدك فتشبع خيراً». وأيضاً: (مز ١٤٧:٩):
+ «المعطي للبهائم طعامها لفراخ الغربان التي تصرخ». وأيضاً: (يون ٤:١١):
+ «أفلا أُشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة». وأيضاً: (مت ٦:٢٦):
+ «انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها». وأيضاً: (مت ١٠:٢٩):
+ «أليس عصفوران يُباعان بفلس. وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم».

٧ – **«مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اَللهُ! فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ»**:

هنا يذكر الله وليس الرب لأن الرب هو الخاص بإسرائيل ولكن الله هو للعالم كله. فهنا يتكلَّم صاحب المزمور عن إحسانات الله والمحبة التي تمتد فوق إسرائيل لتشمل الأُمم وتحتضن البشرية كلها.

«بنو البشر»: أي الإنسان المولود من الأرض ومدعو للموت بالنسبة لله الحي إلى الأبد. لهذا فالبشرية كلها تجد ملجأ في الله «في ظل جناحيه»، انظر: (مز ١٧: ٧و٨):

+ «ميِّز مراحمك يا مخلِّص المتَّكلين عليك بيمينك من المقاومين. احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني».

٨ – **«يَرْوَوْنَ مِنْ دَسَمِ بَيْتِكَ، وَمِنْ نَهْرِ نِعَمِكَ تَسْقِيهِمْ»**:

فالله أكثر من حافظ، فهو مضيف كريم الذي يقدِّم الراحة والتسلية الملوكية لضيوفه، انظر: (مز

٢٣: ٥و٦):

+ «ترتِّب قدَّامي مائدة تجاه مضايقيَّ. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريَّا، إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام». وأيضاً: (مز ٢٧: ٤):

+ «واحدة سألت من الرب وإيَّاها ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكله». وأيضاً: (مز ٦٥: ٤):

+ «طوبى للذي تختاره وتقربه ليسكن في ديارك. لنشبعن من خير بيتك قدس هيكلك».

وهنا يعلِّق المزمور على وضع الالتفاف حول الذبيحة وهم في هيئة عبادة، انظر: (لا ٧: ١٥):

+ «ولحم ذبيحة شكر سلامته يؤكل يوم قربانه. لا يُبقى منه شيئاً إلى الصباح». وأيضاً: (إر ٣١: ١٤):

+ «وأروي نفس الكهنة من الدسم ويشبع شعبي من جودي يقول الرب».

وهذا التعبير كله سرائري بالدرجة الأُولى.

«**نهر نعمك**»: أو مسرَّتك. والكلمة هنا تختلف عن كلمة "نعم" التي جاءت في مزمور (١٦: ١١):

+ «تعرِّفني سبل الحياة أمامك شبع سرور. في يمينك نعَم إلى الأبد».

فالكلمة هنا في مزمور (٣٦) تأخذ أصلها من جنة عدن.

٩ - «لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُوراً»:

توقعات وصف عدد (٨) ليس على سبيل الخيال أو الحلم، فالله هو منبع النور والحياة ومنه تنبع كل مكونات الحياة طبيعياً وروحياً، انظر: (إر ٢: ١٣):

+ «لأن شعبي عمل شرَّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحيَّة لينقروا لأنفسهم أباراً، أباراً مشققة لا تضبط ماء». وأيضاً: (إر ١٧: ١٣):

+ «أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركونك يخزون، الحائدون عني في التراب يُكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحيَّة».

ويصدر من الله كل ما يجعل السعادة حقيقية. انظر: (مز ٤: ٦):

+ «كثيرون يقولون مَنْ يرينا خيراً، ارفع علينا نور وجهك يا رب».

علماً بأن هذه المقولات الذهبية تشترك في استعلان الإنجيل القادم. لأنه فقط في نور التجسُّد قد

صار عمق هذا المعنى يمكن أن يُفهم، انظر: (يو ١: ٤و٩):

+ «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ... كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم».

[عدد ١٠-١٢]: تكميل الصلاة من جهة إحسانات الرب الدائمة والحفظ من الأشرار مع ثقة بسقوط الأشرار. وعدد (١٠) ينبثق من (٥-٩) وعددي (١١و١٢) يردَّان على (١-٤).

١٠ - «أَدِمْ رَحْمَتَكَ لِلَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ، وَعَدْلَكَ لِلْمُسْتَقِيمِي الْقَلْبِ»

فإن صلاح الله للإنسان إنما ينبع من إحساناته، على أن برَّه يقوم بتكميل عهده ووعده.

«**للذين يعرفونك**»: يعرفونه معرفة نابعة من الطاعة والخضوع، انظر: (مز ٩: ١٠):

+ «ويتكل عليك العارفون اسمك. لأنك لم تترك طالبيك يا رب». وأيضاً: (مز ٩١: ١٤):

+ «لأنه تعلَّق بي أُنجِّيه. أُرفِّعه لأنه عرف اسمي».

ومستقيمو القلب هم الذين عرفوا اسمه، انظر: (مز ٧: ١٠):

+ «ترسي عند الله مخلِّص مستقيمي القلوب». وأيضاً: (مز ١١: ٢):

+ «لأن هوذا الأشرار يمدون القوس. فوَّقوا السهم في الوتر ليرموا في الدجى مستقيمي القلوب». وأيضاً: (مز ٣٢: ١١):

+ «افرحوا بالرب وابتهجوا يا أيها الصديقون واهتفوا يا جميع المستقيمي القلوب».

١١ - «لاَ تَأْتِنِي رِجْلُ الْكِبْرِيَاءِ، وَيَدُ الأَشْرَارِ لاَ تُزَحْزِحْنِي»:

ليت رِجْل المتكبر لا تعثرني أو تجرني من بيتي، وهذا العدد يعود إلى الأعداد (١-٤) لأن صاحب المزمور في خطر السقوط فريسة للمضايقين.

«**تزحزحني**»: تنقلني عن طريق الرب لأصير تائهاً وقاطع طريق. شحاذاً بلا بيت. انظر: (مز ١٠٩: ١٠):

+ «لِيَتِهْ بنوه تيهاناً ويستعطوا. ويلتمسوا خبزاً من خربهم».

١٢ - «هُنَاكَ سَقَطَ فَاعِلُو الإِثْمِ. دُحِرُوا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْقِيَامَ»:

رأى ذلك بعين الإيمان حيث خراب الشرير وسقوطه بلا قيام. انظر: (مز ١٤: ٥):

+ «هناك خافوا خوفاً لأن الله في الجيل البار». وأيضاً: (مز ٦٤:٧):
+ «فيرميهم الله بسهم. بغتة كانت ضربتهم».

«سقطوا ... **دُحروا**»: انظر: (مز ٥:١٠):

+ «دِنْهم يا الله. ليسقطوا من مؤامراتهم بكثرة ذنوبهم. طوّح بهم لأنهم تمرَّدوا عليك». وأيضاً: (مز ٣٥:٥):
+ «ليكونوا مثل العصافة قدَّام الريح وملاك الرب داحرهم». فيسقطون إلى الأبد. انظر: (إش ٢٦:١٤):
+ «هم أموات لا يحيون. أخيلة لا تقوم. لذلك عاقبتَ وأهلكتهم وأبدت كل ذكرهم». وأيضاً: (رو ١٦:٢٠):
+ «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم. آمين».

المزمور السابع والثلاثون

لِدَاوُدَ

١- «لاَ تَغرْ مِنَ الأَشْرَارِ، وَلاَ تَحْسِدْ عُمَّالَ الإِثْمِ،
٢- فَإِنَّهُمْ مِثْلَ الْحَشِيشِ سَرِيعاً يُقْطَعُونَ، وَمِثْلَ الْعُشْبِ الأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ.
٣- اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْكُنِ الأَرْضَ وَارْعَ الأَمَانَةَ.
٤- وَ تَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ.
٥- سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي،
٦- وَ يُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بِرَّكَ، وَحَقَّكَ مِثْلَ الظَّهِيرَةِ.
٧- انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ، وَلاَ تَغرْ مِنَ الَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنَ الرَّجُلِ الْمُجْرِي مَكَايِدَ.
٨- كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَاتْرُكِ السَّخَطَ، وَلاَ تَغرْ لِفِعْلِ الشَّرِّ،
٩- لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ.
١٠- بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَكُونُ الشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلاَ يَكُونُ.
١١- أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ. وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ.
١٢- الشِّرِّيرُ يَتَفَكَّرُ ضِدَّ الصِّدِّيقِ وَيُحَرِّقُ عَلَيْهِ أَسْنَانَهُ.
١٣- الرَّبُّ يَضْحَكُ بِهِ لأَنَّهُ رَأَى أَنَّ يَوْمَهُ آتٍ!
١٤- الأَشْرَارُ قَدْ سَلُّوا السَّيْفَ وَمَدُّوا قَوْسَهُمْ لِرَمْيِ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، لِقَتْلِ الْمُسْتَقِيمِ طَرِيقُهُمْ.
١٥- سَيْفُهُمْ يَدْخُلُ فِي قَلْبِهِمْ، وَقِسِيُّهُمْ تَنْكَسِرُ.
١٦- اَلْقَلِيلُ الَّذِي لِلصِّدِّيقِ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةِ أَشْرَارٍ كَثِيرِينَ.
١٧- لأَنَّ سَوَاعِدَ الأَشْرَارِ تَنْكَسِرُ، وَعَاضِدُ الصِّدِّيقِينَ الرَّبُّ.
١٨- الرَّبُّ عَارِفٌ أَيَّامَ الْكَمَلَةِ، وَمِيرَاثُهُمْ إِلَى الأَبَدِ يَكُونُ.
١٩- لاَ يُخْزَوْنَ فِي زَمَنِ السُّوءِ، وَفِي أَيَّامِ الْجُوعِ يَشْبَعُونَ.
٢٠- لأَنَّ الأَشْرَارَ يَهْلِكُونَ، وَأَعْدَاءُ الرَّبِّ كَبَهَاءِ الْمَرَاعِي. فَنُوا. كَالدُّخَانِ فَنُوا.
٢١- الشِّرِّيرُ يَسْتَقْرِضُ وَلاَ يَفِي، أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيَتَرَأَّفُ وَيُعْطِي.

٢٢- لأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الأَرْضَ، وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ.

٢٣- مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ تَتَثَبَّتُ خَطَوَاتُ الإِنْسَانِ وَفِي طَرِيقِهِ يُسَرُّ.

٢٤- إِذَا سَقَطَ لاَ يَنْطَرِحُ لأَنَّ الرَّبَّ مُسْنِدٌ يَدَهُ.

٢٥- أَيْضاً كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شِخْتُ، وَلَمْ أَرَ صِدِّيقاً تُخُلِّيَ عَنْهُ، وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزاً.

٢٦- الْيَوْمَ كُلَّهُ يَتَرَأَّفُ وَيُقْرِضُ وَنَسْلُهُ لِلْبَرَكَةِ.

٢٧- حِدْ عَنِ الشَّرِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ، وَاسْكُنْ إِلَى الأَبَدِ.

٢٨- لأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ، وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ. إِلَى الأَبَدِ يُحْفَظُونَ. أَمَّا نَسْلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ.

٢٩- الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ.

٣٠- فَمُ الصِّدِّيقِ يَلْهَجُ بِالْحِكْمَةِ، وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ.

٣١- شَرِيعَةُ إِلهِهِ فِي قَلْبِهِ. لاَ تَتَقَلْقَلُ خَطَوَاتُهُ.

٣٢- الشِّرِّيرُ يُرَاقِبُ الصِّدِّيقَ مُحَاوِلاً أَنْ يُمِيتَهُ.

٣٣- الرَّبُّ لاَ يَتْرُكُهُ فِي يَدِهِ، وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهِ عِنْدَ مُحَاكَمَتِهِ.

٣٤- انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاحْفَظْ طَرِيقَهُ، فَيَرْفَعَكَ لِتَرِثَ الأَرْضَ. إِلَى انْقِرَاضِ الأَشْرَارِ تَنْظُرُ.

٣٥- قَدْ رَأَيْتُ الشِّرِّيرَ عَاتِياً، وَارِفاً مِثْلَ شَجَرَةٍ شَارِقَةٍ نَاضِرَةٍ.

٣٦- عَبَرَ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَالْتَمَسْتُهُ فَلَمْ يُوجَدْ.

٣٧- لاَحِظِ الْكَامِلَ وَانْظُرِ الْمُسْتَقِيمَ، فَإِنَّ الْعَقِبَ لإِنْسَانِ السَّلاَمَةِ.

٣٨- أَمَّا الأَشْرَارُ فَيُبَادُونَ جَمِيعاً. عَقِبُ الأَشْرَارِ يَنْقَطِعُ.

٣٩- أَمَّا خَلاَصُ الصِّدِّيقِينَ فَمِنْ قِبَلِ الرَّبِّ، حِصْنِهِمْ فِي زَمَانِ الضِّيقِ.

٤٠- وَيُعِينُهُمُ الرَّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ. يُنْقِذُهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ وَيُخَلِّصُهُمْ، لأَنَّهُمُ احْتَمَوْا بِهِ».

دراسة:

في المزمور السابق وجد صاحب المزمور إزاء أصحاب اليد العليا في الإثم راحة ورجاء بالتأمُّل في إحسانات الله التي لا تفرغ. ولكن هنا يأخذ دور المعلّم ويأمر الإنسان الصالح أن لا يَغير أو يتذمر من نجاح الأشرار لأنهم معيَّنون إلى خراب مستعجل، في حين أن في مخازن البار سعادةً لا تُحدّ. لذلك فإن العلاّمة ترتليان يقول عن هذا المزمور إنه مرآة العناية الإلهية، أمّا إسيذور فيسميه عقار عدم التذمُّر،

ويدعوه البعض "هنا صبر القديسين".

فإن نجاح الشرير كان لغز الحياة الذي كان يؤلم المؤمنين والصالحين في بني إسرائيل. ولم يُلقِ هذا المزمور الضوء الكافي على هذه المشكلة التي لم تحلّ إلاَّ بعد الكشف عن الجزاء المستقبلي من عقاب وثواب - والبعض من إسرائيل قد وصل إلى درجة فقدان الإيمان في عناية الله للعالم كضابط الكل.

وأحياناً كما في مزمور (٨٣) كان صاحب المزمور في خطر فقدان كل الإيمان في عناية الله للعالم، وفي هذا كله كان مجرَّباً لكي يحسد ويتذمر.

وإنه من الأكثر وضوحاً أن صاحب المزمور يواجه أخطر مشكلة في التعامل مع الله، والنصيحة التي يقدّمها هي مبسَّطة ومبدأية، فهو يؤكّد النظرية التي تقول بالمجازاة - التي وجد أيوب عدم نفعها - آمنْ وثِقْ في الله وانتظر والكل سيصير على ما يرام بالنهاية، فالشرير سينكسر ويجازى البار حسناً.

هنا يوجد نوعٌ من الحق في هذه النظرية من جهة أحكام الله فهو دائماً يفرِّق بين البار والأثيم، انظر: (مر ١٠: ٣٠):

+ «إلاَّ ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية». وأيضاً: (١تي ٤: ٨):

+ «لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة».

وتحقيق التاريخ لهذا المبدأ والخبرة على المدى البعيد هي في صف البار، ولكن النظرية غير متكاملة كما وجدها أيوب، لأن المجازاة لا تأخذ عملها مباشرة وسريعة بالنسبة للشرير في هذا الدهر، ولا حتى البار يجازى باستمرار.

ولكي نقدِّر تعليم المزمور وقيمته للذين يخاطبهم، يلزم أن نحتفظ في عقولنا بأن الشخصية الفردية كانت غير معمول حسابها في العصور الأُولى، في حين أن الأسرة كرابطة كانت تتحقّق بدرجة نجد من الصعوبة أن نفهمها. فالإنسان الذي يعيش في ذريته فإن ذريته تمثّله، وإن أصول العدل كانت تعتبر كافية إذا كان قانون المجازاة أمكن فحصه وتتبعه في محيط الأسرة إن لم يكن في الفرد. ومن خلال محاولات الإيمان والاستجابات غير الكاملة بالنسبة للذين يسألونها كان الله يقود الإنسان نحو سعادة أكثر تحقيقاً، ومن جهة أخرى يعدهم ليتقبَّلوا مستقبلاً من نحو المجازاة والعقوبات.

وصاحب مزمور (٧٣) يضع خطوة واضحة إلى الأمام، غير أنه لا يزال ينظر إلى العقاب لصانعي الشر وقد تعلَّم أن يجد أعظم فرحه وتعزيته في الشركة مع الله بمعزل عن الواقع الزمني. ونختصره في

الآتي: (٧٣: ١١–١٧، ٢٢–٢٥):

+ «وقالوا كيف يعلم الله وهل عند العلي معرفة؟ هوذا هؤلاء هم الأشرار ومستريحين إلى الدهر يُكثرون ثروة. حقـاً قد زكّيتُ قلبي باطلاً وغسلتُ بالنقاوة يديَّ. وكنت مصاباً اليوم كله وتأدّبتُ كل صباح ... فلمَّا قصدتُ معرفة هذا إذا هو تعب في عينيَّ. حتى دخلتُ مقادس الله وانتبهت إلى آخرتهم».

+ «وأنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك. ولكني دائماً معك!! أمسكت بيدي اليمنى، برأيك تهديني وبعد إلى مجد تأخذني. مَنْ لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً في الأرض».

وأيوب يمتد أكثر وينتهي إلى القول بأن الحياة الأرضية ينبغي أن تكون فصلاً من دراما الحياة بجملتها. ويلزم للقارئ أن يفحص المزمور الذي بصدده مع مزمور (٧٣)، (٤٩) وسفر أيوب. والحقائق التي يذكرها المزمور هنا يقابلها مزمور (٧٣) من جهة إيمان قد فُحص وتمحَّص بالنصرة الأخيرة.

وعلاقة هذا المزمور بسفر الأمثال جديرة بالملاحظة لأنه بمثال الصلة بين الشعر الغنائي والفلسفة النحوية التي كانت تعاليمها مؤثِّرة جدًا على إسرائيل. انظر: (أم ١٠: ٢٧–٣٢):

+ «مخافة الرب تزيد الأيام، أمَّا سِنُو الأشرار فتقصرُ.
منتظرُ الصديقين مُفرِّحٌ، أمَّا رجاءُ الأشرار فيبيدُ.
حصنٌ للاستقامة طريقُ الرب، والهلاكُ لفاعلي الإثم.
الصديقُ لن يُزحزَحَ أبداً والأشرارُ لن يسكنوا الأرضَ.
فَمُ الصدِّيقِ يُنبتُ الحكمةَ، أمَّا لسانُ الأكاذيبِ فيُقطَعُ.
شفتَا الصدِّيقِ تَعْرفانِ المَرْضيَّ وفَمُ الأشرارِ أكاذيبُ». وأيضاً: (أم ٢٤: ١٦):

+ «لأن الصديق يسقط سبع مرات ويقوم. أمَّا الأشرار فيعثرون بالشر».

في العهد القديم السقوط هو خطية السهو ويمكن أن نجد صلة بين المواعيد التي ذكرها هذا المزمور وبين تطلُّعات العصر المسيَّاني من جهة السلام والبر. ويُلاحَظ أن المزمور مرتَّب على الألفا بيتا (أي الحروف الأبجدية). وأهم أجزائه:

١ – مشورة لتحاشي التذمُّر والثقة في يهوه (١–١١).

٢ – نصرة الشرير إلى لحظة (١٢–٢٠).

٣ – مجازاة البار هي أكيدة وتبقى إلى الأبد (٢١–٣١).

٤ – المقارنة الأخيرة بين المجازاة بالعقاب والمكافأة (٣٢–٤٠).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١–١١]: إنذارات ونصائح وقت التجربة:

(عدد ١و٢): وقفة حرف (أ): א: تعطي القصد من المزمور والتحذير من عدم الرضا والحسد لنجاح الأشرار على أساس أنه وقتي.

١ – «لاَ تَغَرْ مِنَ الأَشْرَارِ، وَلاَ تَحْسِدْ عُمَّالَ الإِثْمِ»:

لا تغضب أو لا تكن غير مقتنع في عدم رضا بسبب الذين هم غير أبرار وينجحون إلى لحظة، أو إلى زمن، لأن هذه التجربة شديدة وتظهر بوضوح في (مز ٧٣: ٣):

+ «لأني غرت من المتكبِّرين إذ رأيت سلامة الأشرار».

ويعود ويجدِّد ويزيد ويعيد في التحذير في عددي (٧و٨) وهو ما نجده في (أم ٢٤: ١٩):

+ «لا تغر من الأشرار ولا تحسد الأثمة». وأيضاً: (أم ٣: ٣١):

+ «لا تحسد الظالم ولا تختر شيئاً من طرقه». وأيضاً: (أم ٢٤: ١):

+ «لا تحسد أهل الشر ولا تشته أن تكون معهم».

وبخصوص عبارة: «عمَّال الإثم»، انظر: (مت ١٣: ٤١و٤٢):

+ «يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار». وأيضاً: (١يو ٣: ٤):

+ «كل مَنْ يفعل الخطية يفعل التعدِّي أيضاً. والخطية هي التعدِّي».

٢ – «فَإِنَّهُمْ مِثْلَ الْحَشِيشِ سَرِيعاً يُقْطَعُونَ، وَمِثْلَ الْعُشْبِ الأَخْضَرِ يَذْبُلُونَ»:

الحشيش والعشب كناية عن العمر القصير وتفاهة الجدوى والهلاك السريع. انظر: (مز ٩٠: ٥و٦):

+ «جرفتهم. كَسِنَةٍ يكونون، بالغداة يزهر (كعشب) فيزول. عند المساء يُجزُّ فييبس».

وللمقارنة انظر: (مز ١٠٣: ١٥):

+ «الإنسان مثل العشب أيامه، كزهر الحقل كذلك يُزهر». وأيضاً: (إش ٤٠: ٦–٨):

+ «صوت قائل نادِ. فقال بماذا أُنادي؟ كل جسدٍ عشب وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب

ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقـًّا الشعب عشب يبس العشب ذبل الزهر وأمَّا كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد».

(عدد ٣و٤): **وقفة حرف الباء (ب): ב:** عقار ضد الحقد وعدم القناعة وضدها الصبر ليهوه والاجتهاد والمثابرة في طريق الواجب.

٣ – «اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْكُنِ الأَرْضَ وَارْعَ الأَمَانَةَ.
٤ – وَ تَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ»:

اسكن أرض الميعاد حيث قد وضعك الله، وهي أرض حضرة يهوه الذي ليس فقط ماضيه مشرّف ومجيد ولكن مستقبله غني بالوعد، وأخيراً يصير ميراثاً لإسرائيل الحقيقي في وضع أكمل أكثر من يشوع. هناك وهناك فقط تجد قناعتك الحقَّة فيه. ويلاحظ أن فقراء إسرائيل هم المتضايقون أو المطرودون من بيوتهم بواسطة الجوار الجائر القوي، انظر: (مز ٣٦:١١):

+ «لا تأتني رِجل الكبرياء ويد الأشرار لا تزحزحني».

وقد جُرِّبوا ليطلبوا نصيباً في أرض غريبة ويهملوا أمتهم وحفظ وعناية بلدهم، انظر: (١صم ١٩:٢٦):

+ «والآن فليسمع سيدي الملك كلام عبده، فإن كان الرب قد أهاجك ضدِّي فليشتمَّ تقدمة، وإن كان بنو الناس فليكونوا ملعونين أمام الرب لأنهم قد طردوني اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب قائلين اذهب اعبد آلهة أخرى».

هنا الأرض هي أرض كنعان أرض الموعد حيث القول: «أرض» بلا تمييز ولكن الواقع أرض الموعد. والعدد (٣) مجرَّد نصائح وعدد (٤) كوعد للذي يقوم بتكميل الشروط.

(عدد ٥و٦) **وقفة حرف الجيمل (ج): ג:** جزاء الإيمان.

٥ – «سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي»:

لا تقلق سلِّم للرب حملك وقلقك في الحياة، انظر: (أم ٣:١٦):

+ «ألقِ على الرب أعمالك فتثبت أفكارك». وأيضاً: (١بط ٧:٥)
+ «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم».

«وهو يُجري»: مختصرة جدًّا. في العبري جاءت: ”وهو يعمل“، انظر: (مز ٩:٥٢):

+ «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت. وأنتظر اسمك فإنه صالح قدَّام أتقيائك». وأيضاً: (مز ١٢٦:١١٩):
+ «إنه وقت عمل للرب. قد نقضوا شريعتك». وأيضاً: (١تس ٢٤:٥):
+ «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً».

٦ – «وَ يُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بِرَّكَ، وَحَقَّكَ مِثْلَ الظَّهِيرَةِ»:

هذا هو نتيجة ما يفعله الله، فإن العدل بالنسبة لقضيتك كان قد أُخفي ولكن سيعود بالرب. ويظهر كالشمس حينما تُشرق من بعد ليل، وحقّك كان قد أُخفي ولكنه سوف يكون واضحاً كالضوء الواضح ليوم الشمس، انظر: (أي ١٧:١١):

+ «وفوق الظهيرة يقوم حظك. الظلام يتحوَّل صباحاً». وأيضاً: (أم ١٨:٤):
+ «أمَّا سبيل الصديقين فكنور مُشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل». وأيضاً: (إش ١٠:٥٨):
+ «وأنفقتَ نفسك للجائع وأشبعتَ النفس الذليلة. يُشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر». وأيضاً: (مت ٤٣:١٣):
+ «حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم».

(عدد ٧) وقفة حرف دالت (د): ד

٧ – «انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ، وَلاَ تَغَرْ مِنَ الَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنَ الرَّجُلِ الْمُجْرِي مَكَايِدَ».

وجاءت في العبرية: ”واصمت له“ وتعني أيضاً: ”وارتح في الرب“، و”اهدأ أمامه في هدوء الإيمان“. انظر، (مز ٦٢: ١و٥):

+ «إنما لله انتظرت نفسي. من قبله خلاصي، إنما لله انتظري يا نفسي لأن من قبله رجائي». وأيضاً: (إش ٤:٧):
+ «وقل له: احترز واهدأ. لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ذَنَبَيْ هاتين الشعلتين». وأيضاً: (إش ١٥:٣٠):
+ «لأنه هكذا قال السيد الرب قدوس إسرائيل: بالرجوع والسكون تخلصون. بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم».

«المُجري مكايد»: الترتيبات الخبيثة والشريرة يُجريها. قارن: (٣و٥) لكلمة ”يُجري“.

(عدد ٨و٩) وقفة **Hé** (هـ): ה: تحذير يكرّر (١و٢) ويتوسّع فيه.

٨ – «كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَاتْرُكِ السَّخَطَ، وَلاَ تَغَرْ لِفِعْلِ الشَّرِّ»:

فعدم القناعة ليست فقط هي حماقة ولكن بلا نفع وخطيرة، فهي تقود الإنسان الذي يستسلم لها لإنكار عناية الله ويقع بعد ذلك في نصيب الأشرار. انظر: (مز ٧٣: ٣–٥، ١٣و١٤):

+ «لأني غرت من المتكبّرين إذ رأيت سلامة الأشرار. لأن ليست في موتهم شدائد وجسمهم سمين. ليسوا في تعب الناس ومع البشر لا يُصابون ... حقـاً قد زكّيتُ قلبي باطلاً وغسلتُ بالنقاوة يديّ. وكنت مصاباً اليوم كله وتأدّبتُ كل صباح».

٩ – «لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ»:

هنا "الأرض" هي أرض الموعد. وكلمة "يقطعون" وضحت أنها بالنسبة للأُمم أمام إسرائيل. انظر: (تث ١٢: ٢٩، ١٩: ١):

+ «متى قرض الرب إلهك من أمامك الأُمم الذين أنت ذاهب إليهم لترثهم وورثتهم وسكنت أرضهم».

حيث ترث إسرائيل الأرض. هكذا الأشرار سيتحطّمون حتى أن إسرائيل الحق لا تقلق وتستمتع بميراثها، انظر: (مز ٢٥: ١٣):

+ «نفسه في الخير تبيت ونسله يرث الأرض».

(عدد ١٠و١١) وقفة لحرف **Waw** (و): ו: للتوسع فيما قال.

١٠ – «بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَكُونُ الشِّرِّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلاَ يَكُونُ»:

مكانه أي في مكان سكناه وعمله وهيجانه، انظر: (أي ٧: ١٠):

+ «لا يرجع بعد إلى بيته ولا يعرفه مكانه بعد». وأيضاً: (أي ٨: ١٨):

+ «إن اقتلعه من مكانه يجحده قائلاً ما رأيتك». وأيضاً: (أي ٢٠: ٩):

+ «عين أبصرته لا تعود تراه ومكانه لن يراه بعد».

١١ – «أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ. وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ»:

هنا يؤكّد الوعد بمعنى أوسع، انظر: (مت ٥: ٥):

+ «طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض».

«في كثرة السلامة»: انظر: (مز ٧٢: ٧):

+ «يُشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر». وأيضاً: (مز ١١٩: ١٦٥):

+ «سلامة جزيلة لمحبّي شريعتك وليس لهم معثرة». وأيضاً: (إش ٣٢: ١٧):

+ «ويكون صنع العدل سلاماً وعمل العدل سكوناً وطمأنينة إلى الأبد».

[عدد ١٢–٢٠] الخيبة والانكسار هما غاية الشرير:

(عدد ١٢و١٣): وقفة **Zayin** (ز): ז: ثَوَرَان الشرير بلا فائدة.

١٢ – «الشِّرِّيرُ يَتَفَكَّرُ ضِدَّ الصِّدِّيقِ وَيُحَرِّقُ عَلَيْهِ أَسْنَانَهُ»:

كوحش هائج يشتهي أن يمسك بالفريسة، انظر: (مز ٣٥: ١٦):

+ «بين الفجّار المجّان لأجل كعكة حرّقوا عليَّ أسنانهم».

١٣ – «الرَّبُّ يَضْحَكُ بِهِ لأَنَّهُ رَأَى أَنَّ يَوْمَهُ آتٍ!»:

عقاب الأشرار حاضر في نظر الله ومرتّب من البداية.

«يومه»: يوم العقاب والانكسار، انظر: (مز ١٣٧: ٧):

+ «اذكر يا رب لبني أدوم يوم أُورشليم القائلين هدوا هدوا حتى إلى أساسها». وأيضاً: (عو ١٢):

+ «ويجب أن لا تنظر إلى يوم أخيك يوم مصيبته ولا تشمت ببني يهوذا يوم هلاكهم ولا تفغر فمك يوم الضيق». وأيضاً: (١صم ٢٦: ١٠):

+ «وقال داود حيّ هو الرب إن الرب سوف يضربه أو يأتي يومه فيموت أو يترل إلى الحرب ويهلك». وأيضاً: (أي ١٨: ٢٠و٢١):

+ «يتعجّب من يومه المتأخرون ويقشعر الأقدمون. إنما تلك مساكن فاعلي الشر ...».

(عدد ١٤و١٥): وقفة لحرف حيت (ح): ח: تفكير الشرير يعود على نفسه.

١٤ – «الأَشْرَارُ قَدْ سَلُّوا السَّيْفَ وَمَدُّوا قَوْسَهُمْ لِرَمْيِ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، لِقَتْلِ الْمُسْتَقِيمِ طَرِيقُهُمْ.

١٥ – سَيْفُهُمْ يَدْخُلُ فِي قَلْبِهِمْ، وَقِسِيُّهُمْ تَنْكَسِرُ»:

المزمور هنا يتعامل مع الجور الاجتماعي وليس مع الحرب – حيث الفقير والذي بلا دفاع في خطر دائم من جهة العنف، انظر: (أم ١: ١٠–١٢):

+ «يا ابني إن تملّقك الخطاة فلا ترض، إن قالوا هلمَّ معنا لنكمن للدم لنختفِ للبريء باطلاً».

لنبتلعهم أحياءً كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب».

وأيضاً انظر: (إش ٣٢:٧) من جهة الفقراء والمحتاجين:

+ «والماكر آلاته رديئة وهو يتآمر بالخبائث ليهلك البائسين بأقوال الكذب حتى في تكلُّم المسكين بالحق». وأيضاً: (إر ٢٢:١٦):

+ «قضى قضاء الفقير والمسكين حينئذ كان خير. أليس ذلك معرفتي يقول الرب».

«ولقتل المستقيم طريقهم»: انظر: (مز ١١٩:١):

+ «طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب». وأيضاً: (مز ٣٦:١٠):

+ «أدم رحمتك للذين يعرفونك وعدلك للمستقيمي القلوب».

(عدد ١٦و١٧): وقفة للحرف طيت (ط): ט: عن طبيعة الغنى الحقيقي.

١٦ - «الْقَلِيلُ الَّذِي لِلصِّدِّيقِ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةِ أَشْرَارٍ كَثِيرِينَ»:

انظر: (أم ١٥:١٦):

+ «القليل مع مخافة الرب خيرٌ من كنز عظيم مع هم». وأيضاً: (أم ١٦:٨):

+ «القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق».

١٧ - «لأَنَّ سَوَاعِدَ الأَشْرَارِ تَنْكَسِرُ، وَعَاضِدُ الصِّدِّيقِينَ الرَّبُّ»:

كل قوة الأشرار تصير بلا نفع، انظر: (مز ١٠:١٥):

+ «احطم ذراع الفاجر والشرير تطلب شرّه ولا تجده». وأيضاً: (أي ٣٨:١٥):

+ «ويُمنَع عن الأشرار نورهم وتنكسر الذراع المرتفعة».

(عدد ١٨و١٩): وقفة للحرف يود (ي): י: عناية يهوه بالصالحين.

١٨ - «الرَّبُّ عَارِفٌ أَيَّامَ الْكَمَلَةِ، وَمِيرَاثُهُمْ إِلَى الأَبَدِ يَكُونُ»:

كل صغيرة وكبيرة في حياة الكاملين المكرَّسين للرب مع كل الذي يأتونه، انظر: (مز ٣١:١٥):

+ «في يدك آجالي. نجني من يد أعدائي ومن الذين يطردونني». وأيضاً: (مت ٦:٨):

+ «فلا تتشبَّهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه».

«ميراثهم إلى الأبد يكون»: الأبرار إنما يعيشون على أملاكهم ويستمرون في ملكهم حتى أنسالهم.

ويلاحظ أن نظرة المزمور لا تزال في الأرضيات لذلك فالميراث السماوي بعيد عن رؤيته.

١٩ - «لاَ يُخْزَوْنَ فِي زَمَنِ السُّوءِ، وَفِي أَيَّامِ الْجُوعِ يَشْبَعُونَ»:

انظر (أي ٥: ١٩و٢٠):

+ «في ست شدائد ينجِّيك وفي سبع لا يمسُّك سوء. في الجوع يفديك من الموت وفي الحرب من حدِّ السيف».

(عدد ٢٠): وقفة للحرف Kaph (ك): כ: نهاية الشرير.

٢٠ - «لأَنَّ الأَشْرَارَ يَهْلِكُونَ، وَأَعْدَاءُ الرَّبِّ كَبَهَاءِ الْمَرَاعِي. فَنُوا. كَالدُّخَانِ فَنُوا»:

لأن أعداء البار أعداء الله، انظر: (مز ٩٢:٩):

+ «لأن هوذا أعداؤك يا رب لأنه هوذا أعداؤك يبيدون. يتبدَّد كل فاعلي الإثم».

«كبهاء المراعي»: جاءت في الترجوم: (كشحم الخراف يحترق ويصير إلى دخان). وكبهاء المراعي بزهورها حالاً تفنى، انظر: (مت ٦: ٢٩و٣٠):

+ «ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا ..». وأيضاً: (يع ١: ١٠و١١):

+ «وأمَّا الغني فباتضاعه، لأنه كزهر العشب يزول، لأن الشمس أشرقت بالحر فيبَّست العشب فسقط زهره وفني جمال منظره ...».

[عدد ٢١-٣١] عناية الله بالرجل البار:

(عدد ٢١و٢٢): وقفة لحرف (Lamed) لامد (ل): ל:

الشرير إلى زوال والبار لزيادة، انظر: (أم ٣:٣٣):

+ «لعنة الرب في بيت الشرير لكنه يبارك مسكن الصديقين».

٢١ - «الشِّرِّيرُ يَسْتَقْرِضُ وَلاَ يَفِي، أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيَتَرَأَفُ وَيُعْطِي»:

نظرة مستقبلية، يستدين ويرهن أمواله ولا يستطيع أن يوفي. والرجل البار عنده الكفاية ويفيض ويستخدم غناه للخير.

٢٢ – «لأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الأَرْضَ، وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ»:

بركة الرب تغني ولا يزيد معها تعب.

(عدد ٢٣و٢٤): وقفة للحرف Mem ميم (م): מ: تدبير الله وإقامة عنايته.

٢٣ – «مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ تَتَثَبَّتُ خَطَوَاتُ الإِنْسَانِ وَفِي طَرِيقِهِ يُسَرُّ.

٢٤ – إِذَا سَقَطَ لاَ يَنْطَرِحُ لأَنَّ الرَّبَّ مُسْنِدٌ يَدَهُ»:

لأن الرب مسند يده لأن طريقه يُسرّ به، انظر: (مز ١١٩:٣٥):

+ «دربّني في سبيل وصاياك لأني به سررت». وأيضاً: (مز ٥١: ١٨و١٩):

+ «أحسن برضاك إلى صهيون. ابنِ أسوار أُورشليم. حينئذ تُسرّ بذبائح البرّ ...».

(عدد ٢٥و٢٦): وقفة لحرف Nûn (ن): נ

٢٥ – «أَيْضاً كُنْتُ فَتىً وَقَدْ شِخْتُ، وَلَمْ أَرَ صِدِّيقاً تُخُلِّيَ عَنْهُ، وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزاً»:

لم ير صديقاً تركه الرب على طول أو أولاده صاروا بلا بيت يشحذون، انظر: (تك ٢٨:١٥):

+ «وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردّك إلى هذه الأرض. لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلّمتك به».

٢٦ – «الْيَوْمَ كُلَّهُ يَتَرَأَّفُ وَيُقْرِضُ وَنَسْلُهُ لِلْبَرَكَةِ»:

انظر: (مز ١١٢:٥):

+ «سعيد هو الرجل الذي يترأف ويقرض. يدبّر أموره بالحق».

(٢٧): وقفة للحرف سامخ Samech (س): ס

٢٧ – «حِدْ عَنِ الشَّرِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ، وَاسْكُنْ إِلَى الأَبَدِ».

(عدد ٢٨و٢٩): وقفة لحرف العين (ع): ע

٢٨ – «لأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ، وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْ أَتْقِيَائِهِ. إِلَى الأَبَدِ يُحْفَظُونَ. أَمَّا نَسْلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ.

٢٩– الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ»:

صاحب المزمور كمعلّم الجيل يحض على محبة الحق بوعود سخيّة.

(عدد ٣٠و٣١): وقفة للحرف Pé (ف): פ: نحو أمان سرّي.

٣٠ – «فَمُ الصِّدِّيقِ يَلْهَجُ بِالْحِكْمَةِ، وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ»:

انظر: (أم ١٠: ٣١و٣٢):

+ «فم الصديق ينبت الحكمة. أمَّا لسان الأكاذيب فيقطع. شفتا الصديق تعرفان المَرْضيّ وفم الأشرار أكاذيب». وأيضاً: (مز ٣٥:٢٨):

+ «لساني يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك».

٣١ – «شَرِيعَةُ إِلهِهِ فِي قَلْبِهِ. لاَ تَتَقَلْقَلُ خَطَوَاتُهُ»:

انظر: (مز ١١٩:١١):

+ «خبّأتُ كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك». وأيضاً: (مز ٢٦:١):

+ «اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكّلت بلا تقلقل».

[عدد ٣٢–٤٠]: مقابلة أخيرة:

(عدد ٣٢و٣٣): وقفة لحرف Tsadi (ص): צ: المكر مغلوب.

٣٢ – «الشِّرِّيرُ يُرَاقِبُ الصِّدِّيقَ مُحَاوِلاً أَنْ يُمِيتَهُ»:

مثل (أم ١:١١):

+ «إن قالوا هلم معنا لنكمن للدم لنختفِ للبريء باطلاً».

٣٣ – «الرَّبُّ لاَ يَتْرُكُهُ فِي يَدِهِ، وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهِ عِنْدَ مُحَاكَمَتِهِ»:

أي لا يهمله ولا يتركه في قبضة أو قوة الشرير. ولن يحكم عليه بمعنى لا يتهمه حتى ولو اتهمه كل الناس بلا حق.

(عدد ٣٤): وقفة لحرف Qoph (ق): ק

٣٤ – «انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاحْفَظْ طَرِيقَهُ، فَيَرْفَعَكَ لِتَرِثَ الأَرْضَ. إِلَى انْقِرَاضِ الأَشْرَارِ تَنْظُرُ»:

حتى لو ضيّق عليك وأصابك مضرّة ولكن بالنهاية ترتفع، انظر (مز ٥٢:٦):

+ «فيرى الصديقون ويخافون وعليه يضحكون». وأيضاً: (مز ٥٨: ١٠و١١):

+ «يفرح الصديق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير. ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض».

(عدد ٣٥و٣٦): وقفة لحرف Resh (ر): ר: عدم بقاء الشرير.

٣٥ – «قَدْ رَأَيْتُ الشِّرِّيرَ عَاتِياً، وَارِفاً مِثْلَ شَجَرَةٍ شَارِقَةٍ نَاضِرَةٍ.
٣٦ – عَبَرَ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَالْتَمَسْتُهُ فَلَمْ يُوجَدْ»:

انظر: (أي ٥:٣):

+ «إني رأيت الغبي يتأصَّل وبغتة لعنت مربضه ...».

«عاتياً وارفاً»: جبَّار ضارب جذوره الأرض بجاهه وعزوته ويظهر كأنه في مأمن من المصائب الطارئة.

(عدد ٣٧و٣٨): وقفة لحرف Shin (ش): ש: مستقبل الشرير والبار.

٣٧ – «لاَحِظِ الْكَامِلَ وَانْظُرِ الْمُسْتَقِيمَ، فَإِنَّ الْعَقِبَ لإِنْسَانِ السَّلاَمَةِ.
٣٨ – أَمَّا الأَشْرَارُ فَيُبَادُونَ جَمِيعاً. عَقِبُ الأَشْرَارِ يَنْقَطِعُ»:

هناك مجازاة للمستقبل والنهاية، انظر: (أم ٢٣: ١٨و١٩):

+ «لأنه لابد من ثواب ورجاؤك لا يخيب. اسمع أنت يا ابني وكن حكيماً وأرشد قلبك في الطريق». وأيضاً: (أم ٢٤: ٢٠):

+ «لأنه لا يكون ثواب للأشرار. سراج الأثمة ينطفئ». وأيضاً: (مز ١٠٩: ١٣):

+ «لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمح اسمهم».

(عدد ٣٩و٤٠) وقفة لحرف Tav (ت): ת: أمانة يهوه نحو أتقيائه.

٣٩ – «أَمَّا خَلاَصُ الصِّدِّيقِينَ فَمِنْ قِبَلِ الرَّبِّ، حِصْنِهِمْ فِي زَمَانِ الضِّيقِ.
٤٠ – وَيُعِينُهُمُ الرَّبُّ وَيُنَجِّيهِمْ. يُنْقِذُهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ وَيُخَلِّصُهُمْ، لأَنَّهُمُ احْتَمَوْا بِهِ»:

الآية تتكلَّم!

المزمور الثامن والثلاثون

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ لِلتَّذْكِيرِ

١– «يَا رَبُّ لاَ تُوَبِّخْنِي بِسَخَطِكَ، وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ،
٢– لأَنَّ سِهَامَكَ قَدِ انْتَشَبَتْ فِيَّ، وَنَزَلَتْ عَلَيَّ يَدُكَ.
٣– لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلاَمَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيَّتِي.
٤– لأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتْ فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ.
٥– قَدْ أَنْتَنَتْ، قَاحَتْ حُبُرُ ضَرْبِي مِنْ جِهَةِ حَمَاقَتِي.
٦– لَوِيتُ. انْحَنَيْتُ إِلَى الْغَايَةِ. الْيَوْمَ كُلَّهُ ذَهَبْتُ حَزِيناً.
٧– لأَنَّ خَاصِرَتَيَّ قَدِ امْتَلأَتَا احْتِرَاقاً، وَلَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ.
٨– خَدِرْتُ وَانْسَحَقْتُ إِلَى الْغَايَةِ. كُنْتُ أَئِنُّ مِنْ زَفِيرِ قَلْبِي.
٩– يَا رَبُّ، أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي، وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ.
١٠– قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنِي أَيْضاً لَيْسَ مَعِي.
١١– أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقِفُونَ تُجَاهَ ضَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيداً.
١٢– وَطَالِبُو نَفْسِي نَصَبُوا شَرَكاً، وَالْمُلْتَمِسُونَ لِيَ الشَّرَّ تَكَلَّمُوا بِالْمَفَاسِدِ، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُونَ بِالْغِشِّ.
١٣– وَأَمَّا أَنَا فَكَأَصَمَّ. لاَ أَسْمَعُ. وَكَأَبْكَمَ لاَ يَفْتَحُ فَاهُ.
١٤– وَأَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لاَ يَسْمَعُ، وَلَيْسَ فِي فَمِهِ حُجَّةٌ.
١٥– لأَنِّي لَكَ يَا رَبُّ صَبَرْتُ، أَنْتَ تَسْتَجِيبُ يَا رَبُّ إِلهِي.
١٦– لأَنِّي قُلْتُ: «لِئَلاَّ يَشْمَتُوا بِي». عِنْدَمَا زَلَّتْ قَدَمِي تَعَظَّمُوا عَلَيَّ.
١٧– لأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ أَظْلَعَ، وَوَجَعِي مُقَابِلِي دَائِماً.
١٨– لأَنَّنِي أُخْبِرُ بِإِثْمِي، وَأَغْتَمُّ مِنْ خَطِيَّتِي.
١٩– وَأَمَّا أَعْدَائِي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَالَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي ظُلْماً كَثُرُوا.
٢٠– وَالْمُجَازُونَ عَنِ الْخَيْرِ بِشَرٍّ، يُقَاوِمُونَنِي لأَجْلِ اتِّبَاعِي الصَّلاَحَ.

٢١- لاَ تَتْرُكْنِي يَا رَبُّ. يَا إِلهِي لاَ تَبْعُدْ عَنِّي.

٢٢- أَسْرِعْ إِلَى مَعُونَتِي يَا رَبُّ يَا خَلاَصِي».

دراسة:

ممزّق بالآلام في الجسد ومغموم معذَّب في الفكر، مهجور من الأصدقاء، ومهزأً من الأعداء. هكذا يضع صاحب المزمور نفسه وقضيته أمام الله، وفي آلامه يتذكّر استحقاق عقاب خطاياه ويخضع للإهانات والمهانات من أعدائه مع وداعة الاستغاثة التي تميِّز شكل المزمور. لأن في معظم الأوقات نجده يتوسَّل ببساطة نهاية المصيبة المدبَّرة حتى يُحرِّك قلب الله وعطفه. وفي الافتتاحية فقط وفي النهاية يسأل مباشرة مخاطباً الله بكلام الإيمان والرجاء.

وهذا المزمور قريب جدًّا من المزمور (٦) ومزمور (٣٩). كذلك يَعتقد العالِم Delitzsch أن مزامير (٦و ٣٨ و٥١ و٣٢) تكوِّن مجموعة ذات تاريخ واحد ويحوطها خطية داود مع بتشبع. والملاحظات التي وُضعت سابقاً في مزمور (٦) تجوز هنا. وواضح أن المتكلّم هو مفرد وليس بلسان الأمة ويشكو خبرته.

وأصح توضيح للمزمور هو وصف العبد المتألّم المذكور في إشعياء عن الرب (إش ٥٣). وهذا المزمور يُحسب المزمور الثالث في مزامير التوبة المستخدمة في أربعاء الرماد وهو اليوم الأول في الصوم الكبير قبل العيد بستة أسابيع ونصف.

والمزمور يقع في ثلاثة أقسام، كل قسم يبدأ بخطاب لله، والأعداد موزَّعة اثنين اثنين. واستخدام أسماء الله يلزم الانتباه له. الأول يهوه (مز ٣٨: ١) وبعده أدوناي (مز ٣٨: ٩) ثمَّ الاثنان مجتمعان مع إضافة الله (مز ٣٨: ١٥). والثلاثة مكرَّرة (مز ٣٨: ٢١و٢٢).

١ ـ صاحب المزمور يصف أتعاب جسده وفكره (١-٨).

٢ ـ هجران الأصدقاء وتهديدات الأعداء (٩-١٤).

٣ ـ توسُّل للخلاص (١٥-٢٢).

وقد ذُكر في عنوان المزمور «ليكون في الذاكرة». ونجده أيضاً عنواناً للمزمور (٧٠) وقد اعتاد الشُّرَّاح أن يرجعوه إلى ما هو داخل المزمور كتسجيل للآلام أو الصلاة لكي يتقدَّم الشاكي إلى ذاكرة الله. ولكن الأرجح أن يكون العنوان «ليصنع تذكاراً» فيكون ذلك دليلاً على استخدام المزمور

ليتورجياً مع رفع البخور أو عند تقدمة azkara. وللعلاقة بين هذا المزمور ورفع البخور، انظر: (عد ١٦: ٤٦):

+ «ثم قال موسى لهارون: خذ المجمرة واجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفِّر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب. قد ابتدأ الوبأ». انظر: (لو ١: ٩و١٠):

+ «حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخِّر. وكان كل جمهور الشعب يصلُّون خارجاً وقت البخور».

وكلمة azkara أزكارا، أو للتذكار كانت اصطلاحاً فنياً في الطقس اللاوي يُستخدم فيما يأتي:

(أ) من أجل نصيب في تقدمة القربان ممزوجاً بزيت ويُحرق مع بخور على المذبح (لا ٢:٢).

(ب) من أجل وضع البخور على خبز الوجوه ثمَّ يُحرق (لا ٢٤:٧).

وقد يكون الإصطلاح أصلاً بمعنى: "تقدمة عطرة" وقد شُرحت لتعني "للتذكار" لكي يتقدَّم بها صاحب الذبيحة إلى تذكار الله. وهناك إشارة لاستعمال المزامير في طقس الـ azkara في (١أي ١٦: ٤):

+ «وجعل أمام التابوت من اللاويين خدَّاماً ولأجل التذكير والشكر وتسبيح الرب إله إسرائيل».

وقد جاء في عنوان هذا المزمور في النسخة السبعينية: "للتذكار من أجل السبت" وهذا يؤكِّد استخدام المزمور في الليتورجيا. وقد قام هذا الطقس في أيام الضيق بالنسبة للدولة أو أيام الاضطهاد مثل أيام أنطيوخس إبيفانيس (١مك ١: ١١) حيث كان يُستخدم المزمور من أجل الأمة.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٨]: تأديب الخطية:

١ ـ «يَا رَبُّ لاَ تُوَبِّخْنِي بِسَخَطِكَ، وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ»:

كلمات مطابقة لما جاء في مزمور (٦:١) يصف فيها قسوة التأديب الصادرة من قاضٍ غاضب أكثر منها من أب حنون محب، فالتأكيد يأتي على كلمة «بسخطك» أي في حرارة عدم رضاك، انظر: (إر ١٠: ٢٤):

+ «أدِّبني يا رب ولكن بالحق لا بغضبك لئلاً تفنيني».

وبنفس الإحساس بالإثم وهو تحت الألم، انظر: (مز ١٨:٢٥):

+ «انظر إلى ذلِّي وتعبي واغفر جميع خطاياي». وأيضاً: (مز ١٠:٣١):

+ «لأن حياتي قد فنيت بالحزن وسنيني بالتنهُّد. ضعفت بشقاوتي قوتي وبليت عظامي». وأيضاً: (مز ١٠:٣٩):

+ «ارفع عني ضربك. من مهاجمة يدك أنا قد فنيت». وأيضاً: (مز ١٢:٤٠):

+ «لأن شروراً لا تُحصى قد اكتنفتني. حاقت بي آثامي ولا أستطيع أن أبصر. كثرت أكثر من شعر رأسي وقلبي قد تركني».

٢ ـ «لأَنَّ سِهَامَكَ قَدِ انْتَشَبَتْ فِيَّ، وَنَزَلَتْ عَلَيَّ يَدُكَ»:

سهام الله هي قضاؤه ونخس قلب الإنسان من جهة الأخطاء. انظر: (تث ٢٢:٣٢):

+ «إنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلّتها وتحرق أُسس الجبال». وأيضاً: (مرا ٣: ١٢و١٣):

+ «مدَّ قوسه ونصبني كغرض للسهم. أدخل في كليتيَّ نبال جعبته». وأيضاً: (أي ٤:٦):

+ «لأن سهام القدير فيَّ وحمتها شاربة روحي. أهوال الله مصطفة ضدِّي». وأيضاً: (أي ١٦: ١٢-١٤):

+ «كنت مستريحاً فزعزعني وأمسك بقفاي فحطّمني ونصبني له غرضاً. أحاطت بي رماته. شقَّ كليتيَّ ولم يشفق. سفك مرارتي على الأرض. يقتحمني اقتحاماً على اقتحام. يعدو عليَّ كجبَّار».

وهكذا يصوِّر ضربات الله كصفعة وراء صفعة، انظر: (مز ٤:٣٢):

+ «لأن يدك ثقلت عليَّ نهاراً وليلاً. تحوَّلت رطوبتي إلى يبوسة القيظ. سلاه». وأيضاً: (مز ١٠:٣٩):

+ «ارفع عني ضربك. من مهاجمة يدك أنا قد فنيت».

«ونزلت عليَّ يدك»: أي ضعفت ولصقت بقفاي وضغطت بالآلام.

٣ ـ «لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلاَمَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيَّتِي»:

هنا يكشف سر ثوران الله عليه لأنها هي خطيته أثارت غضب الله وأنزلت العقوبة وراء العقوبة

وبينما الرب مقتحم عليه من الخارج كان الداخل مشتعل بحمّى الخطية يستهلك كل عافيته من الداخل. قارن: (إش ١: ٥و٦):

+ «على مَ تُضربون بعد. تزدادون زيغاناً. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم. من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تعصب ولم تليَّن بالزيت».

«غضبك»: الأفضل في الترجمة: سخط أو حنق أو غيظ، كما هي في (مز ١٠:١٠٢):

+ «بسبب غضبك وسخطك لأنك حملتني وطرحتني». وأيضاً: (مز ١١:٧):

+ «الله قاضٍ عادل وإله يسخط في كل يوم».

«ليست في عظامي سلامة»: صحتها صحة. انظر: (مز ٢:٦):

+ «ارحمني يا رب لأني ضعيف. اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت».

٤ ـ «لأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتْ فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ»:

كانت خطيته كفيضان على نفسه. انظر: (مز ١٢٤: ٤و٥):

+ «إذاً لجرفتنا المياه، لعبر السيل على أنفسنا. إذاً لعبرت على أنفسنا المياه الطامية».

«كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل»: حمل سحقني، انظر: (تك ١٣:٤):

+ «فقال قايين للرب ذنبي أعظم من أن يُحتمل». وأيضاً: (إش ٤:٥٣):

+ «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ونحن حسبناه مصاباً ومضروباً من الله ومذلولاً». وأيضاً: (أي ٢٠:٧):

+ «أأخطأتُ؟ ماذا أفعل لك يا رقيب الناس. لماذا جعلتني عاثوراً لنفسك حتى أكون على نفسي حملاً».

٥ ـ «قَدْ أَنْتَنَتْ، قَاحَتْ حُبُرُ ضَرْبِي مِنْ جِهَةِ حَمَاقَتِي»:

بمعنى جلدات وسحقات، انظر: (إش ٦:١)، قيلت فيما سبق، لأنه يصف كأنه قد جُلد بواسطة الله.

«حماقتي»: الخطية هي هي الحماقة، انظر: (مز ١٧:١٠٧):

+ «والجهال (في العبري: الحمقة) من طريق معصيتهم ومن آثامهم يذلون».

وكلمة ‘‘حماقتي’’ لم ترد في سفر المزامير إلاَّ في هذا المزمور ومزمور (٥:٦٩):

+ «يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخفَ».

ولكنها جاءت عادية في الأمثال، انظر: (أم ٥:٢٣):

+ «إنه يموت من عدم الأدب وبفرط حمقه يتهوَّر». وأيضاً: (أم ١٩:٣):

+ «حماقة الرجل تعوّج طريقه وعلى الرب يحنق قلبه».

٦ – «لَوِيتُ. انْحَنَيْتُ إِلَى الْغَايَةِ. الْيَوْمَ كُلَّهُ ذَهَبْتُ حَزِيناً»:

وكأن هيكله قد تقلَّص وانجمع على بعضه من الألم، أو أن حركة عقله أصبحت مريضة. انظر: (مز ٣٥:١٤):

+ «كأنه قريب كأنه أخي كنت أتمشَّى. كمن ينوح على أُمه انحنيتُ حزيناً». وأيضاً: (إش ٢١:٣):

+ «لذلك امتلأت حقواي وجعاً وأخذني مخاض كمخاض الوالدة. تلويت حتى لا أسمع. اندهشت حتى لا أنظر».

وهنا كلمة: «لويت» كلمة قديمة استخدامها قليل جدًّا.

«**حزيناً**»: ترجمتها نائحاً. انظر: (مز ٣٥:١٤). عاليه. ويحكي لنا يوسيفوس المؤرِّخ(1) أنه صدر قانون من السنهدرين يقول: [كل مَنْ جاء ليُحاكم أمام السنهدرين يتقدَّم في هيئة اتضاع وخوف متوسِّلاً من أجل الرحمة ويترك شعره مبعثراً ويلبس لباساً أسودَ]. وهكذا كان الوضع قديماً: أن الحزين كان يلبس السواد كثياب النوح ليظهر نفسه أنه صار مثل أيوب تحت العقاب الإلهي. انظر: (زك ٣: ١-٥):

+ «وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدَّام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه ... وكان يهوشع لابساً ثياباً قذرة وواقفاً قدَّام الملاك. فأجاب وكلَّم الواقفين قدَّامه قائلاً: انزعوا عنه الثياب القذرة. وقال له: انظر، قد أذهبت عنك إثمك وألبسك ثياباً مزخرفة. فقلت ليضعوا على رأسه عمامة طاهرة. فوضعوا على رأسه العمامة الطاهرة. وألبسوه ثياباً وملاك الرب واقف».

٧ – «لأَنَّ خَاصِرَتَيَّ قَدِ امْتَلأَتَا احْتِرَاقاً، وَلَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ»:

مرض كريه مع حرقان حمى والتهاب، انظر: (أي ٣٠: ٢٧و٢٨و٣٠):

+ «أمعائي تغلي ولا تكف. تقدَّمتني أيام المذلة. اسْوَدَدْتُ لكن بلا شمس. قمت في الجماعة أصرخ.

(1) Antiq. XIV. 9:3.

حرش جلدي عليَّ وعظامي احترَّت من الحرارة فيَّ».

٨ – «خَدِرْتُ وَانْسَحَقْتُ إِلَى الْغَايَةِ. كُنْتُ أَئِنُّ مِنْ زَفِيرِ قَلْبِي»:

انظر: (إش ٥٣: ٥ و١٠):

+ «وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحُبره شفينا ... أمَّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم ...».

«**كنت أئن**»: يزمجر كالأسد ويصدر صوتاً كالقط، انظر: (مز ٢٢:١):

+ «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري». وأيضاً: (مز ٣٢:٣):

+ «لَمَّا سكتّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله». وأيضاً: (أي ٣:٢٤):

+ «لأن مثل خبزي يأتي أنيني ومثل المياه تنسكب زفرتي».

والأنين إذا تُركت له الحرية يتحوَّل إلى صراخ مجنون ولكن عند كبته يبقى أنيناً في القلب.

[٩-١٤]: هجران الأصدقاء واحتقار الأعداء أضافت إلى آلامه آلاماً:

٩ – «يَا رَبُّ، أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي، وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ»:

الرب يعلم ما نحتاجه أكثر من أنفسنا، انظر: (مت ٦:٨):

+ «فلا تتشبَّهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه».

١٠ – «قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنِي أَيْضاً لَيْسَ مَعِي»:

خفقان القلب يدل على بلوغ الخطر. وعيناه صارت معتمة ولا ترى من الضعف والبكاء، انظر: (مز ٦:٧):

+ «ساخت من الغم عيني، شاخت من كل مضايقي». وأيضاً: (مز ١٣:٣):

+ «انظر واستجب لي يا رب إلهي. أنر عيني لئلاَّ أنام نوم الموت». وأيضاً: (مز ٣١:٩):

+ «ارحمني يا رب لأني في ضيق. خسفت من الغم عيني. نفسي وبطني». وأيضاً: (أي ١٧:٧):

+ «كلَّت عيني من الحزن وأعضائي كلها كالظل». وأيضاً: (مرا ٢:١١):

«كلَّت من الدموع عيناي. غلت أحشائي. انسكبت على الأرض كبدي ...».

١١ – «أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقِفُونَ تُجَاهَ ضَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيداً»:

«**تجاه ضربتي**»: والأصح في الترجمة: "وبأ (طاعون أو برص)". فأصدقاؤه يعاملونه كأبرص

ويقفون أمامه بعيداً عنه، حتى أقاربه تنكَّروا لقرابتهم وتركوه بعيداً. انظر: (مز ٣١: ١١و١٢):

+ «عند كل أعدائي صرت عاراً وعند جيراني بالكلية ورعباً لمعارفي. الذين رأوني خارجاً هربوا عني. نُسيت من القلب مثل الميت. صرتُ مثل إناء مُتلف». وأيضاً: (مز ٦٩: ٨):

+ «صرت أجنبياً عند إخوتي وغريباً عند بني أمي». وأيضاً: (مز ٨٨: ١٨):

+ «أبعدت عني محباً وصاحباً. معارفي في الظلمة». وأيضاً: (أي ١٩: ١٣-١٧):

+ «قد أبعَدَ عني إخوتي. ومعارفي زاغوا عنِّي.
أقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني.
نُزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبياً. صرت في أعينهم غريباً.
عبدي دعوت فلم يُجب. بفمي تضرَّعتُ إليه.
نكهتي مكروهة عند امرأتي وخَمَمْتُ عند أبناء أحشائي». وأيضاً: (إش ٥٣: ٤):

+ «... ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً».

١٢ - «وَ طَالِبُو نَفْسِي نَصَبُوا شَرَكاً، وَالْمُلْتَمِسُونَ لِي الشَّرَّ تَكَلَّمُوا بِالْمَفَاسِدِ، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُونَ بِالْغِشِّ»:

أعداء بلا رحمة أحاطوا بي، انظر: (مز ٣٥: ٤و٢٦):

+ «ليخزَ وليخجل الذين يطلبون نفسي. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكِّرون بإساءتي. ليخز وليخجل معاً الفرحون بمصيبتي. ليلبس الخزي والخجل المتعظِّمون عليَّ».

١٣ - «وَ أَمَّا أَنَا فَكَأَصَمَّ. لاَ أَسْمَعُ. وَكَأَبْكَمَ لاَ يَفْتَحُ فَاهُ.
١٤ - وَ أَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لاَ يَسْمَعُ، وَلَيْسَ فِي فَمِهِ حُجَّةٌ»:

الإحساس بالذنب جعله يلجأ إلى الصمت ويترك قضيته لله، يرضخ وهو مريض لا يسمع المذمة أو أنه ليس له القوة ليرد عليها، انظر: (مز ٣٩: ٩):

+ «صمتُّ. لا أفتح فمي لأنك أنت فعلت». وأيضاً: (إش ٥٣: ٧):

+ «ظُلم أمَّا هو فتذلَّل و لم يفتح فاه. كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه». وأيضاً: (١بط ٢: ٢٣):

+ «الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألَّم لم يكن يهدِّد بل كان يُسلِّم لمن يقضي بعدل».

وذلك بعكس ما فعله أيوب (أي ٢٣: ٤):

+ «أُحسِن الدعوى أمامه وأملأ فمي حججاً».

[عدد ١٥-٢٢]:توسُّلات جديدة لله:

١٥ - «لأَنِّي لَكَ يَا رَبُّ صَبَرْتُ، أَنْتَ تَسْتَجِيبُ يَا رَبُّ إِلهِي»:

سبب الصمت والرضوخ. هنا يقدِّم الصمت ولكن بنوع الرجاء، انظر: (مز ٣٩: ٧):

+ «والآن ماذا انتظرتُ يا رب، رجائي فيك هو». وأيضاً: (مي ٧: ٧):

+ «ولكنني أراقب الرب أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي».

١٦ - «لأَنِّي قُلْتُ: لِئَلاَّ يَشْمَتُوا بِي. عِنْدَمَا زَلَّتْ قَدَمِي تَعَظَّمُوا عَلَيَّ»:

هذا هو التوسُّل الذي قدَّمه في صلاته، انظر: (مز ٢٥: ٢):

+ «يا إلهي عليك توكَّلت. فلا تدعني أخزى. لا تَشْمَتْ بي أعدائي». وأيضاً: (مز ٣٥: ١٩):

+ «لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً. ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب». وأيضاً: (مز ٤١: ٧):

+ «كل مبغضيَّ يتناجون معاً عليَّ. عليَّ تفكَّروا بأذيَّتي».

«عندما زلَّت قدمي»: كناية عن الحظ السيِّئ، انظر: (مز ١٣: ٤):

+ «لئلاَّ يقول عدوِّي قد قويت عليه. لئلاَّ يهتف مضايقيَّ بأني تزعزعت».

«تعظَّموا عليَّ»: انظر: (مز ٣٥: ٢٦):

+ «ليخز وليخجل معاً الفرحون بمصيبتي. ليلبس الخزي والخجل المتعظِّمون عليَّ».

١٧ - «لأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ أَظْلَعَ، وَوَجَعِي مُقَابِلِي دَائِماً»:

حجة جديدة ليسمع له الرب سريعاً. انظر: (مز ٣٥: ١٥):

+ «ولكنهم في ظلعي فرحوا واجتمعوا، اجتمعوا عليَّ شاتمين و لم أعلم. مزَّقوا و لم يكفوا».

«ووجعي مقابلي دائماً»: أي بلا سكوت. انظر: (مز ٥١: ٣):

+ «لأني عارف بمعاصيَّ وخطيَّتي أمامي دائماً».

١٨ - «لأَنَّنِي أُخْبِرُ بِإِثْمِي، وَأَغْتَمُّ مِنْ خَطِيَّتِي»:

إنه يعترف بأن خطيته كانت هي سبب آلامه.

١٩ ـ «وَ أَمَّا أَعْدَائي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَالَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي ظُلْماً كَثُرُوا»:

يقارن بين قوة أعدائه وبين ضعفه.

٢٠ ـ «وَ الْمُجَازُونَ عَنِ الْخَيْرِ بِشَرٍّ، يُقَاوِمُونَنِي لأَجْلِ اتِّبَاعِي الصَّلاَحَ»:

انظر: (مز ٣٥: ١٢و١٣):

+ «يجازونني عن الخير شرًّا ثكلاً لنفسي. أمَّا أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً. أذللت بالصوم نفسي. وصلاتي إلى حضني ترجع».

٢١ ـ «لاَ تَتْرُكْنِي يَا رَبُّ. يَا إِلهِي لاَ تَبْعُدْ عَنِّي.

٢٢ ـ أَسْرِعْ إِلَى مَعُونَتِي يَا رَبُّ يَا خَلاَصِي»:

استمرار الصلاة الختامية.

لم يشرق نورٌ بعد على غضب الله، لكن التوبة الحقيقية تحفظ الإيمان. إن الإنسان ييأس من نفسه ولكن لا ييأس من الله قط. انظر: (مز ٢٢: ١٩):

+ «أمَّا أنت يا رب فلا تبعد. يا قوتي أسرع إلى نصرتي». وأيضاً: (مز ٤٠: ١٣):

+ «ارتضِ يا رب بأن تنجِّيني. يا رب إلى معونتي أسرع».

«يا خلاصي»: انظر: (مز ٦٢: ٢):

+ «إنما هو صخرتي وخلاصي ملجإي. لا أتزعزع كثيراً». وأيضاً: (مز ٥١: ١٤):

+ «نجِّني من الدماء يا الله إله خلاصي. فيُسبِّح لساني برِّك».

المزمور التاسع والثلاثون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِيَدُوثُونَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ ـ «قُلْتُ: "أَتَحَفَّظُ لِسَبِيلِي مِنَ الْخَطَإِ بِلِسَانِي. أَحْفَظُ لِفَمِي كِمَامَةً فِيمَا الشِّرِّيرُ مُقَابِلِي".

٢ ـ صَمَتُّ صَمْتاً. سَكَتُّ عَنِ الْخَيْرِ. فَتَحَرَّكَ وَجَعِي.

٣ ـ حَمِيَ قَلْبِي فِي جَوْفِي. عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ تَكَلَّمْتُ بِلِسَانِي:

٤ ـ "عَرِّفْنِي يَا رَبُّ نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ.

٥ ـ هُوَذَا جَعَلْتَ أَيَّامِي أَشْبَاراً، وَعُمْرِي كَلاَ شَيْءَ قُدَّامَكَ. إِنَّمَا نَفْخَةً كُلُّ إِنْسَانٍ قَدْ جُعِلَ. سِلاَهْ.

٦ ـ إِنَّمَا كَخَيَالٍ يَتَمَشَّى الإِنْسَانُ. إِنَّمَا بَاطِلاً يَضِجُّونَ. يَذْخَرُ ذَخَائِرَ وَلاَ يَدْرِي مَنْ يَضُمُّهَا.

٧ ـ وَالآنَ، مَاذَا انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ؟ رَجَائِي فِيكَ هُوَ.

٨ ـ مِنْ كُلِّ مَعَاصِيَّ نَجِّنِي. لاَ تَجْعَلْنِي عَاراً عِنْدَ الْجَاهِلِ.

٩ ـ صَمَتُّ. لاَ أَفْتَحُ فَمِي، لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ.

١٠ ـ ارْفَعْ عَنِّي ضَرْبَكَ. مِنْ مُهَاجَمَةِ يَدِكَ أَنَا قَدْ فَنِيتُ.

١١ ـ بِتَأْدِيبَاتٍ إِنْ أَدَّبْتَ الإِنْسَانَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِهِ، أَفْنَيْتَ مِثْلَ الْعُثِّ مُشْتَهَاهُ. إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْخَةٌ. سِلاَهْ.

١٢ ـ اسْتَمِعْ صَلاَتِي يَا رَبُّ، وَاصْغَ إِلَى صُرَاخِي. لاَ تَسْكُتْ عَنْ دُمُوعِي. لأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي.

١٣ ـ اقْتَصِرْ عَنِّي فَأَتَبَلَّجَ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ فَلاَ أُوجَدَ».

دراسة:

هذا المزمور دعاه العالم Ewald أنه هو بلا نزاع الأكثر جمالاً في قصائد النحيب elegies في سفر المزامير. وهو امتداد للمزمور السالف، وحال صاحب المزمور هو نفسه مرض ممتد أحدره إلى حافة القبر، ولكن الضيقة التي للآلام قد انتهت ومهاجمة الأعداء توقَّفت. والمزمور له أربع وقفات: الثلاث الأُولى كل وقفة ثلاثة أعداد، والوقفة الرابعة أربعة أعداد وهي كالآتي:

١ ـ حينما يقارن نصيبه في الآلام مع نجاح الأشرار دخل تجربة التذمُّر. وهو قد قرر أن يواجه التجربة بصمت ولكن نار الإحساس ترفض أن تهدأ (١-٣).

٢ ـ قد أُجبر ليفتش عن الراحة بالصلاة حتى يتعلَّم زوال حياة الإنسان وأباطيل الرغبات (٤ ـ ٦).
٣ ـ وصل إلى درجة الإحساس بالرجاء في يهوه الذي إليه خضع في سكوت (٧ ـ ٩).
٤ ـ وإذ هو يتأمَّل في تفاهة وقصر حياة الإنسان أخذ يُصلِّي من أجل الراحة (١٠ ـ ١٣).

ومن أجل أن ندرس هذا المزمور مع مزمور (٣٨) ينبغي أن نذكر الآتي:
١ ـ أن المرض كان عامة يعتبر برهاناً لعدم رضا الله.
٢ ـ إسرائيل القديمة كانت تنظر إلى الموت أنه انقطاع من شركة الله.

وهذا المزمور مثل مزمور (٣٨) ومزمور (٤٠) كانت تعتبر عند بعض النقاد كنطق الأُمة أكثر منه نطق فرد، ولكن هذه النظرية غير معترف بها.

هذا المزمور متصل في اللغة والفكر بمزمور (٣٨)، كذلك فإن له صلة بمزمور (٦٢) وكلا هذين المزمورين يتميَّزان بنفس الرجاء في الله ونفس الإحساس ببطلان الحياة ـ وفيهما كلمة ak (فقط) أو (يقيناً) تأتي متكرِّرة. ويلزم الانتباه إلى التوازي أيضاً مع سفر أيوب.

وفي العنوان نجد اسم يدوثون الذي يُذكر أيضاً في عنوان مزموري ٦٢و٧٧ والاسم مذكور في: (١أي ٤١:١٦)، (١أي ١:٢٥)، (٢أي ١٢:٥، ١٥:٣٥) مع هيمان وآساف كمديري الموسيقى في الهيكل وكان صاحب هذا الاسم أيضاً يُسمَّى إيثان (١أي ١٧:١٥ إلخ).

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١ ـ ٣]: التصميم على الصمت في مقابل التجربة.

١ ـ «قُلْتُ: "أَتَحَفَّظُ لِسَبِيلِي مِنَ الْخَطَإِ بِلِسَانِي. أَحْفَظُ لِفَمِي كِمَامَةً فِيمَا الشِّرِّيرُ مُقَابِلِي"»:
قلت لنفسي وصممت، وذلك لمَّا دخلت في أعماق نفسي، انظر: (مز ٦:٣٠):
+ «وأنا قلت في طمأنينتي لا أتزعزع إلى الأبد». وأيضاً: (مز ١٤:٣١):
+ «أمَّا أنا فعليك توكَّلت يا رب، قلتُ: إلهي أنتَ».

«أتحفَّظ لسبيلي»: أنتبه لما أقول ولما أعمل ولما أفكِّر، انظر: (أم ١٧:١٦):
+ «منهج الصديقين الحيدان عن الشر، حافظ نفسه حافظ طريقه».

إنه يخاف لئلا يخطئ بلسانه، انظر: (أي ٣٠:٣١):
+ «بل لم أدَعْ حنكي يخطئ في طلب نفسه بلعنة».

حتى لا يتذمر على الله عندما يُقارن نجاح الأشرار مع نصيبه في الآلام والتجارب، انظر: (أي ٢٢:١):
+ «في كل هذا لم يخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة». وأيضاً: (أي ١٠:٢):
+ «فقال لها تتكلَّمين كلاماً كإحدى الجاهلات. أ الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل. في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه».

«أحفظ لفمي كمامة»: انظر: (مز ٣:١٤١):
+ «اجعل يا رب حارساً لفمي. احفظ باب شفتيَّ».

«فيما الشرير مقابلي»: لأن منظر الشرير وهو في بحبوحة العيش ونجاح أعماله تجربة لمستقيمي القلب. انظر: (حب ٣:١):
+ «لِمَ تُريني إثماً وتبصر جوراً وقدامي اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها».

٢ ـ «صَمَتُّ صَمْتاً. سَكَتُّ عَنِ الْخَيْرِ. فَتَحَرَّكَ وَجَعِي»:
أخضع نفسه للصمت الإجباري، انظر: (مز ١:٦٢):
+ «إنما لله انتظرت نفسي. من قبله خلاصي». وأيضاً: (مز ٧:٣٧):
+ «انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه. من الرجل المجري مكايد». وأيضاً: (مرا ٢٦:٣):
+ «جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقَّع بسكوت خلاص الرب».

«سكتُّ عن الخير»: بقيت في صمتي لا أتكلَّم خيراً ولا شراً، انظر: (تك ٢٤:٣١):
+ «وأتى الله إلى لابان الأرامي في حُلم الليل. وقال له احترز من أن تكلِّم يعقوب بخيرٍ أو شر».

«فتحرَّك وجعي»: الضغط على نفسه للسكوت إجباراً تسبب في تعبه وضيقة نفسه، انظر: (مز ٣:٣٢):
+ «لَمَّا سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله».

٣ ـ «حَمِيَ قَلْبِي فِي جَوْفِي. عِنْدَ لَهَجِي اشْتَعَلَتِ النَّارُ. تَكَلَّمْتُ بِلِسَانِي»:

لم يستطع السكوت فضغط الكلام داخله، انفجر كبركان يتقد ناراً بالكلمات الصعبة. قارن (إر ٩:٢٠) ولكن السبب مختلف:

+ «فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي فمللت من الإمساك و لم أستطع».

[عدد ٤-٦]: اتضح أن الصمت مستحيل، فلا بد أن يُخرج عواطفه ويخرجها كصلاة لكي ما يتعلَّم تفاهة الحياة وبطلان شهوات الإنسان حتى يعود من أطماعه وحقده وتذمره للخضوع لله.

انظر: (مز ١٢:٩٠):

+ «إحصاء أيامنا هكذا علِّمنا فنؤتى قلب حكمة».

٤ - **«عَرِّفْنِي يَا رَبُّ نِهَايَتِي وَمِقْدَارَ أَيَّامِي كَمْ هِيَ، فَأَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ»**:

حتى يتعلَّم أنه لابد منتهي وأن حياته هكذا قصيرة في أحسن أحوالها. هكذا يتعلَّم أن يعود إلى الله خاضعاً.

٥ - **«هُوَذَا جَعَلْتَ أَيَّامِي أَشْبَاراً، وَعُمْرِي كَلاَ شَيْءٍ قُدَّامَكَ. إِنَّمَا نَفْخَةً كُلُّ إِنْسَانٍ قَدْ جُعِلَ. سِلاَهْ»**:

إنما أصغر مقياس تُقاس به الأعمار ليعرف الإنسان كم هو زائل، والشبر هو أربعة الأصابع فقط.

انظر: (إر ٢١:٥٢):

+ «أمَّا العمودان فكان طول العمود الواحد ثماني عشرة ذراعاً وخيط اثنا عشرة ذراعاً يحيط به وغلظه أربع أصابع وهو أجوف».

عرِّفني مقدار أيامي فهي بالنسبة لبقاء الإنسان إلى الأبد تصير لا شيء، انظر: (إش ١٧:٤٠):

+ «كل الأُمم كلا شيء قدَّامه. من العدم والباطل تُحسب عنده».

٦ - **«إِنَّمَا كَخَيَالٍ يَتَمَشَّى الإِنْسَانُ. إِنَّمَا بَاطِلاً يَضِجُّونَ. يَذْخَرُ ذَخَائِرَ وَلاَ يَدْرِي مَنْ يَضُمُّهَا»**:

الإنسان خيال ظل صورة. انظر: (مز ٢٠:٧٣):

+ «كحلم عند التيقُّظ يا رب عند التيقُّظ تحتقر خيالهم».

يحيا بلا قصد حقيقي ويقلقون أنفسهم بلا طائل، انظر: (إش ٢:٢٢):

+ «يا ملآنة من الجلبة المدينة العجاجة القرية المفتخرة. قتلاكِ ليس هم قتلى السيف ولا موتى

الحرب». وأيضاً: (مز ١٦:٣٧):

+ «القليل الذي للصدِّيق خير من ثروة أشرار كثيرين».

«يذخر ذخائر ولا يدري من يضمها»: انظر: (أي ١٦:٢٧):

+ «إن كنز فضة كالتراب وأعدَّ ملابس كالطين ...». وأيضاً: (إش ٤:٣٣):

+ «ويُجنى سلبكم جني الجراد. كتراكض الجندب يتراكض عليه». وأيضاً: (لو ٢٠:١٢):

+ «فقال له الله يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون».

[عدد ٧-٩]: حياة الإنسان زائلة وكنوز الأرض غش. فصاحب المزمور يلتفت إلى الله الثابت الأزلي.

٧ - **«وَالآنَ، مَاذَا انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ؟ رَجَائِي فِيكَ هُوَ»**:

تعقيب على ما فات. فماذا أنا انتظرت ولا زلت أنتظر؟ بمعنى أن لا شيء أكثر مما رأيت.

٨ - **«مِنْ كُلِّ مَعَاصِيَّ نَجِّنِي. لاَ تَجْعَلْنِي عَاراً عِنْدَ الْجَاهِلِ»**:

يطلب الخلاص ليس فقط من أعدائه بل ومن خطاياه. فالخطية تمسك به وتجرّه إلى العقوبة. انظر: (مز ١٢:٤٠):

+ «لأن شروراً لا تُحصى قد اكتنفتني. حاقت بي آثامي ولا أستطيع أن أُبصر. كثرت أكثر من شعر رأسي وقلبي قد تركني». وأيضاً: (أي ٤:٨):

+ «إذ أخطأ إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم».

«لا تجعلني عاراً عند الجاهل»: الجاهل يعتبر أن آلام الرجل البار علامة على غضب الله وتقريع.

انظر: (مز ١٦:٣٨):

+ «لأني قلت لئلاَّ يشمتوا بي. عندما زلت قدمي تعظَّموا عليَّ». وأيضاً: (مز ٨:٢٢):

+ «اتكل على الرب فلينجِّه. لينقذه لأنه سُرَّ به». وأيضاً: (مز ١١:٣١):

+ «عند كل أعدائي صرت عاراً وعند جيراني بالكلية ورعباً لمعارفي. الذين رأوني خارجاً هربوا عني». وأيضاً: (مز ١٣:٤٤):

+ «تجعلنا عاراً عند جيراننا. هزأة وسخرة للذين حولنا».

٩ - **«صَمَتُّ. لاَ أَفْتَحُ فَمِي، لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ»**:

علامة على الخضوع لله وإرادته، انظر: (مرا ١:٢١):

+ «سمعوا أني تنهَّدت. لا مُعزِّي لي. كل أعدائي سمعوا ببليتي. فرحوا لأنك فعلت. تأتي باليوم الذي ناديتَ به فيصيرون مثلي».

[عدد ١٠-١٣]: توسُّل لمعونة ونجدة (١٠و١١)، وطلب للتأجيل أو للإمهال (١٢و١٣).

١٠ - **«ارْفَعْ عَنِّي ضَرْبَكَ. مِنْ مُهَاجَمَةِ يَدِكَ أَنَا قَدْ فَنِيتُ»:**

"ضربة" كلمة تُستعمل في ضربة الشلل stroke، انظر: (مز ٣٨:١١):

+ «أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي وأقاربي وقفوا بعيداً». واستخدمها أيوب: (٩:٣٤):

+ «ليرفع عنِّي عصاه ولا يبغتني رعبه ...».

«أنا قد فنيت»: في مقابل ارفع يدك. الضربة ثقيلة، قد قاربت الفناء، انظر: (أي ١٠: ٢و٣):

+ «قائلاً لله لا تستذنبني. فهِّمني لماذا تخاصمني».

+ «أحسنٌ عندك أن تظلم أن ترذل عمل يديك وتشرق على مشورة الأشرار؟».

١١ - **«بِتَأْدِيبَاتٍ إِنْ أَدَّبْتَ الإِنْسَانَ مِنْ أَجْلِ إِثْمِهِ، أَفْنَيْتَ مِثْلَ الْعُثِّ مُشْتَهَاهُ. إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْخَةٌ. سِلاَهْ»:**

انظر: (أي ١٣:٢٨):

+ «وأنا كمتسوِّس يبلى كثوب أكله العث». وأيضاً: (إش ٥٠:٩):

+ «هوذا السيد الرب يعينني. مَنْ هو الذي يحكم عليَّ. هوذا كلهم كالثوبِ يبلون يأكلهم العث».

وأيضاً: (إش ٥١:٨):

+ «لأنه كالثوب يأكلهم العث وكالصوف يأكلهم السوس».

١٢ - **«اسْتَمِعْ صَلاَتِي يَا رَبُّ، وَاصْغَ إِلَى صُرَاخِي. لاَ تَسْكُتْ عَنْ دُمُوعِي. لأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي»:**

استعادة الصحة هي الاستجابة **«لا تسكت عن دموعي»:**

يقول الربيُّون إن هناك ثلاثة أصناف من التوسُّل كل واحد يفوق الآخر. الصلاة، الصراخ، الدموع. الصلاة في صمت، الصراخ بالصوت العالي. والدموع تفوق الكل. لا يوجد باب يمكن أن يظل مغلقاً أمام الدموع!! وأبواب الدموع لا تُغلق أبداً، انظر: (عب ٥:٧):

+ «الذي في أيَّام جسده إذ قدَّم بصراخٍ شديد ودموع طلبات وتضرُّعات للقادر أن يخلِّصه من

الموت وسُمِعَ له من أجل تقواه».

«غريبٌ عندك نزيلٌ»:

تخص الغرباء النازلين في مدينة ليست لهم! ولا حق مواطنة لهم! والكلمات توحي إلى الإقامة الزمنية القصيرة مبنية على إرادة الصاحب الطيبة. وكان على الإسرائيلي أن يعتبر نفسه كذلك لأن الأرض لم تكن ملكه ولكن ملكاً للرب، فهو غريب ونزيل عند الرب. ولكن صاحب المزمور يقولها على أنه غريب على الدنيا ونزيل على الأرض. ومثل هذه الكلمات وضعت في فم داود في (١أي ٢٩:١٥)، وقد استخدمها ق. بطرس (١بط ٢:١١) بالنسبة للمسيحي في العالم. انظر: (عب ١١:١٣):

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحيُّوها، وأقرُّوا بأنهم غرباءُ ونُزلاءُ على الأرض».

«مثل جميع آبائي»: قالها إيليا، انظر: (١مل ١٩:٤):

+ «ثم سار إيليا في البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه وقال قد كفى الآن يا رب خُذ نفسي لأنني لستُ خيراً من آبائي».

١٣ - **«اقْتَصِرْ عَنِّي فَأَتَبَلَّجَ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ فَلاَ أُوجَدَ»:**

أي كف اهتماماً بتأديبي حتى أستعيد صحتي وأتنفَّس، كالسماء ذات الغمام الكثيف حينما تسحب غمامها وتُضيء من جديد. وهي موجودة تماماً في (أي ٧:١٩):

+ «حتى متى لا تلتفت عني ولا ترخيني ريثما أبلع ريقي». وأيضاً: (أي ١٤:٦):

+ «فأقصر عنه ليسترحْ إلى أن يُسرَّ كالأجير بانتهاء يومه».

«قبل أن أذهب فلا أُوجد»: انظر: (أي ١٠: ٢٠و٢١):

+ «أليست أيامي قليلة. اترك. كفَّ عني فأتبلَّج قليلاً قبل أن أذهب ولا أعود». وأيضاً: (أي ٧:٨):

+ «لا تراني عين ناظري. عيناك عليَّ ولست أنا».

هذا المزمور كما يقول العالم Delitzsch يحمل سمة بطولة الإيمان في العهد القديم إذ أنه بين ألغاز الحياة وفي ملء الظلمة التي تحيط بالمستقبل يُلقي بنفسه بلا شرط في أذرع الله الأبدية.

المزمور الأربعون

لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١– «انْتِظَاراً انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي،

٢– وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي،

٣– وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلهِنَا. كَثِيرُونَ يَرَوْنَ وَيَخَافُونَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ.

٤– طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْغَطَارِيسِ وَالْمُنْحَرِفِينَ إِلَى الْكَذِبِ.

٥– كَثِيراً مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ.

٦– بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ.

٧– حِينَئِذٍ قُلْتُ: "هأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي:

٨– أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي".

٩– بَشَّرْتُ بِبِرٍّ فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ. هُوَذَا شَفَتَايَ لَمْ أَمْنَعْهُمَا. أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِمْتَ.

١٠– لَمْ أَكْتُمْ عَدْلَكَ فِي وَسَطِ قَلْبِي. تَكَلَّمْتُ بِأَمَانَتِكَ وَخَلاَصِكَ. لَمْ أُخْفِ رَحْمَتَكَ وَحَقَّكَ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ.

١١– أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلاَ تَمْنَعْ رَأْفَتَكَ عَنِّي. تَنْصُرُنِي رَحْمَتُكَ وَحَقُّكَ دَائِماً.

١٢– لأَنَّ شُرُوراً لاَ تُحْصَى قَدِ اكْتَنَفَتْنِي. حَاقَتْ بِي آثَامِي. وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ. كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، وَقَلْبِي قَدْ تَرَكَنِي.

١٣– اِرْتَضِ يَا رَبُّ بِأَنْ تُنَجِّيَنِي. يَا رَبُّ إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ.

١٤– لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعاً الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لإِهْلاَكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ وَلْيَخْزَ الْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي.

١٥– لِيَسْتَوْحِشْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمِ الْقَائِلُونَ لِي: "هَهْ! هَهْ!".

١٦– لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَداً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: "يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ".

١٧– أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلهِي لاَ تُبْطِئْ».

دراسة:

هذا المزمور مكوَّن من جزئين مختلفين إلى حدٍّ كبير في النغمة وفي الصفات:

في الجزء الأول (١–١١): يشكر من أجل خلاصه بتعبير صادق وتقوى وخضوع لإرادة الله وهذه هي الأفكار السائدة فيه.

في الجزء الثاني (١٢–١٧): نرى صاحب المزمور لا يزال فريسة لاضطهاد قاسٍ، يصلّي لأجل الخلاص.

الجزء الأول يتميَّز بقوة شخصية وروحانية.

الجزء الثاني يتكوَّن أساساً من آيات موجودة في غير هذا المزمور. فالآيات (١٣–١٧) نجدها تتكرَّر في الكتاب الثاني من سفر المزامير في المزمور (٧٠).

ويبدو أن الجزئين أو ربما المزمورين قد جمعهما شخص، مع التنويه إلى احتياجاته الشخصية أو ربما لاستخدام الليتورجيا في وقت كان هو أو كانت الأُمة فيه تنظر إلى الخلف نحو الخلاص الماضي وتجاربه. ولو أنه لا يزال محتملاً أن مؤلِّف (١–١١) هو الذي أكمل (١٢–١٧) في وقت آخر في ظروف أُخرى مستخدماً نفس اللغة التي استخدمها سابقاً في وقت المحنة. لأنه توجد صلات بين تعبيرات الجزء الثاني وتعبيرات الجزء الأول فمثلاً كلمة «ارتضِ» (١٣) في الأصل العبري مشابهة لكلمة «مشيئتك» (٨)، وعبارة «يهتم بي» (١٧) مشابهة في العبري لعبارة «أفكارك من جهتنا» (٥)، وعبارة «كثرت أكثر مِن» (١٢) مشابهة في العبري لعبارة «زادت عن أن تُعدّ» (٥). ومثل هذا التكرار لعبارات مشابهة هو مِن صفات مؤلِّف الجزء الأول من المزامير. فمثلاً يكرر: «لم أمنعها» (٩) في «لا تمنع» (١١) وأيضاً يكرر: «رحمتك وحقك» في كل من آية (١٠)، (١١).

والمزمور لداود في آخر الفترة التي كان فيها منبوذاً خارج الدولة، بمدة قصيرة قبل أن يكون ملكاً. وكلمات (٦) وما بعدها تأخذ قوة جديدة إذا ربطناها بسفر صموئيل الأول (١٥:٢٢):

\+ «فقال صموئيل: هل مسرَّة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش».

وتقوى الملك الشخصية بحسب قلب الله هي العكس لإرادة الذات التي كانت أساس رفض شاول.

ولا توجد أي إشارة أن العدو هم الأُمم (حتى نقول أن المزمور يخص الأمة).

والجزء الأول يقع في أربع وقفات، ويتلخَّص مضمون المزمور فيما يأتي:

الجزء الأول:

١ ـ بعد صلاة وانتظار طويل حدثت استجابة وجاءت الفرصة للشكر (١-٣).

٢ ـ ومرَّة أخرى ثبت أن الثقة في الله هي المنبع الوحيد للسعادة الصادقة. فصلاح الله لشعبه هو دائم وأبدي ولا يُقارن قط (٤و٥).

٣ ـ بماذا تكون استجابة الإنسان نحو المحبة؟ ليس بذبيحة مادية ولكن بخدمة الطاعة (٦-٨).

٤ ـ لم يخفق صاحب المزمور أن يعترف علناً أن الله أثبت نفسه أنه موجود ويثق صاحب المزمور في دوام إحسانات الله في المستقبل (٩-١١).

الجزء الثاني:

يتغيَّر المنظر فجأة. فصاحب المزمور يقدِّم نفسه أنه طُغي عليه بالمحن ويتوسَّل إلى معونة سريعة لمواجهة أعدائه الماكرين. غير أنه في وسط الأحزان تبقى ثقته غير مهتزة (١٢-١٧).

واستُخدم هذا المزمور في الرسالة إلى العبرانيين، إذ يصف الذبيحة الأساسية التي قُدِّمت على الصليب.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٣]: جزاء انتظار الله.

١ ـ «انْتِظَاراً انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي»:

انظر: (مز ٣٨:١٥):

+ «لأني لك يا رب صبرت. أنت تستجيب يا رب إلهي». وأيضاً: (مز ٣٩:٧):

+ «والآن ماذا انتظرتُ يا رب. رجائي فيك هو».

وهكذا يكون اعتراف الكنيسة في يوم الفداء. انظر: (إش ٢٥:٩):

+ «ويُقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه».

«فمال إليَّ»: أمال أذنه نحوي. انظر: (مز ٣١:٢):

+ «أمل إليَّ أذنك. سريعاً أنقذني. كن لي صخرة حصن بيت ملجإ لتخليصي». وأيضاً: (مز ١١٦:٢):

+ «لأنه أمال أذنه إليَّ. فأدعوه مدة حياتي».

«صراخي»: انظر: (مز ٣٩:١٢):

+ «استمع صلاتي يا رب واصغ إلى صراخي. لا تسكت عن دموعي. لأني أنا غريب عندك. نزيل مثل جميع آبائي». وأيضاً: (مز ١٨:٦):

+ «في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت. فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدَّامه دخل أذنيه».

٢ ـ «وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي»:

يصف نفسه كسجين في حمأة طين. انظر: (مرا ٣:٥٣و٥٥):

+ «قرضوا في الجب حياتي وألقوا عليَّ حجارة.
دعوت باسمك يا رب من الجب الأسفل».

أو حتى كميت في قبر، انظر: (مز ٢٨:١):

+ «إليك يا رب أصرخ يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلاَّ تسكت عني فأشابه الهابطين في الجب».
وأيضاً: (مز ٨٨:٤و٦):

+ «حُسبتُ مثل المنحدرين إلى الجب. صرتُ كرجل لا قوة له».

+ «وضعتني في الجب الأسفل في ظلمات في أعماق»

ولكن الآن قد أعطاه قدماً ثابتاً ليقوم. انظر: (مز ١٧:٥):

+ «تمسكت خطواتي بآثارك فما زلت قدماي». وأيضاً: (مز ٣٧:٣١):

+ «شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواته».

٣ ـ «وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلهِنَا. كَثِيرُونَ يَرَوْنَ وَيَخَافُونَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ»:

هكذا صار مثل هذا الخلاص فرصة جديدة لتقديم الشكر. انظر: (مز ٣٣:٣):

+ «غنوا له أغنية جديدة. أحسنوا العزف بهتاف».

وحينما يقول المزمور بالجمع، يظهر أن كثيرين كانوا ينتظرون خلاصه فعلاً. وهكذا التأمُّل في خلاصه وهزيمة أعدائه جعل الناس على وعي من مجد الله وقوته وليثقون فيه، انظر: (مز ٥٢:٦):

+ «فيرى الصديقون ويخافون وعليه يضحكون».

[عدد ٤و٥]: بركات الثقة.

٤ – **«طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْغَطَارِيسِ وَالْمُنْحَرِفِينَ إِلَى الْكَذِبِ»**:

هنا كلمة "**الرجل**". انظر: (مز ٣٤:٨):

+ «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكِّل عليه».

«ولم يلتفت إلى الغطاريس»: هنا يستخدم صاحب المزمور لغة من يقال عنهم أنهم ذهبوا وراء الأصنام، انظر: (تث ٢٩:١٨):

+ «لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبط قلبه اليوم منصرف عن الرب إلهنا لكي يذهب ليعبد آلهة تلك الأمم. لئلا يكون فيكم أصل يُثمر علقماً وأفسنتيناً».

سعيد هو الإنسان الذي لا يُغش ولا يتوه فيحتقر معونة الرب ويطلب وصايا رجل العالم الذي يفتخر بقوته.

٥ – **«كَثِيراً مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تَقُومُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ»**:

هنا يقارن صاحب المزمور يهوه بالذين نعتمد عليهم غير الله. الذين ذكرهم في الآية السابقة. وعجائب وأفكار الرب هي من نحو شعبه، انظر: (إش ٥٥: ٨و٩):

+ «لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب».

+ «لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم».

وأيضاً: (مز ٩٢:٥):

+ «ما أعظم أعمالك يا رب وأعمق جدًّا أفكارك». وأيضاً: (إر ٢٩:١١):

+ «لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب. أفكار سلام لا شر، لأعطيكم آخرة ورجاء».

«لأخبرن وأتكلمن بها. زادت عن أن تُعد»: انظر: (مز ٢٦:٧):

+ «لأُسمِّعْ بصوت الحمد وأحدِّث بجميع عجائبك». وأيضاً: (يو ٢١:٢٥):

+ «وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة».

[عدد ٦–٨]: خدمة الله الحقيقية لا تكون بتقديم ذبائح ولكن بطاعة مشيئة الله، فالذبيحة بذاتها لا قيمة لها بعيداً عن القلب الذي يقدّمها. والوصية الجديدة بعد الخروج من مصر لم تكن ذبائح بل طاعة (خر ١٥:٢٦) انظر: (مز ٥٠: ٧و٨و١٤):

+ «اسمع يا شعبي فأتكلّم. يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا. لا على ذبائحك أوبِّخك ... اذبح لله حمداً». وأيضاً: (مز ٥١: ١٦و١٧):

+ «لأنك لا تُسر بذبيحة وإلاَّ فكنت أقدِّمها. بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره». وأيضاً: (١صم ١٥:٢٢):

+ «فقال صموئيل هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش». وأيضاً: (هو ٦:٦):

+ «إني أريد رحمة لا ذبيحة. ومعرفة الله أكثر من محرقات». وأيضاً: (مي ٦:٨):

+ «قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلاَّ أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك». وأيضاً: (إر ٧: ٢١–٢٣):

+ «هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. ضمُّوا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً. لأني لم أكلِّم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة. بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً اسمعوا صوتي فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً، وسيروا في كل الطريق الذي أوصيكم به ليُحسن إليكم».

٦ – **«بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ»**:

كانت التقدمات بأشكالها وأسمائها وُصفت بالنسبة لمادتها "كذبيحة" لحيوان يُذبح أو تقدمة من ثمرات الأرض (لا ٢:١ إلخ). وأمَّا بالنسبة للغرض منها، فذبيحة المحرقة كانت ترمز لتكريس العابد لله وذبيحة الخطية لمصالحة واستعادة الشركة مع الله.

«محرقة وذبيحة خطية لم تطلب»: أي لم تُسر بها، والمماثل لها في (هو ٦:٦) سابقاً أعلاه. وأيضاً في (إش ١: ١١و١٢):

+ «اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم. اصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة. لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسرّ». انظر: (١صم ١٥:٢٢) ذكرت سابقاً.

«فتحت أذني»: أو ثقبت أذني. وأعتقد أنها تعني اتخذتني عبداً لأن هذا هو طقس أخذ العبد قديماً. وفي نفس الوقت تعني الطاعة المطلقة. انظر: (خر ٦:٢١)، (تث ١٧:١٥)، وقد عينتني لخدمتك إلى الأبد.

«لم تطلب»: انظر: (تث ١٠: ١٢و١٣):

+ «فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك، إلاَّ أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك، وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لخيرك».

٧ ـ **«حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هَأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي»**:

حينما شعر المتكلِّم أن الرب محتاج إليه: «هأنذا جئت» هو رد الخادم لسيده عندما يدعوه. انظر: (عد ٣٨:٢٢):

+ «فقال بلعام لبالاق. هأنذا قد جئت إليك. ألعلي الآن أستطيع أن أتكلَّم بشيء». وأيضاً: (٢صم ٢٠:١٩):

+ «لأن عبدك يعلم أني قد أخطأت وهأنذا قد جئت اليوم ...».

ولكن موضوع الدعوة غير معروف ولكن واضح من مجرى الكلام.

«بدرج الكتاب. مكتوب عني»: أو على الأصح بدرج الكتاب موصوف لي. ودرج الكتاب مكتوب فقط في (إر ٣٦: ٢و٤و٦و١٤و٢٠ إلخ)، (حز ٩:٢)، (زك ١:٥) ولكن الأصل يشير إلى سفر التثنية وأن التعليم المشار إليه فيه، باعتباره الكتاب المشار إليه.

٨ ـ **«أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي»**:

مشيئتك تعني مسرَّتك الصالحة التي تقبلها. انظر: (أم ٨:١٥):

+ «ذبيحة الأشرار مكرهة الرب. وصلاة المستقيمين مرضاته».

كلمة مرضاته هي نفس كلمة مشيئتك في العبري.

«شريعتك في وسط أحشائي»: أي أن شريعة الله هي قلب الإنسان النابض الذي يعطي الحياة للكيان كله. هكذا كان طلب الله من إسرائيل. انظر: (تث ٦:٦):

+ «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك». وأيضاً: (مز ٣١:٣٧):

+ «شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواته».

وهذا هو الحال المسيَّاني في زمانه، انظر: (إر ٣٣:٣١):

+ «بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً». وأيضاً: (أم ٣:٣):

+ «لا تدع الرحمة والحق يتركانك. تقلَّدهما على عنقك. اكتبهما على لوح قلبك». وأيضاً: (أم ٣:٧):

+ «اربطها على أصابعك اكتبها على لوح قلبك».

وقد ذكرت هذه الآية في العهد الجديد بأهمية بالغة لأنها منطوقة بفم المسيح. انظر: (عب ١٠: ٥ـ٧):

+ «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيَّأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر. ثمَّ قلت هأنذا أجيء في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله».

وصاحب سفر العبرانيين يُقارن المسيح وطاعته الكاملة مع عدم نفع الذبائح في الناموس، ويضع هذه الكلمات في فم المسيح كأوثق ما يكون تعبيراً عن الغرض من حياته وتجسُّده. فالطاعة المذعنة التي يتكلَّم عنها المزمور قديماً والتي صارت هي المعروفة والمدروسة عن حالة العابد نفسه وإسرائيل، تمَّت حتى الكمال في المسيح. وكما أن الأذن هي العضو الذي يستلم الأمر الإلهي، فالجسد هو العضو الأول للتكميل وأن يكون له جسدٌ يحوي واجب الخدمة كما الأذن واجب الطاعة (وستكوت Westcott).

[عدد ٩ـ١١]: بجوار ذبيحة نفسه لم يخفق في تقديم ذبيحة التسبيح والشكر علناً وفي كامل قوتها، معبِّراً عن صلاح يهوه الذي يثق فيه أن يُجري.

٩ ـ **«بَشَّرْتُ بِبِرٍّ فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ. هُوَذَا شَفَتَايَ لَمْ أَمْنَعْهُمَا. أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِمْتَ»**:

كان مقصده البرّ وكل الحقائق تشير إلى بر الله (١٠)، والأخبار الجديدة السارة التي يمكن أن يعلنها هي حقيقة قيام حكم أخلاقي للعالم وأمانة يهوه لشعبه. وهذا هو الذي عمله في الجماعة العظيمة بالعلنية الكلية كما يُلقي الأنبياء رسائلهم في الأعياد.

«هوذا شفتاي لم أمنعهما أنت يا رب علمت»: في حياته السابقة مشيراً إلى معرفة الله الكلية. انظر: (مز ٦٩:٥):

+ «يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخفَ». وأيضاً: (إر ١٥:١٥):
+ «أنت يا رب عرفت. اذكرني وتعهّدني وانتقم لي من مضطهدي. بطول أناتك لا تأخذني اعرف احتمالي العار لأجلك».

١٠ ـ «لَمْ أَكْتُمْ عَدْلَكَ فِي وَسَطِ قَلْبِي. تَكَلَّمْتُ بِأَمَانَتِكَ وَخَلاَصِكَ. لَمْ أُخْفِ رَحْمَتَكَ وَحَقَّكَ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ»:

لا أنكر فضلك ولا جميلك ولا أخاف إنساناً. تكلّمت عنك محيِّياً كل صفات الله التي أُعلنت مرّة أخرى في نجاتي: إحساناتك، برّك، أمانتك، صدقك. انظر: (مز ٣٦: ٥-٧):
+ «يا رب في السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام. عدلك مثل جبال الله وأحكامك لجة عظيمة ... ما أكرم رحمتك (إحساناتك) ...».

وهو يرجو أن يدخل تحت هذا الحفظ، انظر: (مز ٢٥: ٢١):
+ «يحفظني الكمال والاستقامة لأني انتظرتك». وأيضاً: (مز ٦١: ٧):
+ «يجلس قدّام الله إلى الدهر. اجعل رحمة وحقًّا يحفظانه». وأيضاً: (إش ٦٣: ١٥و١٦):
+ «تطلّع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك. زفير أحشائك ومراحمك نحوي امتنعت. فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم».

١١ ـ «أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلاَ تَمْنَعْ رَأْفَتَكَ عَنِّي. تَنْصُرُنِي رَحْمَتُكَ وَحَقُّكَ دَائِماً»:

إحسانات الرب وحقه يحرسانه دائماً والكلمات ليست صلاة ولكنها تعبيرٌ عن الثقة. فكما لم يمنع شفتيه عن تمجيد الله يثق أن لا يمتنع الله عن رحمته.

[عدد ١٢-١٧]: يتغيّر المنظر والسماء تتلبّد، والتوسُّل من أجل سرعة المعونة في وقت الغضب أخذ موقف الصلاة بدلاً من الفرح والشكر المرح.

١٢ ـ «لأَنَّ شُرُوراً لاَ تُحْصَى قَدِ اكْتَنَفَتْنِي. حَاقَتْ بِي آثَامِي. وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ. كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، وَقَلْبِي قَدْ تَرَكَنِي»:

هذا العدد متصل بسابقه.

«شروراً»: محن وتجارب للإيمان وتأديبات الخطية استيقظت.

«اكتنفتني»: أحاطت بي كالفيضان لأن الخطية تتعقّب قلب الإنسان لتجد فرصة للتأنيب حتى تطغى عليه. انظر: (مز ٣٨: ٤):
+ «لأن آثامي قد طمت فوق رأسي. كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل». وأيضاً: (تث ٢٨: ١٥و١٦):
+ «ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك هذه اللعنات وتدركك. ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل». وأيضاً: (أي ٨: ٤):
+ «إذ أخطأ إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم». وأيضاً: (أم ٥: ٢٢و٢٣):
+ «الشرير تأخذه آثامه وبحبال خطيته يُمسك. إنه يموت من عدم الأدب وبفرط حمقه يتهوَّر».

«ولا أستطيع أن أبصر»: عندما يُفاجأ الإنسان بالفزع يخور وتذهب رؤيته، انظر: (مز ٣٨: ١٠):
+ «قلبي خافق. قوتي فارقتني ونور عيني أيضاً ليس معي». وأيضاً: (مز ٦٩: ٣):
+ «تعبت من صراخي. يبس حلقي. كلّت عيناي من انتظار إلهي».

«قلبي قد تركني»: ذهبت شجاعته وخانته المقدرة

١٣ ـ «ارْتَضِ يَا رَبُّ بِأَنْ تُنَجِّيَنِي. يَا رَبُّ إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ»:

ارتضِ من فضلك. أسرع إلى معونتي. انظر: (مز ٣٨: ٢٢):
+ «أسرع إلى معونتي يا رب يا خلاصي». وأيضاً: (مز ٢٢: ١٩):
+ «أمَّا أنت يا رب فلا تبعد. يا قوتي أسرع إلى نصرتي».

١٤ ـ «لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعاً الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لإِهْلاَكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ وَلْيَخْزَ الْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي.
١٥ ـ لِيَسْتَوْحِشْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمِ الْقَائِلُونَ لِي: "هَهْ! هَهْ!"»:

«هه! هه!»: تعبير شماته. انظر: (مز ٣٥: ٢١و٢٥):
+ «فغروا عليَّ أفواههم. قالوا هه هه قد رأت أعيننا».
+ «لا يقولوا في قلوبهم هه شهوتنا. لا يقولوا قد ابتلعناه».

١٦ ـ «لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَداً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: "يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ"»:

خيبة الأعداء وانكسارهم تعطي فرصة للأبرياء للفرح في الرب لأنهم قد انعتقوا من الاضطهاد، ويرون ذلك كبرهان على بر الله وسيادته وكشف لعمل الخلاص.

«**محبو خلاصك**»: تأتي في العهد الجديد في (٢تي ٤:٨) على أن الخلاص هو في ظهور الرب:

+ «لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً».

١٧ ـ «**أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلهِي لاَ تُبْطِئْ**»:

يعود إلى حاجة نفسه في هدوء وتأكيد أنه لا يُنسى. ويقدّم نفسه على أنه مسكين (فقير) وبائس (مصاب). انظر: (مز ٩:١٨):

+ «لأنه لا يُنسى المسكين إلى الأبد. رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر». وأيضاً: (مز ٣٥:١٠):

+ «جميع عظامي تقول يا رب مَنْ مثلك المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه والفقير والبائس من سالبه». وأيضاً: (مز ٨٦:١):

+ «أمل يا رب أذنك. استجب لي. لأني مسكين وبائس أنا». وأيضاً: (مز ٣٧:١٤):

+ «الأشرار قد سلُّوا السيف ومدُّوا قوسهم لرمي المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم». وأيضاً: (مز ١٠٩:٢٢):

+ «فإني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي».

«**يا إلهي لا تُبطئ**»: في صلاة دانيال (٩:١٩):

+ «يا سيد اسمع يا سيد اغفر يا سيد أَصغِ واصنع. لا تؤخر من أجل نفسك». وأيضاً: (إش ٤٦:١٣):

+ «قد قرَّبتُ برِّي. لا يبعد. وخلاصي **لا يتأخَّر**. وأجعل في صهيون خلاصاً. لإسرائيل جلالي».

المزمور الحادي والأربعون

لِرَئِيسِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

١ – «طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ.

٢ – الرَّبُّ يَحْفَظُهُ وَيُحْيِيهِ. يَغْتَبِطُ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يُسَلِّمُهُ إِلَى مَرَامِ أَعْدَائِهِ.

٣ – الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ.

٤ – أَنَا قُلْتُ: "يَا رَبُّ ارْحَمْنِي. اشْفِ نَفْسِي لأَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ".

٥ – أَعْدَائِي يَتَقَاوَلُونَ عَلَيَّ بِشَرٍّ: "مَتَى يَمُوتُ وَيَبِيدُ اسْمُهُ؟"

٦ – وَإِنْ دَخَلَ لِيَرَانِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَذِبِ. قَلْبُهُ يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ إِثْماً. يَخْرُجُ فِي الْخَارِجِ يَتَكَلَّمُ.

٧ – كُلُّ مُبْغِضِيَّ يَتَنَاجَوْنَ مَعاً عَلَيَّ. عَلَيَّ تَفَكَّرُوا بِأَذِيَّتِي.

٨ – يَقُولُونَ: "أَمْرٌ رَدِيءٌ قَدِ انْسَكَبَ عَلَيْهِ. حَيْثُ اضْطَجَعَ لاَ يَعُودُ يَقُومُ".

٩ – أَيْضاً رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!

١٠ – أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَارْحَمْنِي وَأَقِمْنِي فَأُجَازِيَهُمْ.

١١ – بِهذَا عَلِمْتُ أَنَّكَ سُرِرْتَ بِي، أَنَّهُ لَمْ يَهْتِفْ عَلَيَّ عَدُوِّي.

١٢ – أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي دَعَمْتَنِي وَأَقَمْتَنِي قُدَّامَكَ إِلَى الأَبَدِ.

١٣ – مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ.

علامة نهاية الكتاب الأول من المزامير

دراسة:

صاحب المزمور يعاني من مرضه الذي يهدِّد بأن يكون مميتاً، والأعداء المخادعون - وبينهم واحد كان مؤتمناً عند صاحب المزمور كصديق - يشتاقون إلى موته، ولكن ثقته في يهوه لم تهتز.

وصارت منازعة بين الشُّرَّاح: هل صاحب هذا المزمور لا يزال راقداً في فراشه أم أنه استردَّ صحته ويحكي ما فات؟ ففي الآية (٤): «أنا قلت» نجدها تحكي ما جاء في الآيات (٤-١٢) أو على الأقل (٤ـ١٠) ولكن لا تبدو الصلاة في الآية (١٠) جزءاً من الحكي، والفعل في الآية (٤) يمكن أن يكون

«أنا قد قلت».

والمزمور يتكون من أربع وقفات، الثانية والثالثة تتحدان بشدة.

الوقفة الأولى: تعبير عن الطوبى للرحيم لأنه سيتلقى رحمة واللغة عامة تُظهر أن صاحب المزمور يتكلَّم عن نفسه رغبة منه في أن يُعامل بالمثل، وتصوير استحسان الله ورضاه يُبرز بالأكثر الشر الذي لاقاه من أعدائه.

الوقفتان الثانية والثالثة: صلاة لاستعادة حياته يوضِّح فيها حالته، والمكر والرياء عند أعدائه يكشفها بشدة، وقمة كل شيء كيف خانه الصديق (٤-٩).

الوقفة الرابعة: من أعدائه يتحوَّل نحو الله بصلاة جديدة لاستعادة صحته ويعبِّر فيها عن أمانته وثقته في استمرار وضعه مع الله (١٠-١٢).

فإذا كان صاحب المزمور هو داود فإن الصديق المزيَّف ليس إلاَّ أخيتوفل، وإن المزمور يلزم أن يكون قد كُتب قبل ثورة أبشالوم بقليل، واستهزاء أبشالوم على حوشاي (٢صم ١٦:١٧) يوضِّح خيانة من كانت له علاقة وثيقة بالملك مؤتمناً له ويتمتَّع بعمق صداقته. وما جاء في سفر صموئيل الثاني يوضِّح هذه الحالة ولكنه لم يُشر إلى مرض داود.

شرح وتفسير المزمور على مستوى كل التوراة

[عدد ١-٣]: البركات مخزونة للإنسان الرحوم الرؤوف.

١ - **«طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ»:**

النظر إلى المسكين هي ضريبة توقير الله.

ويُلاحَظ أن المزمور الأخير في الكتاب الأول لسفر المزامير (المزامير خمسة كتب) يبدأ بالطوبى كما يبدأ المزمور الأول بالطوبى.

«الذي ينظر إلى المسكين»: يسلك بشجاعة واهتمام وهمة وذكاء نحو الذين في الضيقات ولا يُسرع في دينونتهم، انظر: (مز ٣٥: ١٣و١٤):

+ «أمَّا أنا ففي مرضهم كان لباسي مسحاً. أذللت بالصوم نفسي. وصلاتي إلى حضني ترجع».

+ «كأنه قريب كأنه أخي كنت أتمشَّى. كمن ينوح على أُمه انحنيت حزيناً». وأيضاً: (يع ١: ٢٧):

+ «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم».

والمسكين تعني الفقير وتعني الملقي بلا عائل في مرضه أو ضعيفاً بلا معين. ويلاحظ أن أسلوب المزمور يُظهر أنه يقصد "بالمسكين" المريض.

«في يوم الشر»: يوم التجربة والعوز والضيق كما هو مذكور في مزمور (٢٧: ٥):

+ «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني».

(عدد ٢و٣): وهذا الرحوم تنتظره المراحم أكثر مما صلَّى عن نفسه.؟

٢ - **«الرَّبُّ يَحْفَظُهُ وَيُحْيِيهِ. يَغْتَبِطُ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يُسَلِّمُهُ إِلَى مَرَامِ أَعْدَائِهِ»:**

انظر، (مز ٣٧: ٣):

+ «اتكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة».

«ولا يسلِّمه إلى مرام أعدائه»: انظر: (مز ٢٧: ١٢):

+ «لا تسلمني إلى مرام مضايقي. لأنه قد قام عليَّ شهود زور ونافث ظلم».

يرفع الكلام إلى مستوى الصلاة وهو يضمر حالته الخاصة.

٣ - **«الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ»:**

وهكذا يغيِّر مرضه إلى صحة.

[عدد ٤-٦]: ذكر الرحوم وبركاته جعلته يدخل في موضوعه بالنسبة للذين يعاملونه بلا رحمة.

٤ - **«أَنَا قُلْتُ: "يَا رَبُّ ارْحَمْنِي. اشْفِ نَفْسِي لأَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ"»:**

هكذا صلاتي يا رب. ويظهر من العدد (١٠) أن المرض ليس في الماضي بل هو واقع حاضر.

«ارحمني»: أي كن محسناً إليَّ واشف نفسي أي اشفني. والمعتقد أن مرض الجسد هو رمز لمرض النفس والروح ويصعب أن يشفيان معاً. انظر: (إر ١٧: ١٤):

+ «اشفني يا رب فأشفى. خلِّصني فأخلص لأنك أنت تسبيحتي».

«لأني قد أخطأت إليك»: انظر: (مز ٥١:٤):

+ «إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت، لكي تتبرَّر في أقوالك وتزكو في قضائك».

وأيضاً: (مز ٣١:١٠):

+ «لأن حياتي قد فنيت بالحزن وسنيني بالتنهُّد. ضعفت بشقاوتي قوَّتي وبليت عظامي».

لقد أغضب الله والتأديب صار عليه لذلك فهو وحده الذي يُشفيه. انظر: (هو ٦:١):

+ «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا».

٥ ـ **«أَعْدَائِي يَتَقَاوَلُونَ عَلَيَّ بِشَرٍّ: "مَتَى يَمُوتُ وَيَبِيدُ اسْمُهُ؟"»**:

ذهب صبر الأعداء وهم يتحرقون لسماع موته لأنهم يشتهون فناءه وعدم ذكر اسمه. انظر: (مز ١٠٩:١٣):

+ «لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمح اسمهم». وأيضاً: (مز ٩:٦):

+ «العدو تمَّ خرابه إلى الأبد. وهدمت مدناً. باد ذكره نفسه».

٦ ـ **«وَإِنْ دَخَلَ لِيَرَانِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَذِبِ. قَلْبُهُ يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ إِثْماً. يَخْرُجُ فِي الْخَارِجِ يَتَكَلَّمُ»**:

يدَّعي العطف والرحمة والصداقة ويخرج يدبِّر من جديد مصيبة ويستخدم مكره وغشه منتهزاً فرصة مرضه ويذهب ويدَّعي رحمته.

٧ ـ **«كُلُّ مُبْغِضِيَّ يَتَنَاجَوْنَ مَعاً عَلَيَّ. عَلَيَّ تَفَكَّرُوا بِأَذِيَّتِي»**:

يدَّعون القربى ويتكلَّمون سرًّا حتى لا يسمعهم أحد، يتكلَّمون بالغش ضدَّه ويدبِّرون ما هو أسوأ.

٨ ـ **«يَقُولُونَ: "أَمْرٌ رَدِيءٌ قَدِ انْسَكَبَ عَلَيْهِ. حَيْثُ اضْطَجَعَ لاَ يَعُودُ يَقُومُ"»**:

يصوِّرون للناس أهوالاً وأنه لا مفرّ منها، لابد أن يموت، يسرعون ليتمِّموا شهوتهم.

انظر: (٢صم ١٦:٧):

+ «وهكذا كان شمعي يقول في سبِّه: اخرج اخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال».

٩ ـ **«أَيْضاً رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!»**:

انظر: (إر ٢٠:١٠):

+ «لأني سمعت مذمَّة من كثيرين. خوف من كل جانب. يقولون اشتكوا فنشتكي عليه. كل

أصحابي يراقبون ظلعي قائلين لعلَّه يُطغى فنقدر عليه وننتقم منه». وأيضاً: (إر ٣٨:٢٢):

+ «... قد خدعك وقدر عليك مسالموك. غاصت في الحمأة رجلاك وارتدَّتا إلى الوراء». وأيضاً: (عو ٧):

+ «طردك إلى التخم كل معاهديك. خدعك وغلب عليك مسالموك. أهل خبزك وضعوا شركاً تحتك. لا فهم فيه». وأيضاً: (مز ٥٥: ١٢-١٤):

+ «لأنه ليس عدوّ يعيرني فأحتمل. ليس مبغضي تعظم عليَّ فأختبئ منه. بل أنت إنسان عديلي إلفي وصديقي. الذي معه كانت تحلو لنا العشرة. إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور!!».

«آكل خبزي»: أي المرتبط بي برباط الصداقة والضيافة وشريكي على مائدتي. انظر: (٢صم ٩:١٠):

+ «ومفيبوشت ابن سيدك يأكل دائماً خبزاً على مائدتي. وكان لصيبا خمسة عشر ابناً وعشرون عبداً».

«رفع عليَّ عقبه»: قاومني بكبرياء وشر الأعداء ونصَّب نفسه عدواً ليلقيني أرضاً، انظر: (إر ٩:٤):

+ «احترزوا كل واحد من صاحبه وعلى كل أخ لا تتكلوا لأن كل أخ يعقب عقباً وكل صاحب يسعى في الوشاية».

وهذه الجملة اقتبسها المسيح في (يو ١٣:١٨) ليصف خيانة يهوذا. وكل ما حدث لأخيتوفل حدث ليهوذا، انظر: (يو ١٧:١٢):

+ «حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك. الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلاَّ ابن الهلاك ليتم الكتاب». وأيضاً: (أع ١:١٦):

+ «أيها الرجال الإخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع».

١٠ ـ **«أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَارْحَمْنِي وَأَقِمْنِي فَأُجَازِيَهُمْ.**

١١ ـ **بِهذَا عَلِمْتُ أَنَّكَ سُرِرْتَ بِي، أَنَّهُ لَمْ يَهْتِفْ عَلَيَّ عَدُوِّي»**:

في ثقة الإيمان يستخدم هنا المضارع عوض المستقبل. انظر: (مز ٢٠:٦):

+ «الآن عرفت أن الرب مخلِّص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه». وأيضاً: (مز ١٨:١٩):

+ «أخرجني إلى الرحب. خلّصني لأنه سرَّ بي». وأيضاً: (مز ٣٥:٢٧):

+ «ليهتف ويفرح المبتغون حقّي وليقولوا دائماً ليتعظَّم الرب المسرور بسلامة عبده».

«لم يهتف عليَّ عدوي»:

لم يهلل لسقوطي ويفرح لظلعي بهتاف الانتصار عليَّ. انظر: (مز ٢٥:٢):

+ «يا إلهي عليك توكّلت. فلا تدعني أخزى. لا تشمت بي أعدائي». وأيضاً: (مز ٣٠:١):

+ «أعظمك يا رب لأنك نشلتني ولم تشمت بي أعدائي». وأيضاً: (مز ٣٨:١٦):

+ «لأني قلت لئلاَّ يشمتوا بي. عندما زلّت قدمي تعظَّموا عليَّ».

١٢ ـ «أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي دَعَمْتَنِي وَأَقَمْتَنِي قُدَّامَكَ إِلَى الأَبَدِ»:

انظر: (مز ٢٦:١١):

+ «أمّا أنا فبكمالي أسلك. افدني وارحمني». وأيضاً: (مز ٦٣:٨):

+ «التصقت نفسي بك. يمينك تعضُدُني».

وهو يتصوَّر النصرة قبل مجيئها.

«وأقمتني قدامك إلى الأبد»: نظير شهوة أعدائه أن يموت ويباد اسمه. ولكنه وثق أن يقف أمام ملك الملوك. انظر: (رؤ ٢٢:٤):

+ «وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم».

١٣ ـ «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ»:

بهذا المزمور يكون قد انتهى الكتاب الأول من سفر المزامير.

كتابات الأب متى المسكين

(أكتوبر ٢٠٠٣م)

اسم الكتاب

سلسلة شروحات الإنجيل:

- القديس بولس الرسول
- شرح رسالة رومية
- المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
- شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١
- شرح إنجيل القديس يوحنا- ج ٢
- شرح الرسالة إلى العبرانيين
- شرح الرسالة إلى أهل أفسس
- شرح الرسالة إلى أهل غلاطية
- شرح الإنجيل بحسب القديس مرقس
- شرح سفر أعمال الرسل
- شرح الإنجيل بحسب القديس لوقا
- شرح الإنجيل بحسب القديس متى

شرح إنجيل متى (أصحاحات منفصلة) طبعة اقتصادية للاستعمال الفردي أو للدراسة الجماعية

- الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول: شرح وتفسير
- المزامير: دراسة وشرح وتفسير، في ثلاثة مجلدات. المجلد الأول: المقدمة

مجلّدات في مواضيع متنوعة:

- النبوَّة والأنبياء في العهد القديم
- القديس أثناسيوس الرسولي
- الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
- حياة الصلاة الأرثوذكسية
- المسيح: حياته وأعماله

سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:

- التقليد المقدس
- القديسة العذراء مريم (ثيئوتوكس)
- الصليب المقدس
- التسبحة اليومية ومزامير السواعي
- الإفخارستيا
- إفخارستيا عشاء الرب (ملحق كتاب الإفخارستيا)
- المعمودية: الأصول الأولى للمسيحية

سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية:

- أعياد الظهور الإلهي
- الصوم الأربعيني المقدس
- مع المسيح في آلامه حتى الصليب
- القيامة والصعود

- الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)
- التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير (مع عظة الميلاد للأب متى المسكين)
- ميلاد يسوع المسيح ابن الله
- رسالة الميلاد لنا اليوم وعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا

مقالات منفصلة عن الميلاد والغطاس

مقالات تصلح للخدام والشباب:
- الخدمة (٣ أجزاء معا)
- المسيحي في المجتمع
- المسيحي في الأسرة
- كيف تقرأ الكتاب المقدس
- في التدبير الروحى
- توجيهات فى الصلاة

أسبوع الآلام:
- مع المسيح في آلامه وموته وقيامته
- لأعرفه وقوة قيامته

عيد القيامة المجيد:
- القيامة والخليقة الجديدة
- القيامة والرجاء الحى
- قيامة المسيح هي فرح البشرية الدائم

مقالات منفصلة عن عيد القيامة

عيدا الصعود والعنصرة:
- عيد الصعود في اللاهوت الكنسي
- رسائل ومقالات في عيدي الصعود والعنصرة
- يوم الخمسين في التقليد الآبائي
- الروح القدس وعمله داخل النفس
- مع الروح القدس في جهادنا اليومي
- يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

مقالات منفصلة عن عيدي الصعود والعنصرة

صوم الرسل:
- صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة، والروح القدس وصوم الرسل
- عيد الرسل وإيمان الكنيسة

صوم العذراء وعيد صعود جسدها:
- صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء

عيد النيروز:
- الشهادة والشهداء (انظر: قصص مسيحية للحياة)

مقالات منفصلة عن عيد الشهداء

مجموعة مقالات في اللاهوت (ألقاب المسيح)
- ماهية المسيح – لاهوت المسيح الذي حدد مصير الإنسان
- المسيح ابن الله
- ابن الإنسان
- المسيح والمسيَّا
- المسيح رب
- المحبوب
- الفدية والكفارة
- الخلاص والإيمان
- عمانوئيل
- رئيس الحياة
- أنا هو نور العالم
- العريس
- أنا هو الطريق والحق والحياة
- أنا هو خبز الحياة
- أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام
- حمل الله
- أنا هو القيامة والحياة
- مشتهى كل الأمم
- أنا هو الراعي الصالح

في الموضوعات الروحية العامة:
- التوبة
- التوبة والنسك في الإنجيل
- العمل الروحى
- الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل
- رسائل القديس أنطونيوس
- الإيمان بالمسيح
- حبة الحنطة
- أين شوكتك يا موت
- التبرير
- الوحدة المسيحية
- مقالات بين السياسة والدين
- ملكوت الله
- المرأة حقوقها وواجباتها
- الكشف الأثرى في دير القديس أنبا مقار عن رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي
- لمحة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر
- سيرة القديس أنبا مقار
- رسائل روحية
- غاية الحياة المسيحية
- القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي
- رأي فى تحديد النسل

- الكنيسة الخالدة
- كلمة الله : خدمة وشهادة وحياة
- الوحدة الحقيقية ستكون إلهاماً للعالم
- لقد وجدنا يسوع ـ دعوة تعارف
- قصة الإنسان (حول الخطية والخلاص)
- تغيَّروا عن شكلكم
- حاجتنا إلى المسيح
- الكتاب المقدس رسالة شخصية لك
- النعمة في العقيدة والحياة النسكية
- الحدود المتسعة للإيمان بالله
- فى تعليم المبتدئين
- ميلاد المسيح وميلاد الإنسان
- نصائح لرهبان جدد + اختبار الله في حياة الراهب
- تاريخ إسرائيل
- كيف سيدين المسيح المسكونة بالعدل
- الحكم الألفي
- أنشودة للتجسُّد
- رسالة توعية
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ـ الجزء الأول
- الخلقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي ـ الجزء الثاني
- "الإنسان والخطية" رسالة سلام للنفس المتعبة
- رسالة حياة لمن يطلب الحياة "تسليم الحياة للمسيح"
- الله واحد مع شرح صلاة "أبانا الذي في السموات"
- فن الحياة الناجحة
- كيف نبني أنفسنا على الإيمان الأقدس
- التحولات الروحية السوية
- إرشادات روحية للرهبان
- توجيهات ونصائح رهبانية
- قصص مسيحية للحياة (في مجلد واحد)

(وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وعناوينها كالآتي):

- سفراء من العالم الآخر
- في زقاق المسيحيين
- قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس
- النيروز وذكرى أيام الشهداء
- أيقونة جميلة
- قصة استشهاد مؤثرة للغاية
- قصة طهارة واستشهاد بارع، القديس فوكا البستاني، فلسفة الموت عند شهداء مصر
- أولوجيوس والمقعد الرذيل، المحارب العجوز
- تاييس امرأة الأساطير، القديسة ميلانية العجيبة، صلاة فلاح، أتباع المسيح وبهرجة الفلسفات

تُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا ـ تليفون ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين ـ محرم بك ـ تليفون ٤٩٥٢٧٤٠

الثمن ٤٠ جنيهاً

(٢٩٣)